استصحبه الفقير السيد محمد عطا الله
ابن حضرة حسبي بوقلم فى عسكر نقابه
دار الفقراء جاويه عفى عنهما
سنة ١٢٧٤

هذه حاشية العالم العلامة الحبر البحر
المحقق الفهامة مولانا الهمام قدوة
الأنام الفاضل الشيخ ابراهيم
الباجوري حفظه الله المسماة
بتحفة المريد على جوهرة
التوحيد على التمام
والكمال

نفع الله بعلمه آمين

وحاشية على متن الخريدة للشيخ
سليمان ابن جمل
الفه ١١٨٨

٢

وقفت هذا الكتاب طلبا لمرضات الله الملك الوهاب
لكتبخانه راغب پاشا وانا الفقير السيد محمد عطا الله ابن
حسين حسني يوقلمه جي عسكر نظاميه شاهانه
در مكه مكرمه بقا ١٢٨٤ سنه

T. C.
MİLLÎ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAĞIP P...
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 1340/1-2

RAĞIP P.
Ka. N.
1499

١٥١٤
R.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالاعدام والايجاد المنزه عن شوائب النقص والاضداد
واشهد ان لا اله الا الله القديم المخالف لما عداه من الكائنات الباقي
وهالك كل ما عداه من المخلوقات واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله
الصادق الامين المبلغ لكل ما امر بتبليغه من رب العالمين صلى الله
وسلم عليه وعلى آله وصحبه جواهر المعارف وازهار رياض الفصحاء والعوارف
اما بعد فيقول افقر الورى الى ربه القدير ابراهيم بن محمد الباجوري
ذو التقصير انه لما كان نظم العالم العلامة والبحر الحبر الفهامه ذي
الفيض اللدني الشيخ ابراهيم اللقاني الموسوم بجوهرة التوحيد قد نظم
فوائد هذا الفن في عقد نضيد وحوى من نفائس الدرر ومحاسن الغرر
ما يدهش الالباب ويقضي بالعجب العجاب وقد ولع الناس بالدخول
في رياض فوائده والاخذ من ثمار موائده سألني وفد من الاخوان
اصلح الله لي ولهم الحال والشان ان اكتب عليه حاشية تسفر عن مطويات
ما فيه من الرموز والاسرار وتكشف عنه سدول النقاب والاستار
فلما انشرح صدري لذلك والله اعلم بما هنالك صرفت زمام العزم نحو
رياضه واوردت الفكر في عبقري حياضه وقد تيسر لي اذ ذاك بعض شوارح
الناظم الهمام مع حواشي النظم وشرحه للشيخ عبد السلام مع ما كتبه
عليه السادة الاعلام وغير ذلك مما فتح الله به السلام فالتقطت
منها دررا نفيسه ومحاسن شريفه ونظمتها في سلك التحبير والتصنيف
وجعلتها حاشية على هذا المتن الشريف وقد سميتها تحفة المريد على جوهرة
التوحيد جعلها الله خالصة لوجهه الكريم ونفع بها كل من تلقاها بقلب
سليم والمرجو ممن اطلع عليها ان ينظر اليها نظر اعتذار ويحنو على ما فيها

من

توفي شيخ ابراهيم لقاني ١٠٤١ سنة

توفي شيخ عبد السلام ولد شيخ ابراهيم لقاني ١٠٧٨ سنة

من الهفوات اذيال الاستار فالستر من شيم الكرام واذاعة العورات
من دأب اللئام والله اسأل وبنبيه اتوسل ان تحل محل القبول انه
خير مأمول واكرم مسؤول وها انا اشرع في المقصود بعون الملك المعبود
فأقول وبالله التوفيق بسم الله الرحمن الرحيم افتتح الناظم كتابه
بالبسملة ثم بالحمدلة اقتداء بالكتاب العزيز في ابتدائه بهما في الترتيب
التوقيفي لا انهما اول ما انزل فانه خلاف ما في صحيح البخاري وغيره في بدئ الوحي من
ان اول ما انزل اقرا باسم ربك وقد نقل ابو بكر التونسي اجماع علماء كل ملة على
ان الله سبحانه وتعالى افتتح جميع كتبه ببسم الله الرحمن الرحيم وعملا بخبر كل امر ذي
بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو ابتر او اجذم او اقطع روايات فهو ناقص وقليل
البركة فهو وان تم حسا لا يتم معنى مع خبر كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله الخ والمراد
بالامر ما يعم القول كالقراءة والفعل كالتأليف ومعنى ذي بال صاحب حال بحيث
يهتم به شرعا اي بان لا يكون من سفاسف الامور وليس محرما ولا مكروها
ويشترط ايضا ان لا يكون ذكرا محضا ولا جعل الشارع له مبدأ غير البسملة والحمدلة
فخرجت سفاسف الامور كلبس النعل والبصاق والمخاط فلا تسن البسملة ولا
الحمدلة عليها وخرج المحرم لذاته كالزنا والمكروه لذاته كالنظر لفرج زوجته
بلا حاجة فتحرم على الاول وتكره على الثاني بخلاف المحرم لعارض كالوضوء بماء مغصوب
والمكروه لعارض كاكل البصل فلا تحرم على الاول ولا تكره على الثاني وخرج الذكر
المحض كلا اله الا الله فلا تسن التسمية عليه بخلاف غير المحض كالقرآن لاشتماله
على غير الذكر كالاخبار والمواعظ وخرج ما جعل الشارع له مبدأ غير البسملة
والحمدلة كالصلاة فلا يبدأ بالبسملة ولا بالحمدلة بل بالتكبير مثلا فان قلت
بين الخبرين المذكورين تعارض فكيف يمكن العمل بهما قلت اجيب عن ذلك
باجوبة اشهرها ان الابتداء نوعان حقيقي وهو الابتداء بما تقدم امام المقصود
ولم يسبقه شيء واضافي وهو الابتداء بما تقدم امام المقصود وان سبقه شيء فبينهما
العموم والخصوص المطلق فحمل خبر البسملة على النوع الاول وخبر الحمدلة على الثاني
وانما لم يعكس للكتاب وللاجماع لا يقال ان هذا المؤلف شعر على الراجح خلافا
لمن قال ان الرجز ليس شعرا وقد قال العلماء لا يبدأ الشعر بالبسملة لانا نقول
الشعر الذي لا يبدأ بالبسملة هو المحرم كهجو من لا يحل هجوه او المكروه كالتغزل
في غير معين واما ما يتعلق بالعلوم كهذه المنظومة فيبدأ بالبسملة اتفاقا
وانما لم يأت بها نظما كما فعل الشاطبي حيث قال بدأت ببسم الله في النظم اولا الخ

لأنه خلاف الأولى ثم اعلم ان البا فى البسملة اما للمصاحبة على وجه التبرك او
للاستعانة كذلك ولا مانع من الاستعانة باسمه تعالى كما يستعان بذاته والأولى
جعلها للمصاحبة لان جعلها للاستعانة فيه اساءة ادب لان با الاستعانة تدخل على الالة فيلزم
عليها جعل اسم الله مقصودا لغيره لا لذاته الا ان يقال ان من جعلها للاستعانة
نظر الى جهة اخرى وهى ان الفعل المشروع فيه لا يتم على الوجه الاكمل الا باسمه
تعالى لكن قد يقال مظنة الاساءة ما زالت موجودة ومعناها الاشارى بى كان ما كان
وبى يكون ما يكون وح يكون فى البا اشارة الى جميع العقائد لان المراد بى وجد ما وجد
وبى يوجد ما يوجد ولا يكون كذلك الا من اتصف بصفات الكمال وتنزه عن
صفات النقصان كما ذكره بعض ائمة التفسير والاسم مشتق عند البصريين من
السمو وهو العلو لانه يعلو مسماه وعند الكوفيين من وسم بصيغة الماضى اى
علم بصيغة الماضى ايضا لان الاشتقاق عندهم من الافعال فقول بعض العلما وعند
الكوفيين من الوسم بمعنى العلامة فيه تسمح ومعناه ما دل على مسمى واما قولهم
كلمة دلت على معنى فى نفسها الخ فهو اصطلاح نحوى وعلم من التعريف المذكور ان الاسم
غير المسمى وهو التحقيق نعم ان اريد به المدلول كان عين المسمى وبهذا يجمع بين القولين
والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وقولنا الواجب الوجود
الخ تعيين للمسمى لا انه من جملة المسمى على ما هو التحقيق والا لكان كليا وهو علم لا
شخصى بمعنى ان مدلوله معين فى الخارج لا بمعنى انه قامت به مشخصات كالبياض
والطول وهكذا لاستحالة ذلك ولا يجوز ان يقال ذلك الا فى مقام التعليم لما
فيه من ايهام ما لا يليق وبذلك تعلم انه ليس علما بالغلبة خلافا لمن زعم ذلك
وهو اسم الله تعالى الاعظم عند الجمهور واختار النووى انه الحى القيوم وانما
تخلفت الاجابة عند الدعاء به من بعض الناس لتخلف شروط الاجابة التى اعظمها
اكل الحلال والرحمن الرحيم صفتان ماخوذتان من الرحمة بمعنى الاحسان او ارادة
الاحسان لا بمعناها الاصلى الذى هو رقة فى القلب تقتضى التفضل والاحسان
لاستحالة ذلك فى حقه تعالى فالرحمن الرحيم فى حقه تعالى بمعنى المحسن او مريد الاحسان
لكن الاول بمعنى المحسن بجلائل النعم اى بالنعم الجليلة والثانى بمعنى المحسن بدقائق
النعم اى بالنعم الدقيقة لان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبا وانما جمع بينهما
اشارة الى انه ينبغى ان يطلب منه تعالى النعم الحقيرة كما ينبغى ان يطلب منه النعم العظيمة
لأن الكل منه وحده سبحانه وتعالى ويتعلق بالبسملة ابحاث كثيرة فلا نطيل
بذكرها الحمد لله قال النووى رحمه الله تعالى يستحب الحمد فى ابتدا الكتب

المصنفة وكذا فى ابتدا دروس المدرسين وقراءة الطالبين بين يدى المعلمين
سواء قرأ حديثا او فقها او غيرهما واحسن العبارات فى ذلك الحمد لله رب العالمين
اهـ وانما لم يأت بحرف العطف اشارة الى ان كلا من البسملة والحمدلة محصل للمقصود
فى الابتدا او لاحتمال ان تكون احداهما خبرية والاخرى انشائية والصحيح انه لا يجوز
عطف الانشا على الاخبار وعكسه والحمد لغة الثناء بالكلام على الجميل الاختيارى
على جهة التبجيل والتعظيم سواء كان فى مقابلة نعمة ام لا فمثال الاول ما اذا اكرمك
زيد فقلت زيد كريم فانه فى مقابلة نعمة ومثال الثانى ما اذا وجدت زيدا يصلى
صلاة تامة فقلت زيد رجل صالح فانه ليس فى مقابلة نعمة والثنا بتقديم المثلثة
على النون هو الاتيان بما يدل على التعظيم وقيل هو الذكر بخير وضده النثا بتقديم
النون على المثلثة وانما عبرنا بالكلام كما عبر به بعض المحققين ليشمل التعريف ح
الحمد القديم وهو حمد الله نفسه بنفسه وحمده لانبيائه واوليائه واصفيائه والحمد
الحادث وهو حمدنا لله تعالى وحمد بعضنا لبعض فدخلت اقسام الحمد الاربعة وهى
حمد قديم لقديم وحمد قديم لحادث وحمد حادث لقديم وحمد حادث لحادث
واما تعبير بعضهم باللسان فيلزم عليه ان لا يكون التعريف شاملا للقديم الا
ان يراد باللسان الكلام على سبيل المجاز المرسل من اطلاق السبب وهو اللسان
وارادة المسبب وهو الكلام ولا يرد ان التعاريف تصان عن المجاز لان محل
ذلك ما لم يكن المجاز مشهورا كما هنا وقولنا على الجميل الاختيارى اى لاجل
الجميل الاختيارى ولو كان جميلا فى اعتقاد المحمود بزعم الحامد وان لم يكن جميلا
شرعا كنهب الاموال وخرج بقيد الاختيارى الاضطرارى فان الثنا عليه يسمى
مدحا لا حمدا تقول مدحت اللؤلؤة على حسنها دون حمدتها وقال الزمخشرى الحمد
والمدح اخوان بمعنى انهما مترادفان والاختيارى انما هو قيد فى المحمود عليه لا فى
المحمود به فقد يكون المحمود عليه اختياريا والمحمود به اضطراريا كما اذا اكرمك زيد
فقلت زيد حسن واركان الحمد خمسة حامد ومحمود ومحمود به ومحمود عليه وصيغة
ثم اعلم ان المحمود به والمحمود عليه قد يتحدان ذاتا ويختلفان اعتبارا كما اذا اكرمك زيد
فقلت زيد كريم فان الكرم من حيث كونه باعثا على الحمد يقال له محمود عليه ومن حيث
كونه مدلول الصيغة يقال له محمود به وقد يختلفان ذاتا واعتبارا كما اذا اكرمك
زيد فقلت زيد عالم فان المحمود عليه هو الكرم والمحمود به هو العلم فان قلت
التقييد بالاختيارى يخرج الحمد على ذاته تعالى وصفاته فظاهره
انه لا يسمى حمدا والتزمه بعضهم وقال يسمى مدحا قلت اجيب عن ذلك

بأن المراد ما يشمل الاختيارى حقيقة وهو ظاهر او حكما والمراد به ما كان منشأ
للأفعال الاختيارية كالذات وصفات التأثير او ملازما للمنشا كصفات غير
التأثير وقولنا على جهة التبجيل والتعظيم اى على جهة هى التعظيم والتبجيل
فالاضافة للبيان وعطف التعظيم على التبجيل للتفسير وخرج بذلك ما اذا كان على
جهة الاستهزاء والسخرية كما فى قول الملائكة لأبى جهل ذق انك انت العزيز
الكريم اى بزعمك عند قومك وذلك ان ابا جهل لعنه الله كان يقول انا اعز
البوادى واكرمهم فتقول خزنة النار له ذلك على طريق الاستخفاف والتوبيخ
وفى الحقيقة هذا خارج من اول الامر فانه ليس ثناء الا بحسب الصورة فهذا القيد
عند التحقيق للايضاح واما الحمد اصطلاحا فهو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من
حيث كونه منعما على الحامد او غيره سواء كان ذلك قولا باللسان او اعتقادا بالجنان
او عملا بالاركان التى هى الاعضاء كما قال القائل

افادتكم النعماء منى ثلاثة   يدى ولسانى والضمير المحجبا

وانما كان الاعتقاد فعلا لأنه التصميم بالقلب واما قولهم التحقيق انه كيف اى
الصورة الحاصلة فى النفس فهو تدقيق كلامى لا ينظر اليه هنا فان قيل الاعتقاد
لا ينبئ عن تعظيم المنعم اجيب بانه ينبئ لو اطلع عليه او انه يستدل عليه بالقول
ويتحقق ح حمدان احدهما بالقول والآخر بالاعتقاد المأخوذ منه والشكر لغة
هو الحمد اصطلاحا لكن بابدال الحامد بالشاكر واصطلاحا صرف العبد جميع
ما انعم الله عليه به فيما خلق لأجله ثم اعلم ان ال فى الحمد اما للاستغراق او للجنس
او للعهد واللام فى لله اما للاستحقاق او للاختصاص او للملك فيتحصل من ذلك
احتمالات تسعة حاصلة من ضرب ثلاثة فى ثلاثة يمتنع منها جعل اللام للملك
مع جعل ال للعهد اذا جعل المعهود هو الحمد القديم فقط لأن القديم
لا يملك بخلاف ما اذا جعل المعهود حمد من يعتد بحمده كحمده تعالى وحمد انبيائه
واوليائه واصفيائه لأن المعهود ح هو الجملة المركبة من القديم والحادث
والقاعدة ان المركب من القديم والحادث حادث فيصح ان يملك
على صلاته اى لاجل صلاته فعلى للتعليل على حد قوله تعالى ولتكبروا الله على ما
هداكم والجار والمجرور متعلق بالحمد واغتفر الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر
لأن ذلك يغتفر فى الجار والمجرور وبعضهم جعله خبرا بعد خبر فيكون المصدر قد
حمد اولا فى مقابلة الذات ثم حمد ثانيا فى مقابلة الصلاة ثم ان الصلاة بكسر
الصاد جمع صلة وهى العطية بمعنى الشئ المعطى كما هو المتبادر او بمعنى الاعطاء وهو اولى

ثم سلام الله مع صلاته

لأنه حمد على صفة المولى بلا واسطة والحمد على الشئ المعطى حمد على الصفة بواسطة
وانما اختار الحمد المقيد على الحمد المطلق لان المقيد افضل من المطلق فانه يثاب
على المقيد ثواب الواجب لكونه فى مقابلة نعمة فهو كأداء الديون وبعضهم ذهب
الى ان المطلق افضل   ثم سلام الله الخ يحتمل ان تكون ثم للاستئناف
ويحتمل ان تكون للعطف وعلى الثانى يحتمل ان تكون للترتيب الذكرى وان تكون
للترتيب الرتبى لان رتبة ما يتعلق بالمخلوق من الصلوة والسلام متأخرة
ومتراخية عن رتبة ما يتعلق بالخالق من البسملة والحمدلة ومعنى سلام الله
اى تحيته اللائقة به صلى الله عليه وسلم بحسب ما عنده تعالى كما تشعر به اضافته
له تعالى فالمطلوب تحية عظمى بلغت الدرجة القصوى فتكون اعظم التحيات لأنه صلى
الله عليه وسلم اعظم المخلوقات والمراد بالتحية فى حقه صلى الله عليه وسلم كما افاده
السنوسى فى شرح الجزائرية ان يسمعه كلامه القديم الدال على رفعة مقامه العظيم ولم
يرتض بعضهم تفسير السلام بالامن وان ذكره السنوسى وغيره لأنه ربما اشعر بمظنة الخوف
مع ان النبى صلى الله عليه وسلم بل واتباعه لا خوف عليهم نعم يخاف صلى الله عليه وسلم
خوف مهابة واجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انى لأخوفكم من الله فان قيل
ان السلام يؤخر عن الصلوة كما جرى به عرف الاستعمال لآية يا ايها الذين امنوا صلوا
عليه وسلموا تسليما فما بال المص قدمها عنها اجيب بان ذلك لموافقة الشطرة
الأولى حيث قال على صلاته على انه اشار الى ان رتبته التأخير حيث ادخل مع على
الصلاة وهى تدخل على المتبوع يقال جاء الوزير مع السلطان دون العكس
مع صلاته باسكان العين هنا على لغة قليلة لأجل الوزن وان كان
الأفصح فتحها ومعنى صلاته رحمته المقرونة بالتعظيم كما تشعر به الاضافة
الى ضميره تعالى وهذا هو اللائق بالمقام وقيل هى مطلق الرحمة سواء قرنت بالتعظيم
ام لا لكن هذا بيان للصلاة فى حد ذاتها بقطع النظر عن المقام ويبنى على هذا
الخلاف العطف فى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة فعلى الأول
يكون من عطف العام على الخاص وعلى الثانى من عطف التفسير وقد فسر
الجمهور الصلاة بأنها من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن
غيرهم ولو حجرا او شجرا او مدرا التضرع والدعا فقد وردا انها صلت عليه كما ذكره
الحلبى فى السيرة وان اشتهر انها سلمت عليه فقط وان شئت قلت وهو
الأخصر هى من الله الرحمة ومن غيره الدعاء وح يكون شاملا للاستغفار
وغيره واختار ابن هشام فى مغنيه انها العطف بفتح العين وهو بالنسبة

لله الرحمة الخ ويترتب على هذا الخلاف انهما من قبيل المشترك اللفظي على الأول وضابطه
ان يتحد اللفظ وتعدد المعنى والوضع ومن قبيل المشترك المعنوي على الثاني وضابطه
ان يتحد كل من اللفظ والمعنى والوضع والتحقيق الثاني وان رجح بعضهم
الأول والصحيح انه صلى الله عليه وسلم ينتفع بصلاتنا عليه كما في الانبيا وقيل
المنفعة عائدة على المصلي ليس الا لانه صلى الله عليه وسلم قد افرغت عليه الكمالات
ورد بانه ما من كمال الا وعند الله اكمل منه والكامل يقبل الكمال لكن لا ينبغي للمصلي
ان يلاحظ ذلك بل يلاحظ انه يتوسل به صلى الله عليه وسلم عند ربه في نيل مقصوده
وفي كلام المص نوع من المحسنات البديعية يسمى بالجناس المحرف وهو ما تماثل ركناه
في الحروف لا في الحركات فانه عبر اولا بصلاته بكسر الصاد ثم عبر بصلاته بفتحها
وفي هذا البيت وما بعده التضمين وهو كما في شرح شيخ الاسلام على الخزرجية تعلق
قافية البيت بما بعده وهو مغتفر للمولدين عند بعضهم واثبات الصلاة والسلام
في صدر الكتب والرسائل حدث في زمن ولاية بني هاشم ثم مضى العمل على استحبابه
ومن العلما من يختم بهما الكتاب ايض كما في شرح المص الصغير   على نبي اي كائنان
على نبي فالجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدا وليس من باب التنازع لان
بعضهم منعه في الجوامد وانما عدى الدعا بعلى مع ان الدعاء ان كان بخير تعدى باللام
وان كان بشر تعدى بعلى لان محل ذلك ما لم يكن بعنوان الصلاة والسلام مرد
للفرق الظاهر بين صلى عليه ودعا عليه اذ الاول لا يفهم منه الا المنفعة والثاني
لا يفهم منه الا المضرة وايض في التعبير بعلى اشارة الى شدة التمكن والنبي بالهمز
وتركه ماخوذ من النبأ وهو الخبر لانه مخبر بكسر الباء فانه يخبرنا بالاحكام عن الله
تعالى ان كان رسولا ايض فان كان نبيا فقط اخبرنا بانه نبي ليحترم او مخبر بفتحها
لان جبريل يخبره عن الله تعالى وماخوذ من النبوة وهي الرفعة لانه مرفوع
الرتبة فانه ما من نبي الا وهو افضل من امته او رافع رتبة من تبعه فعلى كل
فعيل صالح لاسم الفاعل واسم المفعول وعبر بالنبي ولم يعبر بالرسول اشارة
الى انه يستحق الصلاة والسلام بوصف النبوة كما يستحقها بوصف الرسالة
وموافقة لقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي وعرفوا النبي بانه انسان
ذكر حر من بني آدم سليم عن منفر طبعا اوحي اليه بشرع يعمل به وان لم يؤمر بتبليغه
واما الرسول فيعرف بما ذكر لكن مع التقييد بقولنا وامر بتبليغه فبينهما العموم
والخصوص المطلق لان كل رسول نبي ولا عكس وجعل بعضهم الرسول اعم
قال لان الرسل تكون من الملائكة وقال العلامة التفتازاني هما متساويان

وقيل

وقيل بينهما العموم والخصوص الوجهي لان النبي فقط من اوحي اليه بشرع يعمل به
واختص به والرسول فقط من اوحي اليه بشرع يعمل به ويبلغه لغيره ولم يختص بشيء
منه فان اختص بالبعض وبلغ البعض فهو نبي ورسول وخرج بالانسان
بقية الحيوانات وكفر من قال في كل امة نذير يعني انه في كل جماعة من الحيوانات رسول
واما قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير فهو في امم البشر الماضية وخرج بالذكر
الانثى بناء على انه يقال لها انسان وقال بعضهم يقال لها انسانة كما قال القائل
انسانة فتانة بدر الدجى منها خجل وعليه فكون الانثى خرجت بالانسان والقول
بنبوة مريم وآسية وحوى وام موسى واسمها يوحانذ بالذال المعجمة وهاجر وسارة
فهو مرجوح قال صاحب بدء الامالي وما كانت نبيا قط انثى ولا عبد وشخص ذو فعال
اي فعل قبيح وخرج بالحر الرقيق ولا يرد لقمان لانه لم يكن نبيا بل كان تلميذ الانبياء لانه
ورد انه تتلمذ لالف نبي وخرج بقولنا من بني آدم الجن والملائكة بناء على ان الانسان
ماخوذ من النوس وهو التحرك يقال ناس اذا تحرك فيشمل الجن والملك فيحتاج
لاخراجهما بما ذكر واما على انه ماخوذ من الانس فيختص ببني آدم فلا يحتاج لاخراجهما
بما ذكر ولا يرد قوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم لان معناه والله
اعلم الم ياتكم رسل من بعضكم وهم الانس او المراد برسل الجن السفرا منهم اي النواب
منهم عن الرسول لا رسل من عند الله تعالى ولا يرد ايض قوله تعالى الله يصطفي
من الملائكة رسلا لان معناه والله اعلم انهم سفراء بين الله وبين انبيائه
ليبلغوهم عن الله تعالى الشرائع وخرج بالسليم عن المنفر غير السليم عنه فمن كان
فيه منفر كعمى وبرص وجذام لم يكن نبيا ولا رسولا ولا يرد بلاء ايوب وعمى يعقوب
لانه امر ظاهري ليس حقيقيا ولا يرد ايض بناء على انه حقيقي لطروه بعد تقرر النبوة
والكلام فيما قارنها وقد اختلف في عدد الانبياء فقيل مائة الف واربعة وعشرون
الفا وقيل مائتا الف واربعة وعشرون الفا واختلف ايض في عدد الرسل منهم
فقيل ثلثمائة وثلاثة عشر وقيل واربعة عشر وقيل وخمسة عشر والاسلم الامساك
عن ذلك لقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم منهم من قصصنا عليك ومنهم من
لم نقصص عليك واعلم ان التنوين في نبي للتعظيم والابهام فيه ورفعه ما يأتي
في كلامه بعد ان شاء الله تعالى   جاء الخ هذه الجملة صفة لنبي كما هو
القاعدة من ان الجمل بعد النكرات صفات وقد قيد الناظم هذه الجملة بقوله
وقد خلا الدين عن التوحيد لانه حال من فاعل جاء والحال قيد في عاملها فصارت
الصفة بهذا الاعتبار مخصصة للموصوف وقاصرة له على نبينا صلى الله عليه وسلم

لأنه لم يأت نبي بالتوحيد في حال خلو الدين عن التوحيد الا نبينا صلى الله عليه وسلم
والمراد بالمجيء الارسال فتفسيره به تفسير بمراد او تفسير بالسبب فان الارسال
سبب للمجيء وقد ارسله الله تعالى على رأس الاربعين سنة الى جميع المكلفين من الثقلين
اي الانس والجن سميا بذلك لانهما اثقلا الارض وقيل لثقلهما بالذنوب وقيل
لثقل ميزانهما بالحسنات وخرج بالثقلين الملائكة فانه لم يرسل اليهم ارسال
تكليف بل ارسل اليهم والى غيرهم من سائر الحيوانات والجمادات ارسال تشريف
لأن طاعتهم جبلية لا يكلفون بها وهذا هو الذي اعتمده الرملي في شرح المنهاج
وخالفه الشيخ ابن حجر وعبارته بعد قول المص عبده ورسوله لكافة الثقلين
الانس والجن اجماعا معلوما من الدين بالضرورة فيكفر منكره وكذا الملائكة
كما رجحه جمع محققون كالسبكي ومن تبعه وردوا على من خالف ذلك الى آخر عبارته
والتعبير برأس الاربعين يفيد انه بعث عند استكمالها من غير زيادة ولا نقص
وهو الصحيح الذي عليه الجمهور لكن هذا لا يتم الا لو كانت البعثة في شهر
الولادة مع ان المشهور انه ولد في ربيع الاول وبعث في رمضان فله حين البعث
اربعون سنة ونصف ان كان البعث في رمضان الواقع بعد السنة المتممة
للأربعين او تسعة وثلاثون ونصف ان كان البعث في رمضان الواقع في اثناء السنة
المتممة للأربعين فمن قال اربعون سنة الغى الكسر على الاول او جبره على الثاني
وقال بعضهم كان ابتداء الوحي في المنام في ربيع ومكث ستة اشهر كذلك ومن
قال كان ابتداؤه في رمضان اراد مجيء جبريل يقظة فرجع الخلاف لفظيا ولا
كسر والصحيح ان نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته مقترنان وقال ابن عبد البر
وغيره ارسله الله لما بلغ ثلاثا واربعين سنة فكانت النبوة سابقة بنزول اقرأ
وكانت الرسالة بامره بالانذار لما نزلت آية المدثر فهو في زمن فترة الوحي نبي لا
رسول واجاب القائلون بالاول بان آية المدثر بيان للمراد من سورة اقرأ الآن
المعنى اقرأ على قومك ما سابقته لك وانما كان الارسال على رأس الاربعين لأنه
العادة المستمرة في معظم الانبياء او جميعهم كما جزم به اي بالثاني كثيرون منهم شيخ
الاسلام في حواشي البيضاوي وانما استدلوا بالعادة المستمرة ولم يستدلوا
بحديث ما بعث نبي الا على رأس الاربعين سنة لعد ابن الجوزي له في الموضوعات وذكر
العلامة الشيخ الامير والعلامة الشيخ الشنواني ان الحق ان هذا السن
غالب فقط في النبوة والا فقد نبئ عيسى ورفع الى السماء قبله وكان
عمره ثلاثا وثلاثين سنة ونبئ يحيى صبيا بناء على ان الحكم الذي اوتيه صبيا

النبوة اه لكن ذكروا في حواشي التفسير نقلا عن المواهب ان هذا خلاف التحقيق
وقالوا الصحيح ان عيسى ما رفع الا بعد مضي ثمانين سنة من النبوة وبعد نزوله من
السماء يعيش اربعين سنة ولا يرد قوله تعالى في حق يحيى وآتيناه الحكم صبيا
لأن المراد بالحكم العلم والمعرفة لا النبوة ولا يرد ايضا قوله تعالى حكاية عن عيسى آتاني
الكتاب وجعلني نبيا لأنه من التعبير بالماضي عن المستقبل على حد قوله تعالى اتى
امر الله اي يأتي او المعنى وجعلني نبيا في علمه هذا ووقع في كلام سيدي علي الخواص
ان النبي نبئ من صغره ولعله اراد الكمال والتهيئ كما ذكره العلامة الامير والله اعلم
بالحقيقة   بالتوحيد اي بطلبه وفيه براعة استهلال وهي ان يأتي المتكلم
في طالعة كتابه بما يشعر بمقصوده والتوحيد لغة العلم بأن الشيء واحد وشرعا
بمعنى الفن المدون فيما سيأتي علم يقتدر به على اثبات العقائد الدينية مكتسب
من ادلتها اليقينية والمراد به هنا الشرعي لا بمعنى الفن المدون فيما سيأتي وهو
افراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتا وصفات وافعالا
فليس هناك ذات تشبه ذاته تعالى ولا تقبل ذاته الانقسام لا فعلا ولا وهما
ولا فرضا مطابقا للواقع ولا تشبه صفاته الصفات ولا تعدد فيها من جنس واحد
بأن يكون له تعالى قدرتان مثلا ولا يدخل افعاله الاشتراك اذ لا فعل لغيره
تعالى خلقا وان نسب لغيره كسبا وقيل هو اثبات ذات غير مشبهة للذوات
ولا معطلة عن الصفات خلافا للمعتزلة المعطلين للذات عن الصفات الوجودية
فان قيل قد جاء صلى الله عليه وسلم بغير التوحيد فلم اقتصر الناظم على التوحيد
اجيب بانه انما خصه لأنه اشرف العبادات ويليه الصلاة كما في حديث ابي سعيد
ان الله تعالى لم يفرض شيئا افضل من التوحيد والصلاة ولو كان شيء افضل منه
لافترضه على ملائكته منهم راكع ومنهم ساجد والحد السابق هو احد المبادي
العشرة المنظومة في قول بعضهم ان مبادي كل فن عشرة الحد والموضوع ثم الثمرة
وفضله ونسبة والواضع والاسم الاستمداد حكم الشارع مسائل والبعض بالبعض اكتفى
ومن درى الجميع حاز الشرفا فحده الفن لغة وشرعا ما تقدم وموضوعه ذات الله
من حيث ما يجب له وما يستحيل وما يجوز وذات الرسل كذلك والممكن من حيث انه يتوصل به
الى وجود صانعه والسمعيات من حيث اعتقادها وثمرته معرفة الله بالبراهين القطعية
والفوز بالسعادة الأبدية وفضله انه اشرف العلوم لكونه متعلقا بذاته تعالى وذات رسله
وما يتبع ذلك والمتعلق بكسر اللام يشرف بشرف المتعلق بفتحها ونسبته انه اصل
العلوم الدينية وما سواه فرع عنه وما احسن قول القائل حيث قال

ايها المقتدى لتطلب علما كل علم عبد لعلم الكلام
تطلب الفقه كى تصحح حكما ثم اغفلت منزل الأحكام

وواضعه ابو الحسن الاشعرى ومن تبعه وابو منصور الماتريدى ومن تبعه
بمعنى انهم دونوا كتبه وردوا الشبه التى اوردتها المعتزلة والا فالتوحيد جاء
به كل نبى من لدن ادم الى يوم القيمة واسمه علم التوحيد لأن مبحث الوحدانية اشهر
مباحثه ويسمى ايضا علم الكلام لان المتقدمين كانوا يقولون فى الترجمة عن مباحثه
الكلام فى كذا ولانه قد كثر الاختلاف فى مسئلة الكلام وذكر بعضهم ان له
ثمانية اسماء واستمداده من الأدلة العقلية والنقلية وحكم الشارع
فيه الوجوب العينى على كل مكلف من ذكر وانثى ومسائله قضاياه الباحثة
عن الواجبات والجائزات والمستحيلات وهذه المبادى هى التى تسمى مقدمة
العلم لأنها اسم لمعان يتوقف عليها الشروع فى المقصود وقد خلا الخ
اى والحال انه قد خلا الخ فالواو للحال وعبارته تقتضى ان ما عليه عبدة الاوثان
يسمى دينا وهو كذلك لان الدين ما يتدين به ولو باطلا فهو يطلق على الدين الحق
والدين الباطل كما يدل له قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
وقد وقع فى بعض النسخ عرا بدل خلا وفيه نظر لانه يقال عرا يعرو كعلا يعلو
بمعنى اصاب ومنه قول الشاعر وانى لتعرونى لذكراك هزة
كما انتفض العصفور بلله القطر ويقال عرى يعرى كعلم يعلم بمعنى خلا والمناسب
هنا الثانى لا الاول الا ان يوجه بان عرا فى كلامه بفتح الرا المنقول عن كسرها
والأصل عرى كعلم قلبت الكسرة فتحة لمناسبة الوزن فتحركت اليا وانفتح ما
قبلها قلبت الفا فصار عرى كرأى ولذلك قال المص فى شرحه الصغير بعد ان شرح
على نسخة خلا ما نصه هذه النسخة الواقعة هنا اخبرنى بعض اصحابنا الموثوق بهم
انه اخذها عنى كذلك وضمن خلا معنى تجرد فعداه بعن ووجهنا نسخة عرا
فى الشرحين اى الكبير والمتوسط ومراده ببعض الاصحاب الشيخ اليوسى كما وجد
فى بعض الهوامش الصحيحة الدين يطلق لغة على عدة معان منها الطاعة
والعبادة والجزا والحساب ولهم فيه اصطلاحا تعريفان احدهما مختصر وهو
ما شرعه الله على لسان نبيه من الاحكام وسمى دينا لأننا ندين له وننقاد ويسمى
ايضا ملة من حيث ان الملك يمليه على الرسول وهو يمليه علينا ويسمى شرعا وشريعة
من حيث ان الله شرعه لنا اى بينه لنا على لسان النبى صلى الله عليه وسلم فالله هو
الشارع حقيقة والنبى شارع مجازا وثانيهما مطول وهو وضع الهى سائق

لذوى

وقد خلا الدين عن التوحيد

لذوى العقول السليمة باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات فقولهم وضع اى
موضوع فهو مصدر بمعنى اسم المفعول اى شئ موضوع بقطع النظر عن ان يكون حكما
او غيره لأجل الاخراجات الآتية ودخل المجاز التعريف لشهرته وقولهم الهى اى منسوب
للاله وهو الله تعالى خرج به الوضع البشرى ظاهرا والا فالواضع لجميع الاشيا هو الله
فى الحقيقة وذلك نحو الرسوم السياسية اى القوانين التى ترجع اليها سياسة
العالم كعلم اصلاح المنزل وحسن العشيرة مع الاهل والاخوان والأوضاع الصناعية
كالنجارة والقرازة وغير ذلك وقد كانت الحكماء القدماء يؤلفون كتبا فى سياسة
الرعية واصلاح المدن فيحكم به ملوك من لا شرع لهم فانه وان كان الخالق لكل الاشيا
هو الله تعالى الا ان البشر لهم فى هذه كسب لا يقال يلزم على ذلك ان احكام الفقه
الاجتهادية ليست من الدين لان البشر اعنى المجتهدين لهم فيها كسب
وانما منه ما ورد نصا لا خلاف فيه لانا نقول انها من الدين قطعا وهى
موضوع الهى غاية الامر انه يخفى علينا والمجتهدون يبينون اظهارها والاستدلال
عليها بقواعد الشرع ولا مدخل لهم فى وضعها وقولهم سائق اى باعث وحامل
لان المكلف اذا سمع ما يترتب على فعل الواجب من الثواب وعلى فعل الحرام من العقاب
انساق الى فعل الاول وترك الثانى وهكذا قالوا وخرج به الوضع الالهى غير السائق
كنبات الارض وامطار السماء وبحث فى ذلك بانه سائق لاصلاح المعاش
فالأحسن التمثيل لغير السائق بالوضع الالهى الذى لا اطلاع لنا عليه كالذى
تحت الأرضين فان ما لا نعرفه لا يسوقنا لشئ وقولهم لذوى العقول
السليمة اى لاصحاب العقول السليمة من الكفر والمراد سائق لهم فقط وخرج
به ما يسوقهم وغيرهم من الحيوانات وهى الالهامات التى تسوق الحيوانات لفعل
منافعها كنسج العنكبوت واتخاذ النحل بيوتا واجتناب مضارها كنفور الشاة
من الذئب وغير ذلك وقولهم باختيارهم المحمود خرج به الاوضاع السائقة لهم
لا باختيارهم او باختيارهم المذموم فالأولى كالآلام السائقة للأنين دغما
وكالوجدانيات كالجوع والعطش فانهما يسوقان الى الاكل والشرب قهرا
والثانية كحب الدنيا فانه وضع الهى يبعث ذوى العقول الى ترك الزكاة
باختيارهم المذموم ومتى كان الاختيار محمودا لا يسوق الا الى خير
فقولهم الى ما هو خير لهم انما ذكروه توصلا لقولهم بالذات فهو متعلق
بخير وذلك الخير الذى هو عبارة عن السعادة الأبدية والقرب من رب
البرية وخرج بذلك صنعتا الطب والفلاحة فانهما وان تعلقتا

كنحو وضاع الطبيعة التى يهتدى بها الحيوانات

بوضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود لكن لا الى الخير الذاتى
بل الى صنف من الخير وهو حفظ صحة ابدانهم بالحكمة والعقاقير اى اجزاء
الادوية ونحو الاغذية وحاصل هذا التعريف مع طوله ان الدين هو الاحكام
التى وضعها الله الباعثة للعباد الى الخير الذاتى فاشرح امور الدين
اربعة كما قاله النووى اى علامات وجوده وقد نظمها بعضهم فقال

امور لدين صدق قصد وفا العهد   وترك المنهى كذا صحة العقد

فصدق القصد اداء العبادة بالنية والاخلاص ووفاء العهد الاتيان بالفرائض
وترك المنهى اجتناب المحرمات وصحة العقد جزمه بعقائد اهل السنة
عن التوحيد متعلق بخلا والمراد بالتوحيد هنا التوحيد اللغوى وهو
العلم بأن الشئ واحد ويحمل التوحيد هنا على اللغوى وفيما مر على الشرعى اندفع
الايطاء وهو اتحاد القافيتين لفظا ومعنى فيما دون سبعة ابيات ورد ذلك
بأن الدين انما خلا عن التوحيد الشرعى فالحق ان التوحيد فى الموضعين شرعى ولا
يرد ان فى كلامه ايطاء الا اذا كانت هذه المقدمة من مشطور الرجز اما اذا كانت
من تامه فلا ايطاء لما علمت من انه اتحاد القافيتين وقافية البيت لا تكون الا
آخره اما آخر الشطر الاول فليس بقافية قال شيخ الاسلام خرج بتكرير
القافية تكرير غيرها كتكرير آخر النصف الاول مع آخر بيت فليس
بايطاء ولو سلم ان فى كلام المص ايطاء فهو جائز للمولدين كما هو جائز لغيرهم
وعلى اختلاف التوحيد فى الموضعين يكون فى الكلام الجناس التام وهو اتفاق
الكلمتين لفظا لا معنى فأرشد الخلق الخ معطوف على جاء بالتوحيد
فيقتضى ان النبى صلى الله عليه وسلم ارشد الخلق بالسيف عقب الارسال لان الفاء
تقتضى التعقيب مع ان الجهاد لم يشرع بفور الارسال بل بعد الهجرة بسنة
لانه شرع فى صفر من السنة الثانية من الهجرة كما نبه عليه الحلبى فى
السيرة وقد يقال التعقيب فى كل شئ بحسبه ونوقش فى ذلك بأنه لا يقال
ذلك الا اذا كان المذكور لا يمكن وجوده قبل مضى المدة التى بينه وبين
المعطوف عليه كما فى تزوج زيد فولد له وهنا الجهاد يمكن حصوله قبل هذه
المدة واجاب بعضهم بان الجهاد غير ممكن قبل هذه المدة من حيث عدم الاذن
فيه قال الشهاب الملوى ويمكن التعقيب الحقيقى بالنظر لقوله وهديه للحق
لان الارشاد بالهدى كان عقب الارسال فلم يتأخر صلى الله عليه وسلم عن
الارشاد لحظة تما ومعنى الارشاد الحقيقى تصييرهم راشدين اى مهديين

فأرشد الخلق بالهدى للحق

وفسّره مجازا بالدلالة فان حمل على الاول كان خاصا بمن آمن وان حمل على الثانى
كان عاما لمن آمن ولمن كفر وقوله الخلق اى جميع الثقلين الانس والجن اجماعا وكذا
الملئكة بناء على انه مرسل اليهم ارسال تكليف والراجح انه مرسل اليهم ارسال تشريف
كما تقدم لك تحريره وان درج بعضهم هنا خلافه واما ارساله الى سائر الحيوانات فارسال
تشريف قطعا فان قلت كيف يستقيم العموم فى الخلق مع انه صلى الله عليه وسلم لم يرشد
من لم يجتمع به قلت الارشاد اعم من ان يكون بنفسه لمن اجتمع به او بواسطة لمن
جاء بعده او كان فى زمنه ولم يجتمع به وقد قال صلى الله عليه وسلم ليبلغ الشاهد منكم
الغائب فرب مبلغ اوعى من سامع وقوله لدين الحق متعلق بأرشد ومادة الارشاد
تتعدى باللام كما تتعدى بعلى والدلالة تتعدى بعلى فمن فسر الارشاد بالدلالة
فسر اللام بعلى ومن ابقى الارشاد على معناه الحقيقى ابقى اللام على حقيقتها فانه يقال
ارشدنى لكذا والمراد من الحق هنا الله تعالى لانه اسم من اسمائه تعالى ومعناه المتحقق
وجوده دائما وابدا بحيث لا يسبقه عدم ولا يلحقه عدم ويصح ان يراد بالحق هنا ما طابق
الواقع واضافة الدين للحق على الاول على معنى اللام وعلى الثانى للبيان اى لدين هو
الاحكام الحقة بسيفه يحتمل ان يكون متعلقا بحال محذوفة من فاعل ارشد
اى ارشد الخلق فى حال كونه متلبسا بسيفه او حال كونه ملجئا لهم بسيفه لان الارشاد
والدلالة ليسا بالسيف حتى تكون الباء للتعدية بل باللسان قطعا وهذا اذا جعل
ارشد بمعنى دل اما اذا جعل بمعنى صيرهم راشدين على ان المراد بالخلق امة الاجابة
فالباء للسببية واضافة سيف للضمير لادنى ملابسة لان المراد بالسيف الذى
جاء بمشروعيته مقاتلة اعداء الله به سواء كان بيده او بيد من تبعه ولو الى يوم
القيامة والمراد بالسيف آلة الجهاد التى يباح قتال الحربيين بها حتى الحجارة فقد
رمى صلى الله عليه وسلم بالحجر فى يوم احد ففى كلام المص مجاز مرسل من اطلاق الخاص وارادة
العام فهو من باب عموم المجاز اى المجاز العام الشامل للحقيقة والمجاز وقد كان له
صلى الله عليه وسلم سيوف متعددة منها المأثور وهو اول سيف ملكه لانه ورثه
عن ابيه ومنها القضيب بالقاف والضاد ومنها ذو الفقار بفتح الفاء وكسرها ومنها
غير ذلك وقد دفع النبى صلى الله عليه وسلم لعكاشة جزل حطب حين انكسر سيفه
يوم بدر وقال اضرب به فعاد فى يده سيفا صارما طويلا ابيض شديد المتن فقاتل
به وهديه للحق عطف على سيفه فيصير التقدير وارشدهم بهديه للحق لكن
يلزم عليه تهافت اذ التقدير ودلهم بدلالته الا ان تجعل الباء للتصوير فتحصل ان الباء
من حيث دخولها على السيف للملابسة او للسببية كما تقدم بيانه ومن حيث دخولها

بسيفه وهديه للحق

على هديه للتصوير وبعضهم حمل الهدى على القرآن والسنة فقد كان صلى الله عليه
وسلم يراسل الناس ولا بالقرآن والدعوة للاسلام فان اجابوا للاسلام فظاهر
والا اعلمهم بالتهيئ للجهاد وهكذا خلفاؤه من بعده والمراد بالحق هنا ما طابقه الواقع
ان اريد بالحق الاول لله تعالى والمراد به هنا الله تعالى ان اريد بالاول ما طابقه الواقع
فليس فى كلام المص ايطاء بل فيه الجناس التام وفيه ما تقدم من انها ليست من
المشطور واعلم انهم فسروا الحق بانه الحكم الذى طابقه الواقع وضده الباطل وفسروا
الصدق بانه الحكم الذى طابق الواقع وضده الكذب فاسندوا المطابقة فى تفسير الحق
الى الواقع وفى تفسير الصدق الى الحكم وذلك ان المطابقة وان كانت مفاعلة من
الجانبين الا انه لما كان الحق ماخوذا من حق الشئ ثبت والثابت انما هو الواقع
ناسب ان تنسب المطابقة فى جانب الحق الى الواقع بخلاف الصدق واختار بعض
المحققين ان الحق والصدق شئ واحد وهو مطابقة الخبر للواقع لان الواقع شئ
ثابت فى نفسه يقاس عليه غيره والمراد بالواقع علم الله تعالى وقيل اللوح المحفوظ
وقيل غير ذلك فان قيل لم قدم المص السيف على الهدى مع ان الهدى سابق
على الجهاد لانه لم يشرع الا بعد الهجرة كما علمته مما سبق ولا شك انه صلى الله عليه وسلم هدى
قبلها اجيب بانه قدم السيف اهتماما بالجهاد واشارة الى ان ما جاء به لا يظهر الا
بالجهاد خصوصا فى مبدء دعوته على ان الواو لا تفيد ترتيبا على الصحيح محمد
بحذف تنوينه للوزن كتسكين باء العاقب ويجوز فى اللفظ الشريف اوجه
الاعراب الثلاثة الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اى هو محمد وهذا هو الاولى من جهة التعظيم
ليكون الاسم الشريف مرفوعا وعمدة كما ان مدلوله مرفوع الرتبة وعمدة الخلق والنصب
على انه مفعول لفعل محذوف والتقدير اعنى محمدا او نحو ذلك لكن النصب لا يساعده
الرسم الا على طريقة من يرسم المنصوب بصورة المرفوع والمجرور والجر على انه بدل وعطف
بيان لكن يرد على انه بدل ان القاعدة ان المبدل منه فى نية الطرح والرمى فيقتضى
جعله بدلا ان وصف النبوة فى نية الطرح والرمى مع انه مقصود ويجاب عنه بان
القاعدة اغلبية او ان ذلك بالنظر لعمل العامل وعلى انه عطف بيان انه يشترط ان
يكون عطف البيان موافقا للمتبوع تعريفا وتنكيرا ويجاب عنه بانه جرى على رأى
للزمخشرى القائل بعدم اشتراط ذلك ومحمد علم منقول من اسم مفعول الفعل
المضعف العين اى المكرر العين ولذلك كان ابلغ من محمود فهذا الاسم يفيد المبالغة
فى المحمودية كما ان احمد يفيد المبالغة فى الحامدية بحسب اصله لانه كان افعل تفضيل
فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد واعظم من حمد بالبنا للمفعول فى الاول وللفاعل فى الثانى
وهذا

وهذا الاسم اشرف اسمائه صلى الله عليه وسلم قال ابن العربى نقلا عن بعضهم
ان لله الف اسم وللنبى عليه الصلوة والسلام كذلك وهى توقيفية باتفاق واما اسماؤه
تعالى ففيها خلاف والراجح انها توقيفية والفرق بينهما انه صلى الله عليه وسلم بشر
فربما تسوهل فى شأنه فاطلق عليه ما لا يليق فسدت الذريعة باتفاق واما مقام
الالوهية فلا يتجاسر عليه فلذلك قيل بعدم التوقيف والمسمى له صلى الله عليه وسلم
بهذا الاسم جده على الصحيح وقيل امه وجمع بانها اشارت عليه بتسميته محمدا بسبب
ما رأته من ان شخصا يقول لها اذا ولدتيه فسميه محمدا فلما اخبرته بذلك سماه محمدا
رجاء ان يحمد فى السماء والارض وقد حقق الله رجاءه كما سبق فى علمه والمسمى له به فى
الحقيقة هو الله تعالى لانه اظهر اسمه قبل ولادته صلى الله عليه وسلم فى الكتب والهم
جده بذلك فهو بتوقيف شرعى العاقب نعت لمحمد وهو الذى يأتى فى العقب
وفسروه بانه الذى يحشر الناس على عقبه اى طريقه وشرعه ففى الحديث انا العاقب على قدمه ٣
فلا نبى بعدى اى نبتدأ نبوته فلا ينافى نزول عيسى آخر الزمان ووجود الخضر والياس
الآن وانما كان صلى الله عليه وسلم هو العاقب ليكون شرعه ناسخا لغيره من الشرائع
لا العكس ولانه الثمرة العظمى اذ هو المقصود من هذا العالم والثمرة فى الاشياء تأتى
آخرها وانشدوا بنحو ما قال سادة الاول اول الفكر آخر العمل
فان قلت حاصل معنى العاقب انه الخاتم للرسل وح يلزم التكرار مع قول المص للرسل ربه
لان التقدير الخاتم للرسل للرسل ربه قلت يدفع ذلك بارتكاب التجريد بان يراد
بالعاقب الخاتم فقط للرسل بسكون السين للوزن وان جاز فى غير ما هنا
الضم ايضا فان قيل كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم للرسل هو خاتم للانبياء فلم اقتصر
المص على الاول مع انه لا يلزم من ختمه للرسل ختمه للانبياء اذ لا يلزم من ختم الاخص
ختم الاعم اجيب بثلاثة اجوبة الاول ان المراد بالرسل الانبياء فقد اطلق الخاص
واراد العام مجازا مرسلا الثانى ان فى الكلام اكتفاء والتقدير للرسل ربه
والانبياء انه على حد قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اى والبرد الثالث ما قاله الشيخ الملوى
من حمله على ما تقدم عن السعد من تساوى الرسول والنبى وانما اختار التعبير
بالرسول لانه امدح فان الرسالة اشرف من النبوة لجمعها بين الحق والخلق خلافا
للعز بن عبد السلام فى قوله ان النبوة افضل معللا بان فيها الانصراف من حضرة
الخلق الى الحق والرسالة فيها الانصراف من حضرة الحق الى الخلق ورد بان الرسالة
فيها الجمع بينهما كما علمت ربه اى خالقه او مالكه او نحو ذلك من معانى الرب
المنظومة فى قول الشيخ السجاعى قريب محيط مالك ومدبر مرب كثير الخير والمولى للنعم

فهذه
وخالقنا المعبود جابر كسرنا ومصلحنا والصاحب الثابت القدم وجامعنا والسيد الحفظ معان اخر للرب فادع لمن نظم ووقع في عبارة كثير من العلماء انه مصدر بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء شيئا فشيئا الى الحد الذي اراده المربي اطلق عليه تعالى مبالغة اي بدعوى انه تعالى هو عين التربية ولا يخفى ما فيه من البشاعة فالاولى انه اسم فاعل فاصله راب ثم خفف بحذف الالف وادغام احد المثلين في الاخر وآله الخ اي وسلام الله مع صلاته على آله الخ فهو معطوف على نبي كما هو المتعين واما عطفه على محمد فلا يخفى فساده وان ذكره المص في شرحه لان محمد ابدل من نبي والمعطوف على البدل بدل ولا يصح ان يكون الآل ومن ذكر معه بدلا من نبي وفي كلامه الصلاة على غير الانبياء والملئكة تبعا وهي جائزة اتفاقا بل هي مطلوبة لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وللنهي عن الصلاة البترى وهي التي لم يذكر فيها الآل واما استقلالا فقيل بانها ممنوعة وقيل مكروهة وقيل خلاف الاولى والاصح الكراهة والحق ابو محمد الجويني السلام بالصلاة بالنظر للغائب واما المخاطب فيخاطب بالسلام عليك او عليكم او نحوه واصل آل اول لحمل بدليل تصغيره على اويل وقيل اصله اهل بدليل تصغيره على اهيل واضافته للضمير في كلام المص جائزة خلافا لمن منعها قال عبد المطلب وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك واعلم ان الآل له معان باعتبار المقامات وربما جعلت اقوالا وليس يحسن ففي مقام الدعاء كما هنا كل مؤمن ولو عاصيا لان العاصي اشد احتياجا للدعاء من غيره وفي مقام المدح كل مؤمن تقي اخذا مما ورد آل محمد كل تقي وان كان ضعيفا واما انا جد كل تقي فلم يرد وفي مقام الزكاة بنو هاشم وبنو المطلب عندنا معاشر الشافعية وبنو هاشم فقط عند السادة المالكية كالحنابلة وخصت الحنفية فرقا آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وآل الحارث وصحبه خصهم مع دخولهم في الآل بالمعنى الاعم لمزيد الاهتمام والتحقيق ان صحبا ليس جمعا لصاحب بل اسم جمع وان كان له واحد من لفظه وهو صاحب وهو لغة من طالت عشرته به والمراد به هنا الصحابي وهو من اجتمع بنبينا صلى الله عليه وسلم مؤمنا به بعد البعثة في محل التعارف بان يكون على وجه الارض وان لم يره او لم يرو عنه شيئا او لم يميز على الصحيح واما قولهم ومات على الاسلام فهو شرط لدوام الصحبة لا لاصلها فان ارتد والعياذ بالله تعالى ومات مرتدا فليس بصحابي كعبد الله بن خطل واما من عاد الى الايمان كعبد الله بن ابي سرح فتعود له الصحبة لكن مجردة عن الثواب عندنا معاشر الشافعية واشتهر انها لا تعود عند المالكية لكن المصرح به في كتبهم التردد ورجح فلا مانع من الرجوع في ذلك لمذهب الشافعي على ما كان يرتضيه بعض اشياخهم وفائدة عودها التسمية

وآله وصحبه وحزبه

والكفاءة فيسمى صحابيا ويكون كفوا لبنت الصحابي ويدخل في الصحابي ابن ام مكتوم ونحوه من العميان وكنيته ام مه برلكتم بصره واسمه عبد الله احد المؤذنين له صلى الله عليه وسلم ويدخل عيسى والخضر والياس عليهم الصلاة والسلام وتدخل الملئكة الذين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم في الارض فعيسى عليه الصلاة والسلام آخر الصحابة من البشر الظاهرين واما الملائكة فباقون الى النفخة والخضر يموت عند رفع القرآن وقيل بل مات والحاصل ان الخضر والياس حيان على المعتمد ولكن الياس رسول بنص القرآن قال تعالى وان الياس لمن المرسلين واما الخضر فقيل ولي وقيل نبي وقيل رسول وخير الامور اوساطها وحزبه اي جماعته صلى الله عليه وسلم والحزب الجماعة الذين امرهم واحد من خير او شر ومنه كل حزب بما لديهم فرحون والظاهر ان المراد به هنا من غلبت ملازمته له صلى الله عليه وسلم فهو خاص الخاص لانهم اخص من الصحب الذين هم اخص من الآل ويحتمل ان يراد به اتباعه مطلقا سواء كانوا في عصره ام لا وهو اولى لما فيه من التعميم ولا يغني عنه الآل لتخصيص بعضهم له بالاتقياء وبعد بالبناء على الضم لحذف المضاف اليه ونية معناه والتقدير وبعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على النبي وآله وصحبه وحزبه ويحتمل ان يكون بالنصب من غير تنوين لحذف المضاف اليه ونية لفظه لكن المشهور على الالسنة الاول وهذه كلمة يؤتى بها للانتقال من اسلوب الى اسلوب آخر اي من نوع من الكلام الى نوع آخر والنوع المنتقل منه هو البسملة وما بعدها والمنتقل اليه هو بيان السبب الحامل على التاليف واصلها الثاني اما بعد بدليل لزوم الفاء في حيزها غالبا وهذا الاصل هو السنة فقد كان صلى الله عليه وسلم يأتي بها في خطبه ومراسلاته وصح انه صلى الله عليه وسلم خطب فقال اما بعد والاصل الاصيل مهما يكن من شيء بعد فمهما اسم شرط مبتدا ويكن فعل الشرط وهو مضارع كان التامة وفاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود على مهما ومن شيء بيان لمهما وان كان شان البيان التخصيص فقد يكون مساويا اشارة الى ان المراد الجنس بتمامه فحذفت مهما ويكن ومن شيء واقيمت اما مقام ذلك ثم ان بعضهم ينطق بذلك ويقول اما بعد كما هو السنة وبعضهم يحذف اما ويأتي بدلها بالواو فيقول وبعد كما هنا فالواو نائبة النائب وهل الظرف من معمولات الشرط او من معمولات الجزاء خلاف والراجح كونها من معمولات الجزاء ليكون المعلق عليه مطلقا وهو ابلغ في التحقق لان المعنى عليه ان وجد شيء في الدنيا مطلقا فاقول بعد الخ ولا يرد ان الفاء لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لتوسعهم في الظروف وبعد ظرف زمان كثيرا ومكان قليلا وهي هنا صالحة للزمان باعتبار النطق وللمكان باعتبار الرقم واختلف في اول

وبعد فالعلم بأصول الدين

من نطق بها على اقوال اقربها انه داود وكانت له فصل الخطاب اى يفصل بها بين
الحق والباطل وقيل يفصل بها بين نوع من الكلام ونوع آخر منه فالعلم الخ
اى فأقول لك العلم الخ لان كون العلم بأصل الدين محتما امر متحقق في نفسه وجد شئ في
الدنيا ام لا فلا يصح جعله جواب الشرط فلابد من تقدير القول فان قلت اذا حذف
القول وجب حذف الفاء معه كما نص عليه الاشمونى قلت المسئلة خلافية لان
هناك قولا بجواز ذكر الفاء مع حذف القول كما ذكره السيوطى في همع الهوامع والفاء
واقعة فى جواب اما المقدرة او فى جواب الواو النائبة عنها والعلم ادراك الشئ بحقيقته
كما قاله الراغب وهو كقول شيخ الاسلام ادراك الشئ على ما هو به ويطلق حقيقة
عرفية على القواعد المدونة وعلى الملكة التى يقتدر بها على ادراكات جزئية والمراد
هنا الاول بدليل الحكم عليه بالتحتم ومقابله الجهل وهو اما بسيط واما مركب
فالاول عدم العلم بالشئ عما من شأنه العلم والثانى ادراك الشئ على خلاف ما هو عليه في الواقع
وانما سمى مركبا لاستلزامه جهلين جهله بالشئ وجهله بأنه جاهل وفى ذلك قيل
جهلت وما تدرى بأنك جاهل ومن لى بأن تدرى بأنك لا تدرى
بأصل الدين اى بأصوله وقواعده فهو مفرد مضاف فيعم وافرد الأصل مع ان
هذا الفن ملقب بأصول الدين لضرورة النظم فهو من التصرف في العلم المذكور
وقيل انه ليس اشارة للمعنى العلمى والاضافة فى اصول الدين من اضافة الجزء للكل
لأن الدين هو الأحكام اصلية كانت او فرعية وهذا اللقب يشعر بمدح هذا الفن لابتناء
الدين عليه ولملاحظة المص في العلم معنى الجزم عداه بالباء محتم اى حتمه الشارع واوجبه
ولم يرخص فى تركه لقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله فيجب على كل مكلف من ذكر وانثى
وجوبا عينيا معرفة كل عقيدة بدليل ولو جمليا واما معرفتها بالدليل التفصيلى ففرض
كفاية فيجب على اهل كل قطر اى ناحية يشق الوصول منها الى غيرها ان يكون فيهم من
يعرفها بالدليل التفصيلى لأنه ربما طرأت شبهة فيدفعها وبعضهم اوجب الدليل التفصيلى
وجوبا عينيا وردوه بأنهم ضيقوا رحمة الله الواسعة وجعلوا الجنة مخصصة بطائفة
يسيرة فالحق ان الواجب وجوبا عينيا انما هو الدليل الجملى وهو المعجوز عن تقريره
وحل شبهه واما الدليل التفصيلى فهو المقدور على تقريره وحل شبهه فاذا قيل
لك ما الدليل على وجود الله تعالى فقلت هذا العالم ولم تعرف جهة الدلالة فهو
دليل جملى ويقال له دليل اجمالى وكذلك اذا عرفت جهة الدلالة ولم تقدر على حل الشبه
الواردة عليه واما اذا عرفت جهة الدلالة وقدرت على حل الشبه فهو دليل تفصيلى
فاذا قيل لك ما الدليل على وجوده تعالى فقلت هذا العالم وعرفت جهة الدلالة وهى الامكان

او الحدوث اوهما والثانى شطر او شرط وقدرت على حل الشبه فهو دليل تفصيلى فتقول
فى تقريره على الاول العالم حادث وكل حادث لابد له من محدث وعلى الثانى العالم ممكن
وكل ممكن لابد له من صانع وعلى الثالث والرابع العالم حادث ممكن وكل حادث ممكن لابد له
من محدث ويقوم مقام ذلك ما لو عرف العقائد بالكشف واما من حفظ العقائد
بالتقليد فقد اختلف فيه والاصح انه مؤمن عاص ان قدر على النظر وغير عاص ان لم
يقدر على النظر وقيل مؤمن عاص مطلقا وقيل انه كافر وجرى على هذا القول السنوسى
فى شرح الكبرى وشنع على القول بكفاية التقليد لكن حكى عنه انه رجع عنه الى القول بكفاية
التقليد يحتاج للتبيين غرضه بذلك بيان السبب الحامل له على وضع هذه
المنظومة فى اصول الدين دون غيره من العلوم والضمير فى يحتاج للعلم لا بمعنى الادراك
بل بمعنى الفن المدون ويصح ان يكون الضمير عائدا لأصل الدين اى للفن الملقب
بأصول الدين والتبيين التوضيح وانما احتاج هذا الفن للتبيين لانه لما حدثت
المبتدعة بعد الخمسمائة وكثر جدالهم مع علماء الاسلام واوردوا شبها على ما قرره الأولون
وخلطوا تلك الشبه بكثير من القواعد الفلسفية قصد المتأخرون دفع تلك الشبه
فاحتاجوا الى ادراجها فى كلامهم ليتمكنوا من ردها فما ادرجوها الا لغرض مهم بحيث
لا يبعد معه الوجوب خلافا لمن شنع عليهم فى ذلك وقد افترقت الأمة ثلاثا وسبعين
فرقة منهم فرقة ناجية وهى التى على ما كان عليه النبى واصحابه واثنان وسبعون
فى النار كما فى الحديث افترقت الامم السابقة على اثنين وسبعين فرقة وستفترقون
ثلاثا وسبعين فرقة منهم فرقة واحدة ناجية واثنان وسبعون فى النار
لكن الخ استدراك على قوله يحتاج للتبيين لأنه يقتضى مزيد التطويل
فدفع ذلك بقوله لكن الخ فكأنه قال هذا الفن وان احتاج للتبيين الا انه لا ينبغى
المبالغة معه فى تطويل العبارة لانها تؤدى الى الملل والسآمة وقوله من التطويل
اى من اجله وسببه فمن للتعليل والمراد التطويل الكامل فأل فيه للكمال فالمحذور
انما هو المبالغة فى التطويل واما اصل التطويل فلا يضر والتطويل اداء المقصود
بلفظ زائد على المتعارف فى اوساط الناس الذين ليس لهم فصاحة ولا بلاغة واما الاختصار
فهو اداء المقصود بأقل من العبارة المتعارفة والمساواة اداء المقصود بلفظ مساو
للمتعارف كلت الهمم اى تعبت اصحابها ففيه مجاز عقلى والهمم جمع همة وهى لغة
القوة والعزم وعرفا حالة للنفس يتبعها غلبة انبعاث الى نيل مقصود ما ثم ان تعلقت
بمعالى الأمور فعلية والا فدنية واذا لم تتعلق بواحد منهما فليست علية ولا دنية
فصاحبها فيه الاختصار ملتزم هذه الفاء تفريعية على ما قبلها والمعنى فصاحبها

[illegible]

فى هذا الفن تأليفا وتدريسا الاختصار ملتزما تقريبا على المتعلمين القاصرين ولا
يخفى ان الاختصار اسم صار وملتزما خبرها لكن وقف عليها بالسكون على لغة ربيعة
والملتزم انما هو الاختصار غير المخل والا فهو مذموم وقد كان ابو اسحق الاسفرائنى
يقول جميع ما قاله المتكلمون فى التوحيد قد جمعه اهل الحقيقة فى كلمتين الاولى اعتقاد
ان كل ما تصور فى الأوهام فالله بخلافه والثانية اعتقاد ان ذاته ليست مشبهة للذوات
ولا معطلة عن الصفات اهـ ملخصا من حاشية الشيخ الشنوانى وهذه الواو

ونظام ارجوزة لقبتها

للاستئناف والمشار اليه بهذه هو الألفاظ المستحضرة فى الذهن باعتبار دلالتها على
المعانى المخصوصة سواء كانت الخطبة متقدمة على التأليف او متأخرة عنه وما قيل
من انه ان كانت الخطبة سابقة على التأليف فالمشار اليه الألفاظ المستحضرة
فى الذهن وان كانت متأخرة عنه فالمشار اليه الألفاظ الموجودة فى الخارج غير مستقيم
لان الالفاظ اعراض تنقضى بمجرد النطق بها فلا تبقى موجودة فى الخارج بل تنعدم
حرفا بعد حرف وهكذا وقد ابدى السيد الجرجانى فى مسمى الكتب والتراجم بالكسر
احتمالات سبعة هل هو الألفاظ فقط او المعانى فقط او النقوش فقط او الالفاظ
والمعانى والالفاظ والنقوش او المعانى والنقوش والثلاثة واختار انه الالفاظ
باعتبار دلالتها على المعانى وهل هذا الاحتمال من السبعة او احتمال ثامن قولان
والاظهر انه منها غاية الامر انه مقيد باعتبار المعانى واما ما وقع فى عبارة بعضهم
من ان المختار انه المعانى المستحضرة ذهنا فهو خلاف المشهور ووجه عدم اختيار
باقى الاحتمالات ان المعانى غير مستقلة لتوقفها على الالفاظ فلا تصح ان تكون
مدلولا ولا جزء مدلول فبطل اربع احتمالات وهى ان المشار اليه هو المعانى وحدها
او مع الالفاظ او مع النقوش او معهما وان النقوش لا تتيسر من كل احد ولا فى
كل وقت كتيسر الالفاظ فلا يصح ان يكون مدلولا ولا جزء مدلول فبطل احتمالان
وهما كون المشار اليه هو النقوش وحدها او مع الالفاظ فبطلت احتمالات ستة
وتعين الاحتمال السابع وها هنا سؤالان احدهما ان الالفاظ المستحضرة
فى الذهن مجمل مع ان الارجوزة اسم للمفصل بابا بابا فلم يحصل التطابق بين
المبتدا والخبر وثانيهما ان المشار اليه ما فى ذهن المص فقط فهو جزئى مع ان الارجوزة
اسم للالفاظ سواء كانت فى ذهن المؤلف او فى ذهن غيره فهى اسم للكلى لا للجزئى
وقد اجاب الشيخ عبد السلام عن هذين السؤالين بتقدير مضاف فى حيث قال
ومفصل نوع هذه وهذا بناء على ان ما فى الذهن لا يكون الا مجملا وعلى ان اسماء
الكتب من قبيل علم الجنس فان جرينا على ان الذهن كما يقوم به المجمل يقوم به المفصل

وهو

وهو التحقيق وعلى انها علم شخص فلا يحتاج لتقدير شئ وكون الارجوزة اسم للمفصل
وان اشتهر ليس لازما اذ يصح انها اسم للهيئة المجملة بل هو الاقرب اذ يبعد ملاحظتها
عند الوضع مفصلة بيتا بيتا مثلا على انه لا يضر الاختلاف بالاجمال والتفصيل
فلا حاجة لتقدير مفصل وبعد تسليم انه يضر الاختلاف المذكور فالاولى التقدير فى
الثانى بأن يقال وهذه مجمل ارجوزة لأن التقدير فى الأول كنزع الخف قبل الوصول
لشط النهر كما قاله الخيالى واعلم ان استعمال اسم الاشارة فى الالفاظ المستحضرة
فى الذهن مجاز بالاستعارة التصريحية الأصلية على الأصح لا بالكناية خلافا لمن
زعم ذلك وتقدير الاستعارة التصريحية ان تقول شبهت الالفاظ المستحضرة فى الذهن
بمشار اليه محسوس بحاسة البصر بجامع ان كلا معين واستعير اسم الاشارة من
المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية ارجوزة اى منظومة
من بحر الرجز صغيرة الحجم ابياتها مائة واربعة واربعون بناء على انها من كامل الرجز
ومائتان وثمانية وثمانون بناء على انها من مشطوره ففيه ترغيب فى تعاطيها من جهة
كونها نظما لأن النظم اعذب واحلى من النثر ومن جهة كونها من بحر الرجز لأنه اسهل
من غيره من البحور ومن جهة كونها صغيرة الحجم فان لفظ ارجوزة دال على القلة عرفا
لقبتها جوهرة التوحيد اى جعلت لها جوهرة التوحيد لقبا اى اسما مشعرا
بمدحها وهذا الفعل اعنى لقب يتعدى لمفعولين اما المفعول الأول فبنفسه دائما
واما المفعول الثانى فبنفسه تارة وبحرف الجر اخرى تقول لقبت ابنى سعد الدين
وبسعد الدين وقد تعدى هنا الى المفعولين بنفسه وفى تسميتها بهذا الاسم تاكيد
للترغيب فى تعاطيها من جهة كونه سماها باسم موذن بمدحها والجوهرة فى الأصل اللؤلؤة النفيسة
فيكون المص قد شبه الألفاظ الدالة على المسائل النفيسة باللؤلؤة النفيسة بجامع
النفاسة فى كل واستعار الجوهرة من المشبه به للمشبه لكن هذا بقطع النظر عن العلمية
والا فالجوهرة الآن علم على هذه المقدمة حقيقة والتحقيق ان اسماء الكتب من قبيل علم
الشخص لان الموضوع له الالفاظ المشخصة وان كانت فى ذهن المص وفى ذهن زيد
وعمرو وهكذا فان تعدد الشئ بتعدد المحال تدقيق فلسفى لا تعتبره ارباب العربية
وكذلك اسماء العلوم فهى من قبيل علم الشخص على ما اختاره بعض المحققين وان كان
المشهور خلافه لان الموضوع له القواعد المعينة ذهنا والفرق بين اسماء الكتب
واسماء العلوم تحكم فائدة ينبغى اجتناب تسمية الكتب المصنفة بما يضاهى القرآن
والوحى كقول بعضهم كتاب الاسراءات والمعاريج او مفاتيح الغيب والآيات البينات
لأنها مزاحمة للنبى صلى الله عليه وسلم فى الاسراء والمعراج ومشاركة الحق سبحانه وتعالى

جوهرة التوحيد قد هذبتها

فى علم الغيب نقله بعضهم عن المنن لسيدى عبد الوهاب الشعرانى لكن الراجح الجواز
قد هذبتها اى صفيتها ونقيتها من الشبه والعقائد الفاسدة والحشو والتطويل
وهذه الجملة كالتعليل لتسميتها جوهرة لأنه لا يبقى بعد التهذيب الا الجوهر الخالص
ومدح الانسان كتابه مخرج مخرج التحدث بالنعمة والنصح لمن يتعاطاه مع ان مدح الانسان
نفسه جائز فى عدة مواضع والله ارجو اى لا ارجو الا الله لأن تقديم المعمول
يفيد الحصر ولفظ الجلالة منصوب على التعظيم والرجاء بالمد الأمل واما بالقصر
فهو الناحية ومنه قوله تعالى والملك على ارجائها جمع رجا بالقصر وعرفا تعلق القلب
بمرغوب فيه مع الأخذ فى اسبابه والا فهو طمع وهو مذموم فالأول كرجاء الجنة مع ترك
المعاصى وفعل الطاعات وقد ذكر الشيخ الخطيب فى التفسير حديثا قدسيا وهو ان
الله تعالى قال ما اقل حياء من ان يطمع فى جنتى بغير عمل كيف اجود برحمتى على من بخل بطاعتى
فى القبول اى فى حصول القبول فهو على تقدير مضاف ومعنى القبول
الاثابة على العمل الصحيح وقيل الرضى بالشئ مع ترك الاعتراض عليه وانما قلنا مع ترك
الاعتراض عليه لأن الرضى قد يكون مع اعتراض كما يقتضيه قول ابن مالك
وتقتضى رضى بغير سخط نبه على ذلك الشيخ الملوى نافعا حال من الاسم الكريم
وقوله بها اى بالأرجوزة او الجوهرة وفى كلامه استخدام حيث اطلق الأرجوزة او الجوهرة
اولا واراد اللفظ واعاد الضمير عليها واراد المعنى فاندفع النظر بان النفع بمعناها
لا بلفظها الذى هو الاسم المراد فيما تقدم واستشكل جعل نافعا حالا من الاسم الكريم
بانه يقتضى انه لو لم يحصل نفع بهذه المقدمة لا يرجو الله واجيب بأنه لما تقوى
رجاؤه فى النفع بها صار محققا فكأنه موجود فى سائر الأحوال وح فلا ضرر فى
تقييد الرجاء بالنفع ويصح جعله حالا من فاعل ارجو لكنه بعيد اذ فيه اساءة ادب
حيث جعل نفسه نافعا وعلى كل فهى حال مقدرة لأن النفع بها متأخر عن زمن نطق
المص بذلك لا سيما ان كانت الخطبة متقدمة على التأليف وقوله مريدا اى شخصا
مريدا فهو صفة لموصوف محذوف وفى ذلك المحذوف مفعول لقوله نافعا لأنه اسم فاعل
يعمل عمل الفعل ولفظ مريدا وان كان نكرة فى سياق الاثبات المراد به كل مريد
لأن النكرة فى سياق الاثبات قد تعم كما يدل لذلك المقام والسياق والمتعلق بمريدا
محذوف اى مريدا لها القراءة او حفظا او غير ذلك فى الثواب طامعا الجار والمجرور
متعلق بما بعده قدمه عليه لضرورة النظم وطامعا صفة لمريدا ويصح ان يكون
حالا من فاعل ارجو اى ارجو الله فى القبول حال كونى طامعا فى الثواب والمراد بالطمع
هنا الرجاء على سبيل التجوز لأن من اراد هذه الأرجوزة وقصد بها وجه الله تعالى

كان

والله ارجو فى القبول نافعا
بها مريدا فى الثواب طامعا

كان راجيا للثواب لا طامعا والثواب مقدار من الجزاء يعلمه الله تعالى اعده الله تعالى
لمن شاء من عباده فى نظير اعمالهم الحسنة بمحض اختيار لا بالايجاب والوجوب كما سيأتى
التصريح به فى قوله فان يثبنا فبمحض الفضل وفى قولنا لا بالايجاب رد على الفلاسفة
القائلين بالايجاب اى التعليل بمعنى ان الثواب ينشأ عن ذات الله قهرا كحركة الخاتم
فانهم يقولون انها تنشأ عن حركة الاصبع بطريق التعليل فان قيل ان الفلاسفة
ينكرون الحشر من اصله فلا يثبتون ثوابا لا بالايجاب ولا بغيره اجيب
بأنهم وان انكروا حشر الأجسام يقولون بحشر الأرواح وثوابها باللذات المعنوية
وفى قولنا ولا بالوجوب رد على المعتزلة القائلين بوجوب الصلاح وسيأتى الرد
عليهم بقوله وقولهم ان الصلاح واجب عليه زور ما عليه واجب وفى كلامه
اشارة الى ان العمل لله مع ارادة الثواب جائز وان كان غيره اكمل فان درجات الاخلاص
ثلاث عليا ووسطى ودنيا فالعليا ان يعمل العبد لله وحده امتثالا لأمره وقياما
بحق عبوديته والوسطى ان يعمل طلبا للثواب وهربا من العقاب والدنيا ان يعمل
لاكرام الله له فى الدنيا والسلامة من آفاتها وما عدى هذه الثلاثة فهو رياء وان
تفاوتت افراده ذكره شيخ الاسلام فى شرح القشيرية وقاله غيره من العلماء ايضا ويفهم
من قوله نافعا بها مريدا فى الثواب طامعا انه تعالى يكون نافعا بها مريدا طامعا فى
ذات الله لأنه اذا نفع المريد الطامع فى الثواب فالأولى ان ينفع بها المريد الطامع
فى ذات الله تعالى فكل من كلف الخ الفاء فاء الفصيحة لأنها افصحت عن شرط
مقدر والتقدير اذا اردت بيان علم اصول الدين فأقول لك كل من كلف الخ اى كل
فرد فرد من المكلفين من الانس والجن ذكرا كان او انثى ولو من العوام والعبيد
والنساء والخدم حتى يأجوج ومأجوج دون الملائكة ولو قلنا بأنهم مكلفون
لأن الخلاف فى تكليفهم انما هو بالنسبة الى غير معرفة الله فانها جبلية لهم فليس
فيهم من يجهل صفاته تعالى كما فى الانس والجن ولذلك قال الله تعالى شهد الله انه
لا اله الا هو والملائكة ثم قال واولو العلم فلم يطلق الامر كما اطلقه فى الملائكة ثم ان
التكليف الزام ما فيه كلفة وقيل طلب ما فيه كلفة فعلى الأول وهو الراجح يكون قاصرا
على الوجوب والحرمة دون الندب والكراهة والاباحة اذ لا الزام فيها وعلى الثانى يشمل
ما عدى الاباحة اذ لا طلب فيها فالاباحة ليست تكليفا عليهما فان قيل كيف هذا مع
قولهم الأحكام الشرعية عشرة خمسة وضعية وهى خطاب الله تعالى المتعلق بجعل
الشئ سببا او شرطا او مانعا او صحيحا او فاسدا وخمسة تكليفية وهى الايجاب والتحريم
والندب والكراهة والاباحة واجيب بأن ذلك تغليب او ان معنى كونها تكليفية

فكل من كلف شرعا وجب

انها لا تتعلق الا بالمكلف كما صرح به في اصول الفقه من ان افعال الصبي ونحوه كالبهائم
مهملة ولا يقال انها مباحة لان المباح هو الذي لا اثم في فعله ولا في تركه ولا ينفي
الشيء الا حيث يصح ثبوته وشروط التكليف البلوغ والعقل وبلوغ الدعوة وسلامة
الحواس فالمكلف هو البالغ العاقل الذي بلغته الدعوة سليم الحواس وهذا في الانس
واما في الجن فهم مكلفون من اصل الخلقة فلا يتوقف تكليفهم على البلوغ وخرج
بالبالغ الصبي فليس مكلفا فمن مات قبل البلوغ فهو ناج ولو من اولاد الكفار
ولا يعاقب على كفر وغيره خلافا للحنفية حيث قالوا بتكليف الصبي العاقل بالايمان
لوجود العقل وهو كاف عندهم فان اعتقد الايمان او الكفر فامره ظاهر وان لم
يعتقد واحدا منهما كان من اهل النار لوجوب الايمان عليه بمجرد العقل وخرج بالعاقل
المجنون فليس بمكلف وكذا السكران غير المتعدي بخلاف المتعدي لكن محل ذلك ان بلغ
مجنونا او سكران واستمر على ذلك حتى مات بخلاف ما لو بلغ عاقلا ثم جن او سكر
وكان غير مؤمن ومات كذلك فهو غير ناج وخرج بالذي بلغته الدعوة من لم
تبلغه بان نشأ في شاهق جبل فليس بمكلف على الاصح خلافا لمن قال بانه مكلف لوجود
العقل الكافي في وجوب المعرفة عندهم وان لم تبلغه الدعوة وعلى اشتراط بلوغ الدعوة
فهل يكفي بلوغ دعوة اي نبي ولو آدم لان التوحيد ليس امرا خاصا بهذه الامة او
لا بد من بلوغ دعوة الرسول الذي ارسل اليه والتحقيق كما نقله العلامة الملوي عن
الأبي في شرح مسلم خلافا للنووي انه لا بد من بلوغ دعوة الرسول الذي ارسل اليه
فالمذهب الحق ان اهل الفترة بفتح الفاء وهم من كانوا بين ازمنة الرسل او في زمن رسول
لم يرسل اليهم ناجون وان بدلوا او غيروا وعبدوا الاصنام فان قيل كيف هذا مع ان
النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بان جماعة من اهل الفترة في النار كامرئ القيس وحاتم
الطائي وبعض آباء الصحابة فان بعض الصحابة ساله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب
فقال اين ابي فقال في النار اجيب بان احاديثهم احاديث آحاد وهي لا تعارض
القطعي وهو قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبانه يجوز ان يكون
تعذيب من صح تعذيبه منهم لامر يختص به يعلمه الله تعالى ورسوله وخرج بسليم
الحواس غيره ولهذا قال بعض ائمة الشافعية لو خلق الله انسانا اعمى اصم سقط عنه
وجوب النظر والتكليف وهو صحيح كما في شرح المص تنبيه اذا علمت ان اهل الفترة
ناجون على الراجح علمت ان ابويه صلى الله عليه وسلم ناجيان لكونهما من اهل الفترة
بل جميع آبائه صلى الله عليه وسلم وامهاته ناجون ومحكوم بايمانهم لم يدخلهم
كفر ولا رجس ولا عيب ولا شيء مما كان عليه اهل الجاهلية بادلة تقتضيه كقوله تعالى

وتقلبك

وتقلبك في الساجدين وقوله صلى الله عليه وسلم لم ازل انتقل من الاصلاب الطاهرات
الى الارحام الزاكيات وغير ذلك من الاحاديث البالغة مبلغ التواتر واما آزر فكان عم
ابرهيم وانما دعاه بالاب لان عادة العرب تدعو العم بالاب واما ما نقل عن ابي حنيفة
في الفقه الاكبر من ان والدي المصطفى ماتا على الكفر فمدسوس عليه وحاشاه ان يقول
في والدي المصطفى ذلك وغلط منلا علي قاري يغفر الله له في كلمة شنيعة قالها ومن العجائب
ما نسب له مع ذلك من ايمان فرعون فالحق الذي نلقى الله عليه ان ابويه صلى الله عليه وسلم
ناجيان على انه قيل احياهما الله تعالى حتى آمنا به ثم اماتهما لحديث ورد في ذلك وهو ما
روي عن عروة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه ان يحيي له ابويه
فاحياهما فآمنا به ثم اماتهما قال السهيلي والله قادر على كل شيء له ان يخص نبيه بما شاء
من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته وقد انشد بعضهم فقال

حبى الله النبي مزيد فضل … على فضل وكان به رؤوفا
فاحيى امه وكذا اباه … لايمان به فضلا منيفا
فسلم فالقديم بذا قدير … وان كان الحديث به ضعيفا

ولعل هذا الحديث صح عند اهل الحقيقة بطريق الكشف كما اشار اليه بعضهم بقوله

ايقنت ان ابا النبي وامه … احياهما الرب الكريم الباري
حتى له شهدا بصدق رسالة … صدق فتلك كرامة المختار
هذا الحديث ومن يقول بضعفه … فهو الضعيف عن الحقيقة عاري

وقد الف الجلال السيوطي فيما يتعلق بنجاتهما مؤلفات كثيرة شرعا الاولى انه
منصوب على التمييز وان ذكر الشيخ عبد السلام انه منصوب على نزع الخافض لانه سماعي
لكن اجيب عنه بانه كثر في كلام المؤلفين حتى صار كالقياسي وعلى كل فهو متعلق بقوله
وجبا وقيل متعلق بكلف لكن الاظهر الاول لان المقصود ان المعرفة وجبت بالشرع لا
بالعقل وليس المقصود تقييد التكليف بالشرع وهذا مذهب الاشاعرة وجمع من
غيرهم فمعرفة الله وجبت عندهم بالشرع وكذلك سائر الاحكام اذ لا حكم قبل الشرع
لا اصليا ولا فرعيا وذهبت المعتزلة الى ان الاحكام كلها تثبت بالعقل ولذلك قال في
جمع الجوامع وحكمت المعتزلة العقل اي جعلته حاكما اي مدركا للاحكام وان لم يرد الشرع
ويقولون ان الشرع جاء مقويا ومؤكدا للعقل فلا ينفون الشرع اصلا والا كفروا قطعا
وبنوا كلامهم على التحسين والتقبيح العقليين فالحسن عندهم ما حسنه العقل
والقبيح ما قبحه العقل فاذا ادرك ان هذا الفعل حسن بحيث يذم على تركه ويمدح على
فعله حكم بوجوبه وهكذا واما عندنا اهل السنة فالحسن ما حسنه الشرع والقبيح
ما قبحه الشرع ومذهب الماتريدية كما نقله المص في شرحه عنهم ان وجوب المعرفة بالعقل
بمعنى انه لو لم يرد به الشرع لادركه العقل استقلالا لوضوحه لا بناء على التحسين العقلي

كما قالت المعتزلة والحق ان العقل لا يستقل بشئ اصلا فتلخص ان المذاهب ثلاثة
مذهب الأشاعرة وهو ان الاحكام كلها ثبتت بالشرع لكن بشرط العقل والثاني
مذهب الماتريدية وهو ان وجوب المعرفة ثبت بالعقل دون سائر الاحكام والثالث
مذهب المعتزلة وهو ان الاحكام كلها ثبتت بالعقل وقد علمت الفرق بين قول الماتريدية
بوجوب المعرفة بالعقل وقول المعتزلة بثبوت الأحكام بالعقل فاحرص عليه
وجبا عليه الخ هذه الجملة خبر المبتدا الذى هو كل من كلف وعليه متعلق بوجبا
والألف فيه للاطلاق وقوله ان يعرفوا اى معرفة فان والفعل فى تاويل مصدر وهو فاعل
وجب والمعرفة والعلم مترادفان على معنى واحد على التحقيق وهو الجزم المطابق للواقع
عن دليل فخرج بالجزم الظن والشك والوهم وبالمطابق غير المطابق كجزم النصارى بالتثليث
وبما بعده التقليد فليس كل منها معرفة والمتصف بشئ من الأربعة الأول فى شئ من
العقائد الآتية كافر اتفاقا واما المتصف بالتقليد فسيأتى الخلاف فيه
ما قد وجبا لله اى جميع ما وجب لله لأن ما من صيغ العموم لكن ما قامت الأدلة العقلية
عليه تفصيلا وهو العشرون الآتية يجب على المكلف ان يعرفه كذلك اعنى تفصيلا
وما قامت الأدلة العقلية او النقلية عليه اجمالا وهو سائر الكمالات يجب على المكلف
ان يعرفه كذلك اعنى اجمالا وكذا يقال فى المستحيل وفى البيت التضمين المتقدم
والألف فى وجبا للاطلاق فلا ايطاء فى كلامه وان قلنا ان هذه المقدمة من مشطور
الرجز كما تقدم لأن الوجوب الأول بالشرع والثانى بالعقل غالبا وانما قلنا غالبا
لأن الصفات على ثلاثة اقسام القسم الاول ما لا يصح الاستدلال عليها الا بالدليل
العقلى وما توقفت عليه المعجزة من الصفات كوجوده تعالى وقدمه وبقائه
وقيامه بنفسه ومخالفته للحوادث وقدرته وارادته وعلمه وحياته القسم
الثانى ما لا يصح الاستدلال عليه الا بالدليل السمعى وهو كل ما لا تتوقف المعجزة عليه
من الصفات كالسمع والبصر والكلام القسم الثالث ما اختلف فيه وهو الوحدانية
والأصح ان دليلها عقلى وانما قدم الواجب لشرفه واخر المستحيل لانحطاطه لأنه
يرجع للسلب والثبوت اشرف منه ووسط الجائز لأن فيه شائبة الثبوت وشائبة السلب
وقد عرفوا الواجب فى هذا الفن بأنه ما لا يتصور فى العقل عدمه بينا الفعل للفاعل
اى ما لا يمكن بسبب العقل عدمه او للمفعول اى ما لا تدرك النفس بسبب العقل عدمه
لكن يرد على هذا ان النفس قد تدرك عدم الواجب لان المحال قد يتصور اى يدرك
ويجاب بأن المراد بالتصور هنا التصديق والمعنى ما لا تصدق النفس
بسبب العقل بعدمه وعلم من هذا ان العقل آلة فى الادراك والمدرك انما

هو

النفس والأولى عدم ربط الواجب بالعقل فيقال الواجب هو ما لا يقبل الانتفاء
لأن الواجب واجب فى نفسه وجد عقل او لم يوجد والواجب قسمان ضرورى كتحيز
الجرم اى اخذه قدرا من الحيز وهو المكان فانه ما دام الجرم موجودا يجب ان يتحيز
فهو واجب مقيد بدوام الجرم ونظرى كصفاته تعالى والجائز اى فى حقه سبحانه
وتعالى عقلا وهو معطوف على قوله ما قد وجبا وقد عرفوه بأنه ما يصح فى العقل
وجوده تارة وعدمه اخرى اما ضرورى كحركة الجرم وسكونه او نظرى كتعذيب المطيع
ولو معصوما لكن لا ينبغى كثرة التشدق فى حق الانبياء بل بقصد ضرورة التعليم واثابة
العاصى ولو كافرا لأن الكلام فى الامكان العقلى فلا ينافى ان ذلك ممتنع شرعا وعلم من
ذلك ان الجائز قسمان ضرورى ونظرى والممتنعا اى المستحيل فى حقه
تعالى وعرفوه بأنه ما لا يتصور فى العقل وجوده ببناء الفعل للفاعل وللمفعول
كما تقدم فى تعريف الواجب وهو قسمان ضرورى كخلو الجرم عن الحركة والسكون
معا ونظرى كالشريك له تعالى فتلخص ان كلا من هذه الاقسام الثلاثة ينقسم قسمين
ضرورى ونظرى فالجميع ستة وقد مر تمثيلها قال بعضهم ويمكن تمثيل الأقسام الثلاثة
بحركة الجرم وسكونه فالواجب احدهما لا بعينه والمستحيل خلوه عنهما جميعا والجائز
ثبوت احدهما معينا بدلا عن الآخر وينبغى الاعتناء بهذه الاحكام لان امام الحرمين
يقول بأن معرفتها هى العقل بناء على انه العلم بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة
المستحيلات ومثل ذا لرسله يجوز قراءته مثل بالرفع فتكون الجملة مستأنفة
اى مبتدا وخبر والتقدير ومثل ذلك كائن لرسله ويجوز قراءته بالنصب عطفا على
ما قد وجبا وما بعده والتقدير ووجب عليه ان يعرف مثل ذلك لرسله وافرد اسم
الاشارة مع عوده لمتعدد نظرا لتأويله بالمذكور الذى هو الواجب والمستحيل
والجائز واشار المص بلفظ مثل الى ان الواجب فى حقهم عليهم الصلوة والسلام والمستحيل
والجائز ليست هى عين الواجب فى حقه تعالى والمستحيل والجائز فالمراد المثلية فى
مطلق واجب وجائز ومستحيل وان اختلفت الافراد والادلة وانما خص الرسل
لأن بعض ما يأتى كالتبليغ خاص بهم دون الانبياء وقوله فاستمعا بقلب نون
التوكيد الخفيفة الفا فى الوقف كما قال ابن مالك وابدلنها بعد فتح الفا
وقفا كما تقول فى قفن قفا اى فاستمع ما القى اليك من الامور التى معرفتها
ترفعك عن الجهل والتقليد استماع تدبر وتفهم فهو وان كان تكملة مفيد لما تقدم
اذ كل من قلد الخ هذا تعليل لوجوب المعرفة السابقة فكأنه قال وانما وجب
على المكلف معرفة ما ذكر لأن كل من قلد الخ فاذ للتعليل والتقليد هو الأخذ

بقول الغير من غير ان يعرف دليله والمراد بالأخذ الاعتقاد اى اعتقاد مضمون
قول الغير والمراد بالقول ما يشمل الفعل والتقرير ايضا وخرج بقولنا من غير ان
يعرف دليله التلامذة بعد ان يرشدهم الاشياخ للأدلة فهم عارفون لا مقلدون
وضرب لهم الشيخ السنوسي مثلا للفرق بينهم وبين المقلدين بجماعة نظروا الهلال
فسبق بعضهم لرؤيته فأخبرهم به فان صدقوه من غير معاينة كانوا مقلدين وان ارشدهم
بالعلامة حتى عاينوه لم يكونوا مقلدين وقوله في التوحيد اى في العقائد ولو تعلقت
بالرسل فليس المراد بالتوحيد اثبات الوحدانية بخصوصه ايمانه لم يخل
من ترديد هذه الجملة خبر عن المبتدا الذى هو كل من قلد الخ والمراد بايمانه جزمه (ايمانه لم يخل من ترديد)
باحكام التوحيد من غير دليل وليس المراد به المعرفة اذ لا معرفة عند المقلد كذا يفيده
كلام الش ولعله مبني على ان الايمان هو المعرفة وهو ضعيف والراجح انه التصديق وهو
غير الجزم لان مرجعه الكلام النفساني وهو قول النفس آمنت وصدقت فالأولى
ان المراد بايمان المقلد تصديقه التابع للجزم لا نفس الجزم والمراد من الترديد التردد
والتحير من قولك تردد زيد اى تحير واستشكل بأن العبارة تقتضي ان الجزم يجامع
التردد مع انه متى كان جازما لا يكون مترددا اصلا فكيف يقول ايمانه لم يخل من ترديد
واجيب عن ذلك بأن كلامه على حذف مضاف والتقدير لم يخل عن قبول ترديد
او المعنى انه مصحوب بالترديد بالقوة لا بالفعل ولا يرد ان العارف لا يخلو ايضا
عن قبول الترديد او لم يخل عن الترديد بالقوة لجواز ان تطمس عين معرفته والعياذ
بالله تعالى لأن المراد بالقبول والقوة القريبان من الفعل عادة ولا يضر
غيرهما ويمكن ان يحمل الترديد على اختلاف العلماء فيه فما يأتي كالتفسير لهذا المجمل
فهو من ذكر المفصل بعد المجمل ففيه بعض القوم يحكى الخلفا اى فبسبب تحيره
وتردده اختلف العلماء في ايمانه صحة وعدمها فالفاء سببية والضمير لايمان (ففيه بعض القوم يحكي الخلفا)
المقلد من حيث الصحة وعدمها والخلف بضم الخاء وسكون اللام بمعنى الخلاف
لا بمعنى خلف الوعد وان تقودوا فيه وحاصل الخلاف فيه اقوال ستة الأول
عدم الاكتفاء بالتقليد بمعنى عدم صحة التقليد فيكون المقلد كافرا وعليه السنوسي
في الكبرى الثاني الاكتفاء بالتقليد مع العصيان مطلقا اى سواء كان فيه اهلية
للنظر ام لا الثالث الاكتفاء به مع العصيان ان كان فيه اهلية للنظر والا فلا
عصيان الرابع ان من قلد القرآن والسنة القطعية صح ايمانه لاتباعه
القطعي ومن قلد غير ذلك لم يصح ايمانه لعدم أمن الخطاء على غير المعصوم الخامس
الاكتفاء به من غير عصيان مطلقا لأن النظر شرط كمال فمن كان فيه اهلية النظر

ولم

ولم ينظر فقد ترك الأولى السادس ان ايمان المقلد صحيح ويحرم عليه النظر وهو محمول
على المخلوط بالفلسفة ومما احسن قول بعضهم عاب الكلام اناس لا خلاق لهم
وما عليه اذا عابوه من ضرر ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة ان لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر
والقول الحق الذى عليه المعول من هذه الأقوال القول الثالث والصواب ان هذا
الخلاف مطلق اى جار في النظر الموصل لمعرفة الله وفي غيره كالنظر الموصل لمعرفة
الرسل خلافا لمن خص الخلاف بالنظر غير الموصل لمعرفة الله تعالى وقال اما النظر
الموصل لمعرفة الله تعالى فهو واجب بالاجماع وقد جرى على ذلك الشيخ عبد السلام
والراجح انه لا فرق في هذا الخلاف بين اهل الأمصار والقرى وبين من نشأ في شاهق
جبل خلافا لمن خصه بمن نشأ في شاهق جبل دون اهل الأمصار والقرى وقد
جرى على ذلك الشيخ عبد السلام ايضا قال اليوسي وقد تحدثت امرأتان بحضرتي
في زمن صغرى وذكرتا الذنوب فقالت احداهما الله يغفر لنا فقالت الأخرى
يغفر لنا ان وفقه الله الذى خلقه هو ايضا اهـ ومثل ذلك كثير في الناس فمنهم من
يعتقد ان الصحابة انبياء وهذا كفر ومنهم من ينكر البعث ويقول من مات ثم جاء
واخبر بذلك الى غير ذلك من الكفر الصريح وحكى الآمدي اتفاق الأصحاب
على انتفاء كفر المقلد وانه لا يعرف القول بعدم صحة ايمانه الا لأبي هاشم
الجبائي من المعتزلة وذكر ابن حجر عن بعضهم انه انكر وجوب المعرفة اصلا وقال
انها حاصلة بأصل الفطرة واستدل على ذلك بقوله تعالى فطرة الله التى فطر الناس
عليها وبقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة ولذلك قال ابو منصور
الماتريدى اجمع اصحابنا على ان العوام مؤمنون عارفون بربهم وانهم حشو الجنة
كما جاءت به الاخبار وانعقد به الاجماع فان فطرتهم جبلت على توحيد الصانع وقدمه
وحدوث ما سواه وان عجزوا عن التعبير عنه باصطلاح المتكلمين والله اعلم
وبعضهم حقق فيه الكشفا اى وبعض القوم كالتاج السبكي حقق في ايمان (وبعضهم حقق فيه الكشفا)
المقلد البيان عن حاله بما يصير به الخلاف في الاكتفاء بالتقليد وعدم الاكتفاء
لفظيا والتحقيق يطلق على ذكر الشئ على الوجه الحق وعلى اثبات الشئ بدليل والأول
هو المراد هنا وقوله فقال الخ معطوف على قوله حقق فيه الكشفا من عطف المفصل (فقال ان يجزم بقول الغير / كفى والا لم يزل في الضير)
على المجمل وقوله ان يجزم بقول الغير اى ان يجزم المقلد بصحة قول الغير جزما قويا بحيث
لو رجع المقلد بالفتح لم يرجع المقلد بالكسر وقوله كفى اى كفاه في الايمان وعلى هذا يحمل
القول بكفاية التقليد فيكفيه ذلك في الاحكام الدنيوية فيناكح ويؤم ويؤكل ذبيحته
ويرثه المسلمون ويرثهم ويسهم له ويدفن في مقابر المسلمين وفي الاحكام الأخروية ايضا

فلا يخلد في النار ان دخلها ومآله الى النجاة والجنة فهو مؤمن عاص بترك النظر
ان كان فيه اهلية النظر وقوله والا لم يزل في الضير اى وان لم يجزم المقلد بصدق
قول الغير جزما قويا بأن كان جازما لكن لو رجع المقلد بالفتح لرجع المقلد بالكسر
لم يزل واقعا في الضير لأنه قابل للشك والتردد وعلى هذا يحمل القول بعدم كفاية
التقليد والخلاف انما هو في المقلد الجازم واما الشاك والظان فمتفق على عدم صحة
ايمانهما وان كان كلام المص يوهم خلاف المراد والخلاف في ايمان المقلد انما هو
بالنظر لاحكام الآخرة وفيما عند الله واما بالنظر الى احكام الدنيا فيكفي فيها الاقرار
فقط فمن اقر جرت عليه الاحكام الاسلامية ولم يحكم عليه بالكفر الا ان اقترن
بشيء يقتضي الكفر كالسجود لصنم واجزم اى اعتقد اعتقادا جازما
والمخاطب بذلك كل مكلف من ذكر او انثى حر او عبد جني او انسي قال المص في شرحه
والكلام السابق من قوله فكل من كلفا الخ انما افاد ان المعرفة واجبة على المكلف
وهذا افاد انها اول واجب ثم هذه المسئلة ليست من اركان الدين المعتقد كيف
والاصح كفاية التقليد وقوله بان اولا متعلق باجزم واصل اول أوأل على وزن
افعل قلبت الهمزة الثانية واوا ثم ادغمت الواو في الواو لاجتماع المثلين وله استعمالان
احدهما ان يكون بمعنى سابق فيكون منصرفا منونا ومنه قولهم الحمد لله اولا وآخرا
والثاني ان يكون صفة فيكون افعل تفضيل بمعنى اسبق فيكون غير منصرف
للوصفية ووزن الفعل فان حمل ما في النظم على الاول فلا اشكال وان حمل
على الثاني فصرفه وحذف المضاف اليه لضرورة النظم وقوله مما يجب اى من الذي
يجب فما اسم موصول ومن تبعيضية وهو صفة لاولا على الاستعمال
الاول وللمضاف اليه المحذوف على الاستعمال الثاني والاصل ان اول شيء مما
يجب وقوله معرفة خبر ان والتنوين فيه للتعظيم وهو عوض عن المضاف
اليه والاصل معرفة الله والمراد معرفة صفاته وسائر احكام الالوهية لا معرفة
ذاته وكنه حقيقته اذ لا يعرف ذاته وكنه حقيقته الا هو وفي الحديث
تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة وفي الحديث ايضا
ان الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الابصار وبالجملة لا يعرف الله الا الله
فترك الادراك ادراك والبحث عن ذات الله اشراك وفيه خلف منتصب
اى وفي اول ما يجب خلاف قائم بين الائمة سنيين وغيرهم ودفع الناظم
بذلك توهم الاتفاق على الحكم السابق في قوله واجزم بان اولا الخ وجعل الخلاف
في الاولية لا في الوجوب لانه لم يقع خلاف بين المسلمين في وجوب المعرفة

ووجوب

وجزم بأن أولا مما يجب
معرفة وفيه خلف منتصب

ووجوب النظر الموصل اليها كذا قال الش لكن قد سبق قول بحرمة النظر وقول
بانه شرط كمال وكانه ناظر لما جرى عليه فيما تقدم من تخصيص الخلاف بغير معرفة
الله تعالى وغير النظر الموصل اليها وقد تقدم ما فيه ويحتمل انه لم يعتد بالخلاف
بناء على ما انشده السيوطي في الاتقان وليس كل خلاف جاء معتبر الا خلاف له حظ من النظر
وجملة الاقوال في اول الواجبات اثنا عشر قولا اولها ما قاله الاشعري امام هذا
الفن انه المعرفة وثانيها ما قاله الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني انه النظر الموصل
للمعرفة ويعزى للاشعري ايض وثالثها ما قاله القاضي الباقلاني انه اول النظر
اي المقدمة الاولى منه نحو قولك العالم حادث وكل حادث لا بد له من محدث فمجموع
المقدمتين هو النظر والمقدمة الاولى هي اول النظر ورابعها ما قاله امام الحرمين
انه القصد الى النظر اى تفريغ القلب عن الشواغل وعزى للقاضي ايض وخامسها
ما قاله بعضهم انه التقليد وسادسها انه النطق بالشهادتين وسابعها ما قاله ابو هاشم
عن طائفة من المعتزلة وغيرهم انه الشك ورد بانه مطلوب زواله لان الشك في شيء
من العقائد كفر فلا يكون مطلوبا حصوله ولعلهم ارادوا ترديد الفكر فيؤول الى النظر
وثامنها انه الايمان وتاسعها انه الاسلام وهذان القولان متقاربان مردودان
باحتياج كل من الايمان والاسلام للمعرفة وعاشرها اعتقاد وجوب النظر وحادي
عاشرها انه وظيفة الوقت كصلاة ضاق وقتها فتقدم وثاني عشرها انه المعرفة
او التقليد اى احدهما لا بعينه فيكون مخيرا بينهما والاصح ان اول واجب مقصدا
المعرفة واول واجب وسيلة قريبة النظر ووسيلة بعيدة القصد الى النظر
وبهذا يجمع بين الاقوال الثلاثة فانظر الخ اى اذا اردت المعرفة فانظر الخ
لان النظر وسيلة لها والمأمور بالنظر كل مكلف وامره المصنف بالنظر الى نفسه
ابتداء لانها اقرب الاشياء ثم بالنظر الى العالم العلوي لكونه اعظم وابدع ثم
الى العالم السفلي وفيه تقديم العالم العلوي على السفلي اقتداء بقوله تعالى
ان في خلق السموات والارض الاية ولا تتوقف صحة النظر على هذا الترتيب بل
يصح ان ينظر الى النفس ثم الى العالم السفلي ثم العلوي او ينظر الى العالم العلوي
ثم الى السفلي ثم الى النفس الى غير ذلك من الصور الممكنة والنظر لغة الابصار
اى ادراك الشيء بحاسة البصر والفكر اى حركة النفس في المعقولات واما
في المحسوسات فتخيل وعلم من ذلك ان النظر مشترك بين الابصار والفكر
والمراد منه هنا الثاني وهو الفكر فكان المص قال فتفكر الخ واما عرفا فهو
ترتيب امرين معلومين ليتوصل بترتيبهما الى علم مجهول كترتيب الصغرى

فانظر الى نفسك ثم انتقل

مع الكبرى في قولنا العالم متغير وكل متغير حادث فانه موصل للعلم بحدوث
العالم المجهول قبل ذلك الترتيب وكترتيب الجنس مع الفصل في قولنا الانسان
حيوان ناطق فالاول مثال للنظر في التصديقات والثاني مثال للنظر في التصورات
ولا يرد على ذلك التعريف بالفصل وحده او بالخاصة وحدها كان يقال الانسان
ناطق او ضاحك لان فيه ترتيبا حكما لان ناطق في قوة شيء ذو نطق وضاحك
في قوة شيء ذو ضحك الى نفسك اي في احوال ذاتك فالى بمعنى في لان انظر بمعنى
تفكر وهو يتعدى بفي والمراد من النفس الذات لا الروح لانه لا اطلاع لنا عليها
والكلام على تقدير مضاف كما قدرناه لان النظر في احوالها ابدع من النظر في الذات
من حيث هي ذات والمراد باحوالها ما اشتملت عليه من سمع وبصر وكلام وطول
وعرض وعمق ورضى وغضب وبياض وحمرة وسواد وعلم وجهل وايمان وكفر
ولذة والم وغير ذلك مما لا يحصى وكلها متغيرة من عدم الى وجود وبالعكس فتكون
حادثة وهي قائمة بالذات لازمة لها وملازم الحادث حادث وذلك دليل
الافتقار الى صانع حكيم واجب الوجود عام العلم تام القدرة والارادة فتستدل بها
على وجوب وجود صانعك وصفاته وحاصله ان نقول نفسي ملزومة لصفات
حادثة وكل ملزوم لصفات حادثة فهو حادث وكل حادث لا بد له من صانع حكيم واجب
الوجود موصوف بالصفات قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون اي وفي انفسكم
آيات ودلائل اتتركون التفكر فيها فلا تبصرون اي لا ينبغي ترك النظر فيها
وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة
في قرار مكين الآية والانسان آدم والسلالة الطين فهي قطعة من عموم
الطين والضمير في قوله ثم جعلناه نطفة عائد على الانسان لا بمعنى آدم بل
بمعنى بنيه ففيه استخدام وقد ورد من عرف نفسه عرف ربه اي من عرف
نفسه بالحدوث والفقر عرف ربه بالقدم والغنى وهذا هو الاظهر في معنى
الحديث وقيل هو اشارة الى التعجيز اي انت لا تعرف نفسك فلا تطمع في معرفة
كنه ربك ذكره الشريف المقدسي في مفاتيح الكنوز وحل الرموز
ثم انتقل للعالم العلوي اي ثم بعد نظرك في احوال نفسك انتقل للنظر في احوال
العالم المنسوب الى جهة العلو والمراد به ما ارتفع من الفلكيات من سموات
وكواكب وعرش وملائكة وغيرها وقوله ثم السفلي اي ثم انتقل للنظر في العالم
المنسوب لجهة السفل والمراد به كل ما نزل عن الفلكيات الى منقطع العالم كالهواء والسحاب
والارض وما فيها كالمعادن والبحار والنبات وغير ذلك فتستدل بها على وجود

الصانع

ثم انتقل للعالم العلوي ثم السفلي

الصانع وصفاته فانك تجد كلا منهما مشمولا بجهات مخصوصة وامكنة معينة
وتجد بعضه متحركا وبعضه ساكنا وبعضه نورانيا وبعضه ظلمانيا وذلك دليل
على الحدوث وهو دليل على الافتقار الى صانع حكيم متصف بالصفات وحاصله
ان تقول العالم حادث وكل حادث لا بد له من صانع حكيم متصف بالصفات قال
تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيى به الارض بعد موتها
وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السما والارض
لآيات لقوم يعقلون واعلم ان العالم بفتح اللام اسم لما سوى الله تعالى من
الموجودات والاحوال على القول بها واما المعدومات فليست من العالم سواء
كانت ممكنة كولد لزيد قبل وجوده او مستحيلة كالشريك وبعضهم خص العالم
بذي الروح وبعضهم خصه بالانس والجن وبعضهم خصه بالملائكة وبعضهم
خصه بالثلاثة مع الشياطين وبعضهم خصه باهل الجنة والنار لكن لا دليل على
ذلك كله ذكره المص في شرحه الصغير تجد به صنعا اي ان تنظر في احوال ما ذكر
تعلم فيه صنعا بضم الصاد اي صنعة باهرة وهي كناية عن الاعراض المخلوقة
فتجد مجزوم في جواب شرط مقدر ويصح ان يكون مجزوما في جواب الامر والباء
بمعنى في والصنع بمعنى الصنعة الباهرة من نقوش متقنة والوان مستحسنة
الى ما لا يحصى من الصفات ولا يحيط به الا خالق الارض والسموات وكل هذا دليل
على علم صانعه وقدرته وارادته وحياته لان ذلك لا يصدر الا عمن تتصف بما
ذكر بديع الحكم البديع هو المخترع لا على مثال سبق والحكم بكسر الحاء وفتح الكاف
جمع حكمة بمعنى الاحكام اي الاتقان وجمعه لتعدده بتعدد الصنع الذي هو الصنعة
الباهرة وقد وقع في كلام الغزالي ليس في الامكان ابدع مما كان فشنع عليه جماعة بان
فيه نسبة العجز اليه تعالى واجيب عنه باجوبة احسنها ان المعنى ليس في الامكان
ابدع مما كان لعدم تعلق علم الله وارادته بغير ما كان الذي هو هذا العالم فهو
مستحيل العدم لتعلق علم الله وارادته به فصدق عليه انه ليس في الامكان بهذا
الاعتبار وان كان ممكنا في نفسه لكن الخ استدراك على ما يشعر به قوله
بديع الحكم من انه حيث كان كذلك فهو قديم فكانه قال لكن العالم وان كان على
غاية من الاتقان هو حادث وبحث فيه بان البديع هو المخترع من غير مثال سبق
والمخترع لا يكون الا حادثا فلا يتوهم القدم حتى يحتاج للاستدراك الا ان
يقال ربما يتوهم من عجز التعريف اعني قوله من غير مثال سبق لامر صدره

يجد به صنعا بديع الحكم لكن به دل ليس القدم

وهو المخترع والأقرب ان لكن هنا لمجرد التأكيد كما فى قوله تعالى ما كان محمد ابا احد
من رجالكم ولكن رسول الله وقوله به قام دليل العدم اى بالعالم بمعنى الاجرام
قام دليل جواز العدم فهو على تقدير مضاف اذ الفرض انه موجود والمراد بدليل
جواز العدم الاعراض الحادثة الملازمة للعالم بمعنى الأجرام وكل ما جاز
عليه العدم اى وكل الذى او وكل شئ جاز عليه العدم بمعنى الفنا وقوله عليه قطعا يستحيل
القدم اى على ما جاز عليه العدم يمتنع القدم جزما من غير تردد وقد اشار المص الى
قياس تركيبه هكذا العالم من عرشه لفرشه جائز عليه العدم وكل ما جاز عليه العدم
استحال عليه القدم فينتج هذا القياس ان العالم من عرشه لفرشه استحال عليه القدم
فثبت حدوثه واذا ثبت حدوثه فلا بد له من محدث وهو المطلوب لأن اصل الكلام
فى النظر الموصل لمعرفة الله فطوى المص الصغرى لفهمها من الاستدراك وذكر
الكبرى بقوله وكل ما جاز عليه العدم الخ والحاصل انك تثبت اولا حدوث الاعراض
بمشاهدة تغيرها من عدم الى وجود وعكسه فتقول الاعراض شوهد تغيرها من
عدم الى وجود وعكسه وكل ما هو كذلك فهو حادث ينتج ان الاعراض حادثة
ثم تثبت حدوث الأجرام واستحالة القدم عليها بملازمتها للاعراض الحادثة فتقول
الأجرام ملازمة للاعراض الحادثة وكل ما كان كذلك فهو حادث ويستحيل عليه القدم
فينتج ان الأجرام حادثة ويستحيل عليها القدم واعلم ان لهم هنا مطالب سبعة نظمها
بعضهم فى قوله زيد قام ما انتقل ما كمنا ما انفك لا عدم قديم لا حنا
قوله زيد رد لقول الفلاسفة لا نسلم ثبوت زائد على الأجرام حتى يصح الاستدلال
على حدوث الاجرام ودليل ثبوت الزائد الذى هو العرض المشاهدة وقوله قام
بحذف الف ما للوزن رد لقولهم لا نسلم عدم العرض لجواز انه يقوم بنفسه اذا لم
يتصف به الجرم ودليل انه لا يقوم بنفسه انه لا يعقل صفة من غير موصوف فلا
يعقل حركة من غير متحرك مثلا وقوله ما انتقل بسكون اللام للوزن رد لقولهم لا نسلم
عدم العرض لجواز انه ينتقل من جرم الى جرم آخر ودليل انه لا ينتقل انه لو انتقل
لكان بعد مفارقة الأول وقبل وصول الثانى قائما بنفسه وقد بطل قبل ذلك
وقوله ما كمنا رد لقولهم لا نسلم عدم العرض لجواز انه كمن فى الجرم فتكمن الحركة فى الجرم
اذا سكن مثلا ودليل انه لا يكمن انه يلزم عليه جمع الضدين وهو باطل وقوله ما انفك
رد لقولهم لا نسلم ملازمة الجرم للعرض لجواز ان ينفك عنه ودليل انه لا ينفك عنه انه
لا يعقل جرم خال عن حركة ولا حركة مثلا لاستحالة ارتفاع النقيضين وقوله
لا عدم قديم رد لقولهم لا نسلم حدوث العرض لجواز ان يكون قديما وينعدم ودليل

ان

وكل ما جاز عليه العدم يستحيل عليه القدم قطعا

ان القديم لا ينعدم ان القديم لا يكون وجوده الا واجبا فلا يقبل العدم وقوله لا حنا
منحوت من قولنا لا حوادث لا اول لها وهو رد لقولهم لا نسلم ان ملازم الحادث
حادث لجواز ان تكون الأعراض حوادث لا اول لها فيكون ملازمها قديما ودليل انه لا
حوادث لا اول لها انه حيث كانت حوادث لزم ان يكون لها اول فيلزم على قولهم حوادث
لا اول لها التناقض ومما يبطله برهان القطع والتطبيق وهو مبسوط فى غير هذا
المحل وهذه المطالب السبعة لا يعرفها الا الراسخون فى العلم قال السنوسى
وبها ينجو المكلف من ابواب جهنم السبعة وفسر الايمان الخ لما كان الايمان
والاسلام باعتبار متعلق مفهوميهما وهو ما علم من الدين بالضرورة من
مباحث علم الكلام كما يعلم من قوله فيما يأتى ومن المعلوم ضرورة جحد ذكرهما المتكلمون
فى علم الكلام لكن اختلفوا فى وضعهما فأخرهما قوم عن الالهيات والنبوات والسمعيات
وقدمهما آخرون لاحتياج الخائض فى تلك المباحث اليهما وقد سلك المص هذا
الطريق فلذلك قال وفسر الايمان الخ ببناء الفعل للمفعول للعلم بفاعله ولان الاصل
وفسره جمهور الاشاعرة والماتريدية وكذا غيرهم من المعتزلة كالصالحى وابن الراوندى
واعلم ان الايمان على خمسة اقسام ايمان عن تقليد وهو الايمان الناشئ عن الأخذ
بقول الشيخ من غير دليل وايمان عن علم وهو الايمان الناشئ عن معرفة العقائد
بادلتها وايمان عن عيان وهو الايمان الناشئ عن مراقبة القلب لله بحيث
لا يغيب عنه طرفة عين وايمان عن حق وهو الايمان الناشئ عن مشاهدة الله
بالقلب وايمان عن حقيقة وهو الايمان الناشئ عن كونه لا يشهد الا الله فالتقليد
للعوام والعلم لاصحاب الأدلة والعيان لأهل المراقبة ويسمى مقام المراقبة
والحق للعارفين ويسمى مقام المشاهدة والحقيقة للواقفين ويسمى مقام الفنا
لانهم يفنون عن غير الله ولا يشهدون الا اياه واما حقيقة الحقيقة فهى للمرسلين
وقد منعنا الله من كشفها فلا سبيل الى بيانها تنبيه المؤمن اذا نام او غفل
او جن او اغمى عليه او مات متصف جزما بالايمان حكما فتجرى عليه احكام الايمان
فى هذه الأحوال ذكره المص فى كبيره كما افاده العلامة الشنوانى بالتصديق
اى التصديق المعهود شرعا وهو تصديق النبى صلى الله عليه وسلم فى كل ما جاء به وعلم
من الدين بالضرورة اى علم من ادلة الدين يشبه الضرورة فهو نظرى فى الأصل
الا انه لما اشتهر صار ملحقا بالضرورى بجامع الجزم فى كل من العام والخاص من
غير قبول للشك والمراد بتصديق النبى فى ذلك الاذعان لما جاء به والقبول له
وليس المراد وقوع نسبة الصدق اليه فى القلب من غير اذعان وقبول له

وفسر الايمان بالتصديق

حتى يلزم الحكم بايمان كثير من الكفار الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوته ورسالته
صلى الله عليه وسلم ومصداق ذلك قوله تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قال عبد الله
ابن سلام لقد عرفته حين رأيته كما اعرف ابني ومعرفتي لمحمد اشد اهـ ويكفي الاجمال
فيما يعتبر التكليف به اجمالا كالايمان بغالب الانبياء والملائكة ولا بد من التفصيل
فيما يعتبر به التكليف تفصيلا كالايمان بجمع من الانبياء ومن الملائكة فالجمع الذي
يجب معرفتهم تفصيلا من الانبياء خمسة وعشرون وقد نظموا في قول بعضهم
حتم على كل ذي التكليف معرفة بانبياء على التفصيل قد علموا في تلك حجتنا منهم ثمانية
من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو ادريس هود شعيب صالح وكذا ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا
فهؤلاء المذكورون في القرآن المتفق على نبوتهم واما المختلف في نبوتهم فثلاثة ذو القرنين
والعزير ولقمان واما الخضر فلم يصرح باسمه في القرآن وان كان هو المراد في آية
عبدا من عبادنا وكذلك يوشع بن نون فتى موسى لم يصرح باسمه في القرآن ومعنى كون
الايمان واجبا بهم تفصيلا انه لو عرض عليه واحد منهم لم ينكر نبوته ولا رسالته
فمن انكر نبوة واحد منهم او رسالته كفر لكن العامي لا يحكم عليه بالكفر الا ان انكر
بعد تعليمه وليس المراد انه يجب حفظ اسمائهم خلافا لمن زعم ذلك والجمع الذي
يجب معرفته تفصيلا من الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ورضوان
خازن الجنة ومالك خازن النار ورقيب وعتيد فيكفر منكر شيء من ذلك واما
منكر ونكير فلا يكفر منكرهما لانه اختلف في اصل السؤال ويجب الايمان بحملة العرش
والحافين به اجمالا كسائر الملائكة والتفصيلي اكمل من الاجمالي من حيث التفصيل
والا فهو مثله من حيث الخروج من عهدة التكليف بكل منهما وبالجملة فالايمان شرعا
هو التصديق بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مما علم من الدين بالضرورة
اجمالا في الاجمالي وتفصيلا في التفصيلي واما لغة فهو مطلق التصديق ومنه
قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق والنطق فيه الخلف اي والنطق
بالشهادتين للمتمكن منه وهو القادر عليه في اعتبار مدخليته في الايمان الاختلاف
بين العلماء وسيأتي تفصيله عقبه فحذف المص المنطوق به وهو قول اشهد ان لا اله الا
الله واشهد ان محمدا رسول الله كما سيصرح به في قوله وجامع معنى الذي تقررا شهادتا
الاسلام وخرج بالمتمكن الذي هو القادر الاخرس فلا يطالب بالنطق كمن اخترمته
المنية قبل النطق من غير تراخ فهو مؤمن عند الله حتى على القول بأن النطق شرط
صحة او شطر بخلاف من تمكن وفرط وموضوع هذا الخلاف كافر اصلي يريد الدخول
في الاسلام واما اولاد المسلمين فهم مؤمنون قطعا وتجري عليهم الاحكام الدنيوية

ولو لم

والنطق فيه الخلف اي التحقيق

ولو لم ينطقوا بالشهادتين طول عمرهم ولا بد من لفظ اشهد وتكريره ولا يشترط ان
يأتي بحرف العطف على ما قاله الزيادي ورجع اليه الرملي آخرا فلا يكفي ابدال لفظ اشهد
بغيره وان كان مرادفا لما فيه من معنى التعبد ولا بد من ترتيب الشهادتين وموالاتهما
ولا بد من الاعتراف برسالته صلى الله عليه وسلم الى غير العرب ايضا اذا كان
يعتقد اختصاص رسالته بالعرب كالعيسوية واذا كان كافرا باعتقاد قدم
العالم فلا بد من رجوعه عنه ولو اتى بالشهادتين بالعجمية صح اسلامه وان
احسن العربية وما تقدم من الشروط مبني على المعتمد في مذهبنا معاشر الشافعية
وبه قال ابن عرفة من المالكية حيث قال لا بد ان يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله وخالف الأبي شيخه ابن عرفة فقال لا يتعين ذلك بل يكفي كل ما
يدل على الايمان فلو قال الله واحد ومحمد رسول كفى ونحو ما قاله لبعض من الشافعية
وهو العلامة ابن حجر وللنووي ما يوافقه ايضا فيكون في المسئلة قولان لاهل كل
من المذهبين قال المص في شرحه واولهما اولى بالتعويل عليه اهـ بالتحقيق اي متلبسا
بالتحقيق الذي هو اثبات الشيء بدليل فالمعنى متلبسا بالادلة القاطعة
على دعوى كل من الفريقين او الذي هو ذكر الشيء على الوجه الحق فالمعنى متلبسا بذكر
كل فريق مدعاه على الوجه الحق عندهم فقيل الخ اي اذا اردت تفصيل هذا الخلاف
فقيل الخ الفاء فاء الفصيحة ويحتمل ان تكون لمجرد العطف فيكون معطوفا على الجملة
الاسمية وهي قوله والنطق الخ من عطف المفصل على المجمل وقوله شرطا اي خارج
عن ماهيته وهذا القول لمحققي الاشاعرة والماتريدية ولغيرهم وقد فهم الجمهور
ان مرادهم انه شرط لاجراء احكام المؤمنين عليهم من التوارث والتناكح والصلاة خلفه
وعليه والدفن في مقابر المسلمين ومطالبته بالصلوات والزكوات وغير ذلك لان
التصديق القلبي وان كان ايمانا الا انه باطن خفي فلا بد له من علامة ظاهرة
تدل عليه لتناط اي تعلق به تلك الاحكام فمن صدق ولم يقر بلسانه لا لعذر منعه
ولا لاباء بل اتفق له ذلك فهو مؤمن عند الله غير مؤمن في الاحكام الدنيوية اما
المعذور اذا قامت قرينة على اسلامه بغير النطق كالاشارة فهو مؤمن فيهما واما
الآبي بان طلب منه النطق بالشهادتين فابى فهو كافر فيهما ولو اذعن في قلبه فلا
ينفعه ذلك ولو في الآخرة ومن اقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فهو مؤمن
في الاحكام الدنيوية غير مؤمن عند الله تعالى ومحل كونه مؤمنا في الاحكام الدنيوية
ما لم يطلع على كفره بعلامة كالسجود لصنم والا جرت عليه احكام الكفر وفهم الأقل
ان مرادهم انه شرط في صحة الايمان وهذا القول كالقول بالشطرية في الحكم

فقيل الخ شرط كالعمل وقيل

وانما الخلاف بينهما في العبارة والقول الاول هو الراجح والنصوص بحسب المتبادر
منها مقوية للقول بالشرطية دون الشطرية كقوله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان
اي اثبته في قلوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ثبت قلبي على دينك
كالعمل اى في مطلق الشرطية وان اختلفت جهة الشرطية في المشبه والمشبه به
لان السابق اما شرط لاجراء الاحكام الدنيوية او لصحة الايمان على ما مر وهذا
شرط كمال على المختار عند اهل السنة فمن اتى بالعمل حصل الكمال ومن تركه فهو
مؤمن لكنه فوت على نفسه الكمال اذا لم يكن مع ذلك استحلال او عناد للشارع
اوشك في مشروعيتها والا فهو كافر فيما علم من الدين بالضرورة وذهبت المعتزلة
الى ان العمل شطر من الايمان لانهم يقولون بان العمل والنطق والاعتقاد فمن ترك
العمل فليس بمؤمن لفقد جزء من الايمان وهو العمل ولا كافر لوجود التصديق فهو
عندهم منزلة بين المنزلتين اى بين المؤمن والكافر ويخلد في النار ويعذب باقل
من عذاب الكافر والخوارج يكفرون مرتكب الكبائر وانما كان المختار هو الاول لان
الايمان في اللغة التصديق فيستعمل شرعا في تصديق خاص ولا دليل على نقله للثلاثة
كما زعمه المعتزلة وقد دلت النصوص على ثبوت الايمان قبل الاوامر والنواهي
وعلى ان الايمان والعمل الصالح متغايران وعلى ان الايمان والمعاصي يجتمعان
كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام فانه يفيد ثبوت الايمان قبل الامر
بالصوم وكقوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات فان اصل العطف للمغايرة
وكقوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم بناء على ان المراد من الظلم
المعصية فهذا اقتضى مفهومه اجتماع الايمان مع الظلم بمعنى المعاصي على ما علمت
وقيل ان المراد به الشرك لما روى ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا
لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ليس كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه
يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وعليه فمفهوم الآية من باب وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون فيكون المراد بالايمان مطلق التصديق
وقيل بل شطر اي وقال قوم محققون كالامام ابي حنيفة وجماعة من الاشاعرة
ليس الاقرار بالشهادتين شرطا بل هو شطر فيكون الايمان عند هؤلاء اسما لعملي
القلب واللسان جميعا وهما التصديق والاقرار واعترض على هذا القول بان
الايمان يوجد في المعذور كالاخرس والشيء لا يوجد بدون شطره واجيب عن
ذلك بانه ركن يحتمل السقوط كما في من ذكر واما التصديق فانه ركن لا يحتمل السقوط
وعلى هذا القول كالقول بانه شرط صحة فمن صدق بقلبه ولم يتفق له الاقرار

في

في عمره لا مرة ولا اكثر من مرة مع القدرة على ذلك لا يكون مؤمنا لا عندنا ولا عند
الله تعالى وكل من القولين المذكورين ضعيف والمعتمد انه شرط لاجراء الاحكام
الدنيوية فقط والا فهو مؤمن عند الله تعالى كما مر فائدة الصواب ان الايمان
مخلوق لانه اما التصديق بالجنان او مع الاقرار باللسان وكل منهما مخلوق
وما يقال من انه قديم باعتبار الهداية خروج عن حقيقة الايمان على ان الهداية حادثة
نعم ان التفت للقضاء الازلي صح ذلك والاسلام اشرحن بالعمل بنقل
حركة همزته الى اللام ثم طرحها للوزن وهو بالنصب وما بعده عامله او بالرفع
وما بعده خبره حذف منه الضمير الرابط والتقدير والاسلام اشرحنه بالعمل الصالح
اى بالامتثال لذلك والاذعان الظاهري له سواء عمل ولم يعمل فمعنى الاسلام شرعا
الامتثال والانقياد لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مما علم من الدين بالضرورة
واما معناه لغة فهو مطلق الامتثال والانقياد وعلى هذا فالايمان والاسلام
متغايران مفهوما اى معنى وما صدقا اى افرادا وان تلازما شرعا باعتبار المحل
بعد اتحاد الجهة المعتبرة فلا يوجد مؤمن ليس بمسلم ولا مسلم ليس بمؤمن ولا يرد
من صدق واخترمته المنية مثلا لانه عند الله مؤمن ومسلم وعندنا ليس بمسلم
ولا مؤمن فالتلازم بعد اتحاد الجهة المعتبرة كما علمت والكلام في الايمان المنجي
والاسلام كذلك والا فلا تلازم بل بينهما العموم والخصوص الوجهي يجتمعان في من
صدق بقلبه وانقاد بظاهره وينفرد الايمان في من صدق بقلبه فقط والاسلام
في من انقاد بظاهره فقط وهذا ما ذهب اليه جمهور الاشاعرة وذهب جمهور الماتريدية
والمحققون من الاشاعرة الى اتحاد مفهوميهما وظاهره ان الخلاف حقيقي
والتزمه بعضهم قائلا ان معنى الاسلام عندهم الاذعان الباطني بدليل
افمن شرح الله صدره للاسلام والاولون يجيبون بان المعنى فمن شرح الله
صدره لقبول الاسلام وان كان ادعاء الحذف خلاف الاصل وعلى هذا
فالنطق دليل عليهما والعمل كمال لهما وبعضهم جعل الخلاف لفظيا باعتبار المآل
فحمل القول باتحاد مفهوميهما على معنى ان كل من اتصف باحدهما فهو متصف بالآخر
شرعا وان تغايرا معنى وحمل القول بتغاير مفهوميهما على انهما متغايران معنى
وان اتحدا محلا فآل الامر الى انهما متغايران معنى وافرادا فمعنى الايمان
التصديق الباطني وافراده تصديقات كتصديق زيد وتصديق عمرو وتصديق
بكر وهكذا ومعنى الاسلام الانقياد وافراده انقيادات كانقياد زيد وانقياد
عمرو وانقياد بكر وهكذا واما محلهما فهو واحد فكل محل لاحدهما محل للآخر

بديه

مثال هذا الحج والصلاة

وبالعكس مثال هذا الخ هذا من باب تنزيل الجزئيات على الكليات ولذا عبّر
بالمثال الذى هو جزئى يذكر لايضاح القاعدة واسم الاشارة عائد على العمل وقد
ترك المص احد الاركان الخمسة وهو النطق بالشهادتين وانما تركه المص لتقدم بيانه
كما يفيده كلام الشارح لكن قد يقال انه سبق من حيث مدخليته فى الايمان وهذا
غير المراد هنا واعلم ان المدار فى الاسلام على الاذعان للمذكورات وهذا ظ
فى غير النطق واما هو فلا بد من حصوله ثم هو يفيد الاذعان له ولغيره ضرورة
ان ذلك لا يخرج عن الاذعان برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فبالجملة كلمة
الشهادتين تكفى عن نفسها وغيرها فهى كالشاة من الاربعين تزكى نفسها وغيرها
الحج قدمه لضرورة النظم وان كانت الصلاة افضل منه فان بعضهم يكفر
بتركها كسلاً بعد امر الامام بل الصيام افضل من الحج على المعتمد وهو لغة مطلق القصد وشرعاً
قصد الكعبة للنسك المشتمل على الوقوف بعرفة وقد اختلف فى اى سنة فرض فقيل
فرض قبل الهجرة ونزول قوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية بعدها انما هو للتأكيد
وقيل فرض بعد الهجرة وعليه فقيل فى الخامسة وقيل فى السادسة وصححه الشافعية
وقيل فى السابعة وقيل فى الثامنة وقيل فى التاسعة وصححه ابن الكمال وسئل الشبراملسى
عن قول الشخص لمن لم يحج يا حاج فلان تعظيما له هل يحرم او يجوز فاجاب بالتحريم
لانه كذب نعم ان قصد المعنى اللغوى كان اراد يا قاصد التوجه الى كذا جاز
والصلاة هى لغة الدعاء مطلقا وقيل بخير وشرعاً اقوال وافعال مفتتحة بالتكبير
مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة وهى اما مأخوذة من الوصل لانها وصلة
بين العبد وربه واما مأخوذة من صليت العود بالنار اذا قومته بها لانها تقيم
العبد على طاعة الله تعالى وتنهاه عن خلافها قال الله تعالى ان الصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر وقد روى ان فتى من الانصار كان يصلى الصلاة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا يدع شيئا من الفواحش الا ارتكبه فوصف لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستنهاه يوما ما فلم يلبث ان تاب وحسنت
توبته فقال صلى الله عليه وسلم الم اقل لكم ان صلاته ستنهاه يوما ما وقال بعض
المفسرين الصلاة عرس الموحدين فانه يجتمع فيها الوان العبادة كما ان العرس
يجتمع فيه الوان الطعام فاذا صلى العبد ركعتين يقول الله تعالى عبدى مع ضعفك
اتيت بالوان العبادة قياما وركوعا وسجودا وقراءة وتهليلا وتحميدا وتكبيرا
وسلاما فانا مع جلالتى وعظمتى لا يجمل منى ان امنعك جنة فيها الوان النعيم
اوجبت لك الجنة بنعيمها كما عبدتنى بالوان العبادة واكرمك برؤيتى كما عرفتنى

كذا الصيام فادر والزكاة

بالوحدانية فانى لطيف اقبل عذرك واقبل الخير منك برحمتى فانى اجد من اعذب به من
الكفار بالنار وانت لا تجد الها غيرى يغفر سيئاتك عندى لك بكل ركعة قصر
فى الجنة وحورا وبكل سجدة نظرة الى وجهى واعلم ان الصلاة فرضت قبل الهجرة
بسنة والارجح انه لم يفرض عليه صلى الله عليه وسلم قبلها صلاة وقيل كان الواجب قبلها
ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى ثم فرضت الصلوات الخمس ليلة الاسرا
كذا الصيام اى مثل ما ذكر من الحج والصلاة فى كونه مثالا للعمل الصيام وهو
لغة الامساك ولو عن نحو الكلام ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام
انى نذرت للرحمن صوما وشرعاً الامساك عن المفطر جميع النهار على وجه مخصوص
وفرض فى شعبان فى السنة الثانية من الهجرة وهل كان قبله صوم واجب ونسخ او لا
قولان وعلى الاول فقيل عاشوراء وقيل ثلاثة من كل شهر وقيل ثلاثة ايام من كل
شهر وعاشوراء واعلم انه عليه الصلاة والسلام صام تسع رمضانات ولم يكمل
له الا سنة واحدة على المعتمد وقال الدميرى الا اثنان وقال غيره الا خمسة فادر
اى اعلم من الدراية وهى العلم والمخاطب بذلك كل من يتأتى منه الدراية والعلم
والزكاة هى مصدر بمعنى التزكية وهى لغة التطهير والمدح والنماء وشرعاً
اخراج جزء من المال على وجه مخصوص هذا اذا كانت بمعنى الفعل كما هنا وان كانت
بمعنى القدر المخرج قلت هى اسم لمال مخصوص يؤخذ من مال مخصوص على وجه
مخصوص يصرف لطائفة مخصوصة وفرضت فى السنة الثانية من الهجرة بعد زكاة الفطر
وقيل فى غيرها فقيل فى الرابعة وقيل قبل الهجرة ورجحت زيادة الايمان الخ تقدم ان
العمل من اركان الايمان عند اهل السنة وقد ذكر المص هنا انه يزيد بزيادته وينقص بنقصه
فقال ورجحت زيادة الايمان الخ اى ورجح جماعة من العلماء وهم جمهور الاشاعرة القول
بزيادة الايمان لانه لا معنى لترجيح زيادة الايمان الا ترجيح القول بها وقوله بما
تزيد طاعة الانسان اى بسبب زيادة طاعة الانسان فالباء سببية وما مصدرية
والطاعة فعل المأمور به واجتناب المنهى عنه وقوله ونقصه بنقصها اى ورجح الجماعة
المتقدمون القول بنقص الايمان بسبب نقص الطاعة وهذا بالنظر للشأن
والا فقد يزيده المولى وينقصه بمحض اختياره من غير سبب يقتضيه واذا قلنا
بان الايمان يزيد وينقص فمحله فى غير ايمان الانبياء والملائكة واما ايمان
الانبياء فيزيد لان الكامل يقبل الكمال ولا ينقص لكن يرد ان الانبياء
يحصل لهم تجل عظيم فى بعض الاحيان كما كان ليلة المعراج فان الايمان بعده ليس
بمنزلته قبله ويجاب بان هذا لا يستلزم تفاوتا فى ايمانهم ومما يشير الى ان الايمان

ورجحت زيادة الايمان بما تزيد طاعة الانسان ونقصه بنقصها وفيه

الأنبياء يزيد قول سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولكن ليطمئن قلبي وفي
مفاتيح الخزائن العلية لسيدي علي وفا معنى قوله تعالى اولم تؤمن قال اولم يكفك ايمانك
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي من قلقه لرؤية الكيفية ومعنى ما ورد في الصحيح نحن احق
بالشك من ابراهيم انه لو لحقه شك لتطرق لنا بالأولى نظراً لحال الأمة لا لحاله
صلى الله عليه وسلم او نظراً لحاله ويكون تواضعاً واما ايمان الملائكة فلا يزيد ولا ينقص
كما ذكره المص في كبيره عن ابن القيم وهو المشهور لأن ايمانهم جبلي بأصل الطبيعة
وما كان بأصل الطبيعة لا يتفاوت وذكر الشيخ عبد البر الأجهوري ان ايمان الملئكة
يزيد ولا ينقص فجعله كايمان الانبياء فتحصل ان الأقسام ثلاثة
يزيد وينقص وهو ايمان الأمة انساً وجناً ولا يزيد ولا ينقص وهو ايمان الملئكة
على المشهور ويزيد ولا ينقص وهو ايمان الانبياء وزاد بعضهم قسماً رابعاً وهو الذي
ينقص ولا يزيد وهو ايمان الفساق وقد احتجوا على ان الايمان يزيد وينقص
بحجة عقلية ونقلية اما العقلية فهي انه لو لم تتفاوت حقيقة الايمان
بالزيادة والنقص لكان ايمان احد الأمة بل المنهمكين في الفسق والمعاصي
مساوياً لايمان الأنبياء والملئكة واللازم وهو المساواة باطل فكذا الملزوم
الذي هو عدم التفاوت بالزيادة والنقص واما النقلية فهي النصوص الكثيرة
الواردة في هذا المعنى كقوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وكقوله
ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم وقوله ويزداد الذين آمنوا ايماناً وقوله فأما الذين
آمنوا فزادتهم ايماناً وكقوله عليه الصلاة والسلام لابن عمر لما سأله الايمان يزيد
وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وقوله
عليه الصلاة والسلام لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الأمة لرجح به وهذا الحديث كالآيات السابقة
لا يدل على انه ينقص فينضم الى ذلك وكل ما يقبل الزيادة يقبل النقص فيتم الدليل
واورد على هذه الضميمة ايمان الأنبياء واجيب بأنه خرج لوجوب العصمة الدائمة
المانعة من نقصه وقيل لا اي وقال جماعة اعظمهم الامام ابو حنيفة وهو
النعمان بن ثابت لا يزيد ولا ينقص لأنه اسم للتصديق البالغ نهاية الجزم والاذعان
وهذا لا يتصور فيه ما ذكر لأن تلك النهاية لا مراتب لها وبحث فيه بأن التصديق
مراتب فان تصديق المقلد ليس كتصديق العارف بالدليل وهو ليس كتصديق
المراقب وهو ليس كتصديق المشاهد وهو ليس كتصديق المستغرق الذي
لا يشاهد الا الله وتأول هؤلاء الجماعة الآيات السابقة بأن الزيادة انما هي في المؤمن
به لأن الصحابة كانوا آمنوا بما انزل على النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الشريعة لم تتم

وكانت

وكانت الأحكام تنزل شيئاً فشيئاً فكانوا يؤمنون بكل ما يتجدد وتأولوا الأحاديث
السابقة بأن الزيادة والنقص يرجع كل منهما الى الأعمال لا التصديق ويحتمل
ان يكون النفي في كلام المص راجعاً الى اقرب مذكور وهو قوله ونقصه بنقصها فكأنه
قال وقيل لا ينقص فيكون مراده بهذا القيل ان الايمان يزيد ولا ينقص كما ذهب
اليه الخطابي حيث قال الايمان الكامل ثلاثة امور قول وهو لا يزيد ولا ينقص
وعمل وهو يزيد وينقص واعتقاد وهو يزيد ولا ينقص فان نقص ذهب
وقيل لا خلف استئناف لا عطف كما قاله المص ويحتمل ان يكون معطوفاً على مقدر
مفهوم من السياق والتقدير وقد اشتهر ان بين القوم خلافاً حقيقياً وقيل لا خلف
اي وقال جماعة منهم الفخر الرازي وامام الحرمين ليس الخلاف بين الفريقين حقيقياً
بل لفظياً ونفي الخلاف على الاطلاق لا يصح ووجه كون الخلاف لفظياً
ان القول بأنه يزيد وينقص محمول على ما به كماله وهو الأعمال والقول بأنه لا يزيد
ولا ينقص محمول على اصله وهو التصديق الباطني وقوله كذا قد نقلا راجع للقيل
الأخير لا لجميع ما سبق واشار بذلك الى التبري من عهدة صحة هذا القيل لأن
الأصح ان التصديق القلبي يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة وعدمها
وقد يزيد ايضاً بمحض التجلي كما سبق ولهذا كان ايمان الصديقين اقوى من ايمان
غيرهم بحيث لا تعتريه الشبه على ان هذا القيل خلاف المعروف بين القوم من ان
الخلاف حقيقي فتحصل ان المعتمد ان الايمان هو التصديق فقط وان النطق
شرط في اجراء الاحكام الدنيوية وان الايمان يزيد وينقص كما هو التحقيق فاستفده
والله ولي التوفيق فواجب له الخ اي اذا اردت معرفة ما يجب له تعالى فأقول لك
واجب له الخ فالفاء فاء الفصيحة والضمير المجرور عائد عليه تعالى وقد انقسمت
مباحث هذا الفن ثلاثة اقسام الهيات وهي المسائل المبحوث فيها عما يتعلق بالاله
ونبوات وهي المسائل التي يبحث فيها عما يتعلق بالانبياء وسمعيات وهي
المسائل التي لا تتلقى احكامها الا من السمع وقد شرع في تفصيل ذلك مقدماً
الالهيات على غيرها لتعلقها بالحق تعالى وما يتعلق به مقدم على غيره وبدأ بالواجب
لشرفه وانما قدم منه الوجود لأنه كالأصل وما عداه كالفرع لأن الحكم بوجوب الواجبات
له تعالى واستحالة المستحيلات عليه تعالى وجواز ما يجوز في حقه تعالى لا يعقل الا بعد
الحكم بوجوب الوجود له تعالى ثم ان المص قدم الخبر للاهتمام لأن المقصود الحكم بالوجوب
وقد يقال الظاهر اعراب واجب مبتدأ وسوغ الابتداء به مع كونه نكرة عمله في الجار والمجرور
والوجود وما بعده خبر فكأنه قال الواجب المتقدم ذكره هو الوجود وما عطف عليه

وقيل لا خلف كذا في نسخة

فواجب له الوجود والقدم

ومعنى كونه تعالى واجب الوجود انه لا يجوز عليه العدم فلا يقبل العدم لا ازلا
ولا ابدا والدليل على وجوب الوجود له تعالى ان تقول الله يجب افتقار العالم اليه
وكل من وجب افتقار العالم اليه فهو واجب الوجود ينتج الله واجب الوجود
دليل الصغرى ما تقدم من ان العالم حادث وكل حادث يجب افتقاره الى محدث
ودليل الكبرى انه لو لم يكن واجب الوجود لكان جائزه فيفتقر الى محدث ومحدثه
الى محدث فان رجع الامر الى الاول مباشرة او بواسطة فالدور لانه دار الامر
ورجع الى مبدئه وان تتابعت المحدثون واحدا بعد واحد الى ما لا نهاية له فالتسلسل
لانه تسلسل الامور وتتابع وكل من الدور والتسلسل محال فما ادى اليه وهو كونه
ليس واجب الوجود محال واذا استحال كونه ليس واجب الوجود ثبت كونه واجب
الوجود وهو المطلوب وحقيقة الدور توقف الشئ على ما توقف عليه اما بمرتبة او
اكثر وحقيقة التسلسل ترتب امور غير متناهية وانما كان الدور مستحيلا لانه
يلزم عليه كون الشئ الواحد سابقا على نفسه مسبوقا بها فاذا فرضنا ان زيدا اوجد
عمروا وعمروا اوجد زيدا لزم ان زيدا متقدم على نفسه متاخر عنها وان عمروا كذلك
وانما كان التسلسل مستحيلا للادلة اقامها المتكلمون اجلها برهان التطبيق
وتقريره هو انك لو فرضت سلسلتين وجعلت احداهما من الآن الى ما لا
نهاية له والاخرى من الطوفان الى ما لا نهاية له وطبقت بينهما بان قابلت
بين افرادهما من اولهما فكلما طرحت من الآنية واحدا طرحت في مقابلته من
الطوفانية واحدا وهكذا فلا يخلو فاما ان يفرغا معا فيكون كل منهما له نهاية وهو
خلاف الغرض وان لم يفرغا لزم مساواة الناقص للكامل وهو باطل وان فرغت
الطوفانية دون الآنية كانت الطوفانية متناهية والآنية ايض كذلك لانها انما
زادت على الطوفانية بقدر متناه وهو من الطوفان الى الآن ومن المعلوم
ان الزائد على شئ متناه بقدر متناه يكون متناهيا بالضرورة ويتعلق به
مباحث تطلب من المطولات   الوجود اى الذاتي بمعنى ان وجوده لذاته لا
لعلة اى ان الغير ليس مؤثرا في وجوده تعالى وليس المراد ان الذات اثرت
في نفسها اذ لا يقوله عاقل وانما ضاق عليهم التعبير فثمرة القيد تظهر في المحترز
واما الوجود غير الذاتي كوجودنا فهو بفعله تعالى وبعضهم لا يشاهد لغيره وجودا
وهذا يسمى عندهم وحدة الوجود وقد غرق فيه من غرق حتى وقع من بعض الاولياء
ما يوهم الاتحاد والحلول كقول الحلاج انا الله وكقول بعضهم ما في الجبة الا الله
وهذا اللفظ لا يجوز شرعا لايهامه لكن القوم تارة تغلبهم الاحوال فيقول ما يقع منهم

بما

بما يناسبه وممن افتى بقتل الحلاج حين قال المقالة السابقة الجنيد كما في شرح الكبرى
ومن اللفظ الموهم ما شاع على السنة العوام من قولهم موجود في كل الوجود ففيه اشارة الى
وحدة الوجود لكنه ممتنع لانها مبدأ الحلول وقد اختلف في الوجود هل هو عين الموجود
او غيره كما سيأتي فقال الاشعري الوجود عين الموجود واختلف العلماء في فهم المراد
من عبارة الاشعري فبعضهم ابقاها على ظاهرها وعليه يكون في عد الوجود صفة
تسامح لانه يقع صفة في مجرد اللفظ كأن يقال الله موجود والمحققون كالسعد
واضرابه اولوا عبارة الاشعري فقالوا ليس المراد العينية حقيقة بل المراد انه
ليس زائدا على الذات في الخارج بحيث تصح رؤيته فلا ينافي انه امر اعتباري
وهو الحق الذي لا محيص عنه وعليه فلا يكون في عد الوجود صفة تسامح لان الصفة
يكفي فيها مغايرة الموصوف وان لم تكن زائدة في الخارج كيف وقد عدوا السلوب
صفة كالقدم والبقاء وقال الرازي وجماعة الوجود غير الموجود ضرورة مغايرة
الصفة للموصوف وعليه فقد عرفوا الوجود بانه الحال الواجبة للذات ما دامت الذات
حال كون تلك الحال غير معللة بعلة والمراد بكونها حالا انها واسطة بين الموجود
والمعدوم على القول بثبوت الواسطة التي هي الحال ومعنى كونها واجبة
للذات ما دامت الذات انها ثابتة للذات مدة دوام الذات وخرج بقولنا غير معللة
بعلة الحال المعللة كالكون قادرا فانه حال معللة بعلة اى لازم لملزوم وهو
القدرة ورجع بعضهم الخلاف لفظيا فحمل كلام الاشعري على ان الوجود ليس زائدا
في الخارج فلا ينافي انه حال وهو مراد الثاني وجرى على ذلك المص في الشرح وقيل الخلاف
حقيقي فقول الاشعري محمول على انه امر اعتباري على التحقيق وقول غيره محمول على انه
حال ويكفي المكلف ان يعرف ان الله موجود ولا يجب عليه معرفة ان وجوده تعالى عين
ذاته او غير ذاته كما قاله سيدي محمد الصغير لان ذلك من غوامض علم الكلام
واعلم ان الوجود صفة نفسية وانما نسبت للنفس اى الذات لانها لا تعقل الا
بها فلا تعقل نفس الا بوجودها والمراد بالصفة النفسية صفة ثبوتية يدل
الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد كأن يقال الوجود صفة الله تعالى
فقولنا صفة كالجنس وقولنا ثبوتية يخرج السلبية كالقدم والبقاء وقولنا يدل الوصف
بها على نفس الذات معناه انها لا تدل على شئ زائد على الذات فقولنا دون معنى
زائد عليها تفسير مراد لقولنا على نفس الذات ويخرج بذلك المعاني لانها تدل على
معنى زائد على الذات وكذا المعنوية لاستلزامها المعاني   والقدم اى ووجب له
القدم فهو معطوف على الوجود وهذا شروع في الصفات السلبية اى التي دلت

على سلب ما لا يليق به سبحانه وتعالى وليست منحصرة على الصحيح وعد المص منها خمسة
لأن ما عداها من نفي الولد والصاحبة والمعين وغير ذلك مما لا نهاية له راجع اليها
ولو بالالتزام فهي امهاتها اي اصولها المهمات منها والمراد بالقدم في حقه تعالى
القدم الذاتي وهو عدم افتتاح الوجود وان شئت قلت هو عدم الأولية للوجود
وأما القدم في حقنا فالمراد به الزماني وهو طول الزمان وضبط بسنة حتى اذا قال
كل من كان من عبيدي قديماً فهو حر عتق من له عنده سنة وهذا مستحيل في حقه
تعالى وكذا القدم الاضافي كقدم الأب بالنسبة للابن فتحصل من هذا
ان القدم ثلاثة اقسام ذاتي وزماني واضافي فان قلت ان وجوب
الوجود يستلزم القدم بل والبقاء فذكرهما بعده محض تكرار قلت علماء هذا
الفن لا يكتفون بدلالة الالتزام بل يصرحون بالعقائد لشدة خطر الجهل في
هذا الفن فلا يستغنون بملزوم عن لازم ولا بعام عن خاص ودليل القدم انه
لو لم يكن قديماً لكان حادثاً اذ لا واسطة ولو كان حادثاً لافتقر لمحدث ولو افتقر
لمحدث لافتقر محدثه الى محدث لانعقاد المماثلة بينهما فيلزم الدور او التسلسل
وكل منهما محال فما ادى اليه وهو افتقاره لمحدث محال فما ادى اليه وهو كونه حادثاً
محال فما ادى اليه وهو عدم كونه قديماً محال واذا استحال عدم كونه قديماً ثبت
كونه قديماً وهو المطلوب واعلم ان لهم في القديم والأزلي ثلاثة اقوال الأول ان
القديم هو الموجود الذي لا ابتداء لوجوده والأزلي ما لا اول له عدمياً او وجودياً
فكل قديم ازلي ولا عكس الثاني ان القديم هو القائم بنفسه الذي لا اول لوجوده
والأزلي ما لا اول له عدمياً او وجودياً قائماً بنفسه او بغيره وهذا هو الذي يفهم
من كلام السعد الثالث ان كلا منهما ما لا اول له عدمياً او وجودياً قائماً بنفسه
او لا وعلى هذا فهما مترادفان فعلى الأول الصفات السلبية لا توصف بالقدم
وتوصف بالأزلية بخلاف الذات العلية والصفات الثبوتية فانها توصف
بالقدم والأزلية وعلى الثاني الصفات مطلقاً لا توصف بالقدم وتوصف
بالأزلية بخلاف الذات العلية فانها توصف بكل منهما وعلى الثالث كل من الذات
والصفات مطلقاً يوصف بالقدم والأزلية كذا بقاء بالتنوين للتنويع
والتعظيم اي نوع من افراد البقاء عظيم مثل المذكور من الوجود والقدم في الوجوب
له تعالى فاسم الاشارة عائد على المذكور من الوجود والقدم والجامع هو الوجوب له
تعالى والمراد به في حقه تعالى عدم الآخرية للوجود وان شئت قلت عدم اختتام الوجود
ودليل البقاء انه لو جاز عليه العدم لاستحال عليه القدم لما تقدم في كلام المص في قوله

كذا بقاء لا يشاب بالعدم

وكل

وكل ما جاز عليه العدم عليه قطعاً يستحيل القدم كيف وقد سبق قريباً وجوب
القدم له تعالى وكل ما ثبت قدمه استحال عدمه وقد اتفقت العقلاء على هذه
القضية كما في العكاري على الكبرى واورد عليها عدمنا في الأزل فانه قديم
بناء على القول بترادف القديم والأزلي فهو كعدم المستحيل فلم جاز انقطاعه
بوجودنا فيما لا يزال اجيب بأن هذه القاعدة انما هي في القديم الوجودي
اذ الدليل انما قام فيه كما ذكره الامام ابن زكري وقال الفهري ان الايراد من اصله
مدفوع بان وجودنا قطع عدمنا فيما لا يزال لا في الأزل والا لوجدنا في الأزل
وهو محال قال العلامة اليوسي وهو ظاهر لكن قال العلامة الامير ولك ان تقول
لم يظهر لقولهم كل قديم فهو باق فانقطاع الاستمرار فيما لا يزال مضر فالظاهر
الجواب الأول اهـ لا يقال اي فرق بين عدمنا وعدم المستحيل كالشريك فان
كلا منهما واجب في الأزل لأنا نقول وجوب عدمنا مقيد بالأزل فهو ممكن فيما
لا يزال واما عدم المستحيل فواجب على الاطلاق تنبيه علم مما تقدم ان
الله تعالى لا اول له ولا آخر وان عدمنا في الأزل لا اول له ولا آخر واما المخلوقات
فلها اول وآخر ونعيم الجنة وعذاب النار لهما اول ولا آخر له فكل منهما باق
لكن شرعاً لا عقلاً لأن العقل يجوز عدمهما فالأقسام اربعة لا يشاب
بالعدم اي لا يخلط بالعدم والمراد من ذلك انه لا يلحقه عدم لأن حقيقة
المخالطة تقتضي الاجتماع والبقاء لا يجتمع مع العدم الا ان يقدر
مضاف اي لا يشاب بجواز العدم وهو معنى البطلان في قول لبيد
الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل اي من نعيم الدنيا
كما يدل عليه بقية القصيدة فلا يرد عليه نعيم الجنان واحترز المص بذلك من
بقائنا فانه يشاب بالعدم ويخلط به لانه مقارنة استمرار الوجود زمانين
فصاعداً وهذا مستحيل في حقه تعالى لأن الزمان حركة الفلك او مقارنة
متجدد موهوم لمتجدد معلوم ازالة للابهام كما في قولك آتيك طلوع الشمس
فالزمان هو مقارنة الاتيان المتجدد الموهوم لطلوع الشمس المتجدد المعلوم
وكل من حركة الفلك والمقارنة المذكورة حادث ولا يقترن بالحادث الا ما كان
مثله ومحل كونه مستحيلاً اذا كان على وجه الحصر بأن يقال وجوده ليس الا
في زمان والا فهو تعالى موجود قبل كل شيء وبعده ومعه وانه لما ينال
العدم مخالف اي وواجب له انه تعالى مخالف للحوادث التي يلحقها العدم
فهو بفتح الهمزة من ان واسمها الضمير العائد عليه تعالى وخبرها مخالف وتعلق

وانه لما ينال العدم
مخالف برهان هذا التقدم

به الجار والمجرور قبله وانما قدمه لضرورة النظم وما واقعة على الحوادث وعائدها
محذوف وان وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على الوجود والتقدير وواجب
له تعالى مخالفته للحوادث التى يلحقها العدم وبذلك يندفع ما في حاشية الشيخ العدوى
من ان في كلام المص تسمحا لان الصفة مخالفته لا انه مخالف ووجه اندفاع ذلك
ان القاعدة سبك ان المفتوحة بمصدر من خبرها وهو شائع في العربية فلا يقال
فيه تسمح وجعلنا الذلك معطوفا على الوجود اولى من جعله خبر المبتدا محذوف
والتقدير والصفة الثالثة من الصفات السلبية انه الخ وكلام الشيخ عبد السلام
في هذا المقام حل معنى لا حل اعراب وان اوهمت عبارته خلاف ذلك وانما اسند
المخالفة له تعالى لانها تنزيهية والموصوف بها الله لا الحوادث وكما انه تعالى مخالف
للحوادث مخالف للاعدام الازلية كما علم من وصفه بالوجود اذ هي ليست موجودة
وقد ذكر الشيخ عبد السلام في هذا المقام ان الاعدام الازلية من الحوادث وهو سهو
لان الاعدام الازلية واجبة كما تقدم وقد ذكرها والدم منها لا للعدم السابق ولم
يجعلها من الحوادث والمخالفة لما ذكر عبارة عن سلب الجرمية والعرضية والكلية
والجزئية ولوازمها عنه تعالى فلازم الجرمية التحيز ولازم العرضية القيام بالغير
ولازم الكلية الكبر ولازم الجزئية الصغر الى غير ذلك فاذا القى الشيطان في ذهنك
انه اذا لم يكن المولى جرما ولا عرضا ولا كلا ولا جزءا فما حقيقته فقل في رد ذلك لا يعلم
الله الا الله ليس كمثله شئ وهو السميع البصير. برهان هذا القدم اى دليل
ما ذكر من انه مخالف للحوادث دليل القدم فكلام المص على تقدير مضاف وتقرير
البرهان ان تقول لو لم يكن مخالفا للحوادث لكان مماثلا لها ولو كان مماثلا لها لكان
حادثا كيف وقد ثبت قدمه بالدليل السابق ويصح ابقاء كلام المص على ظاهره
فيكون نفس القدم هو الدليل على المخالفة لان كل من وجب له القدم استحال
عليه العدم ولا شئ من الحوادث يستحيل عليه العدم فلا شئ منها بقديم فثبتت
المخالفة   قيامه بالنفس معطوف على الوجود بحذف حرف العطف والتقدير
وواجب له قيامه بنفسه فال في النفس عوض عن المضاف اليه وقول
الشر والصفة الرابعة من الصفات السلبية الواجبة له تعالى قيامه بالنفس
حل معنى لا حل اعراب كما تقدم وقد جعل بعضهم الباء في قوله بالنفس باء
الآلة واصله للسكتاني وفيه اساءة ادب وقد تخلص الشيخ يحيى الشاوى
من اساءة الادب بان فائدة ذلك تظهر في المقابل اى لا بغيره فالمعنى ان الغير
ليس آلة في قيامه تعالى فهو نظير ما سبق في وجوده لذاته لا لعلة ولكن الاولى

قيامه بالنفس صح اتي

ان الباء سببية لان الآلة واسطة الفعل ولا تناسب هنا كما لا يناسب جعلها
للتعدية لان مجرور الباء التى للتعدية يكون مفعولا به معنى كذهب الله بنورهم
ولا كذلك ما هنا وجعلها الشيخ الملوى بمعنى في فهي للظرفية المجازية فالمعنى قيامه
في نفسه ليس باعتبار شئ آخر كما يقال هذا العبد في نفسه يساوى كذا اى لا باعتبار
شئ آخر معه والمراد من النفس هنا الذات فانها تطلق على الذات كما هنا وتطلق
على الدم كما في قولهم ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء وعلى الانفة كما في قولهم فلان
ذو نفس وعلى العقوبة قيل منه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه اى عقوبته والحق
انه يجوز اطلاق النفس على ذات الله تعالى من غير مشاكلة كما يدل عليه قوله تعالى
كتب على نفسه الرحمة خلافا لمن زعم انها لا تطلق عليه تعالى الا مشاكلة كما في قوله تعالى
تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ومعنى قيامه بنفسه عدم افتقاره تعالى الى
المحل اى الذات التى يقوم بها لا بمعنى المكان لان ذلك علم من المخالفة للحوادث
وقال الغنيمي ولا مانع من حمل المحل على معنييه هنا وعدم افتقاره تعالى الى
المخصص اى الموجد وهذا الثانى وان كان يستغنى عنه بالقدم لكن تقدم ان
العلماء لا يكتفون في هذا الفن بدلالة الالتزام لشدة خطر الجهل بالعقائد
فمعنى القيام بالنفس شيئان عدم افتقاره الى المحل وعدم افتقاره الى المخصص
والدليل على عدم افتقاره الى المحل انه لو افتقر الى محل لكان صفة ولو كان صفة
لم يتصف بصفات المعانى والمعنوية وهى واجبة القيام به تعالى للادلة الدالة
على ذلك هذا خلف بفتح الخاء اى يستحق ان يرمى خلف الظهر او بضمها اى كذب
وباطل واذا ابطل ذلك بطل ما ادى اليه وهو كونه صفة فبطل ما ادى اليه
ايضا وهو افتقاره الى محل واذا ابطل افتقاره الى محل ثبت عدم افتقاره
الى محل وهو المطلوب والدليل على عدم افتقاره الى المخصص انه لو افتقر الى مخصص
لكان حادثا كيف وقد سبق وجوب وجوده وقدمه وبقائه ذاتا وصفات
تنبيه علم من ذلك انه مستغن عن المحل والمخصص معا واما صفاته فهي
مستغنية عن المخصص وقائمة بذاته تعالى ولا يعبر فيها بالافتقار الى الذات
لما فيه من الايهام وقد اساء الفخر الادب حيث اطلق لفظ الافتقار والاحتياج
فيها وذوات الحوادث مفتقرة الى المخصص ومستغنية عن الذات التى تقوم بها
وصفات الحوادث مفتقرة اليهما معا فالاقسام اربعة فتدبر   وحدانيته
معطوف على الوجود بحذف حرف العطف اي وواجب له وحدانيته
وما ذكره الشر حل معنى لا حل اعراب كما سبق وهى بفتح الواو نسبة الى الوحدة

فيآؤها للنسب والألف والنون للمبالغة كما في رقباني نسبة للرقبة وشعراني نسبة
للشعر وقال يحيى الشاوي لا يصح كون الياء للنسب اذ المراد ثبوت الوحدة نفسها
لا ثبوت شئ منسوب اليها واختار جعلها للمصدر كما في الضاربية واجاب الأولون
بأن الشئ ينسب لنفسه مبالغة ومبحث الوحدانية اشرف مباحث هذا الفن
ولذلك سمي باسم مشتق منها فقيل علم التوحيد ولعظم العناية به كثر التنبيه
والثناء عليه في الآي القرآنية فقال تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم
الى غير ذلك من الآيات والمراد منها هنا وحدة الذات والصفات بمعنى عدم النظير
فيهما واما وحدة الذات بمعنى عدم التركب من اجزاء فسبقت في المخالفة للحوادث
ووحدة الصفات بمعنى عدم تعددها من جنس واحد كقدرتين فاكثر وعلمين
فاكثر وهكذا فستأتي في قوله ووحدة اوجبها ووحدة الأفعال بمعنى انه لا تأثير
لغيره في فعل من الأفعال فستأتي ايضا في قوله فخالق لعبده وما عمل والحاصل ان
الوحدانية الشاملة لوحدانية الذات ووحدانية الصفات ووحدانية الافعال تنفي
كموما خمسة الكم المتصل في الذات وهو تركبها من اجزاء والكم المنفصل فيها وهو
تعددها بحيث يكون هناك اله ثان فأكثر وهذان الكمان منفيان بوحدانية الذات
والكم المتصل في الصفات وهو التعدد في صفاته تعالى من جنس واحد
كقدرتين فاكثر وبحث في هذا بأن الكم المتصل مدار على شئ ذي اجزاء
ولا كذلك الصفات ويجاب بأنهم نزلوا كونها قائمة بذات واحدة منزلة
التركب والكم المنفصل في الصفات وهو ان يكون لغيره تعالى صفة تشبه صفته تعالى
كأن يكون لزيد قدرة يوجد بها ويعدم كقدرته تعالى وارادة تخصص الشئ
ببعض الممكنات او علم محيط بجميع الاشياء وهذان الكمان منفيان بوحدانية
الصفات والكم المنفصل في الأفعال وهو ان يكون لغير الله فعل من الافعال على
وجه الايجاد وانما ينسب الفعل له على وجه الكسب والاختيار وهذا الكم
منفي بوحدانية الافعال وفي ذلك رد على المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق
افعال نفسه الاختيارية وانما لم يكفروا بذلك لاعترافهم بان اقداره عليها من
الله تعالى وبعضهم كفرهم وجعل المجوس اسعد حالا منهم اذ المجوس قالوا بالهين
وهؤلاء اثبتوا ما لا حصر له لكن الراجح عدم كفرهم واما الكم المتصل في الافعال
فان صورناه بتعدد الأفعال فهو ثابت لا يصح نفيه لان افعاله كثيرة من خلق ورزق
واحياء واماتة الى غير ذلك وان صورناه بمشاركة غير الله له في فعل من الأفعال
فهو منفي ايضا بوحدانية الأفعال ودليل الوحدانية بالمعنى المراد هنا وهو وحدة

الذات والصفات بمعنى عدم النظير فيهما انه لو تعدد الاله كأن يكون هناك
الهان لما وجد شئ من العالم لكن عدم وجود شئ من العالم باطل لأنه موجود
بالمشاهدة فما ادى اليه وهو التعدد باطل واذا بطل التعدد ثبتت الوحدانية
وهو المطلوب وانما لزم من التعدد كأن يكون هناك الهان عدم وجود شئ من
العالم لأنهما اما ان يتفقا واما ان يختلفا فان اتفقا فلا جائز ان يوجداه معا
لئلا يلزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد ولا جائز ان يوجداه مرتبا بان يوجده احدهما
ثم يوجده الآخر لئلا يلزم تحصيل الحاصل ولا جائز ان يوجد احدهما البعض والآخر
البعض للزوم عجزهما ح لأنه لما تعلقت قدرة احدهما بالبعض سد على الآخر طريق
تعلق قدرته به فلا يقدر على مخالفته وهذا عجز وهذا يسمى برهان التوارد لما فيه
من توارد هما على شئ وان اختلفا بأن اراد احدهما ايجاد العالم والآخر اعدامه
فلا جائز ان ينفذ مرادهما لئلا يلزم عليه اجتماع الضدين ولا جائز ان ينفذ مراد احدهما
دون الآخر للزوم عجز من لم ينفذ مراده والآخر مثله لانعقاد المماثلة بينهما
ويحكى عن ابن رشد انه اذا انفذ مراد احدهما دون الآخر كان الذي نفذ مراده هو
الاله دون الآخر وتم دليل الوحدانية وهذا يسمى برهان التمانع لتمانعهما وتخالفهما
وقد ذكر المولى سبحانه وتعالى هذا الدليل في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا اي لو كان فيهما جنس الآلهة غير الله لم توجدا لكن عدم وجودهما باطل
لمشاهدة وجودهما فبطل ما ادى اليه وهو وجود جنس الآلهة غير الله فثبت ان
الله واحد وهو المطلوب فليس المحال الجمع فقط بل المحال جنس الآلهة غير الله
والا في الآية اسم بمعنى غير وليست اداة استثناء لفساد المعنى ح لأن المعنى عليه
لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا فيقتضي بمفهومه انه لو كان فيهما آلهة
فيهم الله لم تفسدا وهو باطل والمراد بالفساد عدم الوجود كما قررته وينبني على
ذلك ان الآية حجة قطعية وهو التحقيق خلافا لما جرى عليه السعد من انها
حجة اقناعية اي يقنع بها الخصم مع كون التلازم فيها ليس عقليا بناء على تفسير
الفساد فيها بالخروج عن النظام وانما لم يكن التلازم فيها عقليا على هذا
لأنه لا يلزم حصول الفساد بالفعل وقد شنعوا على السعد في ذلك حتى قال
عبد اللطيف الكرماني انه تعييب لبراهين القرآن وهو كفر واجاب
علاء الدين تلميذ السعد بأن القرآن محتو على الأدلة الاقناعية لمطابقة حال
بعض القاصرين وتجويز الاتفاق انما هو ببادئ الرأي وعند التأمل لا يصح
صلح بين الهين اذ مرتبة الألوهية تقتضي الغلبة المطلقة كما يشير له قوله تعالى

اذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض   منزهاً حال من الضمير
فى قوله فواجب له الخ فالمعنى انه تعالى وجبت له هذه الصفات حال كونه منزهاً
فهى لازمة مثل دعوا الله سميعاً وهى مؤكدة للصفات السابقة وكذا جملة قوله
اوصافه سنية فهى حال ايضاً من الضمير المذكور فهى حال مترادفة ويجوز ان تكون حالاً
من الضمير فى منزهاً فهى حال متداخلة ومعنى قوله سنية انها تشبه السنا بالقصر
وهو النور بجامع الاهتداء فيهتدى بها اى بأثرها لانه المشاهد لنا كما يهتدى
بالسنا الذى هو النور فالنسبة على وجه التشبيه وليس المراد انه قام بها السنا وهو
النور لان النور عرض يستحيل قيامه بالصفة او معناه رفيعة فيكون لفظ سنية
مأخوذاً من السناء بالمد بمعنى الرفعة والمراد الرفعة المعنوية   عن ضد اى مضاد
له تعالى والجار والمجرور متعلق بقوله منزهاً والضدان هما الامران الوجوديان اللذان
بينهما غاية الخلاف لا يجتمعان فلو فرض ان لله ضداً فى ذاته او صفاته لوجب ارتفاع
ذاته او صفاته ارتفاعاً مطلقاً ان ثبت الضد دائماً او ارتفاعاً مقيداً بحالة وجود
الضد ان لم يثبت دائماً لانه متى ثبت احد الضدين ارتفع الآخر والغرض انه
واجب الوجود قديم وكذا صفاته   خلف بفتح الخاء اى يستحق ان يرمى
خلف الظهر او بضمها اى كذب وباطل كما تقدم   او شبه معطوف على ضد
واو بمعنى الواو وانما عبر الناظم باو لضرورة النظم والشبه والشبيه بمعنى كالحب
والحبيب وذلك المعنى هو المساوى فى اغلب الوجوه والنظير هو المساوى ولو فى
بعض الوجوه والمثيل هو المساوى فى جميع الوجوه لكن المراد بالشبه هنا مطلق
المشابهة فيشمل كلا منها فليس له تعالى مشابه فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى
افعاله لوجوب مخالفته تعالى للممكنات ذاتاً وصفات وافعالاً
شريك معطوف على ضد بحذف حرف العطف وقوله مطلقاً اى فى ذاته او صفاته
او افعاله ولا تكرار فى كلامه لان مراده بالشبه المشابه من الممكنات ومراده بالشريك
المشارك من القدماء فتغايرا ودليل تنزيهه تعالى عن الشريك هو دليل الوحدانية
ووالد اى ومنزهاً عن والد اباً كان او اماً   الصدق الوالد بهما فليس منفصلاً
عن غيره وقوله كذا الولد خبر مقدم ومبتدأ مؤخر اى الولد كالوالد فى وجوب تنزه الله
عنه فليس عيسى ولداً بل خلقه الله تعالى بلا اب بل آدم اغرب حيث خلقه من تراب
بلا اب ولا ام   والاصدقا اى ومنزهاً عن الاصدقاء وليس الجمع مراداً بل المراد
الجنس المتحقق ولو فى واحد ولذا قال المص فى كبيره ويجب التنزه عن جنس الاصدقا
والصديق هو الصادق فى وده بحيث يكون معك فى الحق ويضر نفسه لينفعك

واذا حصل لك مشقة من كدرات الزمان شتت امره ليجمع امرك كما قال بعضهم
ان صديق الحق من كان معك   ومن يضر نفسه لينفعك   ومن اذا ريب الزمان صدعك
شتت فيك شمله ليجمعك   وهو نادر جداً فى هذا الزمان   والمحال ان يكون لله
صديق على الوجه المعتاد من ان كلاً يعاون الآخر وينفعه فلا ينافى ان يكون لله
صديق بمعنى المخلص فى عبادته تعالى لكن لا يجوز ان يطلق صديق الله لانه لم يرد
مع انه يوهم المعنى المحال وكما انه يستحيل على الله الاصدقاء يستحيل عليه الاعداء
على الوجه المعتاد من ان كلاً يؤذى الآخر ويضره فلا ينافى ان يكون لله عدو
بمعنى المخالف كما فى قوله تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار والاصل القاطع
فى ذلك المؤكد للدليل العقلى قوله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير
وقوله قل هو الله احد الى آخر السورة التى تسمى سورة الاخلاص وسبب نزولها
ان المشركين سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه فقالوا صف لنا ربك أمن
ذهب ام من فضة وقد نفت هذه السورة انواع الكفر الثمانية لان قوله قل هو
الله احد نفى الكثرة والعدد وقوله الله الصمد وهو الذى يقصد فى الحوائج نفى
القلة والنقص وقوله لم يلد ولم يولد نفى العلة والمعلولية اى ان يكون علة لغيره
وان يكون معلولاً لغيره وقوله ولم يكن له كفواً احد نفى الشبيه والنظير وفى
الآية السابقة اشكال مشهور وهو ان الكاف بمعنى مثل فيصير المعنى ليس مثل
مثله شئ فالمنفى مثل المثل فتوهم الآية ح وجود المثل واجيب عن ذلك
باجوبة منها ان الكاف صلة اى زائدة لتأكيد نفى المثل فالمعنى انتفى المثل انتفاء
اكيداً ومنها ان المثل بمعنى الصفة فالمعنى ليس كصفته شئ ومنها ان الآية من باب
الكناية على حد مثلك لا يبخل تريد انت لا تبخل ووجه كونها من باب الكناية
انه يلزم من نفى مثل المثل نفى المثل لانه لو فرض وجود المثل لكان الله مثلاً لذلك
المثل وهو لا يصح نفيه لوجوب وجوده وقد دلت الآية على نفى مثل المثل فلزم
من ذلك نفى المثل وهذا هو المراد فالقصد نفى مثله تعالى بابلغ وجه اذ الكناية
ابلغ من التصريح لتضمنها اثبات الشئ بدليل   وقدرة لما تكلم على الصفة
النفسية وعلى الصفات السلبية شرع يتكلم على صفات المعانى مقدماً لها على
الصفات المعنوية لكونها كالاصل لها والاضافة فى صفات المعانى للبيان
فالمراد الصفات التى هى المعانى ويصح ان تكون على معنى من كما نص
عليه السكتانى وسيدى يحيى الشاوى وقد نص عليه ايضاً فى شرح الوسطى فالمعنى صفات
من المعانى باعتبار المعانى من حيث هى الشاملة لكل موجود من صفات القديم

والحادث كالبياض ونحوه ووقع فى بعض العبارات ولا يصح ان تكون على معنى
من قال العلامة الأمير ولا وجه له فلعله تحريف اهـ والمعانى جمع معنى وهو لغة
ما قابل الذات فيشمل النفسية والسلبية واصطلاحا كل صفة قائمة بموصوف
موجبة له حكما ككونه قادرا فانه لازم للقدرة وفى الحقيقة المعانى والمعنوية
مثلا زمان لكنهم لاحظوا الوجودى اصلا لغيره وبدأ المص من صفات المعانى
بالقدرة لظهور تأثيرها فقال وقدرة اى وواجب له قدرة فهو معطوف على
الوجود وهى لغة القوة والاستطاعة كما قاله المؤلف فى كبيره وعرفا صفة
ازلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها ايجاد كل ممكن واعدامه على وفق الارادة وهذا
رسم لا حد حقيقى وهكذا سائر التعاريف المذكورة للصفات لانه لا يعلم كنه ذاته وصفاته
اى حقيقة ذلك الا هو وفى قولنا يتأتى بها ايجاد كل ممكن واعدامه اشارة الى
تعلقها الصلوحى القديم ويقال له الصلاحى القديم وهو صلاحيتها فى الأزل
للايجاد والاعدام فيما لا يزال وتتعلق بعدمنا فيما لا يزال قبل وجودنا وباستمرار
الوجود بعد العدم وباستمرار العدم بعد الوجود تعلق قبضة فى هذه الثلاثة بمعنى
ان الممكن فى قبضة القدرة فان شاء الله ابقاءه على عدمه او على وجوده وان شاء
اوجده او اعدمه وتتعلق بايجادنا بالفعل بعد العدم السابق وباعدامنا بالفعل
بعد الوجود وبايجادنا بالفعل حين البعث تعلقا تنجيزيا حادثا فى هذه الثلاثة
فاقسام تعلقات القدرة سبعة تفصيلا صلوحى قديم وتعلقات القبضة ثلاثة
والتعلقات التنجيزية ثلاثة فالجملة ما ذكر كما وضحه شيخنا فى رسالته واما العدم
الأزلى فلا تتعلق به القدرة لانه واجب وذهب الاشعرى الى انها لا تتعلق باعدامنا بعد
وجودنا بل اذا اراد الله عدم الممكن قطع عنه الامدادات فينعدم بنفسه كالفتيلة
اذا قطع عنها الزيت انطفأت بنفسها وفى قولنا بها اشارة الى ان التأثير حقيقة
للذات واسناد التأثير الى القدرة مجاز لكونها سببا فيه ويحرم ان يقال القدرة
فعالة او انظر فعل القدرة او نحو ذلك لما فيه من ايهام انها المؤثرة بنفسها
فان قصد ذلك كان كفرا والعياذ بالله تعالى ويخرج بقولنا كل ممكن الواجب والمستحيل
فلا تتعلق بكل منهما لأنها ان تعلقت بالواجب فلا يصلح ان تعدمه لانه لا يقبل
العدم ولا يصلح ان توجده لانه يلزم منه تحصيل الحاصل وان تعلقت بالمستحيل
فعلى العكس من ذلك ومما فى اليواقيت للشعرانى عن ابن العربى انه تعالى يقدر
على خلق المحال عقلا وانه دخل الارض المخلوقة من بقية خميرة طينة آدم وهى مدينة
انما تدخلها الأرواح فرأى فيها ذلك بعينه كلام لا يجوز اعتقاد ظاهره وقد نقل انه

مدسوس عليه وقد شنع السنوسى فى شرح الصغرى على ابن حزم فى قوله الله قادر ان
يتخذ ولدا والا كان عاجزا ولم يعقل ان العجز انما يكون اذا كان المتعلق من وظائف
القدرة بأن كان يقبل الوجود ويلزم عليه ان المولى قادر على اعدام قدرته بل وعلى
اعدام ذاته وفى ذلك غاية الفساد وقد سأل ابليس ادريس هل يقدر المولى ان يدخل
الدنيا فى قشرة البندقة فنخس فى عينه بالابرة ففقأها قال بعضهم وارجو ان
تكون اليمنى وقال له ان المولى قادر ان يدخل الدنيا فى سم الخياط بمعنى انه يصغر
الدنيا او يوسع سم الخياط والا كان محالا فان تداخل الأجرام المتكاثفة واجتماعها
فى حيز واحد مستحيل وانما لم يفصل سيدنا ادريس الجواب لابليس لانه متعنت
وشأن المتعنت الزجر وانما فقأ عينه لانه اراد بهذا السؤال اطفاء نور الايمان
فاطفأ نور بصره لان الجزاء من جنس العمل ومعنى قولنا على وفق الارادة
ان ما خصصه الله بارادته ابرزه بقدرته فتعلق الارادة لكونه ازليا سابق على
تعلق القدرة لكونه تنجيزيا حادثا فالترتيب بين التعلقين لا بين الصفتين
لان القديم لا ترتيب فيه والا كان المتأخر حادثا ودليل وجوب القدرة له تعالى
ان تقول الله صانع قديم له مصنوع حادث وكل من كان كذلك تجب له القدرة
فالله تجب له القدرة ارادة معطوف على الوجود بحذف حرف العطف اى
وواجب له ارادة ويراد بها المشيئة وهى لغة مطلق القصد وعرفا صفة قديمة
زائدة على الذات قائمة به تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه وهو الممكنات
المتقابلات الستة المنظومة فى قول بعضهم

الممكنات المتقابلات
وجودنا والعدم الصفات
ازمنة امكنة جهات
كذا المقادير روى الثقات

ومعنى كونها متقابلات انها متنافيات فالوجود يقابل العدم وبالعكس فهما
قسم اول وبعض الصفات يقابل بعضا فكونه ابيض مثلا يقابل كونه اسود وهذا
قسم ثان وبعض الأزمنة يقابل بعضا فكونه فى زمن الطوفان مثلا يقابل
كونه فى زمن سيدنا محمد وهذا قسم ثالث وبعض الامكنة يقابل بعضا فكونه
فى مكان كذا كمصر يقابل كونه فى مكان غيره كبولاق وهذا قسم رابع وبعض
الجهات يقابل بعضا فكونه فى جهة المشرق يقابل كونه فى جهة المغرب
وهذا قسم خامس وبعض المقادير يقابل بعضا فكونه طويلا مثلا يقابل كونه قصيرا
وهذا قسم سادس وفى قولنا قديمة رد على الكرامية حيث قالوا انها صفة حادثة
قائمة بالذات وفى قولنا زائدة على الذات رد على ضرار من المعتزلة حيث قال انها
نفس الذات وفى قولنا قائمة به رد على الجبائى من المعتزلة حيث قال انها صفة

قائمة لا بمحل وفيه رد ايض على النجار حيث قال انها صفة سلبية وفسرها بعدم كون
الفاعل ساهيا او مكرها والصفة السلبية لا قيام لها لكونها امرا عدميا وذهب
الكعبي ومعتزلة بغداد الى ان ارادته تعالى لفعل غيره امره به ولفعله علمه به وذهب
بعضهم الى انها الرضا وسيأتي الرد عليهم بقوله وغايرت امرا الخ وفي قولنا تخصص
الممكن اشارة للتعلق التنجيزي القديم وهو تخصيص الله الشئ ازلا بالصفات التي
يعلم انه يوجد عليها في الخارج ولها تعلق صلوحي قديم وهو صلاحيتها في الازل
للتخصيص مع ثبوت التخصيص بالفعل ازلا ايض وبعضهم جعل لها تعلقا تنجيزيا
حادثا وهو تخصيص الله الشئ بما تقدم عند ايجاده بالفعل لكن التحقيق ان هذا
اظهار للتعلق التنجيزي القديم لا تعلق مستقل وخرج بالممكن الواجب والمستحيل
فلا تتعلق بهما الارادة كالقدرة وشمل الممكن الخير والشر خلافا للمعتزلة القائلين
بان ارادة الله لا تتعلق بالشرور والقبائح وحكي ان القاضي عبد الجبار الهمداني
دخل على الصاحب ابن عباد وعنده الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني فلما رأى الاستاذ
قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء
فقال عبد الجبار افيريد ربنا ان يعصى فقال الاستاذ افيعصى ربنا كرها
فقال عبد الجبار أرأيت ان منعني الهدى وقضى علي بالردى أحسن الي ام اساء
فقال الاستاذ ان منعك ما هو لك فقد اساء وان منعك ما هو له فهو يختص
برحمته من يشاء واختلف العلماء في جواز نسبة فعل الشرور والقبيح
اليه تعالى والراجح جواز ذلك في مقام التعليم لا في غيره وهذا الخلاف جار
ايض في نسبة الامور الخسيسة اليه تعالى والاصح الجواز في مقام التعليم لا في
غيره فلا يجوز ان يقال الله خالق القردة والخنازير وسبحان من رزق الهدهد
ومن دبب الشوك ان لم يكن في مقام التعليم والدليل على وجوب الارادة له تعالى
ان تقول الله صانع للعالم بالاختيار وكل من كان كذلك تجب له الارادة
فالله تجب له الارادة وايض فقد اتفق كل على اطلاق القول بانه تعالى مريد
وشاع ذلك في كلامه وكلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يفهم من قولنا
مريد بحسب اللغة الا ذات ثبت لها الارادة اذ لا يعقل مريد بلا ارادة وان نازع
في ذلك المعتزلة وغايرت امرا اي خالفت وباينت الارادة امرا بمعنى
انها ليست عينه ولا مستلزمة له فقد يريد ويأمر كايمان من علم الله منهم
الايمان فانه تعالى اراده منهم وامرهم به وقد لا يريد ولا يأمر كالكفر من هؤلاء
فانه لم يرده منهم ولم يأمرهم به وقد يريد ولا يأمر كالكفر الواقع ممن علم الله عدم ايمانه

وكالمعاصي

وكالمعاصي فانه اراد ذلك ولم يأمر به وقد يأمر ولا يريد كايمان هؤلاء فانه امرهم به ولم يرده
منهم وانما امرهم به مع كونه لم يرده منهم لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل فالاقسام
اربعة وغرض المص بذلك الرد على من زعم من المعتزلة ان ارادته تعالى لفعل غيره امره به
والمراد الامر النفسي لا اللفظي لان مغايرتها للامر اللفظي في غاية الظهور
فليس فيه خلاف وانما الخلاف في الامر النفسي وهو اقتضاء اي طلب الفعل الذي
ليس بكف اي ترك او الفعل الذي هو كف اذا كان مدلولا عليه بنحو كف كاترك
بخلاف الكف المدلول عليه بغير نحو كف كلا تفعل فليس بامر بل نهي فتحصل ان
الامر تحته صورتان الاولى طلب الفعل غير الكف كالصلاة والثانية طلب الفعل
الذي هو كف المدلول عليه بنحو كف واما النهي فتحته واحدة وهي طلب الكف المدلول
عليه بغير نحو كف كلا تفعل وعلما اي وغايرت الارادة علما بمعنى انها ليست عين العلم
ولا مستلزمة له لتعلق العلم بالواجب والمستحيل كالجائز ولا تتعلق الارادة الا بالجائز
وغرضه بذلك الرد على من زعم من المعتزلة ان ارادته تعالى لفعله علمه به فرد بمغايرة
الارادة للامر وللعلم على الكعبي ومعتزلة بغداد في قولهم ان ارادته لفعل غيره
امره به وارادته لفعله علمه به كما قاله المؤلف في كبيره وقوله والرضى اي وغايرت
الارادة رضاه تعالى وهو قبول الشئ والاثابة عليه وغرضه بذلك الرد على من فسر
الارادة بالرضى فان الارادة قد تتعلق بما لا يرضى به الله تعالى كالكفر الواقع من الكفار
فانه تعالى اراده ولا يرضى به كما ثبت اي كالتغاير الذي ثبت لا يقال فيه اتحاد
المشبه والمشبه به لانا نقول المعنى وغايرت ما ذكر شرعا كما ثبت عقلا فالتغاير المستفاد
من الدليل الشرعي مشبه والتغاير الثابت بالدليل العقلي مشبه به او يقال المشبه
هو التغاير المذكور في كلام المص والمشبه به هو التغاير الثابت عند اهل السنة ويصح
ان تكون الكاف للتعليل وما واقعة على الدليل فيكون المعنى للدليل الذي ثبت عقلا
وعلمه معطوف على الوجود اي وواجب له علمه وما قاله الشارح فهو حل
معنى لا حل اعراب كما تقدم نظيره وهو صفة ازلية متعلقة بجميع الواجبات والجائزات
والمستحيلات على وجه الاحاطة على ما هي به من غير سبق خفاء وقولنا متعلقة بجميع
الخ فيه اشارة الى تعلق العلم بجميع الاشياء تعلقا تنجيزيا قديما فيعلم سبحانه وتعالى
الاشياء ازلا على ما هي عليه وكونها وجدت في الماضي وموجودة في الحال او توجد
في المستقبل اطوار في المعلومات لا توجب تغيرا في تعلق العلم فالمتغير انما هو صفة
المعلوم لا تعلق العلم وليس له تعلق صلوحي ولا تنجيزي حادث والا لزم الجهل
لان الصالح لان يعلم ليس بعالم والتنجيزي الحادث يستلزم سبق الجهل هذا ما عليه

أمراً وعلماً والرضى كما ثبت

وعلمه ولا انفعال كما يثبت

السنوسي ومن تبعه وهو الصحيح وجعل بعضهم له ثلاث تعلقات تنجيزي قديم
بالنسبة لذات الله وصفاته وصلوحي قديم بالنسبة لغيره تعالى قبل وجوده فان
العلم صالح لان يتعلق بوجوده ولم يتعلق بوجوده بالفعل لان علم وجود الشئ قبل
وجوده جهل نعم علمه بأنه سيكون تنجيزي قديم واما قول الاولين لو كان له
تعلق صلوحي لزم الجهل لان الصالح لان يعلم ليس بعالم فجوابه ان ثبوت الوجود
لزيد بالفعل لا يصلح ان يكون معلوما قبل وجوده بالفعل وعدم تعلق العلم
بشئ لا يصلح ان يكون معلوما لا يعد جهلا كما ان عدم تعلق القدرة بالمستحيل
لا يعد عجزا وتعلق تنجيزي حادث بالنسبة لغيره تعالى بعد وجوده بالفعل
لكن الحق انه ليس له الا تعلق تنجيزي قديم فيعلم المولى الاشياء ازلا اجمالا
وتفصيلا ويعلم الكليات والجزئيات وكفرت الفلاسفة حيث انكروا علمه تعالى بالجزئيات
كما كفرت بانكار حدوث العالم وحشر الاجساد فقد كفرت بثلاثة اشيا كما قال
بعضهم بثلاثة كفر الفلاسفة العدا اذ انكروها وهي حق مثبتة علم بجزئي حدوث عوالم
حشر لاجساد وكانت ميتة ويعلم سبحانه وتعالى ما لا نهاية له ككمالاته وانفاس
اهل الجنة فيعلمها تفصيلا ويعلم انه لا نهاية لها وتوقف التفصيل على التناهي
انما هو بحسب عقولنا ودخل في ذلك علمه فيعلم بعلمه ان له علما والتعريف الذي ذكرناه
اولى من التعريف الذي ذكره الش وغيره وهو قوله صفة ازلية قائمة بذاته تعالى تنكشف
بها المعلومات عند تعلقها بها لان هذا التعريف معترض من وجوه منها ان قوله
تنكشف يقتضي سبق الجهل لان الانكشاف ظهور الشئ بعد الخفاء ومنها
ان المعلومات جمع معلوم وهو مشتق من العلم والمشتق متوقف على المشتق منه
كما ان العلم متوقف على معرفة المعلوم لانه اخذ في تعريفه فكل منهما متوقف على
الآخر فجاء الدور ومنها ان قوله المعلومات يقتضي انها منكشفة قبل الانكشاف
فيلزم تحصيل الحاصل واجيب عن الاول بان المراد بالانكشاف هنا ظهور الشئ
من غير سبق خفاء وعن الثاني بان المشتق منه هو العلم الذي هو المصدر والمعرف
العلم بمعنى الصفة وبان الجهة منفكة لان توقف العلم على المعلوم من حيث
المعرفة وتوقف المعلوم على العلم من حيث الاشتقاق وعن الثالث بان المراد
بالمعلومات الامور من غير نظر لوقوع العلم عليها وبه يندفع الدور ايضا وبان
المراد بالمعلومات ما من شأنها ان تعلم وكان الاولى حذف قوله عند تعلقها بها
لانه يقتضي ان العلم تارة يتعلق بالمعلومات وتارة لا يتعلق بها وليس كذلك
لان علم الله متعلق بالمعلومات ازلا وابدا والدليل على وجوب العلم له تعالى

ان

ان تقول الله فاعل فعلا متقنا محكما بالقصد والاختيار وكل من كان كذلك
يجب له العلم فالله يجب له العلم فان قيل ان هذا الدليل انما يفيد علمه بالجائزات
فقط فما الدليل على علمه بالواجبات والمستحيلات اجيب بان دليل ذلك دليل
عدم افتقاره للمخصص لانه لو لم يعلم بالواجبات والمستحيلات لكان محتاجا لمن
يكمله فيلزم ان يكون حادثا فيفتقر للمخصص ولا يقال مكتسب اي
ولا يجوز شرعا ولا عقلا ان يطلق على علمه انه مكتسب وهذا ربما يوهم ان النهي
عن القول والاطلاق مع صحة المعنى وليس كذلك ولعل تفسير القول بالاعتقاد
هنا احسن وعليه فالمعنى ولا يجوز ان نعتقد ان علمه مكتسب لاستحالته لان الكسبي
عرفا هو العلم الحاصل عن النظر والاستدلال فاذا اقمت دليلا على حدوث العالم
بأن قلت العالم متغير وكل متغير حادث ينتج العالم حادث فالعلم بحدوث العالم
حاصل عن نظر واستدلال فهو كسبي وقيل الكسبي هو ما تعلقت به القدرة
الحادثة وعلى هذا التعريف فيشمل العلم الضروري الحاصل بالحواس كالعلم الحاصل
بالابصار او بالشم بخلافه على التعريف الاول وعلى كل من التعريفين لا يقال
لعلم الله كسبي لانه يلزم منه قيام الحوادث بذاته تعالى ويلزم منه ايضا سبق الجهل
في حقه تعالى وهو محال وما ورد مما يوهم اكتساب علمه تعالى كقوله جل من قائل
ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى مؤول على ان المراد والله اعلم ليظهر لهم متعلق
علمنا او ان المراد نعلم مفتوح النون واللام نعلم مضموم النون ومكسور اللام كما
قاله الشيخ الملوي ومما لا يقال انه من باب تنزيل المتكلم منزلة من لم يعلم وان
ذكره في اليواقيت عن ابن العربي ولا ظنه الا مدسوسا على الشيخ فان قيل ظاهر
الآية التعليل مع ان افعال الله لا تعلل اجيب بجعل لامه للعاقبة والفائدة
فالآية اوهمت ان علمه مكتسب وقد علمت جوابه واوهمت تعليل فعله وقد علمت
جوابه فالكلام في مقامين وان اوهم كلام الش خلافه واعلم انه كما لا يقال
علمه مكتسب لا يقال علمه ضروري ولا نظري ولا بديهي اما الضروري فهو وان كان
يطلق على ما لا يتوقف على نظر واستدلال وهو صحيح في حقه تعالى لكن يطلق
ايضا على مقارنته الضرورة فيمتنع ان يقال علمه ضروري خوفا من توهم هذا المعنى
واما النظري فهو ما توقف على النظر والاستدلال فهو مرادف للكسبي على تعريفه
الاول فيمتنع ان يقال علمه نظري لاستلزامه الحدوث كما مر في الكسبي واما
البديهي فهو وان كان يطلق على ما لا يتوقف على نظر واستدلال فيكون مرادفا للضروري
على احد معنييه لكن يطلق ايضا على العلم الحاصل للنفس بغتة يقال بدء النفس الامر

فاتبع سبيل الحق واطرح الريب

اذا اتاها بغتة فيمتنع ان يقال علمه بديهي لايهامه هذا المعنى   فاتبع سبيل
الحق اى اذا علمت وجوب القدرة والارادة والعلم له تعالى فاتبع طريقا هو الحق
وهو الحكم المطابق للواقع فالفاء فاء الفصيحة والسبيل بمعنى الطريق واضافته للحق
للبيان ويصح ان يكون فى الكلام حذف مضاف والتقدير سبيل اهل الحق اى طريقتهم
والمراد به معتقد اهل السنة من وجوب صفات المعانى له تعالى وقوله واطرح
الريب اى والق عنك الشبه فالريب جمع ريبة بمعنى الشبهة التى لم تعلم صحتها ولا
فسادها وهذا بحسب الاصل والا فالقصد هنا الرد على المعتزلة النافين لصفات
المعانى لئلا يلزم تعدد القدماء وهذه شبهة فاسدة لانه لا يضر الا تعدد ذوات القدماء
لا تعدد الصفات مع اتحاد الذات ويصح ان يكون فى الكلام حذف مضافين
والتقدير واطرح سبيل اهل الريب والشكوك النافين لصفات المعانى لانهم
يقولون قادر بذاته مريد بذاته وهكذا وهو هذيان لانه لا يعقل قادر بلا قدرة
ومريد بلا ارادة وهكذا   حياة معطوف على الوجود بحذف حرف العطف وما
صنعه الشارح حل معنى كما تقدم وقد عرف الشيخ السنوسى الحياة بتعريف يشمل
الحياة القديمة والحادثة حيث قال هى صفة تصحح لمن قامت به الادراك اى تصحح
لمن قامت به ان يتصف بصفات الادراك ولا يضره الجمع بين حقيقتين
مختلفتين بالقدم والحدوث لانه رسم لا حد وعرف بعضهم كلا منهما بتعريف
يخصه فعرف الحياة القديمة بقوله صفة ازلية تقتضى صحة العلم اى تقتضى
صحة الاتصاف به وكما تقتضى صحة الاتصاف بالعلم تقتضى صحة الاتصاف
بغيره من الصفات الواجبة وانما اقتصر على العلم لانه شرط فى غيره وشرط الشرط
شرط والحم لفظة صحة لان الحياة لا تستلزم العلم بالفعل لكن العلم واجب
فى حقه تعالى للدليل السابق واما فى حقنا فقد ينتفى العلم مع وجود الحياة كما فى
المجنون فانه حى مع انتفاء العلم عنه وعرف الحياة الحادثة بقوله هى كيفية يلزمها
قبول الحس والحركة الارادية اى عرض يلزمه قبول الاحساس وقبول الحركة
الارادية بخلاف الحركة الاضطرارية كحركة الحجر بحركة محركه وحياة الله لذاته ليست بروح
وحياتنا ليست لذاتنا بل بسبب روح ودليل وجوب الحياة له تعالى ان تقول
ان الله متصف بالقدرة والارادة والعلم وكل من كان كذلك تجب له الحياة فالله
تجب له الحياة   كذا الكلام كذا خبر مقدم والكلام مبتدأ مؤخر والمعنى الكلام
مثل ذا اى ما تقدم من الصفات والتشبيه ليس من كل وجه بل فى مطلق الوجوب
لله تعالى وان خالفها فى الدليل لان دليلها عقلى اما وحده واما مع النقلى على وجه

حياة كذا الكلام لا التشبيه

التأكيد ودليله نقلى اما وحده او مع العقل على وجه التأكيد فالمعول عليه فيه
الدليل السمعى كما سيذكره بقوله بذى اتانا السمع وقد اختلف اهل الملل والمذاهب فى
معنى كلامه تعالى فقال اهل السنة صفة ازلية قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت
منزهة عن التقدم والتأخر والاعراب والبناء ومنزهة عن السكوت النفسى بأن
لا يدبر فى نفسه الكلام مع القدرة عليه ومنزهة عن الآفة الباطنية بأن لا يقدر
على ذلك كما فى حال الخرس والطفولية وقالت الحشوية وطائفة سموا انفسهم
بالحنابلة كلامه تعالى هو الحروف والاصوات المتوالية المترتبة وزعموا انها قديمة
وتغالى بعضهم حتى زعم قدم هذه الحروف التى نقرؤها والرسوم بل تجاوز جهل بعضهم
لغلاف المصحف وقال المعتزلة كلامه هو الحروف والاصوات الحادثة وهى غير
قائمة بذاته فمعنى كونه متكلما عندهم انه خالق للكلام فى بعض الاجسام لزعمهم
ان الكلام لا يكون الا بحروف واصوات وهو مردود بان الكلام النفسى ثابت
لغة كما فى قول الاخطل   ان الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا
وكلامه تعالى صفة واحدة لا تعدد فيها لكن لها اقسام اعتبارية فمن حيث تعلقه بطلب
فعل الصلاة مثلا امر ومن حيث تعلقه بطلب ترك الزنا مثلا نهى ومن حيث
تعلقه بأن فرعون فعل كذا مثلا خبر ومن حيث تعلقه بأن الطائع له الجنة
وعد ومن حيث تعلقه بأن العاصى يدخل النار وعيد الى غير ذلك وتعلقه بالنسبة
لغير الامر والنهى تعلق تنجيزى قديم واما بالنسبة للامر والنهى فان لم يشترط فيهما
وجود المأمور والمنهى فكذلك وان اشترط فيهما ذلك كان التعلق فيهما صلوحيا
قبل وجود المأمور والمنهى وتنجيزيا حادثا بعد وجودهما واعلم ان كلام الله يطلق
على الكلام النفسى القديم بمعنى انه صفة قائمة بذاته تعالى وعلى الكلام اللفظى
بمعنى انه خلقه وليس لاحد فى اصل تركيبه كسب وعلى هذا المعنى يحمل قول السيدة
عائشة ما بين دفتى المصحف كلام الله تعالى والاطلاق عليهما قيل بالاشتراك وقيل
حقيقى فى النفسى مجاز فى اللفظى وعلى كل من انكر ان ما بين دفتى المصحف كلام
الله فقد كفر الا ان يريد انه ليس هو الصفة القائمة بذاته تعالى ومع كون اللفظ
الذى نقرؤه حادثا لا يجوز ان يقال القرآن حادث الا فى مقام التعليم لانه يطلق
على الصفة القائمة بذاته ايضا لكن مجازا على الارجح فربما يتوهم من الاطلاق ان القرآن
حادث ان الصفة القائمة بذاته حادثة ولذلك ضرب الامام احمد بن حنبل وحبس
على ان يقول بخلق القرآن فلم يرض وقال السنوسى وغيره من المتقدمين ان
الالفاظ التى نقرؤها تدل على الكلام القديم وهذا خلاف التحقيق لان بعض مدلوله

قديم كما فى قوله تعالى الله لا اله الا هو الحى القيوم وبعض مدلوله حادث كما فى قوله تعالى
ان قارون كان من قوم موسى والتحقيق ان هذه الالفاظ تدل على بعض مدلول
الكلام القديم لانه يدل على جميع الواجبات والجائزات والمستحيلات فالالفاظ
التى نقرؤها تدل على بعض هذا المدلول فلو كشف عنا الحجاب وفهمنا من الكلام
القديم طلب اقامة الصلاة مثلا نفهم ذلك من قوله تعالى اقيموا الصلاة ويصح
ان يكون المراد ان الكلام اللفظى يدل على الكلام النفسى دلالة عقلية التزامية
بحسب العرف فان من اضيف له كلام لفظى دل عرفا على ان له كلاما نفسيا وقد اضيف
له تعالى كلام لفظى كالقرآن فانه كلام الله قطعا بمعنى انه خلقه فى اللوح المحفوظ فدل
التزاما بحسب العرف على ان له تعالى كلاما نفسيا وهذا هو المراد بقولهم القرآن
حادث ومدلوله قديم فارادوا بمدلوله الكلام النفسى وتكفى الاضافة الاجمالية
وان لم يكن اللفظ قائما بالذات وفهم القرافى ان المراد المدلول الوضعى فقال منه
قديم وهو ذات الله وصفاته وحادث كخلق السموات ومستحيل كاتخذ الرحمن ولدا كما
بسطه العلامة الملوى والحاصل ان للالفاظ الذى نقرؤها دلالتين اولاهما التزامية
عقلية عرفا كدلالة اللفظ على حياة اللافظ والمدلول لهذه الدلالة هو الكلام القديم
وهذا محمل كلام السنوسى ومن تبعه وثانيتهما وضعية لفظية والمدلول بهذه الدلالة
بعضه قديم وبعضه حادث وهذا محمل كلام القرافى وغيره فلا تنافى بين القولين
كما يصرح به بعض حواشى الكبرى والله اعلم السمع معطوف على الكلام بحذف حرف
العطف اى وكذا السمع فهو مثل ما ذكر فى وجوب اتصافه تعالى به وهو صفة
ازلية قائمة بذاته تتعلق بالموجودات الاصوات وغيرها كالذوات كما سيأتى فى قوله
وكل موجود اناط للسمع به وهذه طريقة السنوسى ومن تبعه وقال السعد تتعلق
بالمسموعات فيحتمل ان مراده بالمسموعات فى حقنا وهى الاصوات فيكون مخالفا
لطريقة السنوسى ومن تبعه ويحتمل ان مراده المسموعات فى حقه تعالى وهى الموجودات
الاصوات وغيرها فيكون موافقا لطريقة السنوسى فيسمع سبحانه وتعالى كلا
من الاصوات والذوات بمعنى ان كلا منهما منكشف لله بسمعه ويجب اعتقاد ان
الانكشاف بالسمع غير الانكشاف بالبصر وان كلا منهما غير الانكشاف بالعلم
ولكل حقيقة يفوض علمها الى الله تعالى وليس الامر على ما نعهد من ان البصر يفيد
بالمشاهدة وضوحا فوق العلم بل جميع صفاته تامة كاملة يستحيل عليه الخفاء
والزيادة والنقص الى غير ذلك وما ذكر من التعريف للسمع القديم واما السمع الحادث
فهو قوة مودوعة فى العصب المفروش فى مقعر الصماخ تدرك بها الاصوات على وجه العادة

وقد

وقد يدرك بها غير الاصوات فقد سمع سيدنا موسى كلام الله القديم وهو
ليس بحرف ولا بصوت ثم البصر معطوف على الكلام وثم بمعنى الواو
لان صفاته تعالى لا ترتيب فيها فالمعنى وكذا البصر فهو مثل ما ذكر فى وجوب
اتصافه تعالى به وهو صفة ازلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالموجودات الذوات
وغيرها كما يعلم من قوله فيما يأتى كذا البصر كما هو طريقة السنوسى ومن تبعه
وقال السعد تتعلق بالمبصرات فيحتمل ان مراده المبصرات فى حقنا وهى الذوات
والالوان فيكون مخالفا لطريقة السنوسى ومن تبعه ويحتمل ان مراده المبصرات
فى حقه تعالى وهى الموجودات وغيرها فيكون موافقا لطريقة السنوسى الذوات
فيبصر سبحانه وتعالى جميع الموجودات حتى الاصوات ولو خفية جدا كدبيب
النملة السوداء فى الليل المظلم بمعنى ان ذلك منكشف لله ببصره وما ذكر من
التعريف للبصر القديم واما البصر الحادث فهو قوة مخلوقة فى العصبتين
المجوفتين المتلاقيتين تلاقيا صليبيا هكذا X او المتلاقيتين تلاقى الذين
ظهر احدهما فى ظهر الاخرى هكذا ٧ د تدرك بها الاضواء والالوان
والاشكال وغير ذلك مما يخلق الله ادراكه فى النفس بذى اتانا السمع
اى بهذه الصفات الثلاثة التى هى الكلام والسمع والبصر اتانا المسموع
اى الدليل السمعى فالسمع بمعنى المسموع وهو الدليل السمعى وليس المراد ان
السمع ورد بنفس الصفات لانه خلاف الواقع بل المراد انه ورد بمشتقاتها
قال الله تعالى وكلم الله موسى تكليما اى ازال عنه الحجاب واسمعه الكلام
القديم ثم اعاد الحجاب وليس المراد انه تعالى يبتدأ كلاما ثم يسكت لانه
لم يزل متكلما دائما وابدا خلافا للمعتزلة فى قولهم بان المعنى انه تعالى خلق
الكلام فى شجرة واسمعه موسى ويرد كلامهم بان الاصل فى الاطلاق الحقيقة
وما رواه القضاعى من ان الله ناجى موسى بمائة الف واربعين الف كلمة معناه
انه فهم معانى يعبر عنها بهذه العدة لا التبعيض فى نفس الكلام وورد
ان موسى عليه الصلاة والسلام كان يسد اذنيه عند قدومه من المناجاة
لئلا يسمع كلام الخلق لكونه لا يستطيع سماعه لانه صار عنده كاشد ما
يكون من اصوات البهائم المنكرة بسبب ما ذاق من اللذة التى لا يحاط
بها عند سماع كلام من ليس كمثله شئ وقد اشرق وجهه من النور فما
رآه احد الا عمى فتبرقع وبقى البرقع على وجهه الى ان مات واكثر ما اشتهر
فى المناجاة كذب لا يليق بسيدنا موسى وقال تعالى وهو السميع البصير

بذى اتانا السمع

وقد ورد فى الحديث اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم وفى رواية اعمى ولا غائباً انما تدعون سميعاً بصيراً وقوله اربعوا على انفسكم اى شفقوا على انفسكم فهو من معنى قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد اجمع اهل الملل والأديان على انه تعالى متكلم وسميع وبصير فان قيل المدعى ان له تعالى صفتين من صفات المعانى وهما السمع والبصر ومما فى الآية والحديث وانعقد عليه الاجماع انه تعالى سميع بصير وهو غير المدعى اجيب بأن اهل اللغة لا يفهمون من سميع وبصير الا ذاتا ثبت لها السمع والبصر لأن اطلاق المشتق وصفا لشئ يقتضى ثبوت مأخذ الاشتقاق له فثبت المدعى بالآية والحديث والاجماع مع اعتبار ما يفهمه اهل اللغة ولا يخفى انه لا ايطاء فى كلام الناظم بل فيه الجناس التام لأن السمع الأول بمعنى الصفة القديمة والسمع الثانى بمعنى الدليل السمعى على ان هذه الارجوزة ليست من مشطور الرجز بل من كامله وح فلا ايطا اصلا

فهل له الخ التعبير بواو الاستئناف اوضح من التعبير بالفاء لأن هذا لا يتفرع على ما قبله ويمكن جعل الفاء للاستئناف ويصح جعلها فاء الفصيحة فتكون فى جواب شرط مقدر والتقدير اذا اردت تحقيق مسئلة الادراك فأقول لك هل له الخ وحاصل ما ذكره الناظم انه قيل بثبوتها وقيل بانتفائها وقيل بالوقف فهى اقوال ثلاثة وقد اختلف ايض فى صفة التكوين وهى صفة واحدة فاثبتها الماتريدية وعليه فهى صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يوجد بها ويعدم بها وهى صفة واحدة لكن ان تعلقت بالوجود تسمى ايجاداً وان تعلقت بالعدم تسمى اعداماً وان تعلقت بالحياة تسمى احياء وهكذا فصفات الأفعال عندهم قديمة لأنها هى صفة التكوين وهى قديمة وذهب بعضهم الى انها كلها صفات متعددة وفيه تكثير للقدما جداً ونفاها الأشاعرة وجعلوا صفات الأفعال هى تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة فان قيل على طريقة الماتريدية ما وظيفة القدرة عندهم اجيب بان وظيفتها تهيئة الممكن بحيث تجعله قابلا للوجود والعدم ورد بأن قبوله لذلك ذاتى له واجيب بان الذاتى انما هو القبول الامكانى بخلاف القبول الاستعدادى القريب من الفعل

ادراك هو فى حق الحادث تصور حقيقة الشئ المدرك بفتح الراء على صيغة اسم المفعول عند المدرك بكسرها على صورة اسم الفاعل واما فى حقه تعالى على القول به فهو صفة قديمة قائمة بذاته تسمى الادراك يدرك بها الملموسات كالنعومة والخشونة والمشمومات كالرائحة الطيبة والمذوقات كالحلاوة

من

فهل له ادراك او لا خلف

من غير اتصال بمحالها التى هى الاجسام ولا تكيف بكيفياتها لان ذلك انما هو عادى وقد ينفك وقيل يدرك بها كل موجود والذى صرح به بعض المتأخرين انها صفة واحدة لكن الواقع فى كتب الكلام انها ثلاث صفات ادراك الملموسات وادراك المشمومات وادراك المذوقات واستدل القائلون باثباتها وهم القاضى الباقلانى وامام الحرمين ومن وافقهما بأنها كمال وكل كمال واجب لله ولأنه لو لم يتصف بها لاتصف بضدها وهو نقص والنقص عليه تعالى محال فوجب ان يتصف بها على ما يليق به من غير اتصال بالاجسام ومن غير وصول اللذات والآلام له تعالى وقوله او لا اى او ليس له ادراك اى صفة تسمى الادراك كما ذهب اليه جمع واستدلوا على ذلك بأنه لو اتصف تعالى بها لزم الاتصال بمحالها تلازما عقليا فلا يتصور انفكاكه واللازم مستحيل فى حقه تعالى واستحالة اللازم وهو الاتصال توجب استحالة الملزوم وهو اتصافه تعالى بها لكن القائل الأول لا يسلم ان بين الاتصاف بها والاتصال بمحالها تلازماً عقليا لما تقدم من انه يجعله عاديا ويقبل الانفكاك ودعوى انه تعالى لو لم يتصف بها لاتصف بضدها فاسدة لمنافاة العلم الواجب له تعالى لذلك الضد لأن علمه تعالى محيط بمتعلقاتها فهو كاف عنها حيث لم يرد سمع ولا دل عليها فعله تعالى كخلق العالم لأنه لا يتوقف عليها وقوله خلف اى فى جواب ذلك اختلاف فهو مبتدا خبره محذوف وهذا الاختلاف مبنى على الاختلاف فى دليل الصفات الثلاثة السابقة التى هى الكلام والسمع والبصر فمن اثبتها بالدليل العقلى وهو انها صفات كمال فلو لم يتصف بها لاتصف باضدادها وهى نقائص والنقص عليه تعالى محال اثبت هذه الصفة التى هى صفة الادراك ومن اثبتها بالدليل السمعى المتقدم نفى الصفة المذكورة لأنه لم يرد بها سمع

وعند قوم صح فيه الوقف

وعند قوم صح فيه الوقف اى وصح التوقف عن القول باثبات الادراك ونفيه عند قوم من المتكلمين كالمقترح وابن التلمسانى وبعض المتأخرين لتعارض الأدلة فهولاء القوم لا يجزمون بثبوت الادراك كأهل القول الأول ولا يجزمون بنفيه كأهل القول الثانى وهذا القول اسلم واصح من القولين الاولين وكما اختلف فى الادراك اختلف فى الكون مدركا والاصح الوقف عن ذلك

حى عليم قادر مريد

حى لا يصح ان يكون معطوفا على الوجود بحذف حرف العطف لأنه يخل المعنى وواجب له حى وهذا فاسد لان الله هو الحى فتعين ان يكون خبر المبتدا محذوف مقرون بالفاء والتقدير وحيث وجبت له الحياة فهو حى

والذى ذكره المص فى شرحه انه اراد مجرد بيان الاسما المأخوذة مما سبق لبيان
وجوب قيام الصفة بالموصوف ردا على بعض فرق الضلال حيث قالوا بعدم
قيام بعضها بالموصوف كالكلام والارادة ولم يرد بيان الصفات المعنوية
ولذا لم يقل كونه حيا لأن عد الصفات المعنوية انما تمشى على قول مثبت
الأحوال جمع حال وهى صفة لا موجودة ولا معدومة بل واسطة بين الموجود
والمعدوم وعليه جرى السنوسى فى الصغرى حيث قال وكونه قادرا الخ والمختار
عند المحققين انه لا حال وان الحال محال فعلى القول بثبوت الاحوال
تكون الأمور اربعة اقسام موجودات وهى التى وجدت فى الخارج بحيث ترى
ومعدومات وهى التى ليس لها ثبوت اصلا واحوال وهى التى لها ثبوت لكن لم
تصل الى درجة الموجود حتى ترى ولم تنحط الى درجة المعدوم حتى تكون عدما
محضا واموراعتبارياث وهى قسمان امورا عتبارية انتزاعية كقيام زيد
فهو امر اعتبارى انتزاعى لأنه انتزع من الهيئة الثابتة فى الخارج وامور
اعتبارية اختراعية كبحر من زيبق فهو امر اعتبارى اختراعى لانه اخترعه
المشخص والقسم الأول لا يتوقف على اعتبار المعتبر وفرض الفارض
والقسم الثانى يتوقف على ذلك وعلى القول بنفى الاحوال تكون الأمور
ثلاثة موجودات ومعدومات وامورا عتبارية بقسميها وهذه الطريقة
هى الراجحة ومعنى انكار المعنوية انكار زيادتها على المعانى بحيث تكون
واسطة بين الموجود والمعدوم لا انكار كونه قادرا مثلا من اصله لأنه
مجمع عليه فليس فيه خلاف انما الخلاف فى زيادته على المعانى فالحاصل
انهم اتفقوا على الكون قادرا مثلا لكن على القول بثبوت الاحوال تكون واسطة
بين الموجود والمعدوم لازمة للقدرة وعلى القول بنفى الأحوال تكون عبارة
عن قيام القدرة بالذات فيكون امرا اعتباريا وهذا كله عند اهل السنة
واما عند المعتزلة فهى كناية عن القادرية اى كونه قادرا بذاته وكذا يقال
فى الباقى فهم وان انكروا المعانى لم ينكروا القادرية والعالمية وغيرهما فيقولون
قادر بذاته وعالم بذاته الى غير ذلك ولذلك يقولون من انكر المعانى لا يكفر
الا اذا اثبت ضدها ومن انكر المعنوية بمعنى القادرية ونحوها كفر
لأنه يلزم من انكار القادرية اثبات الضد واما انكار المعنوية بمعنى الأحوال
فهو الحق وحيث علمت ان المص صرح بأنه اراد مجرد بيان الأسماء ولم يرد
بيان الصفات المعنوية علمت ان حمله على بيان المعنوية ليس على ما ينبغى

وان

وان ذكره الشيخ عبد السلام وغيره خصوصا وقد عبر بالحى الخ ولم يعبر بكونه
حيا الخ وقد قالوا صاحب البيت ادرى بالذى فيه وحقيقة الحى الذى له
الحياة الحقيقية هو الذى تكون حياته لذاته وليس ذلك لأحد من الخلق
فليست حياتهم لذاتهم   عليم اى وحيث وجب له العلم فهو عليم فهو
خبر لمبتدا محذوف مقرون بالفاء كما تقدم وعليم بمعنى عالم وهو الذى علمه
شامل لكل ما من شأنه ان يعلم فصيغة المبالغة باعتبار الكثرة فى المتعلق
وان كانت صفة العلم واحدة لا تكثر فيها وقوله قادر اى وحيث وجبت له
القدرة فهو قادر فهو خبر لمبتدا محذوف مقرون بالفاء كما مر والقادر
وهو الذى ان شاء فعل وان شاء ترك فهو متمكن من الفعل والترك فيصدر
عنه كل من الفعل والترك باختياره تعالى بحسب مصالح الخلق المترتبة على
ذلك وقوله مريد اى وحيث وجبت له الارادة فهو مريد وهو الذى تتوجه
ارادته الى المعدوم فتخصصه بالوجود بدلا عن العدم مثلا وقوله سمع
بحذف الياء مع تسكين العين للضرورة اى وحيث وجب له السمع فهو سميع
وقوله بصير اى وحيث وجب له البصر فهو بصير والسميع هو الذى يسمع
كل موجود والبصير هو الذى يبصر الأشياء فيحيط بالمسموعات والمبصرات
من غير ان يشغله شأن عن شأن   ما يشا يريد بقصر يشا للوزن اى الذى
يشاؤه يريده واشار المص بذلك الى اختيار مذهب الجمهور من اتحاد المشيئة
والارادة خلافا للكرامية حيث زعموا ان المشيئة صفة واحدة ازلية
تتناول ما يشاؤه الله بها والارادة حادثة متعددة المرادات كما قاله
فى شرحه الصغير ومراداته تعالى هى شؤونه فى خلقه وحكى ان ابن الشجرى
كان يقرر فى درسه قوله تعالى كل يوم هو فى شأن فسأله سائل وقال له
ما شأن ربك الآن فاطرق رأسه وقام متحيرا فنام فرأى النبى صلى الله عليه
وسلم فسأله عن ذلك فقال له صلى الله عليه وسلم السائل لك الخضر فاذا
اتاك وسألك فقل له شؤون يبديها ولا يبتديها يخفض اقواما ويرفع
آخرين فلما اصبح اتاه وسأله فأجابه بما ذكر فقال صل على من علمك وسمع
مسرعا ومعنى شؤون يبديها ولا يبتديها احوال يظهرها للناس ولا يبتديها
علما لأنه تعالى يعلم الأشياء ازلا خلافا لمن قال لا امر انفلى بستأنف الله
الأشياء علما وقد انقرض هؤلاء الجماعة من قبل الامام الشافعى وهم كفار
لأنهم انكروا القدرة   متكلم بسكون التاء للوزن اى وحيث وجب

سميع بصير ما يشا يريد

متكلم ثم صفات الذات

له الكلام فهو متكلم ولا خلاف لأرباب المذاهب والملل فى انه تعالى متكلم
وانما الخلاف فى معنى كلامه وقد تقدم معناه وقد اختلفوا فى قدمه وقد تقدم
بيانه ايضا وسيأتى بيانه فى قوله ونزه القرآن اى كلامه عن الحدوث
واحذر انتقامه ثم صفات الذات الخ ثم للاستئناف ويحتمل ان تكون
للترتيب فى الذكر والاخبار والمعنى بعد ان اخبرتك بما تقدم اخبرك بان صفات
الذات الخ والغرض الأصلى من ذلك بيان حكم صفات الذات وهو انها
ليست بعين الذات ولا بغير الذات فان قيل الشئ اما ان يكون غيرا
واما ان يكون عينا فلا يعقل قولهم ليست بغير الذات ولا بعين الذات
اجيب بان نفى العينية ظاهر اذ من المعلوم ان حقيقة الذات غير حقيقة
الصفات والا لزم اتحاد الصفات والموصوف وهو لا يعقل واما نفى الغيرية
فالمراد به نفى الغير المصطلح عليه وهو الغير المنفك لا مطلق الغير فالمعنى
انها ليست بعين الذات ولا بغير الذات غيرا منفكا فلا ينافى ان حقيقتها غير
حقيقة الذات لكنها ليست منفكة عن الذات وقال بعضهم انها غير الذات
نظرا لذلك وان لم تنفك قال الشمس السمرقندى وهو خلاف لفظى لان القول
بانها ليست بغير محمول على نفى الغير المنفك وان كانت غيرا فى المفهوم والقول
بانها غير محمول على الغير فى المفهوم وان لم تنفك وتكون الصفات ليست غيرا
بالمعنى المتقدم وقع التسامح باضافة قدما للذات اليها نحو تواضع كل شئ لقدرته
والمراد تواضع كل شئ لذاته لأجل قدرته والا فعبادة مجرد الصفات كفر
وعبادة مجرد الذات فسق فالمستقيم عبادة الذات المتصفة بالصفات
وخرج باضافة صفات للذات الصفات السلبية فانها غير بمعنى انها ليست قائمة
به لانها امور عدمية وصفات الافعال كالاحياء والاماتة فانها غير ايضا
بمعنى انها منفكة لانها هى تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة والصفة النفسية
وهى الوجود لانها عين الموجود على كلام الأشعرى وقد تقدم ان التحقيق
تأويله على معنى انه ليس زائدا على الذات بحيث يرى فلا ينافى انه امر اعتبارى
اوغير الموجود على كلام غير الأشعرى ليست بغير بلا تنوين لفظ غير
لاضافته تقديرا الى مثل ما اضيف اليه عين والتقدير ليست بغير الذات
وقد عرفت ان المراد ليست بغير منفك فلا ينافى انها غير ملازم واشار المص
بذلك الى الجواب عن الشبهة التى اوردها المعتزلة النافون لصفات المعانى
وتقريرها ان تقول الصفات الوجودية اما ان تكون حادثة فيلزم قيام الحوادث

ليست بغير او بعين الذات

بذاته

بذاته تعالى واما ان تكون قديمة فيلزم تعدد القدماء وهو كفر باجماع المسلمين
وقد كفرت النصارى بزيادة قديمين على الذات العلية فكفروا باثبات آلهة
ثلاثة كما قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة واذا كفرت النصارى
باثبات آلهة ثلاثة فكيف بالأكثر وهو ثمانية قدماء الذات والصفات السبع
او تسع بزيادة التكوين او عشر بزيادة الادراك فيلزم على اثبات ذلك
الكفر من باب أولى وهذا توسيع فى الدائرة لأن أهل السنة معترفون بقدم
الصفات وحاصل الجواب كما اشار اليه العلامة السعد ان المحظور المبطل
للتوحيد انما هو تعدد القدماء المتغايرة المنفكة بحيث تكون ذوات مستقلة وليست
الصفات مغايرة للذات بهذا المعنى فلم يلزم التعدد المبطل للتوحيد حتى يلزم
الكفر فنفى الغيرية هو الذى اشير به للجواب عن الشبهة المذكورة ولا مدخل لنفى
العينية فى الجواب لكنه تكميل للفائدة على ان الغرض الأصلى كما علمت بيان حكم
الصفات وهو انها ليست بغير الذات ولا بعين الذات ولم يذكر المص مغايرة
بعض الصفات لبعض لظهور ذلك وقوله او بعين الذات اى وليست الصفات
عين الذات فأو بمعنى الواو لأن القاعدة انها تكون بمعنى الواو بعد النفى واعلم
ان وجوب صفات المعانى ذاتى لها مثل وجوب الذات كما هو الحق الذى عليه
السنوسى ومن تبعه وليست ممكنة لذاتها واجبة لغيرها بسبب اقتضاء الذات لها
كما قاله العضد وهذه نزغة من نزغات العضد وسرت له هذه النزغة من كلام
الفلاسفة فانهم يقولون ان العالم ممكن لذاته قديم لغيره بسبب كونه معلولا
لعلة قديمة وهى ذاته تعالى وما كان معلولا لعلة قديمة فهو قديم وهذا
كلام باطل وكلام السعد فى موضع يوافق كلام العضد وفى موضع آخر يوافق
كلام السنوسى وهو الذى يليق الله عليه فقدرة الخ اى اذا اردت
معرفة تعلقات الصفات فاقول لك قدرة الخ فالفاء فاء الفصيحة والمطوى
ذيل مباحث الصفات شرع فى نشر ما لها من التعلقات والذى اعتمده المحققون
ان التعلق للمعانى فقط وقال بعض المتكلمين للمعنوية ولم يقل احد بان
التعلق للمعانى والمعنوية معا والا لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد فى القدرة
والكون قادرا والارادة والكون مريدا ولزم تحصيل الحاصل فى العلم وكونه
عالما وهكذا الباقى وعرفوا التعلق بانه طلب الصفة امرا زائدا على الذات
يصلح لها واعلم ان صفات المعانى من حيث التعلق وعدمه ومن حيث عموم
التعلق للواجبات والجائزات والمستحيلات وخصوصه بالممكنات او بالموجودات

اقسام اربعة الاول ما يتعلق بالممكنات وهو القدرة والارادة لكن تعلق
الاولى تعلق ايجاد واعدام وتعلق الثانية تعلق تخصيص والثانى ما يتعلق
بالواجبات والجائزات والمستحيلات وهو العلم والكلام لكن تعلق الاول
تعلق انكشاف وتعلق الثانى تعلق دلالة والثالث ما يتعلق بالموجودات
وهو السمع والبصر والادراك ان قيل به والرابع ما لا يتعلق بشئ وهو
الحياة وقد ذكرها المص على هذا الترتيب كماستراه ومعرفة التعلقات غير
واجبة على المكلف لانها من غوامض علم الكلام كما نقله الشيخ البراوى عن سيدى
محمد الصغير وذكره الشيخ الشنوانى بممكن تعلقت الجار والمجرور متعلق
بالفعل بعده وانما قدمه عليه لافادة الحصر فكانه قال لا تتعلق الا بممكن
اى بكل ممكن فالمراد العموم لان النكرة فى سياق الاثبات قد تعم كما فى قوله
تعالى علمت نفس ما احضرت اى كل نفس فالقدرة متعلقة بجميع الممكنات
لانه لو خرج ممكن عن تعلقها لزم منه العجز وهو محال عليه تعالى والمراد
بالممكن ما لا يجب وجوده ولا عدمه لذاته ولو وجب وجوده او عدمه لغيره
فالذى تعلق علمه تعالى بوجوده من الممكنات فهو وان كان ممكنا فى ذاته
لكن وجب وجوده لغيره كايمان من علم الله ايمانه والذى تعلق علمه تعالى
بعدم وجوده فهو وان كان ممكنا فى ذاته لكن وجب عدم وجوده لغيره
كايمان من علم الله عدم ايمانه كابى جهل لكن تعلق القدرة بالذى تعلق علم
الله بعدم وجوده تعلق صلوحى لا تنجيزى والا لانقلب العلم جهلا وهو محال
وبذلك يجمع بين القولين فالقول بانه من تعلقات القدرة محمول على انه من
متعلقاتها باعتبار التعلق الصلوحى والقول بانه ليس من متعلقات
القدرة محمول على انه ليس من متعلقاتها باعتبار التعلق التنجيزى وعلم
من ذلك ان للقدرة تعلقين تعلقا صلوحيا قديما وهو صلاحيتها فى الازل
للايجاد والاعدام فيما لا يزال وتنجيزيا حادثا وهو الايجاد والاعدام بها
بالفعل وهذا على سبيل الاجمال واما على سبيل التفصيل فلها تعلقات
سبعة وقد تقدم بيانها وخرج بالممكن الواجب والمستحيل فلا تتعلق
القدرة بهما لانها ان تعلقت بوجود الواجب لزم تحصيل الحاصل وان تعلقت
بعدمه لزم انقلاب حقيقة الواجب فان حقيقته ما لا يقبل العدم وان تعلقت
بالمستحيل فعلى العكس من ذلك بلا تناهى ما به تعلقت اى الممكن الذى
تعلقت به القدرة متلبس بعدم التناهى فمتعلقات القدرة لا تنتهى الى حد

ونهاية

بلا تناهى ما به تعلقت

ونهاية اذ منها نعيم الجنان وهو متجدد شيئا فشيئا وهكذا واما ما وجد
فى الخارج من الممكن فهو متناه لان كل ما حصره الوجود من الممكن فهو متناه
لاستحالة حوادث لا نهاية لها ويدل على عدم تناهى متعلقات القدرة قوله
تعالى والله على كل شئ قدير وقوله تعالى خلق كل شئ فقدره تقديرا اى كل
شئ ممكن فى الآيتين واعلم انه لا ايطاء فى البيت لان الصحيح انهما من كامل
الرجز على انه يصح حمل الاول على التنجيزى والثانى على الصلوحى واما كون
الاول فى حيز الاثبات والثانى فى حيز النفى فلا يلتفت اليه وان ذكره المصنف
فى شرحه ووحدة اوجب لها اى اوجب للقدرة وحدة بمعنى اعتقد
وجوبها لها فيجب ان تعتقد ان قدرة الله واحدة لان تعددها لا يقتضيه
معقول ولا منقول ولانه لو كان له تعالى قدرتان لزم اجتماع مؤثرين
على اثر واحد فالقدرة واحدة والمقدور متعدد كالحركة والسكون وغيرهما
ومثل ذى ارادة اى ومثل القدرة ارادة فاسم الاشارة عائد
للقدرة فالمعنى ان ارادة الله تعالى مثل قدرته فى الامور الثلاثة المتقدمة
التى هى تعلقها بكل ممكن وعدم تناهى متعلقاتها وايجاب الوحدة لها بلا
تفاوت بينهما فالمثلية انما هى فى هذه الثلاثة وان اختلفت جهة التعلق
فيهما فان القدرة انما تتعلق بالممكنات تعلق الايجاد والاعدام والارادة
انما تتعلق بها تعلق تخصيص فتخصص كل ممكن ببعض ما يجوز عليه من
الممكنات المتقابلات كالوجود والعدم وكونه بهذه الصفة او بصفة
اخرى وهكذا ويدل على عموم تعلق الارادة الادلة العقلية كان
يقال لو تعلقت بالبعض دون البعض للزم عليه الترجيح بلا مرجح واللازم
باطل والادلة السمعية كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له
كن فيكون والمراد من ذلك والله اعلم انه متى تعلقت ارادته وقدرته بشئ
برز حالا فهو كناية عن سرعة وجود مراده تعالى وعدم تخلفه وليس المراد
من ذلك ما هو ظاهره من انه تعالى اذا اراد شيئا يصدر منه امر للكائنات
بلفظ كن واعلم ان للارادة تعلقين تعلقا صلوحيا قديما وهو
صلاحيتها فى الازل لتخصيص الممكن بالوجود او بالعدم وبالغنى او
بالفقر وهكذا وتعلقا تنجيزيا قديما وهو تخصيص الله بها ازلا الممكن
ببعض ما يجوز عليه من الممكنات السابقة وزاد بعضهم تعلقا ثالثا وهو
تعلقها بالممكن حين وجوده بالفعل فيكون تعلقا تنجيزيا حادثا والحق ان

ووحدة اوجب لها ... والعلم ...

هذا ليس تعلق وانما هو اظهار للتعلق كما تقدم والعلم معطوف على
قوله ارادة فهو مثل القدرة ايض في الأمور الثلاثة السابقة وهو تعلقه
بالممكنات وعدم تناهي متعلقاته وايجاب الوحدة له باجماع من يعتد باجماعه
فانه لم يذهب احدٌ الى تعدد علمه تعالى بعدد المعلومات الا ابو سهل الصعلوكي
فقال بعلوم قديمة لا نهاية لها ولا يرد عليه استحالة دخول ما لا نهاية له في الوجود
لأن الدليل انما قام على هذه الاستحالة في الحوادث دون القديم وقوله لكن
عمّ ذي اي لكن عم العلم من حيث تعلقه هذه الممكنات التي اشعر بها عموم
قوله بممكن لأن المراد به العموم كما سبق ودفع المص بهذا الاستدراك ما
يوهمه تشبيه العلم بالقدرة من قصره على الممكنات كما في القدرة والارادة
وليس كذلك بل يتعلق ايض بالواجبات والمستحيلات ولا انطاء في كلامه لاختلاف
مرجع اسمي الاشارة على انها ليست من مشطور الرجز بل من تامه كما تقدم
غير مرة وقوله وعم ايض واجبا والممتنع اي ويشمل العلم من حيث تعلقه
الواجب العقلي كذاته تعالى وصفاته والممتنع العقلي كشريكه تعالى واتخاذه
ولدا او صاحبة بمعنى انه يعلم استحالة ذلك ويعلم انه لو وجد لترتب عليه من
الفساد كذا وكذا وايضا مصدر آض اذا رجع فمعناه رجوعا الى عموم العلم
فهو كما عم الممكنات عم الواجبات والممتنعات ويدل على عموم تعلقه قوله
تعالى والله بكل شئ عليم والمراد بالشئ مطلق الامر لا خصوص الموجود
والا لم يطابق المدعى وقوله تعالى عالم الغيب والشهادة اي ما غاب عنا
وما حضرنا فالمراد الغيب والشهادة بالنسبة لنا وليس للعلم الا تعلق
تنجيزي قديم فقط على التحقيق واعلم ان تعلقات القدرة والارادة
والعلم مترتبة عند اهل الحق باعتبار التعقل فقط في التعلقات القديمة
وفي الحقيقة ايض في الحادث منها مع القديم فبين تعلق القدرة الصلوحي
القديم وتعلق الارادة الصلوحي القديم والتنجيزي القديم وتعلق العلم
وهو تنجيزي قديم ترتيب في التعقل فتتعقل اولا تعلق العلم ثم تعلق الارادة
ثم تعلق القدرة فتعلق القدرة تابع لتعلق الارادة وتعلق الارادة
تابع لتعلق العلم وليس بين هذه التعلقات ترتيب في الخارج لانها قديمة
والقديم لا ترتيب فيه خارجا والا لزم ان المتأخر حادث وبين تعلق القدرة
التنجيزي الحادث وتعلق الارادة التنجيزي القديم والصلوحي القديم
وتعلق العلم وهو تنجيزي قديم كما مر ترتيب في الخارج وفي التعقل لأن
تعلق

تعلق القدرة متأخر عن هذه التعلقات القديمة ضرورة تأخر الحادث عن
القديم واما تعلق القدرة التنجيزي الحادث وتعلق الارادة التنجيزي
الحادث على القول به فبينهما ترتيب في الخارج وفي التعقل فيكون تعلق القدرة
التنجيزي الحادث متأخرا عن تعلق الارادة التنجيزي الحادث على القول به
وقيل بينهما ترتيب في التعقل فقط لأنه لا يتأخر مراد الله عن ارادته
اهـ ملخصا من حاشية الشيخ العلامة الشنواني مع الشرح للشيخ عبد السلام
فادع لي ولهما بحسن الختام ومثل ذا كلامه اي ومثل علمه تعالى كلامه
فاسم الاشارة عائد على العلم ومثل خبر مقدم وكلامه مبتدأ مؤخر والمقدر
وكلامه النفسي القديم القائم بذاته تعالى مثل العلم في الأحكام الثلاثة
وهي عموم تعلقه بالواجبات والجائزات والمستحيلات وعدم تناهي
متعلقاته وايجاب وحدته فعموم تعلقه لصلوحه للجميع والقاعدة
ان صفات المولى متى صلحت لشئ فلا بد من ثبوت الجميع لها وعدم تناهي
متعلقاته لامتناع التخصيص بشئ يتناهى لأنه ترجيح بلا مرجح
ومن متعلقاته نعيم الجنان وهو لا يتناهى بل يتجدد شيئا فشيئا
وهكذا وايجاب وحدته لأنه لم يرد السمع بالتعدد بل انعقد الاجماع
على نفي كلام ثان قديم والمثلية انما هي في الثلاثة احكام
المذكورة وان اختلفت جهة التعلق لأن تعلق العلم تعلق انكشاف
وتعلق الكلام تعلق دلالة وهو تعلق تنجيزي قديم بالنظر لغير
الامر والنهي فهو يدل ازلا على ان ذاته وصفاته تعالى واجبة
وعلى ان الشريك والصاحبة والولد مستحيلة وان ولد زيد ورزقه
وعلمه جائزة ويدل ازلا ايض على ان من اطاع فله الجنة ومن عصى فله
النار والأول وعد والثاني وعيد وهكذا واما بالنظر للامر والنهي
فعلى اشتراط وجود المأمور والمنهي يكون له تعلق صلوحي قديم
قبل وجود المأمور والمنهي وتنجيزي حادث بعده كما تقدم تحقيقه
فالتتبع بالنون او بالتاء اوله وفيه اشارة الى غموض المحل وصعوبته
فيشير الى انه ليس لنا في هذا المقام الا اتباع القوم خصوصا في اثبات
التعلقات الأزلية وكل موجود انط للسمع به اي وكل موجود
علق السمع به فانط فعل امر من الاناطة وهي التعليق وكل مبتدأ خبره
جملة انط للسمع به او مفعول لمحذوف يفسره المذكور من باب الاشتغال

على حد زيدا مربه والتقديرا قصد كل موجود واللام فى قوله للسمع زائدة
والسمع مفعول لأنط بمعنى علق او ضمنه معنى اعترف فعداه باللام
وبالجملة فالمعنى اعتقد تعلق السمع الأزلى بكل موجود وقوله كذا البصر
اى مثل السمع البصر فى تعلقه بكل موجود فاسم الاشارة راجع للسمع
وكذا خبر مقدم والبصر مبتدا مؤخر وقوله ادراكه اى وكذا ادراكه فهو
معطوف على البصر بحرف عطف مقدر وقوله ان قيل به اى ان قيل بثبوته
كما هو احد الأقوال الثلاثة السابقة فى قوله فهل له ادراك اولا خلف
وعند قوم صح فيه الوقف فهذه الصفات الثلاثة متحدة المتعلق ولا يلزم
من اتحاد المتعلق اتحاد الصفة بل الصفة متعددة وكل منها له حقيقة
من الانكشاف ليست عين حقيقة غيره لا يعلم تلك الحقيقة الا الله تعالى
وما ذكره المص من ان سمعه وبصره تعالى يتعلقان بكل موجود هو ما ذكره
بعض المتأخرين كالشيخ السنوسى ومن تبعه والذى فى كلام السعد
وغيره ان السمع الأزلى صفة تتعلق بالمسموعات وان البصر الأزلى صفة
تتعلق بالمبصرات وهو محتمل للعموم والخصوص فيحتمل انه اراد المسموعات
والمبصرات فى حقه تعالى وهى الموجودات فيكون موافقا لما تقدم ويحتمل
انه اراد المسموعات والمبصرات فى حقنا وهى الاصوات فى الأول والذوات
والألوان فى الثانى فيكون مخالفا لما تقدم وما ذكره المص ايض من كون
الادراك على القول به مثل السمع والبصر فى التعلق بكل موجود هو احد
قولين قد سبق ذكرهما وثانيهما انه يتعلق بالملموسات والمشمومات والمذوقات
من غير اتصال بمحالها فهما طريقتان للقوم كما يؤخذ من اليوسى وشرح الكبرى
واعلم ان للسمع والبصر والادراك على القول به والقول بانه يتعلق بكل موجود
ثلاث تعلقات تعلقا تنجيزيا قديما وهو التعلق بذات الله وصفاته
وصلوحيا قديما وهو التعلق بنا قبل وجودنا وتنجيزيا حادثا وهو التعلق
بنا بعد وجودنا ووجوب التعلق لهذه الصفات مستفاد من صيغة
الامر فى قوله انط كما استفيد عدم تناهى متعلقاتها من اداة العموم الداخلة
على موجود وسكت المص عن وحدة هذه الصفات للعلم بها من وجوبها
لنظائرها كالقدرة والارادة اذ لا فرق ولا ابطاء فى كلام المص لاختلاف
مرجع الضميرين نظير ما تقدم فى اسمى الاشارة فى قوله ومثل ذى ارادة
الخ وسبق ما فى نحوه   وغير علم هذه اى هذه الصفات الأربع وهى

وغير علم هذه كانت

الكلام والسمع والبصر والادراك غير العلم فاسم الاشارة مبتدا مؤخر
وغير علم خبر مقدم ودفع بذلك ما قد يتوهم من اتحادها مع العلم لاتحاد
متعلق الكلام مع متعلق العلم واندراج متعلق السمع والبصر والادراك
فى متعلقه لا سيما وتعلق هذه الثلاثة تعلق انكشاف كتعلق العلم وكما ان
هذه الصفات الاربع مغايرة للعلم بعضها مغاير لبعض واتحاد المتعلق
لا يوجب اتحاد الحقيقة وقوله كما ثبت اى كالتغاير الذى ثبت عند القوم
بالأدلة السمعية لأن هذه الصفات انما ثبتت بالسمع والمدلول لغة
لكل واحدة غير المدلول للأخرى فوجب حمل ما ورد على ظاهره حتى يثبت
خلافه وبيان كون المدلول لغة لكل واحدة غير المدلول للأخرى ان السمع
حس الأذن اى حاستها والأذن نفسها وما وقرته من شئ تسمعه
والذكر المسموع والبصر حس العين اى حاستها والكلام القول وما كان
مكتفيا بنفسه والعلم هو المعرفة كما يؤخذ من القاموس فى مواضع متعددة
واذا ثبت انها متغايرة لغة كانت متغايرة شرعا وبالجملة فكنه كل واحدة
غير كنه الأخرى ونفوض علم ذلك لله تعالى   ثم الحياة ما بشئ تعلقت
بسكون الياء وحذف الهمزة للوزن وثم للاستئناف والمعنى ان الحياة
لا تتعلق بشئ اى امر موجود او معدوم فالمراد بالشئ هنا المعنى اللغوى
الشامل للموجود والمعدوم ويصح ان يكون المراد به المعنى الاصطلاحى
ويقال اذا كانت لا تتعلق بالموجود فاولى ان لا تتعلق بالمعدوم فليست
الحياة من الصفات المتعلقة لأنها صفة مصححة للادراك اى مصححة
لمن قامت به ان يتصف بصفات الادراك ولا تقتضى امرا زائدا على قيامها
بمحلها ومثل الحياة الوجود والقدم والبقاء عند من يعدها من الصفات
الذاتية   وعندنا الخ لما فرغ من الصفات وتعلقاتها شرع فى مبحث
يجب اعتقاده فيجب على الانسان ان يعتقد ان اسماءه العظيمة قديمة
وكذا صفات ذاته وتقديم الظرف للحصر والضمير لاهل الحق فالمعنى
واسماؤه العظيمة قديمة عندنا معاشر اهل الحق خلافا للمعتزلة فى قولهم
بأن اسماءه تعالى حادثة وانها من وضع الخلق واستشكل الأول بأن الأسماء
الفاظ وهى حادثة قطعا فتكون الأسماء حادثة قطعا فكيف توصف الأسماء
بالقدم واجيب بأنها قديمة لا باعتبار ذاتها بل باعتبار التسمية بها وبحث
فى هذا الجواب بأن التسمية وضع الاسم للمسمى وحيث كان الاسم حادثا كانت

ثم الحياة ما بشئ تعلقت

وعندنا اسماؤه العظيمة

التسمية حادثة واجيب بأن معنى قدمها ان الله صالح لها ازلا فهى قديمة باعتبار الصلاحية وفيه ان هذا لا يحسن فى الرد على المعتزلة الذين يقولون انها من وضع الخلق اذ لا ينافيه وبعضهم اجاب بأن قدمها من حيث علم الله تعالى وتقديره فى الازل وفيه ان جميع الحوادث كذلك وقيل ان قدمها من حيث مدلولها وفيه ان قدم المدلول يرجع لما سبق من قدم الذات والصفات ولا يحسن فى الرد على المعتزلة فيما سبق ونقل العلامة الملوى عن سيدى محمد بن عبد الله العربى ان من كلام الله القديم اسمائه هى المحكوم عليها بالقدم كما ان منه امرا ونهيا الخ وعلى هذا فالمراد بالتسمية القديمة دلالة الكلام لا على معانى الاسماء من غير تبعيض ولا تجزئة فى الكلام وهو الذى ينشرح له الصدر ولا يرد انهم لم يذكروا من اقسام الكلام الاعتبارية الاسماء القديمة لأن تقسيمهم ليس حاصرا بل اقتصروا على الأهم باعتبار ما ظهر لهم كيف ومدلوله لا يدخل تحت حصر واشار العلامة الملوى فى آخر عبارته الى ان القدم هنا ليس بمعنى عدم الأولية بل بمعنى انها موضوعة قبل الخلق فهى من وضعه تعالى قبل خلقه ثم الهمها للنور المحمدى ثم للملائكة ثم للخلق خلافا للمعتزلة فى قولهم بانها من وضع البشر وفى هذا الكلام تسليم ان الأسماء ليست ازلية كما لا يخفى وبالجملة فهذا المبحث لم يصف ونقل عن القرطبى ان من قال الاسم مشتق من السمو وهو العلو يقول لم يزل الله موصوفا قبل وجود الخلق وعند وجودهم وبعد فنائهم لأنه لا تأثير لهم فى اسمائه وهذا قول اهل السنة ومن قال الاسم مشتق من السمة يقول كان فى الأزل بلا اسماء ولا صفات فلما خلق الخلق جعلوها له وبعد فنائهم يبقى بدونها وهو قول المعتزلة قال الشمنى وهو اقبح من القول بخلق القرآن اهـ افاده العلامة الأمير ببعض زيادة اسماؤه الخ الأسماء جمع اسم والمراد به ما دل على الذات بمجردها كالله وخداى فى اللغة الفارسية او باعتبار الصفة كالعالم والقادر ثم ان اسماؤه مبتدا والعظيمة وصف كاشف والخبر قديمة وقوله كذا صفات ذاته مبتدا وخبر فكذا خبر مقدم وصفات ذاته مبتدأ مؤخر والجملة معترضة بين المبتدا وخبره والتشبيه فى القدم واشار الشارح لاعراب آخر فجعل خبر قوله اسماؤه محذوفا دل عليه قوله فيما بعد قديمة وجعل قوله قديمة الآتى خبرا عن قوله صفات ذاته فيكون المصنف حذف من الأول لدلالة الثانى عليه وحذف من الثانى عظيمة لدلالة الأول عليه ففى كلامه من المحسنات البديعية نوع احتباك وهو ان يحذف من كل نظير ما اثبته فى الآخر وعلى هذا فالتشبيه للتأكيد والأول هو المتبادر من كلام المصنف

العظيمة اى الجليلة المقدسة اى المطهرة عن ان يسمى بها الغير او عن ان تفسر بما لا يليق او ان تذكر على غير وجه التعظيم كما قاله السعد وعظم اسمائه تعالى مجمع عليه واختلف هل بينها تفاضل ولا فقيل لا تفاضل بينها وفى اليواقيت عن ابن العربى ان اسماء الله تعالى متساوية فى نفس الأمر لرجوعها كلها الى ذات واحدة وان وقع فيها تفاضل فان ذلك لأمر خارج والحق انها متفاضلة واعظمها لفظ الجلالة وهو الاسم الأعظم وكان سيدى على وفا رضى الله عنه يذهب الى التفاضل فى الاسماء ويقول فى قوله تعالى وكلمة الله هى العليا هو اسم الله الأعظم فانه اعلى مرتبة من سائر الأسماء قال ونظير ذلك قوله تعالى ولذكر الله اكبر اى ولذكر اسم الله اكبر من ذكر سائر الأسماء اهـ افاده الشيخ الأمير كذا صفات ذاته قديمة اى مثل اسمائه تعالى الصفات القائمة بذاته وهى صفات المعانى السبع او الثمانية على الخلاف فى ذلك قديمة فكل من اسمائه وصفات ذاته قديم فليست اسماؤه من وضع خلقه له وليست صفاته حادثة لأنها لو كانت حادثة لزم قيام الحوادث بذاته تعالى ويلزم كونه تعالى عاريا عنها فى الأزل ويلزم افتقارها الى مخصص وهو ينافى وجوب الغنا المطلق وهو انتفاء الحاجات مطلقا وهو لا يكون الا لله بخلاف الغنا المقيد وهو قلة الحاجات وهو غنا الحوادث ولذلك قال بعضهم الهى غناك مطلق وغنانا مقيد وخرج باضافة الصفات الى الذات صفات الأفعال فليس شئ منها بقديم عند الأشاعرة بخلافه عند الماتريدية اى ولذلك قال متن بدء الأمالى ما نصه صفات الذات والأفعال طرا قديمات الخ وهو موضوع على مذهب الماتريدية لأنها عند الأشاعرة تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة وعند الماتريدية هى عين صفة التكوين القديمة كما تقدم واما الصفات السلبية فهى قديمة قطعا او ازلية على الخلاف فى القديم والأزلى ولعل الشارح جرى على القول بالفرق بين القديم والأزلى فقال وخرج باضافة الصفات الى الذات السلبية والفعلية فليس شئ منهما بقديم عند الأشاعرة قال الشيخ الأمير ورأيت بخط سيدى احمد النفراوى ان ذكرها سبق قلم اى ذكر الصفات السلبية سبق قلم والا فقضل الشارح مشهور واختير الخ اى واختار جمهور اهل السنة ان اسماءه تعالى توقيفية وكذا صفاته فلا نثبت لله اسما ولا صفة الا اذا ورد بذلك توقيف

كذا صفات ذاته قديمة

واختير ان اسماه توقيفية

من الشارع وذهبت المعتزلة الى جواز ثبات ما كان متصفا بمعناه ولم يوهم نقصا وان لم يرد به توقيف
من الشارع ومال اليه القاضى ابوبكر الباقلانى وتوقف فيه امام الحرمين
وفصل الغزالى فجوز اطلاق الصفة وهى ما دل على معنى زائد على الذات
ومنع اطلاق الاسم وهو ما دل على نفس الذات والحاصل ان علماء
الاسلام اتفقوا على جواز اطلاق الاسماء والصفات على البارى عز وجل
اذا ورد بها الاذن من الشارع وعلى امتناعه اذا ورد المنع منه واختلفوا
حيث لا اذن ولا منع والمختار منع ذلك وهو مذهب الجمهور اه مص فى
شرحه الصغير ان اسماه بدرج همزة اسماه الاولى مع القصر للوزن
والمراد بالاسماء ما قابل الصفات بدليل قوله كذا الصفات فالاسم ما دل
على الذات والصفة ما دل على معنى زائد على الذات وليس المراد بالاسم
ما قابل الفعل والحرف ولا ما قابل الكنية واللقب وقوله توقيفية
اى يتوقف جواز اطلاقها عليه تعالى على ورودها فى كتاب او سنة
صحيحة او حسنة او اجماع لانه غير خارج عنها بخلاف السنة الضعيفة
ان قلنا ان المسئلة من العلميات اى الاعتقاديات بحيث يعتقد ان ذلك
الاسم من اسمائه تعالى وان قلنا ان المسئلة من العمليات بحيث نستعمله
ونطلقه عليه تعالى فالسنة الضعيفة كافية فى ذلك لانهم قالوا الحديث
الضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال واما القياس فقيل كالاجماع ما لم يكن
ضعيفا وعليه فيقاس واهب بناء على انه لم يرد على وهاب واطلق بعضهم
منع القياس قال المص فى شرحه الصغير وهو الظاهر لاحتمال انها مراد احد المترادفين
دون الآخر كالعالم والعارف والجواد والسخى والحليم والعاقل اه وبالجملة
فما اذن الشارع فى اطلاقه واستعماله جاز وان اوهم كالصبور والشكور والحليم
فان الصبور يوهم حصول مشقة له تعالى لان الصبر حبس النفس على المشاق
فيفسر فى حقه تعالى بالذى لا يعجل بالعقوبة على من عصاه والشكور يوهم وصول
احسان اليه لان معناه كثير الشكر لمن احسن اليه مع ان الاحسان كله من الله
فيفسر فى حقه بالذى يجازى على يسير الطاعات كثير الدرجات ويعطى بالعمل
فى ايام معدودة نعما فى الآخرة غير محدودة وقيل المجازى على الشكر وقيل
المثنى على من اطاعه والحليم يوهم وصول اذا اليه وهو تعالى لا يصل اليه
احد باذا فيفسر فى حقه تعالى بالذى لا يعجل بالعقوبة على من عصاه فيرجع
لمعنى الصبور ولا يرد على قولنا وهو تعالى لا يصل اليه احد باذا قوله صلى
الله عليه وسلم من اذى مسلما فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله لان معناه

انه

انه فعل معه فعل المؤذى وقد تقدم لك ان اسماء النبى صلى الله عليه وسلم توقيفية
اتفاقا وسبقت حكمة ذلك فتفطن لها كذا الصفات اى مثل اسمائه تعالى
صفاته فى كونها توقيفية فلا يجوز اثبات صفة له تعالى الا بتوقيف من الشارع
لنا وقوله فاحفظ السمعية اى اذا عرفت ان اطلاق الاسماء والصفات عليه
تعالى تتوقف على الاذن الشرعى فاحفظ الاسماء والصفات الواردة بالسمع حقيقة
كالواردة فى الكتاب والسنة او حكما كالثابتة بالاجماع كالصانع والموجود
والواجب والقديم كما ذكره المؤلف فى كبيره وكل نص يصح قراءة كل بالرفع
مبتدا وجملة اوله خبر وبالنصب مفعول لفعل محذوف يفسره المذكور من باب
الاشتغال والمراد بالنص هنا ما قابل القياس والاستنباط والاجماع وهو
الدليل من الكتاب او السنة سواء كان صريحا او ظاهرا وليس المراد به ما قابل
الظاهر وهو ما افاد معنى لا يحتمل غيره اذ لو كان هذا هو المراد لم يمكن تاويله
وقوله اوهم التشبيها اى اوقع فى الوهم صحة القول به بحسب ظاهره والمراد من
التشبيه المشابهة لا فعل الفاعل وقوله اوله اى احمله على خلاف ظاهره
مع بيان المراد فالمراد اوله تاويلا تفصيليا بأن يكون فيه بيان المعنى المراد
كما هو مذهب الخلف وهم من بعد الخمسمائة وقيل من بعد القرون الثلاثة
وقوله او فوض اى بعد التاويل الاجمالى الذى هو صرف اللفظ عن ظاهره فبعد
هذا التأويل فوض المراد من النص الموهم اليه تعالى على طريقة السلف وهم
من كانوا قبل الخمسمائة وقيل القرون الثلاثة الصحابة والتابعون واتباع
التابعين وطريقة الخلف اعلم واحكم لما فيها من مزيد الايضاح والرد على
الخصوم وهى الارجح ولذلك قدمها المص وطريقة السلف اسلم لما فيها من
السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى وقوله ورم تنزيها اى
واقصد تنزيها له تعالى عما لا يليق به مع تفويض علم المعنى المراد فظهر مما
قررناه اتفاق السلف والخلف على تاويل الاجمالى لانهم يصرفون النص
الموهم عن ظاهره المحال عليه تعالى لكنهم اختلفوا بعد ذلك فى تعيين المراد من
ذلك النص وعدم التعيين بناء على ان الوقف على قوله تعالى والراسخون
فى العلم فيكون معطوفا على لفظ الجلالة وعلى هذا فنظم الآية هكذا وما يعلم
تاويله الا الله والراسخون فى العلم وجملة يقولون آمنا به حال مستأنفة لبيان سبب
التماس التاويل او على قوله وما يعلم تاويله الا الله وعلى هذا فقوله والراسخون
فى العلم الخ استئناف وذكر مقابله فى قوله تعالى فأما الذين فى قلوبهم زيغ الخ

كذا الصفات فاحفظ السمعية ۞ وكل نص اوهم التشبيها ۞ اوله او فوض ورم تنزيها

اي كالمجسمة فمنهم من قال انه على صورة شيخ كبير ومنهم من قال انه على صورة شاب حسن تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والحاصل انه اذا ورد في القرآن او السنة ما يشعر باثبات الجهة او الجسمية او الصورة او الجوارح اتفق اهل الحق وغيرهم ما عدا المجسمة والمشبهة على تأويل ذلك لوجوب تنزيهه تعالى عما دل عليه ما ذكر بحسب ظاهره فمما يوهم الجهة قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم فالسلف يقولون فوقية لا نعلمها والخلف يقولون المراد بالفوقية التعالي في العظمة فالمعنى يخافون اى الملئكة ربهم من اجل تعاليه في العظمة اى ارتفاعه فيها ومنه قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فالسلف يقولون استواء لا نعلمه والخلف يقولون المراد به الاستيلاء والملك قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وسأل رجل الامام مالك عن هذه الآية فاطرق رأسه مليا ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اظنك الا ضالا فامر به فاخرج وسأل الزمخشري الغزالي عن هذه الآية فاجابه بقوله اذا استحال ان تعرف نفسك بكيفية او اينية فكيف يليق بعبوديتك ان تصفه تعالى بأين او كيف وهو مقدس عن ذلك ثم جعل يقول

قل لمن يفهم عني ما اقول ... قصر القول فذا شرح يطول
ثم سر غامض من دونه ... قصرت والله اعناق الفحول
انت لا تعرف اياك ولا ... تدر من انت ولا كيف الوصول
لا ولا تدري صفات ركبت ... فيك حارت في خفاياها العقول
اين منك الروح في جوهرها ... هل تراها فترى كيف تجول
وكذا الانفاس هل تحصرها ... لا ولا تدري متى عنك تزول
اين منك العقل والفهم اذا ... غلب النوم فقل لي يا جهول
انت اكل الخبز لا تعرفه ... كيف يجري منك ام كيف تبول
فاذا كانت طواياك التي ... بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدري من على العرش استوى ... لا تقل كيف استوى كيف النزول
كيف يحكي الرب ام كيف يرى ... فلعمري ليس ذا الا فضول
فهو لا اين ولا كيف له ... وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له ... وهو في كل النواحي لا يزول
جل ذاتا وصفات وسما ... وتعالى قدره عما تقول

ومما

ومما يوهم الجسمية قوله تعالى وجاء ربك وحديث الصحيحين ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ويقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له فالسلف يقولون مجيئ ونزول لا نعلمهما والخلف يقولون المراد وجاء عذاب ربك او امر ربك الشامل للعذاب والمراد ينزل ملك ربنا فيقول عن الله الخ وفي المتن ان الغالب ان الموكب الالهي ينصب من الثلث الأخير وتارة ينصب من اول النصف الثاني الا ليلة الجمعة فانه ينصب من غروب الشمس الى خروج الامام من صلاة الصبح كما ورد في حديث مسلم ومما يوهم الصورة ما رواه احمد والشيخان ان رجلا ضرب عبده فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان الله خلق آدم على صورته فالسلف يقولون صورة لا نعلمها والخلف يقولون المراد بالصورة الصفة من سمع وبصر وعلم وحياة فهو على صفته في الجملة وان كانت صفته تعالى قديمة وصفة الانسان حادثة وهذا بناء على ان الضمير في صورته عائد على الله كما يقتضيه ما ورد في بعض الطرق فان الله خلق آدم على صورة الرحمن وبعضهم جعل الضمير عائدا على الأخ المصرح به في الطريق التي رواها مسلم بلفظ فاذا قاتل احدكم اخاه فليجتنب الوجه فان الله خلق آدم على صورته اى واذا كان كذلك فينبغي احترامه باتقاء الوجه ومما يوهم الجوارح قوله تعالى ويبقى وجه ربك يد الله فوق ايديهم وحديث مسلم ان قلوب بني آدم كلها كقلب واحد بين اصبعين من اصابع الرحمن فالسلف يقولون لله وجه ويد واصابع لا نعلمها والخلف يقولون المراد من الوجه الذات وباليد القدرة والمراد من قوله بين اصبعين من اصابع الرحمن بين صفتين من صفاته وهاتان الصفتان القدرة والارادة لطيفة سأل الشعراني شيخه الخواص لماذا يؤول العلماء الموهم الواقع من الشارع ولا يؤولون الموهم الواقع من الولي فقال لو انصفوا لأولوا الواقع من الولي بالأولى لأنه معذور بضعفه في احوال الحضرة بخلاف الشارع فانه ذو مقام مكين وقد يقال الشارع ينبغي المحافظة على الواقع منه ما امكن لأنه يقتدى به ولا كذلك الولي فانه لا يحافظ على كلامه لانه لا يقتدى به فاذا اوهم اهدر ونزه القرآن اى واعتقد ايها المكلف تنزه القرآن بمعنى كلامه تعالى عن الحدوث خلافا للمعتزلة القائلين بخلق الكلام زعما منهم ان من لوازمه الحروف والاصوات وذلك مستحيل عليه تعالى فكلام الله تعالى عندهم مخلوق لأن الله خلقه في بعض الأجرام ومذهب

ونزه القرآن اي كلامه

اهل السنة ان القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق واما القرآن بمعنى
اللفظ الذى نقرؤه فهو مخلوق لكن يمتنع ان يقال القرآن مخلوق ويراد به
اللفظ الذى نقرؤه الا فى مقام التعليم لأنه ربما اوهم ان القرآن بمعنى
كلامه تعالى مخلوق ولذلك امتنعت الأئمة من القول بخلق القرآن
وقد وقع فى ذلك امتحان كبير لخلق كثير من اهل السنة فخرج البخارى فارا
وقال اللهم اقبضنى اليك غير مفتون فمات بعد اربعة ايام وسجن عيسى بن
دينار عشرين سنة وسئل الشعبى فقال اما التوراة والانجيل والزبور
والفرقان فهذه الأربعة حادثة واشار الى اصابعه فكانت سبب نجاته
واشتهرت ايض عن الامام الشافعى رضى الله تعالى وحبس الامام احمد
وضرب بالسياط حتى غشى عليه ويذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
للامام الشافعى فى المنام بشر احمد بالجنة على بلوى تصيبه فى خلق القرآن
فأرسل له كتابا ببغداد فلما قرأه بكى ودفع للرسول قميصه الذى يلى جسده
وكان عليه قميصان فلما دفع للشافعى غسله وادهن بمائه وهل القرآن بمعنى
اللفظ المقروء افضل وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تمسك بعضهم بما
يروى كل حرف خير من محمد وآل محمد لكنه غير محقق الثبوت والحق انه صلى
الله عليه وسلم افضل لأنه افضل من كل مخلوق كما يؤخذ من كلام الجلال
المحلى على البردة ويؤيده انه فعل القارى والنبى صلى الله عليه وسلم افضل من
القارئ وجميع افعاله والأسلم الوقف عن مثل هذا فانه لا يضر خلو الذهن
عنه اه ملخصا من حاشية الشيخ الأمير   اى كلامه تفسير للقرآن
فالمراد منه هنا كلامه تعالى ولما كان الأكثر اطلاق القرآن على اللفظ
المقروء دفع توهم ذلك بتفسيره بكلامه تعالى فالقرآن يطلق على كل من
النفسى واللفظى والأكثر اطلاقه على اللفظى واما كلام الله فيطلق ايض
على كل من اللفظى والنفسى والأكثر اطلاقه على النفسى وتقدم فى مبحث
الكلام زيادة فارجع اليها ان شئت   عن الحدوث اى الوجود بعد العدم
فليس مخلوقا بل هو صفة ذاته العلية خلافا للمعتزلة فى قولهم بأنه مخلوق
وليس صفة ذاته العلية وانما عبر بالحدوث مع ان المشهور بين القوم التعبير
بالخلق لضرورة النظم او للرد على محمد البلخى من المعتزلة القائل بان كلام
الله تعالى محدث وليس بمخلوق زعما منه ان قولنا مخلوق يوهم انه كذب
تعالى الله عنه ورد بأن الحدوث مثل الخلق فهو كمن هرب من المطر ووقف

تحت الميزاب اه مص فى صغيره   واحذر انتقامه اى وخف انتقام الله منك
ان قلت بحدوثه   فكل نص الخ اى اذا تحققت ما سبق فكل نص الخ فالفاء
فاء الفصيحة وهذا فى الحقيقة جواب عما تمسك به المعتزلة من النصوص
الدالة على الحدوث مثل انا انزلناه فى ليلة القدر انا نحن نزلنا الذكر والمراد
من النص الظاهر من الكتاب او السنة وقوله للحدوث دلا اى دل على حدوث
القرآن فاللام بمعنى على والألف فى دلا للاطلاق وقوله احمل الخ خبر المبتدا
الذى هو كل والرابط محذوف والتقدير احمله الخ وقوله على اللفظ اى على
القرآن بمعنى اللفظ المنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته
المتحدى بأقصر سورة منه والراجح ان المنزل اللفظ والمعنى وقيل المنزل
المعنى وعبر عنه جبريل بألفاظ من عنده لكن التحقيق الأول لان الله خلقه
اولا فى اللوح المحفوظ ثم انزله فى صحائف الى سماء الدنيا فى محل يقال له بيت
العزة فى ليلة القدر كما قال تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر ثم انزله على النبى
صلى الله عليه وسلم مفرقا بحسب الوقائع وقوله الذى قد دلا صفة للفظ
والألف فى دلا للاطلاق والمراد الذى قد دل على الصفة القديمة بطريق
دلالة الالتزام كما تقدم والحاصل ان كل ظاهر من الكتاب والسنة
دل على حدوث القرآن فهو محمول على اللفظ المقروء لا على الكلام النفسى
لكن يمتنع ان يقال القرآن مخلوق الا فى مقام التعليم كما سبق
ويستحيل الخ هذا شروع فى ثالث الأقسام المتقدمة فى قوله فكل من كلف
شرعا وجبا عليه ان يعرف ما قد وجبا لله والجائز والممتنعا فهذا هو
القسم الثالث فى الاجمال السابق وان كان ثانيا فى التفصيل وانما اخر
الجائز فى التفصيل لطول الكلام عليه ولا شك فى علم استحالة هذا القسم
من وجوب القسم الأول له تعالى وانما تعرض له المص على طريق القوم من عدم
اكتفائهم بدلالة الالتزام ولا بدلالة التضمن بل مالوا الى الدلالة المطابقية
لخطر الجهل فى هذا الفن وقوله ضد ذى الصفات اى ما فى هذه الصفات
المتقدمة بأسرها فالمراد من الضد هنا المعنى اللغوى وهو مطلق المنافى
وجوديا كان او عدميا وليس المراد خصوص الامر الوجودى كما هو المعنى
الاصطلاحى لأن الضدين اصطلاحا هما الامران الوجوديان اللذان
بينهما غاية الخلاف لا يجتمعان وقد يرتفعان كالسواد والبياض لان هذا
المعنى لا يظهر فى جميع ما ذكروه هنا وقوله فى حقه اى على انه تعالى فى

فكل نص للحدوث دلا
احمل على اللفظ الذى قد دلا

ويستحيل ضد ذى الصفات
فى حقه كالكون فى الجهات

وقيل المنزل المعنى وعبر عنه جبريل بالفاظ من عنده

عن الحدوث واحذر انتقامه

بمعنى على وحق بمعنى الذات والاضافة للبيان لان الحق اسم من اسمائه تعالى
اى حق هو هو ويحتمل ان فى باقية على بابها والمراد من الحق الحكم الواجب له
والاضافة حقيقية والمعنى حال كون استحالة ماذكر مندرجة فى الحكم الواجب
له تعالى وهذا هو الذى اقتصر عليه الشر وقد اجمل المص الاضداد ونحن
نذكرها تفصيلاً كما ذكرها السنوسى فيستحيل عليه تعالى العدم وهو ضد
الوجود والحدوث وهو ضد القدم وطرو العدم وهو الفناء وهو ضد
البقاء والمماثلة للحوادث وهو ضد المخالفة للحوادث والمماثلة مصورة
بأن يكون جرما سواء كان مركبا ويسمى ح جسما او غير مركب ويسمى ح جوهرا
فردا لكن المجسمة لا يكفرون الا ان قالوا هو جسم كالاجسام او بأن يكون عرضا
يقوم بالجرم او يكون فى جهة للجرم فليس فوق العرش ولا تحته ولا عن يمينه
ولا عن شماله ونحو ذلك او له هو جهة فليس له فوق ولا تحت ولا يمين ولا
شمال ونحو ذلك او يحل فى المكان فالحلول هو المراد بالتقييد فى عبارة من عبر
به والمراد بالمكان الفراغ الموهوم على رأى المتكلمين او المحقق على رأى الحكماء
ومعنى كونه موهوما عند المتكلمين انه يتوهم انه امر وجودى وليس كذلك
بل هو امر عدمى وقيل معنى كونه موهوما انه يتوهم انه فراغ وليس كذلك
بل هو مملوء بالهواء فليس فراغا محققا او يتقيد بالزمان بحيث تكون حركة
الفلك مطبقة عليه او يكر عليه الجديدان الليل والنهار او تتصف ذاته
العلية بالحوادث كالقدرة الحادثة والارادة الحادثة والحركة او السكون
او البياض او السواد ونحو ذلك او يتصف بالصغر بمعنى قلة الاجزاء او بالكبر
بمعنى كثرة الاجزاء فليس صغيرا بمعنى قليل الاجزاء ولا كبيرا بمعنى كثير الاجزاء
وهذا لا ينافى انه تعالى كبير فى الرتبة والشرف قال تعالى الكبير المتعال او يتصف
بالاغراض فى الافعال او الاحكام فليس فعله كايجاد زيد لغرض من الاغراض
اى مصلحة تبعثه على ذلك فلا ينافى انه لحكمة والا لكان عبثا وهو مستحيل
فى حقه تعالى وليس حكمه كايجاب الصلاة علينا لغرض من الاغراض اى مصلحة
تبعثه على ذلك الحكم فلا ينافى انه لحكمة كما علمت فصور المماثلة عشرة
ويستحيل عليه ايض ان لا يكون قائما بنفسه بأن يكون صفة يقوم بمحل او
يحتاج الى مخصص وهذا ضد القيام بالنفس وان لا يكون واحدا بان يكون مركبا
فى ذاته او يكون له مماثل فى ذاته او يكون فى صفاته تعدد من نوع واحد كقدرتين
وارادتين وهكذا او يكون لاحد صفة كصفته تعالى او يكون معه فى الوجود

مؤثر

مؤثر فى فعل من الافعال وهذا كله ضد الوحدانية وان يكون عاجزا عن ممكن ما
وهذا ضد القدرة وان يوجد شيئا من العالم مع كراهته لوجوده او يعدم شيئا
مع كراهته لعدمه اى عدم ارادته له او مع الذهول او الغفلة فالذهول
ذهاب الشئ من الحافظة والمدركة او من احدهما والاول نسيان والثانى
سهو واما الغفلة فهى السهو او مع التعليل بأن يكون البارى علة تنشأ عنه
الخلائق من غير اختيار ولا توقف على وجود شروط وانتفاء موانع كحركة
الخاتم فانها نشأت عند القائلين بالتعليل عن حركة الاصبع فعندهم حركة
الاصبع علة فى حركة الخاتم ونحن نقول الخالق لحركة الاصبع ولحركة الخاتم
هو الله تعالى من غير تأثير لحركة الاصبع فى حركة الخاتم او مع الطبع بأن يكون
البارى طبيعة تنشأ عنه الخلائق من غير اختيار مع التوقف على وجود
الشروط وانتفاء الموانع كالنار فانها تؤثر بطبعها عندهم فى الاحراق
مع وجود شرط المماسة وانتفاء مانع البلل ونحن نقول المؤثر فى الاحراق
هو الله تعالى ولا تأثير للنار اصلاً وهذا كله ضد الارادة والجهل وما فى
معناه كالظن والشك والوهم والنوم وهذا ضد العلم والموت وهو ضد
الحياة والبكم النفسى وهو ضد الكلام والعمى وهو ضد البصر وكونه عاجزا
الى آخرها على القول بالاحوال   كالكون فى الجهات اى ككونه تعالى فى
جهة من الجهات الست وهذا مثال من امثلة المماثلة للحوادث ويقاس عليه
باقى امثلة المماثلة بل وباقى صور المستحيل كما اشار اليه المص بالكاف
واعلم ان معتقد الجهة لا يكفر كما قاله العز بن عبد السلام وقيده النووى
بكونه من العامة وابن ابى جمرة بعسر فهم نفيها وفصل بعضهم فقال
ان اعتقد جهة العلو لم يكفر لان جهة العلو فيها شرف ورفعة فى الجملة وان
اعتقد جهة السفل كفر لأن جهة السفل فيها خسة ودناءة   وجائز فى حقه الخ
لما فرغ من الكلام على الواجب والمستحيل شرع يتكلم على الجائز الذى هو ثانى
الاقسام الثلاثة فى الاجمال وانما اخره فى التفصيل لما مر آنفا من طول الكلام
عليه وجائز خبر مقدم وما امكنا مبتدا مؤخر والف امكنا للاطلاق وايجادا
واعداما تمييزان محولان عن المضاف الذى كان مبتدأ فى الاصل والتقدير وايجاد
ما امكن واعدامه جائز كل منهما فى حقه تعالى فان قيل ان هذا الاخبار
لا فائدة له لأن الجائز هو الممكن والممكن هو الجائز فكأنه قال الجائز جائز او الممكن
ممكن اجيب   بأن التمييز اعنى ايجادا واعداما يدفع عدم فائدته لأنه تمييز

محول عن المضاف الذى كان مبتدأ فى الأصل والتقدير وايجاد الممكن واعدامه
جائز كل منهما فى حقه كما تقدم وقد اشار الش الى هذا بقوله اى فعل كل ممكن وتركه
فانه قدر ذلك اخذا من قوله ايجادا اعداما والا فلا حاجة للتقدير مع التمييز
واعترض بأن الفعل والترك كل منهما ممكن فيعود الاشكال واجيب بأن المغايرة
اللفظية القوية كافية اذ ربما يتوهم ان صفة الفعل والترك الوجوب بخلاف
الجائز والممكن فان مغايرتهما غير قوية ويدفع اصل الاشكال بأن المبتدأ
هو الممكن فى ذاته والخبر هو الجائز فى حقه تعالى فهو مقيد بكونه فى حقه تعالى
خلافا للمعتزلة فى قولهم بوجوب بعض الممكنات عليه تعالى فانهم قالوا بوجوب الصلاح
والأصلح عليه تعالى وخلافا للبراهمة فى قولهم باستحالة ارسال الرسل مع انه من
الممكنات وهذه فائدة معتبرة افاده العلامة الأمير والعلامة الشنوانى
كرزقه الغنى هذا مثال لفعل الممكن ومثال تركه عدم رزقه اياه والرزق بفتح الراء
مصدر واما بالكسر فهو اسم للمرزوق به والضمير عائد على الله والاضافة فى رزقه
من اضافة المصدر لفاعله والمفعول الأول محذوف والغنى مفعوله الثانى
والتقدير كرزق الله العبد الغنى وهو بالكسر وبالقصر ضد الفقر فهو كثرة الأموال
واما بالكسر وبالمد فهو انشاد الشعر وبالمد مع الفتح النفع واما بالفتح والقصر
وكذلك الضم فلم يسمع فائدة الغنى الشاكر وهو من لا يبقى من المال
الحلال الذى يدخل عليه الا ما يحتاج اليه او يرصده لاحوج منه افضل عند
الجمهور من الفقير الصابر ومحل الخلاف فيما اذا قام الغنى بجميع وظائف
الغنى من البذل والاحسان والمواساة واداء حقوق المال وشكر الملك الديان
وقام الفقير بجميع وظائف الفقر من الرضى والصبر والقناعة وقيل الفقير
الصابر هو الذى يلتذ بفقره كما يلتذ الغنى بغناه اهـ شنوانى
فخالق الخ هذا تفريع على ما علم مما تقدم من انفراده تعالى بالايجاد فالفاء
للتفريع ويصح ان تكون فاء الفصيحة لكونها افصحت عن شرط محذوف
والتقدير اذا ثبت وجوب انفراده تعالى بالايجاد فخالق الخ وخالق خبر لمبتدأ
محذوف والاصل فالله خالق الخ وهذا يسمى عند العارفين بوحدة الافعال
ومنها يعلم بطلان دعوى ان شيئا يؤثر بطبعه او بقوة فيه فمن اعتقد ان
الاسباب العادية كالنار والسكين والاكل والشرب تؤثر فى مسبباتها كالحرق
والقطع والشبع والرى بطبعها وذاتها فهو كافر بالاجماع او بقوة خلقها الله
فيها ففى كفره قولان والأصح انه ليس بكافر بل فاسق مبتدع ومثل القائلين بذلك

فخالق لعبده وما عمل

المعتزلة القائلون بأن العبد يخلق افعال نفسه الاختيارية بقدرة خلقها
الله فيه فالأصح عدم كفرهم ومن اعتقد ان المؤثر هو الله لكن جعل بين الاسباب
ومسبباتها تلازما عقليا بحيث لا يصح تخلفها فهو جاهل وربما جره ذلك
الى الكفر فانه قد ينكر معجزات الأنبياء لكونها على خلاف العادة ومن اعتقد
ان المؤثر هو الله وجعل بين الأسباب والمسببات تلازما عاديا بحيث يصح
تخلفها فهو المؤمن الناجى ان شاء الله تعالى فالفرق فى ذلك اربعة كما يؤخذ
من كتب السنوسى لعبده اللام للتقوية والمراد من العبد كل مخلوق
يصدر عنه الفعل عاقلا كان او غيره خلافا لبعضهم حيث قصره على المكلف
لأن بعض الأدلة التى ذكروها لا تجرى فى غير فعله وانما ذكر المص العبد مع انه
متفق على خلق الله اياه توصلا لما بعده واقتداء بقوله تعالى والله خلقكم
وما تعملون وقوله وما عمل معطوف على عبده وما مصدرية فيؤول الفعل بعدها
بمصدر والتقدير فخالق لعبده ولعمله ويحتمل ان تكون موصولة وعمل صلة
والعائد محذوف وعليه فالتقدير فخالق لعبده وللذى عمله والاول اولى
لأنه لا حذف عليه والأصل عدم الحذف ويجرى الاحتمالان المذكوران فى قوله
تعالى والله خلقكم وما تعملون وفى ذلك رد على المعتزلة فى قولهم بأن العبد
يخلق افعال نفسه الاختيارية واما الأفعال الاضطرارية كحركة المرتعش فهى مخلوقة
لله تعالى اتفاقا والحاصل ان الناس بعد اتفاقهم على ان الله خالق
للعباد ولأفعالهم الاضطرارية اختلفوا فى افعالهم الاختيارية فنحن نقول ان
الله خالق لها ايضا والمعتزلة يقولون ان العبد خالق لها بقدرة خلقها الله
فيه ونقل عن الأستاذ انها بالقدرتين اى قدرته تعالى وقدرة العبد وفيه
ان القدرة القديمة لا شريك لها ولا معين ونقل عن القاضى ان قدرة العبد
اثرت فى فعله لوصفه بالطاعة او المعصية قلنا هذا تابع للامر والنهى
واضطرب النقل عن امام الحرمين فمما نقل عنه انه لو لم تكن قدرة العبد مؤثرة
لكانت عجزا والذى نعتقده كما قاله السنوسى تنزيه هؤلاء الأئمة عن مخالفة
مشهور اهل السنة فهذه الأقوال لم تصح عنهم وربما يحس لبعض القاصرين
ان من حجة العبد ان يقول لله لم تعذبنى والكل فعلك وهذه مردودة
فانه لا يتوجه عليه تعالى من غيره سؤال قال تعالى لا يسأل عما يفعل
وكيف يكون للعبد حجة ولله الحجة البالغة فلا يسعنا الا التسليم المحض
ومع ان الفعل خيره وشره لله فالأدب ان لا ينسب له الا الحسن فينسب

الخير لله والشر للنفس كسباً وان كان منسوبا بالله ايجاداً قال تعالى ما اصابك
من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اى كسباً كما يفسره قوله
تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم واما قوله تعالى قل كل من عند
الله فرجوع للحقيقة وانظر الى ادب الخضر عليه السلام حيث قال فاراد ربك
ان يبلغا اشدهما الآية وقال فاردت ان اعيبها وتأمل قول ابراهيم الخليل
عليه الصلاة والسلام الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين
واذا مرضت الآية فلم يقل امرضنى تأدباً والا فالكل من الله تعالى

موفق لمن اراد ان يصل

موفق معطوف على خالق بحرف عطف مقدر كما اشار اليه الشرح حيث قال وموفق
فقدر حرف العطف وموفق مأخوذ من التوفيق وهو لغة التأليف بين الاشياء
وشرعا خلق قدرة الطاعة فى العبد وهل يحتاج لقولهم وتسهيل سبيل الخير
اليه او قولهم والداعية اليها اى الميل النفسانى الى الطاعة او لا يحتاج
لذلك خلاف مبنى على الخلاف فى تفسير قدرة الطاعة ففسرها امام الحرمين
بسلامة الاسباب والآلات والمراد من الاسباب الاشياء التى تكون حاملة
على الفعل والمراد من الآلات الاشياء التى يحصل بها الاعانة على الفعل فالماء
الذى يتوضأ به من الاسباب العرفية للصلاة والاعضاء التى تحاول بها الطاعة
آلات لها وعلى هذا التفسير فيحتاج لما ذكر لاخراج الكافر فانه ليس موفقا مع
ان الله خلق فيه قدرة الطاعة بالمعنى السابق وفسرها الاشعرى بالعرض المقارن
للطاعة وعلى هذا التفسير فلا يحتاج لما ذكر لان الكافر خارج من اول الامر اذ لم
يخلق الله فيه قدرة الطاعة بهذا المعنى واورد عليه ان الشخص مكلف قبل الطاعة
مع انه قبلها على كلامه ليس فيه قدرة فيلزم عليه تكليف العاجز وهو ممنوع
واجيب بانه قادر بالقوة القريبة لما اتصف من سلامة الاسباب والآلات
وهذا بناء على ما قاله الاشعرى من ان العرض كالبياض لا يبقى زمانين بل العرض
فى هذا الزمان غير العرض فى الزمان الذى قبله وهكذا فيكون كالماء الجارى
والحق ان العرض يبقى زمانين وعليه فلا مانع من تقدم القدرة على الطاعة
فتحصل من ذلك ان فى التوفيق قولين القول الاول انه خلق قدرة الطاعة
فى العبد وتسهيل سبيل الخير اليه او والداعية اليها وفى بعض العبارات خلق
الطاعة نفسها وهو ظاهر والقول الثانى انه خلق قدرة الطاعة فى العبد
وهذان القولان مبنيان على القولين فى تفسير قدرة الطاعة واقتصارهم
على اخراج الكافر يقتضى ان المؤمن العاصى موفق وهو الحق خلافا لمن قال

الموفق

الموفق لا يعصى اذ لا قدرة له على المعصية كما ان المخذول لا يطيع اذ لا قدرة له على
الطاعة ولك ان تقول الموفق لا يعصى من حيث ما وفق فيه والمخذول لا يطيع من
حيث ما خذل فيه وقد سئل الجنيد ايعصى الولى فأطرق ثم رفع رأسه
وقال وكان امر الله قدرا مقدورا ومن كلام ابن الفارض من ذا الذى ما ساء قط
ومن له الحسنى فقط فأجابه الهاتف بقوله محمد الهادى الذى عليه جبريل هبط

لمن اراد ان يصل اى للذى اراد وصوله لرضاه ومحبته فان والفعل
فى تأويل مصدر مفعول اراد والجار والمجرور متعلق بموفق وضمير اراد
عائد على الله تعالى وضمير يصل عائد على من فالمعنى ان الله موفق للشخص
الذى اراد الله ان يصل لرضاه عنه ومحبته له

وخاذل لمن اراد بعده ومنجز لمن اراد وعده

وخاذل من الخذلان
ومعناه لغة ترك النصرة والاعانة وشرعا خلق المعصية فى العبد والداعية
اليها او خلق قدرة المعصية على الرأيين فى التعريف السابق وقوله لمن اراد
بعده اى للذى اراد بعده عن رضاه ومحبته كما تقدم فى نظيره
ومنجز لمن اراد وعده اى ومعط للذى اراد به خيرا ما وعده به على لسان نبيه او فى
كتابه فمفعول اراد محذوف ووعده مفعول منجز والمراد به الموعود به
واشار المص بذلك الى ان وعد الله المؤمنين بالجنة لا يتخلف شرعا قطعا
لقوله تعالى وعد الله لا يخلف الله وعده ان الله لا يخلف الميعاد اى الوعد كما
قاله بعض المفسرين فلو تخلف اعطاؤه الموعود به لزم الكذب والسفه والخلف
واللازم باطل فكذا الملزوم فالخلف فى الوعد نقص يجب تنزيه الله عنه
وهذا متفق عليه عند الاشاعرة والماتريدية واما الوعيد فيجوز الخلف فيه
عند الاشاعرة لان الخلف فيه لا يعد نقصا بل يعد كرما يمتدح به كما يشير
له قول الشاعر وانى وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادى ومنجز موعدى
وقد اعترض جواز تخلف الوعيد بلزوم مفاسد كثيرة منها الكذب فى
خبره تعالى وقد قام الاجماع على تنزه خبره تعالى عن الكذب ومنها
تبديل القول وقد قال تعالى ما يبدل القول لدى ومنها تجويز عدم خلود
الكفار فى النار وهو خلاف ما قامت عليه الادلة القطعية من خلودهم فيها
واجيب عن الاول بان الكريم اذا اخبر بالوعيد فاللائق بكرمه ان يبنى
اخباره به على المشيئة وان لم يصرح بها فاذا قال الكريم لاعذبن زيدا مثلا
فنيته ان شئت بخلاف الوعد فان اللائق بكرمه ان يبنى اخباره به على الجزم
قال صلى الله عليه وسلم من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له ومن اوعده

على عمل عقابا فهو بالخيار ان شاء عذبه وان شاء غفر له وعن الثانى بأن الممنوع
انما هو تبدل القول فى وعيد الكفار او من لم يرد الله عنه عفوا فالآية أعنى
قوله ما يبدل القول لدى محمولة على ذلك وعن الثالث بأن جواز تخلف الوعيد
فيما اذا كان واردا فيما يجوز العفو عنه فلا ينافى خلود الكفار فى النار فانه لا
يجوز العفو عن الكفر قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وهذه الآية مقيدة لقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا
وذهبت الماتريدية الى انه يمتنع تخلف الوعيد كما يمتنع تخلف الوعد ولا يرد على
ذلك ان الوعيد يتخلف فى المؤمن المغفور له لأن الآيات الواردة بعموم الوعيد
مخرج منها المؤمن المغفور له واما غير المغفور له فلا بد من نفوذ الوعيد فيه
فعوظهم لا بد من انفاذ الوعيد ولو فى واحد الآتى فى قوله وواجب تعذيب بعض
ارتكب كبيرة الخ انما يظهر على كلام الماتريدية وينبنى على الخلاف بين
الأشاعرة والماتريدية انه يصح على قول الأشاعرة ان تقول اللهم اغفر لجميع
المؤمنين جميع ذنوبهم ولا يصح ذلك على كلام الماتريدية فظهر ان الخلاف
حقيقى وان جعله بعضهم لفظيا فتدبر   فوز السعيد عنده فى الأزل
فوز مبتدأ وفى الأزل متعلق بمحذوف خبر والظرف المضاف للضمير العائد على الله
متعلق بمحذوف حال والتقدير فوز السعيد مقدر فى الأزل حال كونه سابقا
عنده تعالى اى فى علمه فالمراد من العندية العلم والفوز النجاة والظفر بالخير
كما فى القاموس والأزل عبارة عن عدم الأولية او عن استمرار الوجود فى
ازمنة مقدرة غير متناهية فى جانب الماضى وانما قلنا مقدرة لانه لا ازمنة
فى الأزل فهى مقدرة لا محققة وقوله كذا الشقى اى شقاوته عنده فى الأزل
مثل فوز السعيد فليس كل من فوز السعيد وشقاوة الشقى باعتبار الوصف القائم
به فى الحال من الايمان فى الأول والكفر فى الثانى بل باعتبار ما سبق ازلا فى
علمه تعالى وقوله ثم لم ينتقل اى لم يتحول كل واحد من السعيد والشقى عما سبق
ازلا فى علمه تعالى فالسعيد لا ينقلب شقيا وبالعكس والا لزم انقلاب العلم
جهلا وهو بديهى الاستحالة فالسعادة والشقاوة مقدرتان فى الأزل لا
يتغيران ولا يتبدلان لأن السعادة هى الموت على الايمان باعتبار تعلق علم الله
ازلا بذلك والشقاوة هى الموت على الكفر بذلك الاعتبار فالخاتمة تدل على
السابقة فان ختم له بالايمان دل على انه فى الأزل كان من السعداء وان تقدمه
كفر وان ختم له بالكفر دل على انه فى الأزل كان من الأشقياء وان تقدمه ايمان

كما

فوز السعيد عنده فى الأزل
كذا الشقى ثم لم ينتقل

كما يدل له حديث الصحيحين ان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه
وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وان احدكم
ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها اه وخوف العامة من الخاتمة وخوف الخاصة
من السابقة وهو اشد وان تلازما هذا ما ذهب اليه الأشاعرة وذهبت
الماتريدية الى ان السعادة هى الايمان فى الحال والشقاوة هى الكفر كذلك
فالسعيد هو المؤمن فى الحال واذا مات على الكفر فقد انقلب شقيا بعد ان كان
سعيدا والشقى هو الكافر فى الحال واذا مات على الايمان فقد انقلب سعيدا
بعد ان كان شقيا ويترتب على الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية انه يصح
ان تقول انا مؤمن ان شاء الله على قول الأشاعرة وانه لا يصح ذلك
على الثانى وحكى بعضهم فى ذلك خلافا على غير هذا الوجه حيث قال جوزه
الشافعى ومنعه مالك وابو حنيفة وقال بعض اتباع مالك بوجوبه وذلك
اذا لم يرد الشك والتبرك والا امتنع فى الأول اجماعا وجاز فى الثانى كذلك
وقد نظمه بعض الأفاضل حاصل هذا فقال   من قال انى مؤمن يمنع من
مقاله ان شاء ربى يا فطن   وذا المالك وبعض تابعيه   يوجب ان يقول هذا يا نبيه
ومثل ما المالك للحنفى   والشافعى جوز هذا فاعرف   وامنعه اجماعا اذا اراد به
الشك فى ايمانه يا منتبه   كعدم المنع اذا به يراد   تبرك بذكر خالق العباد
فالخلف حيث لم يرد شكا ولا   تبركا فكن بذا محتفلا   وبالجملة فالخلاف بين
الأشاعرة والماتريدية لفظى لأنهم اختلفوا فى المراد من لفظ السعادة ولفظ
الشقاوة مع الاتفاق فى الاحكام   وعندنا الخ الظرف متعلق بالنسبة
بين المبتدأ وهو كسب والخبر الجار والمجرور والضمير فى عندنا لأهل السنة
والحق بخلاف الجبرية والمعتزلة المردود عليهما فيما سيأتى وقد اشار المصنف
فى هذا البيت الى ان فى هذه المسئلة ثلاثة مذاهب مذهب اهل السنة وهو
انه ليس للعبد فى افعاله الاختيارية الا الكسب فليس مجبورا كما تقول الجبرية
وليس خالقا لها كما تقول المعتزلة ومذهب الجبرية وهو ان العبد ليس له
كسب بل هو مجبور اى مقهور كالريشة المعلقة فى الهواء تقلبها الرياح كيف
شاءت ومذهب المعتزلة وهو ان العبد خالق لأفعاله الاختيارية بقدرة
خلقها الله فيه ولقولهم بقدرة خلقها الله فيه لم يكفروا على الأصح فالجبرية
افرطوا والمعتزلة فرطوا وتوسط اهل السنة وخير الأمور اوساطها فخرج

وعندنا للعبد كسب كلفا
ولم يكن مؤثرا فلتعرفا

مذهبهم من بين فرث اعنى مذهب المعتزلة ودم اعنى مذهب الجبرية لبنا خالصا
سائغا للشاربين فان قيل قد قام البرهان على وجوب استقلاله تعالى
بالافعال والمقدور الواحد لا يدخل تحت قدرتين كما يستلزمه اثباتكم للعبد
كسبا اجيب بانه لما ثبت بالبرهان ان الخالق هو الله سبحانه وتعالى وبالضرورة
ان لقدرة العبد مدخلا فى بعض الافعال كحركة البطش دون البعض كحركة
الارتعاش احتجنا فى التخلص من هذا المضيق بان الله خالق للفعل لكن للعبد
فى الاختيارى منه كسب والمقدور الواحد يدخل تحت قدرتين بجهتين مختلفتين
فيدخل تحت قدرة الله تعالى بجهة الخلق وتحت قدرة العبد بجهة الكسب

للعبد المراد به كل مخلوق يصدر عنه فعل اختيارى قال المص فيشمل
حنين الجذع ومشى الشجر وتسبيح الحصى اه وهذا يقتضى ان مثل ذلك من محل
الخلاف فلينظر وقوله كسب هو تعلق القدرة الحادثة وقيل هو الارادة
الحادثة فان الامور اربعة ارادة سابقة وقدرة وفعل مقترنان وارتباط
بينهما فعلى تفسير الكسب بهذا الارتباط وهو تعلق القدرة بالمقدور وليس مخلوقا
لانه من الامور الاعتبارية وعلى تفسيره بالارادة الحادثة يكون مخلوقا وقد عرفوا
الكسب بتعريفين الاول انه ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به اى
ارتباط وتعلق او ارادة على ما سبق من القولين يقع المقدور كالحركة متلبسا
ومصحوبا به من غير صحة كون القادر وهو العبد ينفرد بذلك المقدور بل ومن
غير صحة المشاركة اذ لا تاثير منه بوجه ما وانما له مجرد المقارنة والخالق الحق
منفرد بعموم التاثير الثانى انه ما يقع به المقدور فى محل قدرته اى ارتباط
وتعلق او ارادة على ما مر من القولين يقع المقدور كالحركة متلبسا ومصحوبا
به حال كون هذا المقدور فى محل قدرته كاليد وقوله كلفا الفه للاطلاق وهو
مبنى للمفعول ونائب الفاعل ضمير يعود على العبد والاصل كلفه الله اى الزمه
ما فيه كلفة او طلب منه ما فيه كلفة على الخلاف فى تفسير التكليف ويفهم
من اثبات الكسب الذى هو سبب فى التكليف رد مذهب الجبرية ولم يكن
مؤثرا فلتعرفا هذه النسخة هى التى اصلحها المص رحمه الله تعالى فى المبيضة
وهى احسن من المتداولة التى كتبها اولا فى تاليفه وهى وعندنا للعبد كسب كلفا
به ولكن لا يؤثر فاعرفا ولما شرح هذا البيت شرح على النسخة المتداولة لغيبة
النسخة التى اصلحها عنه ولذلك قال وما منعنى ان اشرح عليها الا غيبة
الاصل عنى كما نبه على ذلك فى طرة اصله اى الا غيبة الاصل المصلح عند عند

ارادته

ارادته لشرح هذا البيت ووجه الاحسنية انه لا محل للاستدراك فانه يساق
لدفع ما يتوهم ثبوته او لاثبات ما يتوهم نفيه كما فى قولهم زيد شجاع لكنه ليس
بكريم وكما فى قولهم زيد جبان لكنه كريم وهنا لا يتوهم ثبوت التاثير من التعبير
بالكسب لان اصطلاحهم ان الكسب لا تاثير فيه الا ان يقال ربما يتوهم انه
يؤثر فى مكسوبه وقد يقال المتداولة احسن لما فيها من التصريح بلفظه وبالمعنى
عليه ولو صرح به على النسخة المصححة لم يستقم الوزن نعم يحتاج فى رجز
المتداولة لتسكين راء يؤثر والالف فى قوله فلتعرفا او فاعرفا بدل من نون
التوكيد الخفيفة فى الوقف وبالجملة فليس للعبد تاثير ما فهو مجبور باطنا
مختار ظاهرا فان قيل اذا كان مجبورا باطنا فلا معنى للاختيار الظاهرى
لان الله قد علم وقوع الفعل ولابد وخلق فى العبد القدرة عليه اجيب
بانه تعالى لا يسأل عما يفعل ولذلك قال سيدى ابراهيم الدسوقى من نظر للخلق
بعين الحقيقة عذرهم ومن نظرهم بعين الشريعة مقتهم فالعبد مجبور فى صورة
مختار والصوفية يشيرون للجبر كثيرا وحاشاهم من الجبر الظاهرى وانما مرادهم
الجبر الباطنى ويفهم من نفى التاثير رد مذهب المعتزلة فليس مجبورا الخ
اى اذا علمت ان للعبد كسبا فى افعاله الاختيارية فاعتقد ان العبد ليس مجبورا
وقوله ولا اختيارا عطف تفسير لمعنى مجبورا فكانه قال اى لا اختيار له فى صدور
افعاله عنه وهو مسلط عليه النفى السابق فالمراد انه ليس لا اختيار له بل
له اختيار وغرض المص بذلك التصريح بالرد على الجبرية فى قولهم ان العبد مجبور
لا اختيار له فى صدور جميع افعاله عنه فهو كريشة معلقة فى الهواء تميلها
الرياح يمينا وشمالا قال شاعرهم موردا على اهل السنة ما حيلة العبد
والاقدار جارية عليه فى كل حال ايها الرائى القاه فى اليم مكتوفا وقال له
اياك اياك ان تبتل بالماء واجابه بعض اهل السنة بقوله
ان حفه اللطف لم يمسسه من بلل ولم يبال بتكتيف والقاء وان يكن قدر المولى بغرقته
فهو الغريق ولو القى بصحراء والواجب اعتقاده ان بعض افعاله صادر
باختياره والبعض الآخر باضطراره لما يجده كل عاقل من الفرق الضرورى
بين حركة البطش وحركة المرتعش وليس كلا يفعل اختيارا اى وليس
العبد يفعل كل فعل حال كون ذلك الفعل اختياريا فكلا مفعول ليفعل مقدم
عليه ويفعل بمعنى يخلق فالمعنى ليس العبد يخلق كل فعل من افعاله الاختيارية
وظاهر ذلك انه يخلق بعض افعاله الاختيارية لان القاعدة انه

فليس مجبورا ولا اختيارا
وليس كلا يفعل اختيارا

اذا تقدمت اداة السلب على اداة العموم افادت سلب العموم كما فى قولهم
لم آخذ كل الدراهم مع ان المراد انه لا يخلق فعلاً ابداً وقد يقال قوله ولم
يكن مؤثراً قرينة على المعنى المراد والقاعدة اغلبية لا كلية فالمراد هنا
عموم السلب كما فى قوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور وغرض المص
بذلك التصريح بالرد على المعتزلة فى قولهم ان العبد يخلق افعال نفسه الاختيارية
وانما صرح بالرد على كل من الجبرية والمعتزلة فى هذا البيت مع فهم الرد على
كل منهما من البيت قبله كما تقدم التنبيه عليه لان القوم لا يكتفون فى
مقام رد المذاهب الفاسدة الا بالتصريح فان يثبنا الخ مفرع على ما
تقدم من وجوب انفراده تعالى بخلق افعال العباد وانه ليس لهم فيها سوى
الكسب ووجه التفريع انه لم يحصل منهم خير يستحقون به ثواباً ولا شر
يستحقون به عقاباً فالفاء للتفريع ويصح ان تكون فاء الفصيحة لأنها
افصحت عن شرط محذوف والتقدير اذا علمت انفراده تعالى بخلق افعالنا
خيراً كانت او شراً فان يثبنا الخ تنبيه اتفقوا على ان بنى آدم مثابون
ومعاقبون واما الملائكة فسيأتى الكلام فى اثابتهم عند قول المص بكل عبد
حافظون وكلوا واما الجن فقد اتفق العلماء على ان كافرهم معذب فى الآخرة
واختلف فى مؤمنهم على اقوال فقيل انهم كالانس فيثابون على الطاعة
ويعاقبون على المعصية وقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار ثم يقال لهم كونوا
تراباً كالبهائم وقيل يكونون فى ربض الجنة يراهم الانس من حيث لا يرونهم
عكس ما كانوا عليه فى الدنيا وقيل يكونون فى الأعراف ذكره الجلال السيوطى
مع ما يشهد لكل من الأحاديث اهـ شنوانى بتصرف فبمحض الفضل اى
فاثابته لنا انما هى بفضله المحض اى الخالص فالاضافة فى كلامه من اضافة
الصفة للموصوف ومعنى الفضل المحض الاعطاء عن اختيار كامل لا عن ايجاب
بحيث يثيبنا ولا اختيار له فى الاثابة ابداً لكونه علة تنشأ عنها معلولاتها
من غير اختيار لها كما يقوله الحكماء ولا عن وجوب بحيث تصير الاثابة مستحقة
لازمة يمتنع عليه تعالى تركها فيثيبنا باختياره لكن مع الوجوب كما يقوله
المعتزلة فمذهب اهل السنة ان اثابته تعالى لنا بالفضل الخالص غير مشوبة
بايجاب ولا وجوب فقولنا بالفضل رد لكلام الحكماء وقولنا الخالص رد
لكلام المعتزلة ويدل لمذهب اهل السنة ان طاعات العبد وان كثرت لا تفى
بشكر بعض ما انعم الله به عليه فكيف يتصور استحقاقه عوضاً عليها

فان يثبنا فبمحض الفضل
وان يعذب فبمحض العدل

وان يعذب فبمحض العدل اى وان يعذبنا فتعذيبه انما هو بالعدل المحض
اى الخالص فالاضافة فى كلامه من اضافة الصفة للموصوف كما مر فى نظيره
ومعنى العدل المحض وضع الشئ فى محله من غير اعتراض على الفاعل ضد الظلم
الذى هو وضع الشئ فى غير محله مع الاعتراض على فاعله حكى عن الشيخ عفيف
الدين الزاهد انه كان بمصر فبلغه ما وقع ببغداد من القتل فانه وقع السيف
فيها اربعين يوماً فقتل الف الف وعلقت النصارى المصاحف فى اعناق
الكلاب وجعلوا المساجد كنائس والقوا كتب الأئمة فى الدجلة حتى صارت
كالجسر يمر الخيل عليها فانكر الشيخ عفيف الدين ذلك وقال يارب كيف هذا وفيهم
الأطفال ومن لا ذنب له فرأى فى النوم رجلا ومعه كتاب فأخذه فاذا فيه
دع الاعتراض فما الأمر لك ولا الحكم فى حركات الفلك ولا تسأل الله عن فعله
فمن خاض لجة بحر هلك وبالجملة فهو سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة ولا
تضره معصية والكل بخلقه فليست الطاعة مستلزمة للثواب وليست المعصية
مستلزمة للعقاب وانما هما امارتان تدلان على الثواب لمن طاع والعقاب لمن عصى
حتى لو عكس دلالتهما بأن قال من اطاعنى عذبته ومن عصانى اثبته لكان ذلك
منه حسناً فلا حرج عليه لا يسأل عما يفعل وهذا كله بحسب العقل واما
بحسب الشرع فلا يجوز خلف الوعد لأنه سفه وهو مستحيل عليه تعالى
واما الوعيد فيجوز الخلف فيه لأنه كرم وفضل كما تقدم تحقيق ذلك
وقولهم الخ هذا علم مما تقدم من انه يجوز فى حقه تعالى فعل كل ممكن وتركه
لكن لما كان خطر الجهل فى هذا الفن عظيما لم يكتف فيه الا بالتصريح وقولهم
مبتدا وخبره زور والضمير عائد على المعتزلة وان لم يتقدم لهم ذكر لشهرة
هذا المذهب عنهم وجملة قوله ان الصلاح واجب عليه مقول قولهم واعلم
ان للمعتزلة عبارتين الأولى وجوب الصلاح والمراد به ما قابل الفساد كالايمان
فى مقابلة الكفر فيقولون اذا كان هناك امران احدهما صلاح والآخر فساد وجب
على الله ان يفعل الصلاح منهما دون الفساد والثانية وجوب الاصلح
والمراد به ما قابل الصلاح ككونه فى اعلى الجنان فى مقابلة كونه فى اسفلها فيقولون
اذا كان هناك امران احدهما صلاح والآخر اصلح منه وجب على الله ان يفعل الاصلح
منهما دون الصلاح والمص تكلم فى ابطال مذهبهم على الأولى دون الثانية
لأن الصلاح اعم من الأصلح واذا بطل الأعم بطل الأخص وفى كلام المص اجمال
فى نسبة القول بذلك اليهم لعدم تعلق غرضه بمذهبهم وانما غرضه الرد عليهم

وقولهم ان الصلاح واجب
عليه زور ما عليه واجب

ن

والحاصل انهم قالوا بوجوب الصلاح والأصلح عليه تعالى ثم اختلفوا
فذهبت معتزلة بغداد الى انه يجب على الله تعالى مراعاة الصلاح والأصلح
لعباده فى الدين والدنيا وذهب معتزلة البصرة الى انه يجب عليه تعالى مراعاة الصلاح
والأصلح لهم فى الدين فقط ثم اختلفوا ايضا فى المراد بالأصلح فعند البغدادية
الأوفق فى الحكمة والتدبير وعند البصرية الأنفع وهذه المسئلة كانت سببا
لافتراق الشيخ ابى الحسن الأشعرى من شيخه ابى هاشم الجبائى فان ابا الحسن
سأل الجبائى فى درسه فقال ما تقول فى ثلاثة اخوة اى متلازمات احدهم كبيرا
مطيعا والآخر كبيرا عاصيا والثالث صغيرا فقال الجبائى الأول يثاب بالجنة
والثانى يعاقب بالنار والثالث لا يثاب ولا يعاقب فقال له الأشعرى فان قال
الثالث يا رب لم امتنى صغيرا وما ابقيتنى فأطيعك فأدخل الجنة ماذا يقول
الرب فقال الجبائى يقول الرب انى اعلم انك لو كبرت عصيت فتدخل النار
فكان الأصلح لك ان تموت صغيرا فقال الأشعرى فان قال الثانى يا رب لم لم
تمتنى صغيرا فلا ادخل النار ماذا يقول فبهت الجبائى فترك الأشعرى مذهبه
واشتغل هو واتباعه بابطال ما ذهبت اليه المعتزلة واثبات ما وردت به
السنة ومضى عليه الجماعة فلذلك سموا بأهل السنة والجماعة زور
اى مزين الظاهر فاسد الباطن فهو باطل ويصح تفسيره من اول الأمر بالباطل
وانما كان مزين الظاهر للتعبير عنه بالصلاح والأصلح والا فهو من اسمج المذاهب
وانما كان فاسد الباطن لأنه لو وجب عليه تعالى الصلاح والأصلح لعباده لما خلق الكافر
الفقير المعذب فى الدنيا بالفقر وفى الآخرة بالعقاب الأليم المخلد لأن الأصلح
له عدم خلقه وان خلق فالأصلح له اماته صغيرا او سلب عقله قبل التكليف
وحكى ان الحافظ ابن حجر مر يوما فى السوق فى موكب عظيم وهيئة جميلة فهجم عليه
يهودى يبيع الزيت الحار واثوابه ملطخة بالزيت وهو فى غاية الرثاثة والبشاعة
فقبض على لجام بغلته وقال يا شيخ الاسلام تزعم ان نبيكم قال الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر فأى سجن انت فيه واى جنة انا فيها فقال انا بالنسبة لما اعد الله لى
فى الآخرة من النعيم كأنى الآن فى سجن وانت بالنسبة لما اعد الله لك فى الآخرة
من العذاب الأليم كأنك فى جنة فأسلم اليهودى ما عليه واجب اى ليس
عليه تعالى واجب من فعل او ترك لأنه تعالى فاعل بالاختيار ولو وجب عليه فعل
او ترك لما كان مختارا لأن المختار هو الذى ان شاء فعل وان شاء ترك واما الآيات
الدالة على الوجوب عليه تعالى نحو وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها فمحمولة على ان

المراد

المراد بها الوعد تفضلا وكذلك الأحاديث الدالة على ذلك وتقدم الكلام فى نظيره
من الانطاكى فلا تغفل ألم يروا الخ هذا تنبيه على فساد مذهبهم والرؤية
بصرية ويحتمل ان تكون علمية والاول ابلغ لمزيد التشنيع عليهم وهم حقيقون
بذلك خصوصا فى هذا المقام فان فيه غاية اساءة الأدب وقوله ايلامه مفعول
يروا وعلى جعلها علمية يكون المفعول الثانى محذوفا تقديره حاصلا مثلا وعلى
جعلها بصرية لا تحتاج الى مفعول ثان واعترض بأن الايلام عبارة عن
تعلق القدرة بالألم وهو لا يرى واجيب بأنه على حذف مضاف والتقدير
اثر ايلامه وذلك الأثر هو الألم وقوله الأطفال مفعول الايلام لأنه مصدر
مضاف لفاعله وهو الضمير العائد على الله فالأصل ايلام الله الاطفال
وحكمة ايلام الاطفال حصول الثواب عليه لأبويهم لأن ذلك من المصائب التى
يثاب الشخص عليها ولهذا قال امام الحرمين شدائد الدنيا مما يلزم العبد الشكر
عليها لأنها نعم حقيقة وشبهها اى كالدواب والمجزة فانهم لا نفع لهم
فى انزال الأسقام بهم وقوله فحاذر المحالا بكسر الميم بمعنى العقاب قال تعالى
وهو شديد المحال ويصح قرآءته بفتح الميم بمعنى الشك وبالضم بمعنى الممتنع
فالمعنى على الأول فاحذر عقاب الله النازل بهم على اضلالهم وعلى الثانى فاحذر
الشك فى ذلك وعلى الثالث فاحذر الممتنع وهو وجوب شئ عليه تعالى
وجائز عليه خلق الخ جائز خبر مقدم وخلق مبتدا مؤخر والمتبادر من كلام المص
التكلم فى مسئلة الخلق فذكر ان مذهب اهل السنة ان الله يجوز عليه خلق الخير
والشر وخالفت المعتزلة فيهما فقالوا ان العبد يخلق افعال نفسه الاختيارية
خيرا كانت او شرا وقد صرفه الش عن ظاهره فجعله فى الارادة تبعا للمص فى شرحه
لأن ابقاء العبارة على ظاهرها يجعلها مكررة مع قوله سابقا فخالق لعبده وما
عمل الا ان يجعل هذا تفصيلا لما تقدم وعلى كلام الش يكون فى العبارة مجاز
بالحذف والتقدير ارادة خلق الخ ووافقت المعتزلة على ان الله يريد الخير وخالفت
فى انه يريد الشر فقالوا يمتنع عليه تعالى ارادة الشرور والقبائح وبنوا ذلك
على اصلهم الفاسد ومذهبهم الكاسد من التحسين والتقبيح العقليين فيقولون
الله يريد الحسن لذاته ولا يريد الشر لذاته وعندنا الحسن ما حسنه الشرع
والقبيح ما قبحه الشرع واستدلت المعتزلة على مذهبهم بأن ارادة الشر شر
وارادة القبيح قبيحة والله تعالى منزه عن الشرور والقبائح ورد بأنه لا قبح
من الله شئ غاية الأمر انه يخفى علينا وجه حسنه واستدلت المعتزلة ايضا على

ألم يروا ايلامه الأطفالا

وشبهها فحاذر المحالا

وجائز عليه خلق الشر والخير كالاسلام وجهل الكفر

مذهبهم بأن العقاب على ما اراده ظلم والله تعالى منزه عن الظلم ورد بانه
تصرف فى خالص ملكه وهو لا يعد ظلما على انه سبحانه وتعالى لا يسأل عما
يفعل ويحكى ان ابليس لعنه الله تمثل بين يدي الشافعي رضي الله عنه
وقال يا امام ما تقول فيمن خلقنى لما اختار واستعملنى فيما اختار وبعد ذلك
ان شاء ادخلنى الجنة وان شاء ادخلنى النار اعدل فى ذلك ام جار قال الامام
فنظرت فى مسئلته فالهمنى الله تعالى ان قلت يا هذا ان كان خلقك لما تريد
انت فقد ظلمك وان كان خلقك لما يريد هو فلا يسئل عما يفعل وهم
يسألون فاضمحل ابليس وتلاشى ثم قال يا شافعي لقد اخرجت بمسألتك
هذه سبعين الف عابد من ديوان العبودية الى ديوان الزندقة ولا يرد على
مذهب اهل السنة حديث الخير بيديك والشر ليس اليك لان معناه الخير
بقدرتك وارادتك والشر لا يتقرب به اليك ويلزم على ما ذهب اليه المعتزلة
ان اكثر ما يقع فى ملكه تعالى غير مراد له لأن الشرور اكثر من الخيرات
ويرده قوله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن
الشر والخير اعلم انهم يعبرون عن الأول بالقبيح وعن الثانى بالحسن
واصطلحت المعتزلة على ان القبيح ما يكون متعلق الذم فى العاجل اى الدنيا
والعقاب فى الآجل اى الآخرة فيكون القبيح هو الحرام بخصوصه وعلى ان الحسن
ما لا يكون متعلق الذم والعقاب فيشمل الواجب والمندوب والمباح
والمكروه وخلاف الأولى ان لم ندخله فى المكروه فهذه الامور كلها حسنة
عندهم واصطلح كثير من اهل السنة على ان المنهى عنه مطلقا قبيح
والأحسن ما قاله امام الحرمين ان المكروه ومنه خلاف الأولى ليس حسنا
ولا قبيحا وقوله كالاسلام مثال للخير وقوله وجهل الكفر مثال للشر
ففيه مع ما قبله لف ونشر مشوش والاضافة فى جهل الكفر للبيان
اى جهل هو الكفر او من اضافة السبب للمسبب فان الجهل سبب للكفر
وان كان له سبب آخر وهو العناد وقد تقدم تعريف الجهل وانقسامه الى
بسيط ومركب والكفر ضد الايمان فهو انكار ما علم مجئ الرسول به من الدين
بالضرورة او ما يستلزمه ذلك كالقاء مصحف فى القاذورة وانما اضاف
الناظم الجهل الى الكفر ليعلم على ان من الجهل ما لا يضر كجهلنا بجلال الله و
صفاته التى لم تدل عليها افعاله كما يشير اليه قول الصديق الأكبر العجز عن
الادراك ادراك

وواجب ايماننا الخ واجب خبر مقدم وايماننا مبتدأ

وواجب ايماننا بالقدر
وبالقضا كما اتى فى الخبر

مؤخر وغرض المص بذلك الرد على القدرية التى تنفى القدر وتزعم انه تعالى لم
يقدر الأمور ازلا وتقول الأمر انف اى يستأنفه الله علما حال وقوعه ولقبوا
بالقدرية لخوضهم فى القدر حيث بالغوا فى نفيه ولا يقال لمثبت القدر احق
ان ينسب اليه لأنا نقول كما يصح نسبة مثبته اليه يصح نسبة نافيه اليه
اذا بالغ فى نفيه وهؤلاء انقرضوا قبل الامام الشافعى رضي الله تعالى عنه
واما القدرية التى تنسب افعال العبيد الى قدرهم مع كونهم مطبقين على انه
تعالى عالم بافعال العباد قبل وقوعها فقد تقدم الرد عليهم بقوله سابقا
فخالق لعبده وما عمل فهما قدريتان اولى وهى تنكر سبق علمه تعالى بالاشيا
قبل وقوعها وتخوض فى القدر حيث بالغت فى نفيه وثانية وهى تنسب افعال
العباد الى قدرهم ومذهب هذه وان كان مذهبا باطلا اخف من مذهب الفرقة
الاولى فانه كفر والايمان بالقضاء والقدر يستدعى الرضى بهما فيجب
الرضى بالقضا والقدر واستشكل بانه يلزم على ذلك الرضى بالكفر والمعاصى
لأن الله قضى بهما وقدرهما على الشخص مع ان الرضى بالكفر كفر وبالمعاصى
معصية واجيب بما قاله السعد من ان الكفر والمعاصى مقضى ومقدر
لا قضا وقدر والواجب الرضى به انما هو القضاء والقدر لا المقضى والمقدور
وفيه انه لا معنى للرضى بالقضا والقدر الا الرضى بالمقضى والمقدر والذى
حققه الخيالى فى حاشيته اى على العقائد ان الكفر والمعاصى لهما جهتان
جهة كونهما مقضيتين ومقدرتين لله وجهة كونهما مكتسبتين للعبد فيجب الرضى
بهما من الجهة الأولى دون الثانية واعلم انه وان وجب الايمان بالقدر لكن
لا يجوز الاحتجاج به قبل الوقوع توصلا اليه بان قال شخص قدر الله على الزنا
مثلا وغرضه بذلك التوصل الى الوقوع فى الزنا او بعد الوقوع تخلصا
من الحد او نحوه بان وقع شخص فى الزنا مثلا وقال قدر الله على ذلك وغرضه
به التخلص من الحد واما الاحتجاج به بعد الوقوع لدفع اللوم عنه فقط فلا بأس
به ففى الحديث الصحيح ان روح آدم التقت مع روح موسى عليهما الصلاة والسلام
فقال موسى لآدم انت ابو البشر الذى كنت سببا لاخراج اولادك من الجنة
بأكلك من الشجرة فقال آدم يا موسى فأنت الذى اصطفاك الله بكلامه وخط
لك التوراة بيده تلومنى على امر قد قدره الله على قبل ان يخلقنى باربعين سنة
قال النبى صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى اى غلبه بالحجة بالقدر والقضا
اعلم ان الأشاعرة والماتريدية اختلفوا فى كل من القدر والقضاء فالقدر

عند الأشاعرة ايجاد الله الأشياء على قدر مخصوص ووجه معين اراده تعالى
فيرجع عندهم لصفة فعل لأنه عبارة عن الايجاد وهو من صفات الأفعال
وعند الماتريدية تحديد الله ازلا كل مخلوق بحده الذى يوجد عليه من حسن
وقبح ونفع وضر الى غير ذلك اى علمه تعالى ازلا صفات المخلوقات فيرجع عندهم
لصفة العلم وهى من صفات الذات والقضاء عند الأشاعرة ارادة الله الاشياء
فى الأزل على ما هى عليه فيما لا يزال فهو من صفات الذات عندهم وعند الماتريدية
ايجاد الله الأشياء مع زيادة الاحكام والاتقان فهو صفة فعل عندهم
فالقدر حادث والقضاء قديم عند الأشاعرة ولا كذلك عند الماتريدية وقد
حمل الشارح كلام المص على مذهب الماتريدية فى القدر والقضاء ومذهب الأشاعرة
لأن القضاء فى اللغة له نحو معان سبعة اشهرها الحكم وهو يرجع للفعل فناسب
ان يفسر فى الاصطلاح بالفعل واما القدر فلم يرد ان معناه فى اللغة الفعل
فناسب ان لا يفسر فى الاصطلاح بالفعل بل بالعلم وقد نظم العلامة الأجهورى
معنى القضاء والقدر وحكى فيه الخلاف على غير هذا الوجه فقال

ارادة الله مع التعلق فى ازل قضاؤه فحقق والقدر الايجاد للاشيا على
وجه معين اراده على وبعضهم قد قال معنى الأول العلم مع تعلق فى الأزل
والقدر الايجاد للأمور على وفاق علمه المذكور فأنت تراه جعل القضاء هو
الإرادة مع التعلق الأزلى على القول الأول او العلم مع التعلق الأزلى
على القول الثانى وعلى كل من القولين فهو قديم وجعل القدر هو الايجاد
على وفق الارادة على القول الأول او الايجاد على وفق العلم على القول الثانى
وعلى كل من القولين فهو حادث وبعد هذا كله فالقضاء والقدر راجعان لما تقدم
من العلم والارادة وتعلق القدرة لكن لما كان خطر الجهل فى هذا الفن عظيما صرحوا بهما
كما اتى فى الخبر اى لما ورد فى الخبر فالكاف للتعليل والمراد من الخبر الحديث
لأن الخبر والحديث مترادفان على الأصح ولذلك قال العلامة الصبان فى
منظومته التى فى المصطلح والخبر المتن الحديث الأثر ما عن امام المرسلين يوثر
او غيره لا فرق فيما اعتمد واشار المص بذلك الى ان دليل ذلك سمعى فمن جملة
ذلك ما روى عن على كرم الله وجهه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة يشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى
بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره ومن جملة ذلك
ايضا حديث الأربعين الايمان ان تؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله وتؤمن

بالقدر

ومنه ان ينظر الخ اى بالابصار

بالقدر خيره وشره حلوه ومره وانما عولوا على الدليل السمعى هنا لأنه اسهل
للعامة والا فقد علمت مما مر ان القضاء والقدر يرجعان للصفات التى عولوا فيها
على الدليل العقلى ومنه ان ينظر الخ اى ومن الجائز عقلا عليه تعالى ان ينظر
الخ فالرؤية جائزة عقلا دنيا واخرى لأن البارى سبحانه وتعالى موجود
وكل موجود يصح ان يرى فالبارى عز وجل يصح ان يرى لكن لم تقع دنيا لغير نبينا
صلى الله عليه وسلم وواجبة شرعا فى الآخرة كما اطبق عليه اهل السنة
للكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فآيات كثيرة منها قوله تعالى وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومعنى ناضرة حسنة وهو صفة للوجوه وهو
المسوغ للابتداء به وناظرة خبره وحمل الجبائى النظر فى الآية على الانتظار
وجعل الى اسما بمعنى النعمة والمعنى عنده منتظرة نعمة ربها ومنها قوله تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة فكان الحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر لوجهه
الكريم قاله جمهور المفسرين ومنها قوله تعالى على الأرائك ينظرون واما
السنة فأحاديث كحديث انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر والتشبيه
للرؤية فى عدم الشك والخفاء لا للمرئى كما قد يتوهم والتعبير بالسين فى الحديث
لأن القيامة قد قربت واول المعتزلة الحديث بأن المعنى سترون رحمة ربكم
واما الاجماع فهو ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا مجمعين على وقوع الرؤية
فى الآخرة قال الامام مالك رضى الله تعالى عنه لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى
لأوليائه حتى رأوه ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الكافرون
بالحجاب قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقال الامام الشافعى
رضى الله تعالى عنه لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى ثم قال
اما والله لو لم يوقن محمد بن ادريس بأنه يرى ربه فى الميعاد لما عبده فى الدنيا
وهذا من كلام المدللين نفعنا الله بهم والا فالله يستحق العبادة لذاته
وقال ابن العربى ان رؤية الله جعلت تقوية للمعرفة الحاصلة فى الدنيا فما
رأى لكن سمعا والحاصل ان هنا مقامين كما يستفاد من كلام السعد فى شرح
المقاصد احدهما فى جواز الرؤية وثانيهما فى وقوعها والمتبادر من كلام
المص المقام الأول كما هو قضية مرجع الضمير بالأبصار ظاهره
ان الرؤية بالحدق فقط وهو احد اقوال ثلاثة ثانيها انها بجميع الوجوه
لظاهر قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ثالثها انها بكل
جزء من اجزاء البدن كما نقل عن ابى يزيد البسطامى لكن بلا كيف

ومنه ان يكون لا كيف ولا انحصار

لما كان قد يتوهم من قوله ومنه ان ينظر بالابصار انه تعالى يرى بكيف كما
فى رؤية بعضنا بعضًا استدرك عليه بقوله لكن بلا كيف اى بلا تكيف للمرئى
بكيفية من كيفيات الحوادث من مقابلة وجهة وتحيز وغير ذلك وغرض
المص بذلك الجواب عن شبهة المعتزلة العقلية التى تمسكوا بها فى قولهم
باءحالة الرؤية وحاصلها انه تعالى لو كان مرئيا لكان مقابلا للرآئى
بالضرورة فيكون فى جهة وحيز وحاصل الجواب ان قولكم لكان مقابلا
للرآئى بالضرورة ممنوع فلزوم الجهة والحيز ممنوع اذ الرؤية قوة يجعلها
الله فى خلقه لا يشترط فيها مقابلة المرئى ولا كونه فى جهة وحيز ولا غير
ذلك ودعوى الضرورة فيما نازع فيه الجم الغفير من العقلآء غير مسموع غاية
الامر ان هذه الامور لازمة عادة لا عقلا وانتحوا من قول اهل السنة بلا كيف
البلكفة وقد انشد الزمخشرى فى الكشاف يهجوا اهل السنة
لجماعة سموا هواهم سنة   وجماعة حمر لعمرى موكفه   قد شبهوه بخلقه فتخوفوا
شنع الورى فتستروا بالبلكفه   ورد عليه السيد البليدى بقوله
هل نحن من اهل الهوى وانتم   ومن الذى منا حمير موكفه   اعكس تصب فالوصف فيكم ظاهر
كالشمس فارجع عن مقال الزخرفه   يكفيك فى ردى عليك باننا نحتج بالآيات لا بالسفسفه
وبنفى رؤيته فانت حرمتها   ان لم تقل بكلام اهل المعرفه   فنراه فى الاخرى بلا كيفية
وكذاك من غير ارتسام للصفه   وقال بعضهم فى الرد عليه   شبهت جهلا صدر امة احمد
وذوى البصائر بالحمير الموكفه   وجب الخسار عليك فانظر منصفا   فى آية الاعراف فهى المنصفه
اترى الكليم اتى بجهل ما اتى   واتى شيوخك ما اتوا عن معرفه   ان الوجوه اليه ناظرة بذا
جا الكتاب فقلتم هذا سفه   نطق الكتاب وانت تنطق بالهوى   فهوى الهوى بك فى المهاوى المتلفه
وقد شنعوا فى الرد عليه بغير ذلك وقوله ولا انحصار اى ولا انحصار للمرئى
عند الرائى بحيث يحيط به لاستحالة الحدود والنهايات عليه تعالى وغرض
المصنف بذلك الجواب عن شبهة المعتزلة النقلية التى تمسكوا بها فى قولهم
باحالة الرؤية وهى قوله تعالى لا تدركه الابصار فانه يدل على انه تعالى لا
يدرك بالبصر والادراك هو الرؤية فلا يرى بالبصر وحاصل الجواب انا لا نسلم
ان الادراك بالبصر هو مطلق الرؤية بل هو رؤية مخصوصة وهى التى تكون
على وجه الاحاطة بحيث يكون المرئى منحصرا بحدود ونهايات فالادراك
المنفى فى الآية الكريمة اخص من الرؤية ولا يلزم من نفى الاخص نفى الاعم
والحاصل انه تعالى يرى من غير تكيف بكيفية من الكيفيات المعتبرة

فى

[illegible]

فى رؤية الاجسام ومن غير احاطة بل يحار العبد فى العظمة والجلال حتى لا
يعرف اسمه ولا يشعر بمن حوله من الخلائق فان العقل يعجز هنالك عن الفهم
ويتلاشى الكل فى جنب عظمته تعالى   للمؤمنين متعلق بينظر
لتضمنه معنى الانكشاف فلا يرد ما يقال ان نظر اذا كان بمعنى ابصر يتعدى
بالى والمراد بالمؤمنين ما يشمل المؤمنات ففيه تغليب فانهن يرينه تعالى
على الصحيح وعمومه يشمل الملئكة قال السيوطى وهو الاقوى وقيل لا
رؤية للملئكة اصلا وقيل ان جبريل يراه تعالى دون سائر الملئكة
ويشمل ايض مؤمنى الجن فيحصل لهم الرؤية فى الموقف مع سائر المؤمنين
قطعا وفى الجنة على الراجح ويشمل ايض مؤمنى الامم السابقة ولابن ابى جمرة فيهم
احتمالان قال والاظهر مساواتهم لهذه الامة فى الرؤية ويشمل ايض اهل
الفترة على القول بنجاتهم وان غيروا وبدلوا وعبدوا الاوثان ويخرج بالمؤمنين
الكفار والمنافقون فلا يرونه تعالى على الراجح لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون ولانهم ليسوا من اهل الاكرام والتشريف وقيل انهم
يرونه ثم يحجبون فتكون الحجبة حسرة عليهم قال الجلال وله شواهد
رويناها عن الحسن البصرى ولا يراه سائر الحيوانات غير العقلاء حتى الحيوانات
التى تدخل الجنة مثل ناقة صالح وكبش اسمعيل كما هو ظاهر كلامهم
ومحل الرؤية الجنة بلا خلاف فيراه اهلها فى مثل يوم الجمعة والعيد ويراه
خواصهم كل يوم بكرة وعشيا وبعضهم لا يزال مستمرا فى الشهود حتى قال
ابو يزيد البسطامى ان لله خواص من عباده لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته
ساعة لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث اهل النار من النار وعذابها
واما فى عرصات القيمة كالموقف فالصحيح وقوعها ايض لانه ورد فى السنة
ما يقتضى وقوعها لهم فيها ففى الحديث ينادى مناد اذا كان يوم القيامة لتلزم كل
امة معبودها فتقول هذه الامة هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فيظهر لهم
اى على الوجه الذى لا يعرفونه بان يدخل عليهم غلطا فى كشفهم والا فهو سبحانه
منزه عن ان يتصف بما لا يليق به فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك
نشت ربنا فيتجلى لهم تجليا لائقا بجلال ذلك المقام ويكشف عن الساق
ويقول انا ربكم فيراه المؤمنون كما يعلمون اى على وفق ما يعتقدون فيخرون
سجدا الا المنافقون اه وهذا معنى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق الآية
وكشف الساق عند الخلف بمعنى رفع الحجاب والسلف يفوضون انظر شراح البخارى

اذ بجائز علقت بسكون الزاي للوزن واذ تعليلية داخلة على علقت وبجائز
متعلق به فكانه قال حكمنا بجواز الرؤية عقلا لأن الله تعالى علقها بأمر جائز عقلا وهو
استقرار الجبل حين سألها موسى على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام حيث قال رب ارنى
انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى والاستدلال
بالآية من وجهين الأول ما اشار اليه المص وحاصله قياس اقترانى اشار الى صغراه
وحذف كبراه للعلم بها كالنتيجة وتقريره ان تقول رؤية البارى علقت على امر ممكن
وكل ما علق على الممكن لا يكون الا ممكنا فرؤية البارى لا تكون الا ممكنة ومنع المعتزلة
الصغرى قائلين ان المراد فان استقر مكانه حال تحركه وهو مستحيل فالرؤية
معلقة على مستحيل فتكون مستحيلة وهو تقول لا دليل عليه ولا داعى يدعو
اليه كقولهم ان لن فى قوله تعالى لن ترانى للتأبيد والثانى سكت عنه المص
وحاصله قياس استثناءى وتقريره هكذا لو كانت الرؤية ممتنعة فى الدنيا
ما سألها موسى على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام لأنه نبى يعلم ما يجب
فى حق الله وما يستحيل وما يجوز اذ لا يجوز على احد من الأنبياء الجهل بشئ
من احكام الألوهية لكنه سألها موسى عليه الصلاة والسلام فدل على انها
جائزة وقول المعتزلة سألها لاجل جهلة قومه مردود بان سياق الآية
حيث قال ارنى انظر اليك صريح فى حال نفسه   هذا اى فهم هذا
فهو مفعول لفعل محذوف او هذا كما علمت فهو مبتدا خبره محذوف او نحو ذلك وهذا
تخلص من بحث الى بحث آخر لأن الكلام السابق كان متعلقا بجواز رؤيته تعالى
فانتقل عنه الى الاخبار بوقوعها فى الدنيا   وللمختار دنيا ثبتت اى وقعت رؤيته تعالى
فى الدنيا ليلة الاسرا للمختار الذى هو نبينا صلى الله عليه وسلم وفى التعبير بالمختار
مناسبة لأنه اختير لهذا المقام والراجح عند اكثر العلماء انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه سبحانه
وتعالى بعينى رأسه وهما فى محلهما خلافا لمن قال حولا لقلبه لحديث ابن عباس
وغيره وقد نفت السيدة عائشة رضى الله عنها وقوعها له صلى الله عليه وسلم لكن
قدم عليها ابن عباس لأنه مثبت والقاعدة ان المثبت مقدم على النافى حتى قال
معمر بن راشد ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس وكان صلى الله عليه وسلم
يراه تعالى فى كل مرة من مرات المراجعة ومن كلام ابن وفا انما كان ترجيع موسى
عليه الصلاة والسلام لنبينا فى شأن الصلاة ليتكرر مشاهدة انوار
المرآت وانشد يقول   والسر فى قول موسى اذ يراجعه   ليجتلى النور فيه حيث يشهده
يبدو سناه على وجه الرسول فيا   لله حسن رسول اذ يردده   فالحكمة

الباطنية

[illegible]

الباطنية اقتباس النور من وجهه صلى الله عليه وسلم ففى كل مرة يزداد نورا والحكمة
الظاهرة التخفيف واختلف فى وقوعها للأولياء على قولين للأشعرى
ارجحهما المنع فالحق انها لم تثبت فى الدنيا الا له صلى الله عليه وسلم ومن ادعاها
غيره فى الدنيا يقظة فهو ضال باطباق المشايخ حتى ذهب بعضهم الى تكفيره
قال العلامة القونوى فان صح عن احد من المعتبرين وقوع ذلك امكن تأويله
وذلك ان غلبات الاحوال تجعل الغائب كالشاهد حتى اذا كثر اشتغال السر بشئ
صار كأنه حاضر بين يديه كما هو معلوم بالوجدان لكل احد اه وعلى هذا يحمل
ما وقع فى كلام ابن الفارض وهذا كله فى رؤيته تعالى يقظة واما رؤيته
تعالى مناما فنقل عن القاضى عياض انه لا نزاع فى وقوعها وصحتها فان
الشيطان لا يتمثل به تعالى كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذكر غيره الخلاف
وقال بعضهم ان الشيطان يتمثل بالله دون النبى والفرق ان النبى بشر فلو
مكن من التمثيل به التبس بخلاف المولى فأمره معلوم وقال بعضهم ولا يتمثل
بالملئكة ولا بالشمس ولا بالقمر ولا بالنجوم المضيئة ولا بالسحاب الذى
فيه الغيم وحكى ان الامام احمد رأى المولى سبحانه وتعالى فى المنام تسعا
وتسعين مرة وقال وعزته ان رأيته تمام المائة لأسألنه فرآه فقال
سيدى ومولاى ما اقرب ما يتقرب به المتقربون اليك قال تلاوة كلامى
فقال بفهم او بغير فهم فقال يا احمد بفهم وبغير فهم والمرئى ان كان
بوجه لا يستحيل عليه تعالى فهو هو تعالى والا بأن كان بصورة رجل مثلا
فليس هو هو تعالى بل خلق من خلقه تعالى ويقال ح انه رأى ربه فى الجملة
لحكمة تظهر عند المعبرين بأن يقولوا انه دل على كذا وكذا وقيل هو هو ايضا
وكونه بهذا الوجه انما هو باعتبار ذهن الرائى واما فى الحقيقة فليس تعالى
كذلك وقد قال بعض الصوفية انه رأى ربه فى منامه على وصفه فقيل له
كيف رأيته فقال انعكس بصرى فى بصيرتى فصرت كلى بصرا فرأيت من ليس
كمثله شئ   ومنه ارسال جميع الرسل اى ومن الجائز العقلى فى حقه
تعالى ارساله لجميع الرسل من آدم الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بدخول
المبدا والغاية عليهم الصلاة والسلام خلافا لمن اوجبه ولمن احاله فالاول
اعنى من اوجبه كالمعتزلة والفلاسفة فقد اتفقت الطائفتان على الوجوب
وزادت الفلاسفة الايجاب ومبنى كلام المعتزلة على قاعدة وجوب الصلاح
والأصلح فيقولون النظام المؤدى الى صلاح حال النوع الانسانى على العموم

ومنه ارسال جميع الرسل

فى المعاش والمعاد لا يتم الا ببعثة الرسل وكل ما هو كذلك فهو واجب على الله تعالى
وقد مر هدم تلك القاعدة ومبنى كلام الفلاسفة على قاعدة التعليل او
الطبيعة فيقولون يلزم من وجود الله وجود العالم بالتعليل وبالطبع ويلزم
من وجود العالم وجود من يصلحه وقد تقدم انه تعالى فاعل بالاختيار لا بطريق
الايجاب وذكر بعضهم الشيعة بدل الفلاسفة وذكر شمس الدين السمرقندى
ان الفلاسفة ينكرون الارسال لنفيهم كونه تعالى مختارا لكن فى المقاصد
وغيرها نحو ما تقدم والثانى اعنى من احاله كالسمنية والبراهمة زعموا
ان ارسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم لان العقل يغنى عن الرسل فان الشىء
ان كان حسنا عند العقل فعله وان لم تأت به الرسل وان كان قبيحا عنده تركه
وان لم تأت به الرسل وان لم يكن عنده حسنا ولا قبيحا فان احتاج اليه فعله
والا تركه ونعوذ بالله من تلك العقائد   فلا وجوب اى اذا علمت ان
ارسال الرسل من الجائز العقلى فى حقه تعالى فاعلم انه لا وجوب له عليه خلافا
للمعتزلة وللفلاسفة اى ولا استحالة خلافا للسمنية والبراهمة كما يعلم مما تقدم
فالتفريع فيه قصور ولعله لم يعتد بالقول بالاستحالة وقوله بل بمحض
الفضل اى بل ارسال الرسل انما هو باحسانه الخالص فاضافة محض بمعنى
الخالص للفضل بمعنى الاحسان من اضافة الصفة للموصوف فقولنا باحسانه
فيه رد على الفلاسفة وقولنا الخالص فيه رد على المعتزلة وبل هنا للاضراب
الانتقالى   لكن بذا ايماننا قد وجبا لما كان قد يتوهم من كون الارسال
من الجائز العقلى ان الايمان بوقوعه ليس واجبا استدرك عليه بقوله لكن بذا
ايماننا قد وجبا بالفا الاطلاق والمتبادر من كلام المص ان اسم الاشارة
عائد على الارسال لكن جعله الشارح عائدا على المذكور من الارسال والمرسلين
فان قلت يلزم من التصديق بوقوع ارسال الرسل التصديق بهم فلا حاجة
الى ذلك قلت فيه زيادة للبيان كما هو المطلوب فى عقائد الايمان وقد سبق
اول الكتاب بيان من يجب الايمان بهم تفصيلا ومن يجب الايمان بهم اجمالا
والاولى عدم حصرهم فى عدد كما يشعر به قول المص جميع المرسل فانها تؤذن
بعدم معرفة عددهم   فدع هوى قوم اى اذا عرفت ان الارسال من
الجائز العقلى فى حقه تعالى وان الايمان به واجب فدع عنك هوى قوم والمراد
بهواهم مهويهم وهو ما اعتقدوه من الاعتقادات الباطلة التى زينها الشيطان
لهم والهوى بالقصر عند الاطلاق ينصرف الى الميل الى خلاف الحق غالبا نحو

ولا

فلا وجوب بل بمحض الفضل

لكن بذا ايماننا قد وجبا

فدع هوى قوم بهم قد لعبا

ولا تتبع الهوى سمى هوى لانه يهوى بصاحبه فى النار ومن غير الغالب قول
السيدة عائشة له صلى الله عليه وسلم ما ارى ربك الا يسارع فى هواك
وقد يطلق على مطلق الميل فيشمل الميل للحق وغيره واما بالمد فهو ما بين السماء
والارض وقوله بهم قد لعبا بالف الاطلاق اى قد تلاعب بهم لا بغيرهم حتى
اوقعهم فى البدع او المعاصى او الكفر فاوجب الارسال بعضهم كالمعتزلة
والحكماء واحاله بعضهم كالسمنية والبراهمة   وواجب لما تمم الكلام على ما
يجب فى حقه تعالى وما يستحيل وما يجوز شرع فى الكلام على ما يجب فى حق
الرسل وما يستحيل وما يجوز مقدما الواجب لشرفه والمراد بالوجوب هنا
عدم قبول الانفكاك بالنظر للشرع لان ما ذكر من الواجبات سمعى ولذا قال المص
فيما يأتى ويستحيل ضدها كما رووا فاشار بذلك الى ان استحالة ضدها بالدليل
الشرعى فيكون وجوبها بالدليل الشرعى نعم تصديق المعجزة لهم فى دعوى
الرسالة قيل وضعى لتنزيلها منزلة الكلام ودلالته وضعية فكذا ما نزل
منزلته وقيل عادى لانه بقرائن عادية وقيل عقلى لتنزهه تعالى عن تصديق
الكاذب وبذلك تعلم ان جعل الش الوجوب هنا عقليا فيه نظر وقوله فى حقهم
اى لذاتهم ففى بمعنى اللام وحق بمعنى الذات كما تقدم والمتبادر من كلام المص
ان الضمير عائد على الرسل وفسره الش بالانبياء قائلا لان معظم هذه الاحكام
لا يختص بالرسل وكأن الش اشار الى الاستخدام فى المتن والا فالسابق فى كلام
الرسل ومراده بمعظم هذه الاحكام ما عدا التبليغ فان التبليغ خاص بالرسل
وبعضهم عممه للانبياء لانه يجب على النبى ان يبلغ انه نبى ليحترم
الامانة بالنقل والدرج للوزن وهى حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس
بمنهى عنه ولو نهى كراهة او خلاف الاولى فهم محفوظون ظاهرا من الزنا
وشرب الخمر والكذب وغير ذلك من منهيات الظاهر ومحفوظون باطنا
من الحسد والكبر والرياء وغير ذلك من منهيات الباطن والمراد المنهى عنه
ولو صورة فيشمل ما قبل النبوة ولو فى حال الصغر ولا يقع منهم مكروه
ولا خلاف الاولى بل ولا مباح على وجه كونه مكروها او خلاف الاولى او
مباحا واذا وقع صورة ذلك فهو للتشريع فيصير واجبا او مندوبا فى حقهم
فافعالهم عليهم الصلاة والسلام دائرة بين الواجب والمندوب بل فى الاولياء
الذين هم اتباعهم من يصل لمقام تصير حركاته وسكناته طاعة بالنية فيه
وبهذا اندفع ما يقال قد ثبت انه صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة ومرتين

وواجب فى حقهم الامانة

قربين وبال قائما وشرب قائما واما المحرم فلم يقع منهم اجماعا وما اوهم
المعصية فمؤول بأنه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ولا يجوز النطق
به في غير مورده الا في مقام البيان وما وقع من آدم فهو معصية لا كالمعاصي
لأنه أول الأمر لسر بينه وبين سيده وان لم نعلمه حتى نقل في اليواقيت
عن ابي مدين انه قال لو كنت بدل آدم لأكلت الشجرة بتمامها فهو وان كان
منهيا ظاهرا مأمور باطنا وكذا يقال فيما وقع من اخوة يوسف على
القول بأنهم انبياء ودليل وجوب الأمانة لهم عليهم الصلاة والسلام
انهم لو خانوا بفعل محرم او مكروه او خلاف الأولى لكنا مأمورين به لأن الله تعالى
امرنا باتباعهم في اقوالهم وافعالهم ولحوالهم من غير تفصيل وهو تعالى لا يأمر بمحرم ولا بمكروه ولا خلاف
الأولى فلا تكون افعالهم محرمة ولا مكروهة ولا خلاف الأولى وهذا الدليل وان كان على
صورة الدليل العقلي هو في الحقيقة دليل شرعي لأن دليل الملازمة شرعي
وبطلان الثاني بدليل شرعي وهو ان الله لا يأمر بالفحشاء وصدقهم
معطوف على الأمانة اى وواجب في حقهم صدقهم وهو مطابقة خبرهم للواقع
ولو بحسب اعتقادهم كما في قوله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن لما قال له
ذو اليدين اقصرت الصلاة ام نسيت يا رسول الله حيث سلم من ركعتين
فان قيل قد مر صلى الله عليه وسلم على جماعة يؤبرون النخل وقال لهم لو تركتموها
لصلحت فتركوها فشاخت اجيب بأن هذا من قبيل الانشاء لان المعنى
كان في رجائي ذلك والانشاء لا يتصف بصدق ولا كذب وعدم وقوع المترجى
لا يعد نقصا ودليل وجوب صدقهم عليهم الصلاة والسلام انهم لو لم
يصدقوا للزم الكذب في خبره تعالى لتصديقه تعالى لهم بالمعجزة النازلة
منزلة قوله تعالى صدق عبدي في كل ما يبلغ عني وتصديق الكاذب كذب
وهو محال في حقه تعالى فملزومه وهو عدم صدقهم محال واذا استحال
عدم صدقهم وجب صدقهم وهو المطلوب لكن هذا الدليل انما يدل على
صدقهم في دعوى الرسالة وفي الأحكام الشرعية لأن ذلك هو الذي بلغوه عن
الله تعالى ولا يدل على صدقهم في غير ذلك كقام زيد وقعد عمرو ولكن يدل
عليه دليل الأمانة لأنه داخل فيها ولو التفت لعموم الأمانة لتضمنت جميع ما
بعدها وعلم من ذلك ان اقسام الصدق ثلاثة والمقصود هنا الاولان واما
الثالث فهو داخل في الأمانة كما علمت وفطانة اى وضم لما تقدم مما
يجب لهم الفطانة وهي التفطن والتيقظ لالزام الخصوم وابطال دعاويهم

وصدقهم وفطنة الفطانة

الباطلة

الباطلة والدليل على وجوب الفطانة لهم عليهم الصلاة والسلام آيات كقوله
تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم والاشارة عائدة الى ما احتج به ابراهيم
على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون وكقوله تعالى حكاية
عن قوم نوح يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا اى خاصمتنا فأطلت جدالنا
اى اتيت بأنواعه وكقوله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن اى بالطريق التي هي
احسن بحيث تشتمل على نوع ارفاق بهم ومن لم يكن فطنا بأن كان مغفلا
لا تمكنه اقامة الحجة ولا المجادلة لا يقال هذه الآيات ليست واردة الا في بعضهم
فلا تدل على ثبوت الفطانة لجميعهم لأنا نقول ما ثبت لبعضهم
من الكمال يثبت لغيره فتثبت الفطانة لجميعهم وان لم يكونوا رسلا بل
انبياء فقط فاللائق بمنصب النبوة ان يكون عندهم من الفطانة ما يردون به
الخصم على تقدير وقوع جدال منهم في قول الشيخ والظاهر اختصاص
هذا الواجب بالرسل نظر بل الظاهر العموم نعم الواجب للأنبياء مطلق
الفطنة واما الرسل فالواجب لهم كمال الفطنة ومثل ذا تبليغهم
اى ومثل الواجب المتقدم تبليغهم وقد عرفت ان الواجب هنا بالدليل
الشرعي لا العقلي خلافا لما جرى عليه الشيخ وقوله لما اتوا اى جاءوا به عن
الله تعالى ففي كلامه حذف العائد المجرور مع انتفاء شرطه وهو ان يجر بما
جر الموصول للضرورة والمراد ما اتوا به بقيد ان يكون مما امروا بتبليغه
للخلق بخلاف ما امروا بكتمانه وما خيروا فيه فالأقسام ثلاثة والدليل
على وجوب تبليغهم عليهم الصلاة والسلام انهم لو كتموا شيئا مما امروا
بتبليغه لكنا مأمورين بكتمان العلم لأن الله تعالى امرنا بالاقتداء بهم
واللازم باطل لأن كاتم العلم ملعون ولو جاز عليهم كتمان شيء لكتم رئيسهم
الأعظم صلى الله عليه وسلم قوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت
عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه
وتخشى الناس والله احق ان تخشاه واصح محامله ما نقله من يعول
عليه في التفسير عن علي بن الحسين من ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب
ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك
واتق الله واخفى في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها والله مبدي
ذلك بطلاق زيد لها وتزويجها له صلى الله عليه وسلم ومعنى الخشية
استحياؤه صلى الله عليه وسلم من الناس ان يقولوا تزوج زوجة ابنه اى متبناه

ومثل ذا تبليغهم لما امروا

ويستحيل ضدها كما رووا
وجائز في حقهم كالاكل
وكالجماع للنسا في الحل

فعاتبه الله على هذا الاستحياء لعلو مقامه وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم تعلق
قلبه بها واخفاه فلا يلتفت اليه وان جل ناقلوه فإن ادنى الأولياء لا يصدر عنه
مثل هذا الأمر فما بالك به صلى الله عليه وسلم وهذا هو الذي نعتقده وندين الله
به كما نقله السنوسي في كبيره ويستحيل ضدها اى ويستحيل في حقهم
عليهم الصلاة والسلام ضد الصفات الأربعة الواجبة في حقهم فضد الامانة
الخيانة وضد الصدق الكذب وضد الفطانة الغفلة وعدم الفطنة وضد
التبليغ كتمان شئ مما امروا بتبليغه ومعنى استحالتها عدم قبولها الثبوت لكن
بالدليل الشرعي كما اشار اليه بقوله كما رووا فان المعنى لما رواه العلماء من
كتاب وسنة واجماع وجائز لما قدم الكلام على الواجب في حق الرسل
والمستحيل كذلك شرع في الكلام على الجائز في حقهم لأنه كالمركب من الواجب
والمستحيل فانه ما يجوز وجوده لهم وعدمه وقوله في حقهم اى على ذاتهم
ففي بمعنى على وحق بمعنى الذات والضمير للرسل وكذا الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام وقوله كالأكل اى مثل الأكل فالكاف اسم بمعنى مثل مبتدأ مؤخر قد
تقدم خبره وهو جائز ويصح ان يكون فاعلا به سد مسد الخبر على رأى
من لا يشترط الاعتماد على الاستفهام او نحوه كما في قوله خبير بنو لهب
وقوله وكالجماع للنسا بالقصر للوزن وانما كرر المثال اشارة الى انه لا فرق
بين ان يكون الجائز في حقهم من توابع الصحة التى لا يستغنى عنها عادة كالأكل
والشرب والنوم او التى يستغنى عنها كالجماع للنساء فانه يستغنى عنه بدون
حبس النفس حبسا شديدا بناء على انه من باب التفكه او بحبس النفس
حبسا شديدا بناء على انه من باب القوت وقوله في الحل اى في حال الحل بمعنى
الجواز بأن كان بالملك او بالنكاح فيجوز لهم الوطئ بالملك ولو للأمة الكتابية
بخلاف المجوسية ونحوها كالوثنية وخالف ابن العربي في الأمة الكتابية
معللا بأنه عليه الصلاة والسلام شريف عن ان يضع نطفته في رحم كافرة
وبأنها تكره صحبته واما الأمة المسلمة بالملك فجائز باتفاق ويجوز لهم
الوطئ بالنكاح لما عدا الكتابية والمجوسية ونحوها وما عدا الأمة ولو مسلمة لأنها
انما تنكح لخوف العنت ولعدم الطول اى المهر وكل منهما منتف اما الأول
فللعصمة واما الثانى فلأنهم واجدون للطول اى المهر على انه يجوز للنبي ان
يتزوج بدون مهر ويعلم من قوله في الحل انهم عليهم الصلاة والسلام لا يطؤن
صائمات صوما مشروعا ولا معتكفات كذلك ولا حائضات ولا نفساء ولا محرمات
ولا يجوز

وجامع معنى الذي تقررا
شهادتا الاسلام فاطرح المرا

ولا يجوز الاحتلام عليهم كما صححه النووي لأنه من الشيطان وقد ورد ما
احتلم نبي قط نعم ان كان مجرد فيضان ماء من غير تلاعب من الشيطان فلا مانع
منه ومثل ما ذكره المص من الاكل والجماع سائر الاعراض البشرية التى لا تؤدى
الى نقص في مراتبهم العلية كالمرض ومنه الاغماء فيجوز عليهم وقيد ابو حامد
الاغماء بغير الطويل وجزم به البلقيني بخلاف الجنون قليله وكثيره لأنه نقص
وكالجنون الجذام والبرص والعمى وغير ذلك من الأمور المنفرة فلم يعم نبي
قط ولم يثبت ان شعيبا كان ضريرا وما كان بيعقوب فهو حجاب على العين من
تواصل الدموع ولذلك لما جاءه البشير عاد بصيرا وما كان بأيوب من البلاء فكان
بين الجلد والعظم فلم يكن منفرا وما اشتهر في القصة من الحكايات المنفرة
فهي باطلة واما السهو فممتنع عليهم في الاخبار البلاغية كقولهم الجنة اعدت
للمتقين وعذاب القبر واجب وهكذا وغير البلاغية كقام زيد وقعد عمرو
وهكذا وجائز عليهم في الأفعال البلاغية وغيرها كالسهو في الصلاة
للتشريع لكن لم يكن ناشئا عن اشتغالهم بغير ربهم ولذا قال بعضهم
يا سائلي عن رسول الله كيف سهى والسهو من كل قلب غافل لاهى قد غاب عن كل شئ سره فسهى
عما سوى الله فالتعظيم لله واما النسيان فهو ممتنع في البلاغيات قبل
تبليغها قولية كانت او فعلية فالقولية كالجنة اعدت للمتقين والفعلية
كصلاة الضحى اذا امرهم الله بفعلها ليقتدى بهم فيها فلا يجوز نسيان كل منهما
قبل التبليغ الاولى بالقول والثانية بالفعل واما بعد التبليغ فيجوز نسيان
ما ذكر من الله تعالى واما نسيان الشيطان فمستحيل عليهم اذ ليس للشيطان
عليهم سبيل وقول يوشع وما انسانيه الا الشيطان فتواضع منه او قبل
نبوته وعلمه بحال نفسه والا فهو رحمانى بشهادة ذلك ما كنا نبغى ووسوسة
الشيطان لآدم بتمثيل ظاهرى والممنوع لعبه ببواطنهم وبالجملة فيجوز
على ظواهرهم ما يجوز على بواطن البشر مما لا يؤدى الى نقص واما بواطنهم
فمنزهة عن ذلك متعلقة بربهم وفي المنن كان معروفا الكرخي يقول لى ثلاثون
سنة في حضرة الله تعالى ما خرجت فانا اكلم الله والناس يظنون انى اكلمهم
اه واذا كان هذا حال احد الأتباع فما بالك بالأنبياء خصوصا رئيسهم الأعظم
صلى الله عليه وسلم وجامع الخ لما فصل ما يجب لله وما يستحيل وما يجوز
وما يجب للرسل وما يستحيل وما يجوز ذكر ما يتضمن ذلك وجامع مبتدأ
لاعتماده على موصوف محذوف والتقدير وشئ جامع وشهادتا الاسلام فاعل

مد مسد الخبر وقوله معنى الذى تقررا بالفا الاطلاق اى معنى هو الذى تقرر
فى ذهن السامع فالاضافة للبيان ويصح ان تكون الاضافة حقيقية اى
معنى ما تقرر من الالفاظ فى موضعه المخصوص من الكتاب وعلى كل فذلك
المعنى هو جميع العقائد الايمانية مما يرجع الى الالوهية والنبوة وجوبا وجوازا
واستحالة والمعنى ما يعنى من اللفظ ويسمى مفهوما باعتبار كونه يفهم منه
ومدلولا باعتبار كون اللفظ يدل عليه وقوله شهادتا الاسلام اى الشهادتان
الدالتان على الاسلام الذى هو الانقياد الظاهرى كما تقدم فالاضافة فى
كلامه من اضافة الدال للمدلول او اللتان هما سبب فى الاسلام فالاضافة
فى كلامه من اضافة السبب للمسبب او اللتان هما الجزء الاعظم من مسمى الاسلام
بناء على انه الهيئة المركبة من الاركان الخمسة المذكورة فى حديث بنى الاسلام على
خمس فالاضافة فى كلامه من اضافة الجزء للكل والجامع لما تقدم من العقائد
انما هو معنى الشهادتين لا لفظهما فكلام المص على حذف مضاف اى معنى شهادتى
الاسلام كما اشار اليه الش ومعنى جمعه لها استلزامه لها لان الملزوم يصح
وصفه بجمعه للوازمه بالنظر لدلالته عليها وقوله فاطرح المراتكملة اى اذا
علمت ان كلمتى الشهادتين جمعتا جميع ما تقرر من العقائد الايمانية فاترك
الجدال فى صحة جمعهما لما ذكر وبيان ما ذكره ان الجملة الاولى نفت الالوهية
عن غيره تعالى واثبتتها له وحقيقة الالوهية العبادة بحق ويلزم منها
استغناء الاله عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه اليه فحقيقة الاله المعبود
بحق ويلزم منه انه مستغنى عن كل ما سواه ومفتقر اليه كل ما عداه فمعنى
لا اله الا الله الحقيقى لا معبود بحق فى الواقع الا الله ومعناها بطريق اللزوم
لا مستغنى عن كل ما سواه ومفتقر اليه كل ما عداه الا الله فتفسير الشيخ السنوسى
الذى ذكره فى الصغرى باللازم لا بالحقيقة وانما اختاره لكون استلزامه
للعقائد المتقدمة اظهر من استلزام المعنى الحقيقى لها فاذا علمت ذلك
فاعلم ان الاستغناء يستلزم وجوب وجوده وقدمه وبقائه ومخالفته
للحوادث وقيامه بنفسه وتنزهه عن النقائص ويدخل فى ذلك السمع والبصر
والكلام ولوازمها وهى كونه سميعا وبصيرا ومتكلما بناء على القول بالاحوال
اذ لو لم تجب له هذه الصفات لكان محتاجا الى المحدث او المحل او من يدفع
عنه النقائص فهذه احدى عشر عقيدة من الواجبات واذا وجبت هذه
الصفات استحالت اضدادها فهذه احدى عشر عقيدة من المستحيلات ويستلزم

ايض نفى وجوب فعل شئ من الممكنات او تركه والا لزم افتقاره الى فعل ذلك
الشئ او تركه ليتكمل به فهذه عقيدة الجائز فجملة ما استلزمه الاستغناء
ثلاثة وعشرون عقيدة واما الافتقار فيستلزم الحياة والقدرة والارادة
والعلم ولوازمها وهى كونه حيا وقادرا ومريدا وعالما بناء على القول بالاحوال
ويستلزم ايض الوحدانية فهذه تسعة من العقائد الواجبات ومتى وجبت هذه
الصفات استحالت اضدادها فهذه تسعة من العقائد المستحيلات فجملة
ما استلزمه الافتقار ثمانية عشر عقيدة فاذا ضممت الثلاثة والعشرين
السابقة كان المجموع واحدا واربعين الواجب له تعالى منها عشرون والمستحيل
عليه عشرون والجائز عليه واحد فقد اشتملت الجملة الاولى على اقسام
الحكم العقلى الثلاثة الواجبة له تعالى والجملة الثانية فيها الاقرار برسالته
صلى الله عليه وسلم ويلزم منه تصديقه فى كل ما جاء به ويندرج فيه وجوب
صدق الرسل وامانتهم وفطانتهم وتبليغهم لما امروا بتبليغه للخلق
ويندرج فيه ايض استحالة الكذب والخيانة والغفلة والكتمان عليهم ويندرج فيه
ايض جواز جميع الاعراض البشرية التى لا تؤدى الى نقص فى مراتبهم العلية وهذه
جملة الاقسام الثلاثة المتعلقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام فقد بان لك
تضمن كلمتى الشهادة لجميع العقائد المتقدمة ولعلها لهذا المعنى مع اختصارهما
جعلهما الشارع ترجمة عما فى القلب من الايمان ولم يقبل من احد الايمان الا
بهما مع القدرة عليهما وقد نص العلماء على انه لابد من فهم معناهما ولو
اجمالا والا لم ينتفع الناطق بهما وقال بعضهم الاوسع للذاكر ان يلاحظ احد
من القرآن ليثاب عليهما مطلقا وقد اختلف العلماء هل الافضل المد او
القصر فمنهم من اختار المد ليستشعر المتلفظ بهما نفى الالوهية عن كل موجود
سواه تعالى ومنهم من اختار القصر لئلا تخترمه المنية قبل التلفظ بذكر
الله تعالى وفصل بعضهم بين ان يكون اول كلامه بهما فيقصر والا فيمد واما
حذف الف الله فهو لحن لا يصح معه ذكر ولا تنعقد معه يمين واعلم ان النفى
منصب على المعبود بحق فى الواقع فالمعنى انتفى المعبود بحق فى الواقع الا الله
كما يصح جعله منصبا على ما فى ذهن المؤمن لانه يتصور افراد المعبود بحق
على سبيل الفرض ثم يحكم عليها بالنفى الا الله لكن لا يحصل الرد على الكفار الا
باعتبار الواقع ولا يصح ان يكون منصبا على ما فى ذهن الكافر لان ما فى ذهنه من
الاصنام ثابت لا يصح نفيه والتحقيق ان الكلمة المشرفة من قبيل عموم السلب

اى السلب العام بجميع افراد الاله ما عدا المستثنى لانه يجب على المتكلم بهذه الكلمة
ان يلاحظ ان الحكم بالنفى منصب على جميع افراد الاله غير المستثنى لانه لو جعله
شاملا للمستثنى لكفر فقوله الا الله قرينة على ما اراده اولا لكن جعلها من
عموم السلب على خلاف القاعدة من انه اذا تقدمت اداة السلب على اداة العموم
كان الكلام من سلب العموم كما فى قولهم لم آخذ كل الدراهم فان الحق انها قاعدة
اغلبية ولا يصح ان تكون الكلمة المشرفة من سلب العموم على القاعدة لانها
ح لا تفيد التوحيد وقول بعضهم انها من سلب العموم محمول على انها سلبت
عموم الالوهية لغير المستثنى وقصرتها على المستثنى لكن لا يفيد ذلك جوهر
الكلمة المشرفة ولم تكن نبوة مكتسبة اى لا يكتسبها العبد بمباشرة
اسباب مخصوصة كملازمة الخلوة والعبادة وتناول الحلال كما زعمت
الفلاسفة لعنهم الله تعالى فالذى ذهب اليه المسلمون جميعا ان النبوة خصيصة
من الله تعالى لا يبلغ العبد ان يكتسبها ويفسرونها باختصاص العبد بسماع
وحى من الله تعالى بحكم شرعى تكليفى سواء امر بتبليغه ام لا وهكذا الرسالة
لكن بشرط ان يؤمر بالتبليغ وذهبت الفلاسفة الى ان النبوة مكتسبة للعبد
بمباشرة اسباب خاصة ويفسرونها بانها صفاء وتجل للنفس يحدثها
من الرياضات بالتخلى عن الامور الذميمة والتخلق بالاخلاق الحميدة فالخلاف
بين المسلمين والفلاسفة فى ان النبوة ليست مكتسبة او انها مكتسبة مبنى
على الخلاف بينهما فى معناها والقول باكتساب النبوة اقوى المسائل التى
كفرت بها الفلاسفة وان لم تكن من المسائل المذكورة فى النظم المشهور ويلزم
على قولهم باكتسابها تجويز نبى بعد سيدنا محمد او معه وذلك مستلزم لتكذيب
القرآن والسنة فقد قال تعالى وخاتم النبيين وقال عليه الصلاة والسلام
لا نبى بعدى واجمعت الامة على ابقائه على ظاهره واما الولاية ففيها طريقان
والاظهر التفصيل فمنها ما هو مكتسب وهو امتثال المأمورات واجتناب
المنهيات ويسمى الولاية العامة ومنها ما هو غير مكتسب وهو العطايا الربانية
كالعلم اللدنى ورؤية اللوح المحفوظ وغير ذلك ولو رقى فى الخير اعلى
عقبه اى ولو وصل العبد فى الخير اشق العبادات فشبه اشق العبادات باعلى
عقبة وهى فى الاصل الطريق الصاعد فى الجبل بجامع المشقة فى كل واستعير
لفظ المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية ورقى ترشيح
للاستعارة لان الرقى معناه الصعود وهو مناسب للمشبه به بل ذاك

ولم تكن نبوة مكتسبة

ولو رقى فى الخير اعلى عقبة

بل ذاك فضل الله يؤتيه لمن يشا جل الله واهب المنن

فضل

فضل الله هذا اضراب انتقالى لا ابطالى واسم الاشارة عائد على المذكور من النبوة
والفضل اعطاء الشئ لغير عوض لا عاجل ولا آجل ولذا لا يكون لغيره تعالى
وفى الكلام حذف مضاف والتقدير بل المذكور من النبوة اثر فضل الله وقد فسر
الشارح اسم الاشارة بالاصطفاء للنبوة والاختيار للرسالة وعليه فلا حاجة
لتقدير المضاف المذكور وان قدره الشارح مع ذلك التفسير لان الاصطفا للنبوة
والاختيار للرسالة جزئى من جزئيات فضل الله لا اثره وقوله يؤتيه لمن يشا
اى آتاه واعطاه لمن شاءه فى الازل لذلك ممن كان مستجمعا لشروط النبوة
فالمراد بالمضارع الماضى فيهما وانما عبر بالمضارع استحضارا للصورة العجيبة
وانما كان المضارع بمعنى الماضى فى الاول لان ايتاء النبوة قد انقطع بعده
صلى الله عليه وسلم فانه خاتم النبيين وفى الثانى لان مشيئته وارادته
تعالى لذلك ثابتة فى الازل وان تأخر الايتاء بالفعل فيما لا يزال والضمير
المنصوب فى يؤتيه عائد على الفضل بمعنى المتفضل به لا بالمعنى السابق ففى
الكلام استخدام وانما قلنا ذلك لان الفضل بالمعنى السابق لا يتصف بذلك
جل الله اى تنزه الله عن ان ينال شئ لم يكن اراد اعطاءه وقوله
واهب المنن اى معطى العطايا بدون عوض فالواهب بمعنى المعطى بدون عوض
والمنن بمعنى العطايا اى الامور التى تؤول الى كونها عطايا ففى الكلام مجاز
الاول والا لزم تحصيل الحاصل كما فى قوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا
فله سلبه اى من قتل شخصا يؤول امره الى كونه قتيلا فله سلبه كذا قيل
والحق انه ليس من المجاز فى شئ ولا يلزم تحصيل الحاصل لان المراد من قتل قتيلا
بهذا القتل لا بغيره حتى يلزم ما ذكر ولذلك شنع السبكى فى عروس الافراح
على من جعل الحديث المذكور من مجاز الاول فالمراد هنا العطايا بهذا الاعطاء
قال الشارح وظاهر السياق ان المراد بالمنن الكاملة كالنبوة اى فتكون ال
للعهد والمعهود النوع الكامل منها والاحسن ان تكون للاستغراق
فانه تعالى واهب لجميع المنن جليلها وحقيرها. بقى انه قد تقرر ان اسماء الله
تعالى توقيفية مع ان الواهب لم يرد وانما الوارد فى الاسماء الوهاب وح
فكيف يطلق المص الواهب عليه تعالى وقد يقال ان المص جار على طريقة من
يكتفى بورود المادة او على طريقة من يجوز اطلاق كل ما يدل على الكمال
وان لم يرد وهذا على تسليم عدم ورود الواهب واما على وروده كما عزاه
بعضهم لابن حجر فى شرحه على المنهاج فى باب العقيقة فلا اشكال

وافضل الخلق على الاطلاق
نبينا فمل عن الشقاق

وافضل الخلق على الاطلاق نبينا اى افضل المخلوقات على العموم الشامل للعلوية والسفلية من البشر والجن والملك فى الدنيا والاخرة فى سائر خصال الخير واوصاف الكمال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والاولى ان افضل الخلق خبر مقدم ونبينا مبتدا موخر ويصح العكس والاضافة فى نبينا للتشريف المضاف اليه لا للاختصاص لما سياتى من عموم بعثته صلى الله عليه وسلم هذا اذا جعل الضمير راجعا لهذه الامة وان جعل لما يشمل هذه الامة وغيرها كان عاما مطابقا لما سياتى من عموم بعثته وافضليته صلى الله عليه وسلم على جميع المخلوقات مما اجمع عليه المسلمون حتى المعتزلة فهو صلى الله عليه وسلم مستثنى من الخلاف الاتى فى التفضيل بين الملئكة والبشر ولا عبرة بما زعمه الزمخشرى من تفضيل جبريل عليه على النبى صلى الله عليه وسلم مستدلا بقوله تعالى انه لقول رسول كريم الاية حيث عدد فيه فضائل جبريل فانه وصف فيه بانه رسول كريم الى قوله امين واقتصر على نفى الجنون عنه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى وما صاحبكم بمجنون وقد خرق فى ذلك الاجماع ولا دلالة فى الاية لما ادعاه لان المقصود منها نفى قولهم انما يعلمه بشر وقولهم افترى على الله كذبا ام به جنة وليس المقصود المفاضلة بينهما وانما هو شئ اقتضاه الحال ولا عبرة بما قد يتوهم من تفضيل جبريل عليه لكونه كان يعلمه صلى الله عليه وسلم فكم من معلم بالفتح افضل من معلم بالكسر على انه قد ذكر الشيخ ابن العربى فى الفتوحات ان القران انزل عليه صلى الله عليه وسلم قبل نزول جبريل به عليه لكن قال الشيخ الشعرانى بعد ان نقل ذلك عنه وفيه نظر ولم اطلع على ذلك فى حديث والله اعلم وما ورد من النهى عن تفضيله صلى الله عليه وسلم كقوله لا تفضلوا بين الانبياء وقوله لا تفضلونى على يونس بن متى والتحقيق ان متى اسم ابيه خلافا لعبد الرزاق كما رجحه ابن حجر وقوله صلى الله عليه وسلم لا تخيرونى على موسى ونحو ذلك فمحمول على تفضيل يؤدى الى تنقيص غيره من الانبياء او انه قاله قبل ان يعلم انه افضل ويحتمل انه قاله تأدبا وتواضعا وقيل معنى لا تفضلونى على يونس ابن متى لا تعتقدوا انى اقرب الى الله من يونس فى الحس حيث ناجيت الله فوق السموات السبع وهو ناجى ربه فى بطن الحوت فى قاع البحر لتنزهه تعالى عن الجهة والمكان فيستوى فى حقه من فوق السموات ومن فى قاع البحار وعدم التفضيل بهذا الاعتبار لا ينافى انه صلى الله عليه وسلم افضل الجميع وقد قال

عليه

عليه الصلاة والسلام انا اكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر اى ولا فخر اعظم من ذلك او ولا اقول ذلك فخرا بل تحدثا بالنعمة واختلف هل افضليته صلى الله عليه وسلم لمزاياه التى اختص بها او بتفضيل من الله تعالى والتحقيق انه بتفضيل من الله تعالى وان كنا نعتقد انه صلى الله عليه وسلم قام به مزايا لكنها لا تقتضى التفضيل ولذلك يقولون يوجد فى المفضول ما لا يوجد فى الفاضل فللسيد ان يفضل من شاء على من شاء وغير هذا تعسف لا يسلم من سوء الادب فمل عن الشقاق اى اذا عرفت هذا الحكم المجمع عليه فاعدل عن المنازعة فيه لانه لا يجوز المنازعة فى الحكم المجمع عليه اذ لا يجوز خرق الاجماع وقد اشار المص بذلك لمنازعة الزمخشرى وانما سميت المنازعة شقاقا لان كلا من المتنازعين يكون فى شق اى جانب لا يكون فيه الاخر

والانبيا يلونه فى الفضل اى والانبياء عليهم الصلاة والسلام يتبعون نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فى الفضل فمرتبتهم بعد مرتبته صلى الله عليه وسلم فيه وان تفاوتوا فيها فيليه سيدنا ابراهيم فسيدنا موسى فسيدنا عيسى فسيدنا نوح وهؤلاء هم اولوا العزم اى الصبر وتحمل المشاق وقد نظم بعضهم اولى العزم على هذا الترتيب فقال

محمد ابراهيم موسى كليمه
فعيسى فنوح هم اولوا العزم فاعلم

وليس ادم منهم لقوله تعالى ولم نجد له عزما ويلى اولى العزم بقية الرسل ثم الانبياء غير الرسل مع تفاوت مراتبهم عند الله فالواجب اعتقاد افضلية الافضل على طبق ما ورد به الحكم تفصيلا فى التفصيلى واجمالا فى الاجمالى ويمتنع الهجوم فيما لم يرد فيه توقيف وقوله وبعدهم ملئكة ذى الفضل باسكان التاء وادغامها فى الذال للوزن وذى الفضل صفة للفظ الجلالة المقدر اى وبعد الانبياء ملائكة الله ذى الفضل فمرتبتهم تلى مرتبة الانبياء فى الجملة وانما قلنا فى الجملة لان الذى يلى الانبياء من الملائكة رؤساؤهم كجبريل وميكائل واسرافيل وعزرائل ثم بقية الملئكة وقد اتفقوا على ان جبريل وميكائل افضل جميع الملئكة ثم اختلفوا فى الافضل منهما فقيل ان جبريل افضل وهو المشهور وقيل ان ميكائل افضل وما ذكر من ان الملائكة رءوسا وغيرهم تلى الانبياء طريقة جمهور الاشاعرة وهى مرجوحة وستاتى طريقة الماتريدية وهى الراجحة وذهب القاضى وابو عبد الله الحليمى مع اخرين كالمعتزلة الى ان الملائكة افضل من الانبياء الا نبينا صلى الله عليه وسلم لما تقدم من انه مستثنى من

والانبيا يلونه فى الفضل
وبعدهم ملائكة ذى الفضل

محل الخلاف فى معللين بتجردهم عن الشهوات وردّ بأن وجودها مع قمعها اتم فقد
قال صلى الله عليه وسلم احب الأعمال الى الله احمزها بسكون الحاء المهملة وبعد
الميم زاي اى اشقها قال السعد ولا قاطع فى هذه المقامات ولذلك قال تاج
الدين ابن السبكى ليس تفضيل البشر على الملك مما يجب اعتقاده ويضر الجهل به
والسلامة فى السكوت عن هذه المسئلة والدخول فى التفضيل بين هذين
الصنفين الكريمين على الله تعالى من غير دليل قاطع دخول فى خطر عظيم وحكم
فى مكان لسنا اهلا للحكم فيه واعلم ان الملائكة اجسام لطيفة نورانية
قادرة على التشكل باشكال مختلفة فى اشكال حسنة شأنها الطاعة ومسكنها
السموات غالبا ومنهم من يسكن الأرض يسبحون الله الليل والنهار لا يفترون
ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لا يوصفون بذكورة ولا
بأنوثة فمن وصفهم بذكورة فسق ومن وصفهم بأنوثة كفر لمعارضته
لقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الآية واولى بالكفر
من قال خناثى لمزيد التنقيص هذا مفعول لمحذوف اى افهم هذا ويصلح
غير ذلك كما تقدم فى نظيره واسم الاشارة عائد على المذكور من تفضيل الأنبياء
على الملائكة وتفضيل الملئكة على بقية البشر من غير تفصيل كما هو طريقة
جمهور الأشاعرة المرجوحة وانما قدمها الناظم لأنه وضع منظومته على
مذهبهم وقوله وقوم فصّلوا اذ فضلوا اى وقوم من الماتريدية فصلوا بين
رؤساء الملائكة وعوامهم وعوام البشر حين فضلوا بين الفريقين فقالوا
الأنبياء افضل من رؤساء الملائكة كجبريل وميكائيل ورؤساء الملئكة افضل
من عوام البشر وهم اولياؤهم غير الأنبياء كأبى بكر وعمر رضى الله عنهما وليس
المراد بعوام البشر ما يشمل الفساق فان الملئكة افضل منهم على الصحيح
وعوام البشر المذكورون افضل من عوام الملئكة وهم غير رؤسائهم كحملة
العرش وهم اربعة الآن فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله بأربعة اخرى
قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية لمزيد الجلال عليه يوم القيمة
وكالكروبيين بفتح الكاف وتخفيف الراء وهم ملائكة حافون بالعرش طائفون
به لقبوا بذلك لأنهم متصدون للدعاء برفع الكرب عن الأمة وقيل غير ذلك
وقد علمت ان هذه الطريقة هى الراجحة فان قيل يلزم عليها تفضيل غير
المعصوم على المعصوم اجيب بأن العصمة لا دخل لها فى التفضيل فلا ينظر لها
فيه وانما ينظر للأكثرية فى الثواب على العبادة فعوام البشر اكثر ثوابا من عوام

الملئكة

هذا وقوم فصّلوا اذ فضّلوا

وبعض كل بعضه قد يفضل

الملائكة لحصول المشقة لعوام البشر فى عبادتهم بخلاف عوام الملائكة فانه
جبلتهم الطاعة فلا يحصل لهم فيها مشقة وبعض كل بعضه قد يفضل
بعض بالرفع مبتدا وبعضه بالنصب مفعول مقدم ليفضل الواقع بعده والجملة
خبر المبتدا اى وبعض كل من الأنبياء والملائكة قد يفضل بعضه الأخر وقد
للتحقيق فبعض الأنبياء كأولى العزم افضل من بعضهم الأخر وبعض الملئكة
كرؤسائهم افضل من بعضهم الأخر وتلخيص ما اشار اليه الناظم اولا وآخرا
مع الجرى على الطريقة الراجحة فى التفضيل ان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
افضل الخلق على الاطلاق ويليه سيدنا ابراهيم ثم سيدنا موسى ثم سيدنا
عيسى ثم سيدنا نوح وهؤلاء هم اولوا العزم كما تقدم ثم بقية الرسل ثم الأنبياء
غير الرسل وهم متفاضلون فيما بينهم عند الله ثم جبريل ثم ميكائيل ثم بقية
رؤسائهم ثم عوام البشر ثم عوام الملائكة وهم متفاضلون فيما بينهم عند
الله ايضا وسبق انه يمنع الهجوم فيما لم يرد فيه توقيف ولهذا ابهم الناظم
فى الفاضل والمفضول حيث قال وبعض كل بعضه قد يفضل

بالمعجزات ايدوا وتكرما

بالمعجزات ايدوا الجار والمجرور متعلق بالفعل بعده اى ايدهم الله تعالى بالمعجزات
حيث اظهرها على ايديهم تصديقا لهم فى دعوى النبوة والرسالة وفيما بلغوه
عن الله تعالى لأنها نازلة منزلة قوله تعالى صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى
وال فى المعجزات للجنس فاندفع ما يوهمه ظاهر النظم من انه لا بد فى ثبوت النبوة
والرسالة من عدد من المعجزات وليس كذلك اذ الواحدة تكفى ويصح ان تكون
للاستغراق ويكون من مقابلة الجمع بالجمع كما فى قولك لبس القوم ثيابهم
اى لبس كل واحد ثوبه الخاص به ولو واحدا وقوله تكرما اى تفضلا واحسانا
من غير ايجاب ولا وجوب واشار بذلك الى الرد على من اوجب عليه تعالى المعجزة
كما اوجب عليه الارسال والا لبطلت فائدة الارسال وذلك مبنى على قولهم
بوجوب الصلاح والاصلح المبنى على قاعدتهم الباطلة وهى قولهم بالتحسين
والتقبيح العقليين فالحق انه لا يجب على الله شئ لأحد من خلقه لا يسئل عما
يفعل وهم يسئلون واعلم ان المعجزة لغة مأخوذة من العجز وهو ضد
القدرة وعرفا امر خارق للعادة مقرون بالتحدى الذى هو دعوى الرسالة او
النبوة مع عدم المعارضة وقال السعد هى امر يظهر بخلاف العادة على يد مدعى
النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الاتيان بمثله وقد
اعتبر المحققون فيها سبعة قيود الأول ان تكون قولا او فعلا او تركا فالأول

كالقرآن والثانى كنبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم والثالث كعدم
حرق النار لسيدنا ابراهيم وخرج بذلك الصفة القديمة كما اذا قال آية
صدقى كون الاله متصفا بصفة الاختراع الثانى ان تكون خارقة
للعادة وهى ما اعتاده الناس واستمروا عليه مرة بعد اخرى وخرج
بذلك غير الخارق كما اذا قال آية صدقى طلوع الشمس من حيث تطلع
وغروبها من حيث تغرب الثالث ان تكون على يد مدعى النبوة او الرسالة
وخرج بذلك الكرامة وهى ما يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح والمعونة
وهى ما يظهر على يد العوام تخليصا لهم من شدة والاستدراج وهو ما
يظهر على يد فاسق خديعة ومكرا به والاهانة وهى ما يظهر على يده تكذيبا
له كما وقع لمسيلمة الكذاب فانه تفل فى عين اعور لتبرأ فعميت الصحيحة
الرابع ان تكون مقرونة بدعوى النبوة او الرسالة حقيقة او حكما بأن
تأخرت بزمن يسير وخرج بذلك الارهاص وهو ما كان قبل النبوة والرسالة
تأسيسا لها كاظلال الغمام له صلى الله عليه وسلم قبل البعثة الخامس ان
تكون موافقة للدعوى وخرج بذلك المخالف لها كما اذا قال آية صدقى انفلاق
البحر فانفلق الجبل السادس ان لا تكون مكذبة له وخرج بذلك ما اذا كانت
مكذبة له كما اذا قال آية صدقى نطق هذا الجماد فنطق بأنه مفتر كذاب
بخلاف ما لو قال آية صدقى نطق هذا الانسان الميت واحياؤه فاحيى ونطق
بأنه مفتر كذاب والفرق ان الجماد لا اختيار له فاعتبر تكذيبه لأنه امر
الهى والانسان مختار فلا يعتبر تكذيبه لأنه ربما اختار الكفر على الايمان
السابع ان تتعذر معارضته وخرج بذلك السحر ومنه الشعبذة وهى
خفة فى اليد يرى ان لها حقيقة ولا حقيقة لها كما يقع للحواة وزاد بعضهم
ثامنا وهو ان لا تكون فى زمن نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها
وخرج بذلك ما يقع من الدجال كأمره للسماء ان تمطر فتمطر وللأرض ان
تنبت فتنبت وقد نظم بعضهم اقسام الامر الخارق للعادة فقال

اذا ما رأيت الامر يخرق عادة ... فمعجزة ان من نبى لنا صدر
وان بان منه قبل وصف نبوة ... فالارهاص سمه تتبع القوم فى الأثر
وان جا يوما من ولى فانه ال ... كرامة فى التحقيق عند ذوى النظر
وان كان من بعض العوام صدوره ... فكنوه حقا بالمعونة واشتهر
ومن فاسق ان كان نوفق مراده ... يسمى بالاستدراج فيما قد استقر
والا فيدعى بالاهانة عندهم ... وقد تمت الاقسام عند الذى اختبر

وزاد بعضهم السحر وقيل انه ليس من الخوارق لأنه معتاد عند تعاطى اسبابه

قوله

وعصمة البارى لكل حتما الاضافة فى عصمة البارى من اضافة المصدر
لفاعله ولكل متعلق بعصمة وحتما بفتح الحاء على انه فعل امر والالف منقلبة عن
نون التوكيد الخفيفة فى الوقف بعد حذف الرابط والأصل حتمنها والجملة
خبر المبتدا وهو عصمة ان قرئ بالرفع ويصح ان يقرأ بالنصب على انه مفعول
لمحذوف يدل عليه المذكور والتقدير وحتم عصمة البارى ولم يجعل مفعولا للمذكور
لأنه مقترن بنون التوكيد الخفيفة وهو لا يعمل فيما قبله فان قيل اذا لم
يعمل لا يفسر عاملا اجيب بأن قولهم ما لا يعمل لا يفسر عاملا انما هو فى
التفسير الاصطلاحى فلا ينافى انه يفسر له فى الجملة او بضم الحاء على انه فعل
ماض مبنى للمجهول والالف للاطلاق وعلى هذا فعصمة بالرفع لا غير على انه
مبتدا والجملة من الفعل ونائب الفاعل خبره وتذكير الضمير الذى هو نائب الفاعل
مع كونه عائدا على العصمة لتذكيرها باعتبار كونها وصفا وعلى كل فالمعنى اعتقد
ان عصمة البارى لكل واحد من الأنبياء والملائكة متحتمة وواجبة بمعنى انها
لا تنفك ولا تقبل الانتفاء والبارى الخالق من البرء وهو الخلق وقد يقال
ان عصمة الأنبياء قد تقدمت فى قوله وواجب فى حقهم الامانة اذ الامانة هى
العصمة وقد يجاب بأنه انما تعرض لها ليجمع الملائكة مع الأنبياء فى حكمها
والاتصاف بها والعصمة لغة مطلق الحفظ واصطلاحا حفظ الله للمكلف
من الذنب مع استحالة وقوعه ولا يجوز لنا سؤال العصمة بهذا المعنى كأن يقال
اللهم انا نسألك العصمة فان اريد المعنى اللغوى جاز لنا سؤالها واعلم
ان المشهور عصمة جميع الملائكة وقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ليس غيبة ولا اعتراضا على الله بل مجرد استفهام وما نقل فى قصة
هاروت وماروت مما يذكره المؤرخون لم يصح فيه شئ من الأخبار بل هو من افتراء
اليهود وكذبهم وتبعهم المؤرخون فى ذكر ذلك وقيل كانا رجلين صالحين
وسميا ملكين تشبيها لهما بالملكين وخص خير الخلق ببناء الفعل للمفعول
وخير الخلق نائب فاعل الذى هو الله والأصل وخص الله خير الخلق اى افضلهم
وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وخير افعل تفضيل اصله اخير كاكرم حذفت
منه الهمزة لكثرة الاستعمال وقوله ان قد تمما به الجميع ربنا اى ان ختم ربنا
به صلى الله عليه وسلم جميع الأنبياء فالباء مقدرة وهى داخلة على المقصود
فتتميم جميع الأنبياء مقصور عليه صلى الله عليه وسلم لا يتعداه الى غيره قال تعالى
وخاتم النبيين ويلزم منه ختم المرسلين لأنه يلزم من ختم الأعم ختم الأخص من

غير عكس ولا يشكل ذلك بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام فى آخر الزمان
لأنه انما ينزل حاكما بشريعة نبينا ومتبعا له ولا ينافى ذلك انه حين نزوله يحكم
برفع الجزية عن اهل الكتاب ولا يقبل منهم الا الاسلام او السيف لان نبينا
اخبر بأنها مغيّاة الى نزول عيسى فحكمه بذلك انما هو بشريعة نبينا وخصائصه
صلى الله عليه وسلم لا تنحصر حدًّا ولا عدًّا ولكن المهم منها ما ذكره المص
وعمّا بعثته اى وخص ايضا بأن عمّ ربنا بعثته فالباء مقدرة وهى داخلة على
المقصور كما فى الذى قبله فتعميم البعثة مقصور عليه صلى الله عليه وسلم
لا يتعداه الى غيره فارسله الله الى جميع المكلفين من الثقلين ارسال تكليف
اتفاقاً واما الملائكة فقد تقدم فيهم الخلاف والاصح انه مرسل اليهم ارسال
تشريف وبعضهم اعتمد انه مرسل اليهم ارسال تكليف بما يليق بهم فان منهم الراكع
والساجد الى يوم القيامة وما كلف به الانس تفصيلا واجمالا فقد كلف به
الجن كذلك وشمل ذلك يأجوج ومأجوج بالهمز وتركه وهم اولاد يافث بن
نوح وقيل جيل من الترك وقيل غير ذلك والتحقيق انه صلى الله عليه وسلم
مرسل لجميع الانبياء والامم السابقة لكن باعتبار عالم الارواح فان روحه
خلقت قبل الارواح وارسلها الله لهم فبلغت الجميع والانبياء نوابه فى عالم
الاجسام فهو صلى الله عليه وسلم مرسل لجميع الناس من لدن آدم الى يوم القيمة
حتى الى نفسه لدخول الجميع تحت قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة
وقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس فمن نفى عموم بعثته صلى الله عليه وسلم
فقد كفر وفى ذلك رد على العيسوية وهم فرقة من اليهود زعموا تخصيص
رسالته صلى الله عليه وسلم بالعرب لا يقال تعميم البعثة ليس خاصا بنبينا
صلى الله عليه وسلم بل مثله نوح فانه كان مبعوثا لجميع من فى الارض بعد
الطوفان لأنا نقول تعميم بعثة نوح ليس من اصل البعثة بل امر اتفاقى لأنه
لم يسلم من الهلاك الا من كان معه فى السفينة واما تعميم بعثة نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم فهو من اصل البعثة ومقتضى ما ذكر ان بعثة نوح لم تكن عامة قبل
الطوفان فيكون بعض المغرقين لم يرسل اليهم فيقال اذا لم يرسل اليهم فما موجب
غرقهم وقد قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولذلك قيل انها عامة
قبل الطوفان ولعل الاول تمسك بقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة وعلى القول بعموم بعثته قبل الطوفان فالتعميم خاص بزمنه
فقط وتعميم رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم لزمنه والزمن الذى بعده بل

بعثته فشرعه لا ينسخ بغيره حتى الزمان ينسخ

والذى

والذى قبله كما تقدم فأين التعميم الخاص من التعميم العام على ان سيدنا نوحا
لم يرسل الى الجن فانه لم يرسل لهم الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واما
تسخير الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام فتسخير سلطنة وملك لا
تسخير نبوة   فشرعه لا ينسخ بغيره مفرع على ختم النبوة به وتعميم بعثته
فالفاء للتفريع ويصح ان تكون فاء الفصيحة لأنها افصحت عن شرط مقدر والتقدير
اذا علمت انه خاتم النبيين وان بعثته عامة فشرعه لا ينسخ بغيره لا كلا ولا بعضا
والشرع لغة البيان واصطلاحا الاحكام الشرعية والنسخ لغة الازالة
والنقل ومنه نسخت الشمس الظل اى ازالته ونسخت الكتاب اى نقلته وهل هو
حقيقة فى المعنيين او حقيقة فى الاول مجاز فى الثانى او بالعكس اقوال وخير
الامور اوساطها فالصحيح انه حقيقة فى الاول مجاز فى الثانى واصطلاحا رفع
حكم شرعى بدليل شرعى والمراد برفع الحكم الشرعى انقطاع تعلقه بالمكلفين
لأنه خطاب الله تعالى وهو يستحيل رفعه لأنه قديم بخلاف التعلق فلا يستحيل
رفعه لأنه حادث وقوله حتى الزمان ينسخ اى فشرعه صلى الله عليه وسلم مستمر
الى نسخ الزمان فالمراد بحتى الغاية مع كونها ابتدائية والزمان مبتدأ خبره ينسخ
والمراد بالنسخ هنا المعنى اللغوى وهو الازالة فالمعنى حتى الزمان يزال ويرفع
بحضور يوم القيمة لقوله صلى الله عليه وسلم لن تزال هذه الامة قائمة على امر الله
يعنى الدين الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى امر الله اى الساعة وهو على حذف
مضاف اى قربها لأن المؤمنين يموتون قبل الساعة بريح لينة والمراد بالنسخ
فى آخر الشطر الاول المعنى الشرعى ففى كلامه الجناس وقد تقدم الكلام فى الانتقال
فلا حاجة الى الاعادة   ونسخه لشرع غيره وقع حتما اى ونسخ شرع نبينا
صلى الله عليه وسلم لشرع كل نبى غيره وقع وحصل حال كونه متحتما فحتما
بمعنى متحتما حال من فاعل وقع ويدل لذلك قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام
دينا الآية والاحاديث فى ذلك كثيرة بلغت جملتها مبلغ التواتر فنسخ شرعه
صلى الله عليه وسلم لشرع غيره واقع سمعا باجماع المسلمين خلافا لليهود و
النصارى حيث زعموا ان شرع نبينا صلى الله عليه وسلم لم ينسخ شرع احد من
الانبياء توسلا للقول بنفى نبوته صلى الله عليه وسلم واحتجوا على ذلك بأنه يلزم
على القول بالنسخ ظهور مصلحة كانت خفية على الله تعالى ورد بأن المصلحة
تختلف بحسب الازمنة فالمصلحة فى زمن الامم السابقة اقتضت تكليفهم بشرائعهم
والمصلحة فى زماننا اقتضت تكليفنا بشريعتنا وقوله اذ لا الله من له منع اى

ونسخه لشرع غيره وقع حتما اذ لا شك انه نسخ

ونسخ بعض شرعه بالبعض الآخر وما في ذاته من غرض

الحق الذل بمن منع نسخ شرع نبينا لغيره وهذه جملة دعائية على اليهود والنصارى
فإنهم المانعون لذلك و نسخ بعض شرعه بالبعض اجز لا يخفى ان نسخ
بالنصب مفعول مقدم لأجز الواقع بعده اى اعتقد جواز نسخ بعض شرعه صلى الله
عليه وسلم بالبعض الآخر جوازا ووقوعا لأن ذلك وقع بالفعل نعم وجوب معرفة
تعالى وتحريم الكفر نسخه غير واقع وان كان جائزا كما هو مذهب اهل الحق
خلافا لمن قال ان المعرفة حسن عقلي والكفر قبيح عقلي فوجوب المعرفة وتحريم
الكفر لا يجوز نسخهما ونحن نقول الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع
فلو جعل المعرفة من القبيح والكفر من الحسن فلا حرج عليه وشمل البعض
المنسوخ البعض القرآني خلافا لمن منعه كأبي موسى الاصفهاني محتجا بقوله
تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلو نسخ بعضه لتطرق اليه
البطلان واجاب الأولون بأن الضمير لمجموع القرآن وهو لا ينسخ اتفاقا
وخرج بتقييد المص بالبعض نسخ الجميع فهو وان كان جائزا لكنه غير واقع
فالحاصل ان الكلام في مقامين مقام جواز ومقام وقوع فمن حيث الجواز
يجوز نسخ الشريعة كلا وبعضا واما من حيث الوقوع فلا يجوز نسخ الجميع
جوازا ووقوعا وقوله وما في ذاته من غرض اى وما في هذا الحكم وهو تجويز
نسخ بعض شرعه بالبعض الآخر من نقص له يقتضي امتناعه وشمل ما ذكر
نسخ الكتاب بالكتاب كما في قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فانه نسخ بقوله والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا المتأخر نزولا
وان تقدم تلاوة ونسخ السنة بالسنة كما في حديث كنت نهيتكم عن زيارة
القبور فزوروها فانه نسخ النهي الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم اولا بالأمر
في هذا الحديث ونسخ السنة بالكتاب كما في استقبال بيت المقدس الثابت
بالسنة فانه نسخ باستقبال الكعبة الثابت بقوله تعالى فول وجهك شطر
المسجد الحرام ونسخ الكتاب بالسنة كما في قوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم
الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين فانه نسخ بحديث لا وصية
لوارث وشمل ايضا نسخ التلاوة والحكم جميعا كما في نحو عشر رضعات
معلومات يحرمن فانه كان مما يتلى فنسخ بخمس معلومات يحرمن ثم نسخ هذا
الناسخ عندنا تلاوة لا حكما وعند المالكية تلاوة وحكما ونسخ التلاوة دون
الحكم كما في نحو الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله

عزيز حكيم فانه كان مما يتلى فنسخ تلاوة لا حكما ونسخ الحكم دون التلاوة كما في
آية والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول
فانه نسخ حكما بآية اربعة اشهر وعشرا وبقي تلاوة والحق ان النسخ لا يكون الا
الى بدل كما قاله الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه خلافا لمن قال تارة يكون
الى بدل كما في آيتي الأنفال اعني قوله تعالى يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الآية وقوله تعالى الآن خفف الله
عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين الآية وتارة
يكون الى غير بدل كما في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول الآية
فان وجوب تقديم الصدقة على مناجاة الرسول نسخ بلا بدل وعلى الأول
فبدل هذا الوجوب جواز التصدق او استحبابه فلم يقع بلا بدل اصلا
ومعجزاته كثيرة غرر لما ذكر فيما تقدم تأييد الله تعالى للأنبياء بالمعجزات نبه
هنا على كثرتها ووضوحها لنبينا دون غيره فالغرض الآن التنبيه على كثرة
معجزاته ووضوحها لكن المراد من معجزاته الأمور الخارقة للعادة الظاهرة
على يده صلى الله عليه وسلم سواء كانت مقرونة بالتحدي ام لا فهو من استعمال
اللفظ في حقيقته ومجازه او من عموم المجاز وانما وصفها بالكثرة المطلقة
ايماء للعجز عن الاحاطة بها والغرر جمع غرة وهي في الأصل بياض في جبهة
الفرس فوق الدرهم وتطلق على خيار الشيء ثم استعملت في كل واضح معروف
على وجه الحقيقة العرفية وهو المراد هنا فغرر بمعنى واضحات مشهورات
واعلم ان ما كان منها معلوما بالقطع منقولا بالتواتر كالقرآن فلا شك في كفر
منكره وما لم يكن منها كذلك فان اشتهر كنبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه
وسلم فسق منكره وان لم يشتهر وثبت بطريق صحيح او حسن عزر منكره
منها كلام الله قد تقدم ان كلام الله يطلق على الصفة القديمة وعلى اللفظ
المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه
كما يطلق عليهما القرآن لكن قد غلب كلام الله في الصفة القديمة والقرآن في اللفظ
الحادث والمص اراد هنا بكلام الله اللفظ وانما نص عليه بخصوصه لأنه افضل
معجزاته صلى الله عليه وسلم وادومها لبقائه الى يوم القيامة ولا يخرج عنه شيء
من معجزاته غالبا والا فبعضها لم يذكر فيه بطريق الصراحة وان كان داخلا في
عموم قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير ما فرطنا في الكتاب من شيء وذلك
كانشقاق القمر فعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال بينما نحن مع رسول الله

ومعجزاته كثيرة غرر

منها كلام الله المعجز للبشر

صلى الله عليه وسلم اذ انشق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه
فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وقال كفار قريش هذا سحر فابعثوا
الى اهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا مثل هذا ام لا فأخبروا اهل الآفاق بأنهم رأوه
منشقا فقال كفار قريش هذا سحر مستمر فقد انشق نصفين وهو في السماء
وان كان قد يسبق الى الوهم انه نزل منها الى الجبل وكتسليم الحجر والشجر عليه صلى الله
عليه وسلم فعن علي رضي الله عنه انه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام
عليك يا رسول الله وكتسبيح الحصا في كفه صلى الله عليه وسلم فقد روى ثابت
ان انس بن مالك قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ كفا
من حصا فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن
ثم في يد عمر فسبحن ثم في يد عثمان فسبحن ثم صبهن في ايدينا فما سبحن
وكحنين الجذع الذي هو ساق النخلة وحديثه مشهور متواتر وهو انه كان صلى
الله عليه وسلم قبل ان يصنع له المنبر يخطب عنده فلما صنع له المنبر انتقل اليه
فسمع له كل من في المسجد حنينا وصوتا عظيما حتى كاد ان ينشق اسفا على
فراقه صلى الله عليه وسلم فضمه اليه فصار يئن انين الصبي الذي تضمه امه
اليها وتسكته عن بكائه ثم قال ان شئت اردك الى الحائط اي البستان الذي
كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر وان شئت
اغرسك في الجنة فيأكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى اليه ليسمع ما يقول فقال
بصوت يسمعه من يليه بل تغرسني في الجنة فيأكل مني اولياء الله واكون في
مكان لا يبلى فيه فقال قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء وامر به
فدفن تحت المنبر وكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى وقال يا عباد الله
الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتم احق ان تشتاقوا الى لقائه
وكرد عين قتادة حين سالت على خده وذلك انه كان يتقي بوجهه السهام عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة احد فأصاب عينه سهم فسالت على خده
فأخذها بيده وسعى بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها في كفه دمعت
عيناه وقال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله لك فلم
تفقد منها شيئا فقال يا رسول الله ان الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكني رجل
مبتلى بحب النساء واخاف ان يقلن اعور فلا يردنني ولكن تردها وتسئل الله
لي الجنة فردها في موضعها وقال اللهم ان قتادة كما وقى وجه نبيك فاجعلها

احسن

احسن عينيه واحدهما نظرا وكان كذلك وكانت لا ترمد اذا رمدت الأخرى
وكشهادة الضب بنبوته روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل
من اصحابه اذ جاءه اعرابي وقد صاد ضبا فقال الأعرابي من هذا قالوا نبي الله
فقال واللات والعزى لا آمن به الا ان يؤمن هذا الضب وطرحه بين يديه
صلى الله عليه وسلم فقال يا ضب فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا
لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه
وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال من انا
قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك
فأسلم الأعرابي واما حديث الظبية فالحق انه موضوع لا اصل له ولفظه كان
النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله فقال ما حاجتك قالت
صادني هذا الاعرابي ولي خشفان بكسر الخاء وتسكين الشين اي ولدان في
ذلك الجبل فأطلقني حتى اذهب لارضعهما وارجع فقال وتفعلين قالت نعم عذبني الله عذاب العشار ان لم افعل
فأطلقها وذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله الك حاجة
قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد
ان لا اله الا الله وانك رسول الله لكن الحديث موضوع كما علمت
معجز البشر اي مصيرهم عاجزين عن معارضته والاتيان بمثله بل كل المخلوقات
كذلك اجماعا قال لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا
يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي معينا وخص الانس والجن
مع ان سائر المخلوقات كذلك لأنهما اللذان يتصور منهما المعارضة بخلاف
غيرهما كالملائكة لعصمتهم واقتصار الناظم على البشر لأنهم الذين تصدوا
لذلك بالفعل والبشر هم بنو آدم سموا بذلك لبدو بشرتهم التي هي ظاهر
الجلد ولا خلاف في ان القرآن بجملته معجز وانما الخلاف في اقل ما يقع به الاعجاز
من بعاضه واختار جمهور اهل التحقيق ان اقله اقصر سورة منه او
ثلاث آيات وقال القاضي عياض ان اقله سورة انا اعطيناك الكوثر او آية
او آيات في قدرها وظاهر الأول ان الآية او الآيتين ليس معجزا وان عادل
الثلاثة او السورة في الطول كآية الكرسي والدين والظاهر خلافه فالمعتمد
ان الآية الطويلة معجزة كالثلاثة واختلف في وجه اعجازه فقيل كون الله
صرفهم عن الاتيان بمثله مع كونهم قادرين على ذلك وهذا القول يسمى قول
الصرفة والذي ذهب اليه الجمهور ان وجه اعجازه كونه اعلا في طبقات البلاغة

واجزم بمعراج النبي كما رووا

والفصاحة مع اشتماله على الاخبار بالمغيبات ودقائق العلوم واحوال المبدأ والمعاد وغير ذلك مما لا يحصى وهذا هو الصحيح في وجه الاعجاز
واجزم بمعراج النبي كما رووا بسكون الياء من النبي مخففة للوزن اى واعتقد اعتقادا جازما بعروج نبينا صلى الله عليه وسلم وصعوده الى السموات السبع الى سدرة المنتهى الى حيث شاء الله بعد الاسراء به على البراق وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى حال كون العروج الذى جزمت به مثل الذى رواه اهل الحديث والتفسير والسير وكان على الناظم التعرض للاسراء ايضا لكن استغنى عن ذكره بذكر المعراج لشهرة اطلاق احد الاسمين اعنى الاسراء والمعراج على ما يعم مدلوليهما وهو سيره صلى الله عليه وسلم ليلا الى امكنة مخصوصة على وجه خارق للعادة فهذا امر كلى يشمل مدلوليهما والحق انه كان يقظة بالروح والجسد كما اجمع عليه اهل القرن الثانى ومن بعده من الامة خلافا لبعض القرن الاول القائل بانه كان مناما ولبعضه القائل بانه كان بالروح فقط لكن يقظة فالاقوال ثلاثة فان قيل فما الفرق بين كونه مناما وبين كونه بالروح اجيب بانه على كونه مناما يكون فى حالة النوم وعلى كونه بالروح لا نوم اصلا بل الروح تذهب للامكنة المخصوصة والجسم فى هذه الحالة يكون كالغافل والاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثابت بالكتاب والسنة واجماع المسلمين فمن انكره كفر والمعراج من المسجد الاقصى الى السموات السبع ثابت بالاحاديث المشهورة ومنها الى الجنة ثم الى المستوى او العرش او طرف العالم من فوق العرش على الخلاف فى ذلك ثابت بخبر الواحد فمن انكره لا يكفر لكن يفسق والتحقيق انه لم يصل الى العرش كما نصوا عليه فى مواد القصة

وبرئن لعائشة مما رموا

وبرئن لعائشة مما رموا بزيادة اللام وسكون الهاء للوزن اى اعتقد وجوبا براءة ام المؤمنين عائشة بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنها وعن ابويها مما رماها به المنافقون من الافك اى اشد الكذب والذى تولى كبره اى معظمه حيث ابتدأ الخوض فيه واشاعه عبد الله بن ابى ابن سلول لعنه الله وابى اسم ابيه وسلول اسم امه وقد جاء القرآن ببراءتها وانعقد عليها اجماع الامة ووردت بها الاحاديث الصحيحة فمن جحد براءتها او شك فيها كفر وحاصل قصتها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فلما اراد التوجه لغزوة بنى المصطلق وتسمى غزوة المريسيع اقرع بينهن فخرجت القرعة على عائشة فتوجهت معه ففى رجوعهم منها ضاع عقدها وكان من جزع اظفار بفتح الجيم وسكون الزاي

او فتحها اى خرز منسوب لاظفار وهى بلدة فى اليمن فتخلفت فى طلبه فحمل هودجها وهو مركب من مراكب النساء كالقبة ظنا انها فيه لانها كانت خفيفة كما اخبرت بذلك وسار القوم ورجعت اليهم فلم تجدهم فمكثت مكانها فاخذها النوم فمر بها صفوان بن المعطل وكان يعرفها قبل آية الحجاب وكان يتخلف ليلتقط ما يسقط من المتاع او لانه كان ثقيل النوم فبرك ناقته وولاها ظهره وصار يسترجع جهرا حتى استيقظت وحملها على الناقة ولم ينظر اليها وقاد بها الناقة موليها ظهره حتى ادرك بها النبى صلى الله عليه وسلم فرموها به وفشا ذلك بين المنافقين وضعفاء المسلمين فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فجمع الصحابة وقال يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى اذاه فى اهل بيتى فوالله ما علمت على اهلى الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا فقال سعد بن معاذ سيد الاوس انا اعذرك منه يا رسول الله ان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا امرك فقال سعد بن عبادة سيد الخزرج كذبت لا تقدر على قتله فهم الاوس والخزرج بالقتال فامرهم النبى بالاعراض عن ذلك فانزل الله فى براءتها ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم العشر آيات الى قوله تعالى اولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم فقال ابو بكر لعائشة قومى فاشكرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا اشكر الا الله الذى برأنى لكن لم يكن ذلك لشئ كان فى نفسها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان مقامها يجل عن ذلك وانما استغرقت فى مقام الشهود فلم تشهد الا الله وكان ممن تكلم فى الافك مسطح وكان ابو بكر ينفق عليه فلما بلغه انه تكلم فى الافك حلف لا ينفق عليه فانزل الله ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة الآية فاعاد ابو بكر النفقة كما كانت

وصحبه خير القرون

وصحبه خير القرون اى واصحابه صلى الله عليه وسلم افضل القرون المتأخرة والمتقدمة ما عدا الانبياء والرسل لحديث ان الله اختار اصحابى على العالمين سوى النبيين والمرسلين ولحديث الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى فوالذى نفسى بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه ولا يخفى ترجيح رتبة من لازمه صلى الله عليه وسلم وقاتل معه وقتل تحت رايته على من لم يكن كذلك وان كان شرف الصحبة حاصلا للجميع والقرون جمع قرن ومعناه اهل زمان واحد متقارب اشتركوا فى امر من الامور المقصودة كالصحابة فانهم اشتركوا فى الصحبة وهكذا من بعدهم وقيل معناه الزمن الذى اشترك اهله فى الامر المذكور وسمى قرنا لانه يقرن امة بامة وعالما بعالم وعلى الاول فلا تقدير فى كلام المص وعلى الثانى فى كلامه

وصحبه خير القرون فاستمع
فتابعى فتابع لمن تبع

تقدير مضاف اى اهل القرون كما قدره الشارح فى حل المتن وقوله فاستمع تكملة وقوله
فتابعى باسكان الياء مخففة يفيد ان رتبة التابعين تلى رتبة الصحابة من غير تراخ
كبير ولذلك عبر بالفاء المفيدة للترتيب والتعقيب والتابعى من اجتمع بالصحابى
اجتماعا متعارفا ولا يشترط فيه طول الاجتماع كما فى الصحابى مع النبى وهذا ما صححه
ابن الصلاح والنووى وهو المعتمد والطريقة المشهورة انه يشترط التمييز فى التابعى
دون الصحابى والمعتمد عندنا عدم اشتراطه فى التابعى كما لا يشترط فى الصحابى
وافضل التابعين اويس القرنى كما ان افضل التابعيات حفصة بنت سيرين
على خلاف فى المسئلة وقوله فتابع لمن تبع يفيد ان رتبة اتباع التابعين تلى رتبة
التابعين من غير تراخ كبير كما مر فى الذى قبله وفى كلامه اظهار فى مقام الاضمار
اذ كان مقتضى الظاهر ان يقول فتابع له ويكون الضمير عائدا على التابعى والاصل فى الترتيب
الذى افاده كلام المص قوله صلى الله عليه وسلم خير امتى القرن الذين يلونى ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم وظاهره ان ما بعد القرون الثلاثة سواء فى الفضيلة وذهب جماعة
الى تفاوت بقية القرون بالسبقية فكل قرن افضل من الذى بعده الى يوم القيامة لحديث
ما من يوم الا والذى بعده شر منه وانما يسرع بخياركم لكن قد ورد مثل هذه الامة مثل
المطر لا يدرى اوله خير او آخره والعيان قاض بذلك وخيرهم من ولى الخلافة
اى وافضل الصحابة النفر الذى ولى الخلافة العظمى وهى النيابة عن النبى صلى الله عليه
وسلم فى عموم مصالح المسلمين وقد قدر صلى الله عليه وسلم مدتها بقوله الخلافة
بعدى ثلاثون اى سنة ثم تصير ملكا عضوضا اى ذا عض وتضييق لان الملوك
يضرون بالرعية حتى كانهم يعضونهم عضا فالمراد انه ذو تضييق ومشقة على الرعية
والنفر الذى ولى الخلافة العظمى الخلفاء الاربعة فتولاها ابو بكر رضى الله عنه
سنتين وثلاثة اشهر وعشرة ايام وتولاها عمر رضى الله عنه عشر سنين وستة
اشهر وثمانية ايام وتولاها عثمان رضى الله عنه احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا
وتسعة ايام وتولاها على رضى الله عنه وكرم وجهه اربع سنين وتسعة اشهر
وسبعة ايام فالمجموع تسعة وعشرون سنة وستة اشهر واربعة ايام فلم
تكمل المدة التى قدرها النبى صلى الله عليه وسلم الا بايام الحسن بن على رضى الله عنهما
كذا حرره السيوطى ولذلك قال معاوية انا اول الملوك والى هذا التفضيل ذهب
الجمهور خلافا لما نقله المازنى عن طائفة من عدم المفاضلة بين الصحابة
وامرهم فى الفضل كالخلافة اى وشأن الخلفاء الاربعة فى ترتيبهم فى الفضل بمعنى
كثرة الثواب على حسب ترتيبهم فى الخلافة عند اهل السنة فافضلهم ابو بكر ثم عمر

ثم

وخيرهم من ولي الخلافة

وامرهم في الفضل كالخلافة

ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم ويدل لذلك حديث ابن عمر كنا نقول ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يسمع خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على
فلم ينهنا وقد قال السعد على هذا وجدنا السلف والخلف والظاهر انه لو لم يكن
لهم دليل على ذلك لما حكموا به وفى ذلك رد على الخطابية وهم فرقة تنسب لابن خطاب
الاسدى تقول بتقديم عمر وفيه رد على الراوندية وكانوا فى الاصل يقال لهم
العباسية يقولون بتقديم العباس بن عبد المطلب وانما غير اسمهم لئلا يتوهم
انهم اولاد العباس وفيه رد ايضا على الشيعة بفتح الياء وهم فرقة تغالى فى حب سيدنا على رضى الله
فتقدمه على سائر الصحابة واما اهل الكوفة وبعض اهل السنة وجمهور المعتزلة
وسيدنا مالك فى قوله الاول فيقدمون عليا على عثمان فقط ففرق بين قول الشيعة
وقول هؤلاء وان اوهم كلام الشارح خلاف ذلك يليهم بالاتباع اى يلى اخرهم
وهو على فالكلام على تقدير مضاف وقوله قوم اى رجال وقوله كرام جمع كريم
وهو كريم النفس رفيع النسب وقوله بررة جمع بار وهو المحسن من البر وهو الاحسان
وقوله عدتهم ست تمام العشرة اى عددهم ست تمام العشرة المبشرين بالجنة فمن
جملتهم المشايخ الاربعة السابقون والستة الباقية هم طلحة بن عبيد الله والزبير
ابن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وسعيد بن زيد وابو عبيدة
عامر بن الجراح ولم يرد نص بتفاوت بعضهم على بعض فى الافضلية فلا نقول به
لعدم التوقيف وتخصيص هؤلاء العشرة بانهم مبشرون بالجنة مع ان المبشرين
بالجنة اكثر منهم فان الحسن والحسين وامهما فاطمة من المبشرين بالجنة قطعا
لان هؤلاء العشرة جمعوا فى حديث مشهور ففى الترمذى وابن حبان من حديث عبد
الرحمن بن عوف عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ابو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان
فى الجنة وعلى فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة
وسعد بن ابى وقاص فى الجنة وابو عبيدة بن الجراح فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة
فاهل بدر بتحريك التنوين للوزن اى فاهل غزوة بدر ففى الكلام تقدير
مضاف فرتبتهم تلى رتبة الستة من العشرة ولا فرق بين من استشهد فيها وهم
اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وبين من لم يستشهد فيها
وبدر اسم للوادى او لبئر فيه بناها رجل فى الجاهلية يقال له بدر وفى السيرة
الشامية بدر قرية مشهورة على نحو اربعة مراحل من المدينة وكان اهل غزوة بدر ثلثمائة
وسبعة عشر رجلا وفى رواية وثلاثة عشر ويؤيد هذه الرواية انه صلى الله عليه وسلم
امر بعدهم فاخبر بانهم ثلثمائة وثلاثة عشر ففرح بذلك وقال عدة اصحاب طالوت

عنه يليهم قوم كرام بررة عدتهم ست تمام العشرة

فاهل بدر العظيم الشان

وكان معهم فرسان فقط احداهما للمقداد بن الأسود والثانية للزبير بن العوام وفي عبارة
بعضهم ثلاثة افراس وكان معهم ايضا سبعون بعيرا وكان المشركون الفا ومعهم مائة
فرس وسبعمائة بعير وسبق المشركون الى ماء بدر فاحرزوه ولم يصل اليه المسلمون
فعطشوا واصبح غالبهم جنبا فوسوس الشيطان لبعضهم وقال تزعمون انكم على الحق
وفيكم نبي الله وانكم اولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم عطاشا وتصلون
محدثين مجنبين وما ينتظر اعداءكم الا ان يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم
فيتحكمون فيكم كيف شاءوا فارسل الله عليهم مطرا وسال منه الوادي فاغتسلوا
وشربوا وشرب دوابهم وملؤا الأسقية وثبتت المطر رمل الارض ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي تحت شجرة حتى اصبح وصنعوا عريشا له صلى الله عليه وسلم
فكان فيه هو وابو بكر وقام سعد بن معاذ على بابه متوشحا بالسيف ومشى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في موضع المعركة وجعل يشير بيده هذا مصرع فلان وهذا مصرع
فلان ان شاء الله تعالى فما تعدى احد منهم موضع اشارته وسوى رسول الله صلى الله ع
عليه وسلم الصفوف وخطب خطبة يحثهم فيها على الثبات وابتهل صلى الله عليه
وسلم في الدعاء حتى قال اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد في الارض اللهم
انشدك عهدك ووعدك اللهم ان ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك
دين وركع ركعتين وكان كثيرا ما يقول في سجوده اذذاك يا حي يا قيوم يكررها مدة
وهو ساجد حتى سقط رداؤه من كثرة ما ابتهل فالقاه عليه ابو بكر وقال يا نبي الله
كفاك تناشد ربك فانه سينجز لك ما وعدك ثم قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه
قتالا شديدا وحرض المسلمين على القتال فقال قوموا الى جنة عرضها السموات والأرض
وكانوا اذا اشتد البأس اتقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اقربهم للمشركين فأخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من حصا فرمى به المشركين وقال شاهت الوجوه اي
قبحت اللهم ارعب قلوبهم وزلزل اقدامهم فأصاب اعين جميعهم وانهزموا ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر واسر منهم سبعون وقتل
من اشرافهم سبعون كابي جهل وامية بن خلف وعتبة بن ابي ربيعة وكان مع المسلمين
سبعون من الجن وثلاثة آلاف من الملائكة مردفين يتبع بعضهم بعضا ثم كملت
خمسة آلاف فتمثلوا برجال بيض على خيل بلق عمائمهم بيض قد ارخوا اطرافها بين
اكتافهم وقيل سود وقيل صفر وقيل حمر وقيل خضر فكانهم انواع وكان قتلهم يعرف
باثر السواد في الأعناق والبنان اي المفصل مثل حرق النار وكان ابليس مع المشركين
متصورا بصورة سراقة بن مالك وكان معه راية وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني

جار لكم اي معين لكم فلما اقبل جبريل والملائكة نكص على عقبيه وقال اني بريء
منكم اني ارى ما لا ترون وصار يقول اللهم اني انشدك اني من المنظرين وتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته فسألوه عن ذلك بعد انقضائها فقال مر بي
ميكائيل وعلى جناحه اثر الغبار وهو راجع من طلب القوم فضحك الي فتبسمت اليه
وجاءه جبريل بعد القتال على فرس احمر عليه درع ومعه رمحه فقال يا محمد ان الله
بعثني اليك وامرني ان لا افارقك حتى ترضى هل رضيت قال نعم والحكمة في قتال
الملائكة وحضورهم مع المسلمين مع ان الملك الواحد كجبريل يقدر على رفع الكفار
بل على اقتلاع الارض ان تكون الملائكة عددا ومددا لجيش المسلمين على عادة
مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب التي اجراها الله بين عباده قال ابن عباس ولم
تقاتل الملائكة الا يوم بدر ولكنها تحضر في كل قتال من قتال الكفار الى يوم القيامة
لتكثير سواد المسلمين ثم انما اقتضاه كلام الناظم من ان الأربعة الخلفاء والستة
الذين هم تمام العشرة افضل من الملائكة الذين حضروا ابدرا محمول على غير رؤسائهم
لما تقدم من ان رؤساءهم افضل من عوام البشر وقد علمت ان المراد بهم اولياؤهم كابي
بكر وعمر ثم الملائكة الذين شهدوا بدرا افضل ممن لم يشهدها منهم وقياسه ان
يقال كذلك في مؤمني الجن   العظيم الشان صفة لبدر من حيث غزوتها واحترز
بذلك عن غزوتيها الأخريين فان غزواتها ثلاث الأولى لم يقع فيها قتال بل كانت
لطلب انسان غار على مواشي المدينة وخرجوا في طلبه فلم يجدوه والثالثة قد تواعد
لها ابو سفيان مع النبي صلى الله عليه وسلم وتخلف ابو سفيان خوفا والوسطى هي العظمى
لحضور الملائكة والجن فيها مع الانس   فاهل احد بدرج همزة احد وتسكين
داله للوزن واحد جبل معروف بالمدينة اي فاهل غزوة احد فرتبتهم تلي رتبة
اهل غزوة بدر والمراد من شهدها من المسلمين سواء استشهد بها كالسبعين ام
لا وكان اهلها الفا منهم ثلثمائة من المنافقين الذين رجع بهم عبد الله بن ابي بن سلول
وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل واصطف المسلمون باصل احد والمشركون بالسبخة
وجعل النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جبير اميرا على الرماة بالنبل وهم خمسون
وقال احموا ظهورنا واثبتوا مكانكم فلما التحم الحرب شرع المسلمون في اخذ الغنائم
فقال الرماة غلب اصحابكم فما تنتظرون فقال اميرهم انسيتم قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا والله لنأتين الناس ونصيب من الغنيمة وحملوا كلامه صلى الله
عليه وسلم على ان المراد ما دام الحرب قائما فلما اتوهم رجع الكفار عليهم ووقع القتال ل
واشاع ابليس في ذلك الوقت ان محمدا قتل فقتل من المسلمين سبعون ومن الكفار

ثم اهل احد فبيعة الرضوان

نيف وعشرون وقيل سبعون ايضا منهم أُبَيّ بن خلف قتله المصطفى بيده الكريمة ولم
يقتل بيده الشريفة غيره وكان صلى الله عليه وسلم لابسا درعين فاراد ان ينهض
وهما عليه ليصعد صخرة هنالك فبرك طلحة فصعد على ظهره واستوى عليها وقد اصيب
طلحة ح ببضع وسبعين ما بين طعنة بالرمح وضربة بالسيف ورمية بالسهم وقطعت
اصابعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قد اوجب طلحة اى الجنة وفيها استشهد
حمزة قتله وحشى وشج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورماه عتبة بن ابى وقاص
لعنه الله بحجر فكسر رباعيته فلم يولد من نسله ولد الا اهتم ابخر ودخل حلقتان من
المغفر فى وجنته صلى الله عليه وسلم فاخرجهما ابو عبيدة باسنانه فسقطت
ثنيتاه فكان احسن الناس هتما   فبيعة الرضوان اى فاهل بيعة الرضوان
فرتبتهم تلى رتبة اهل غزوة احد والاضافة فى بيعة الرضوان من اضافة السبب للمسبب
وسميت بذلك لقوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين الآية وكان اهل بيعة الرضوان
الفا واربعمائة وقيل وخمسمائة وخرج بهم النبى صلى الله عليه وسلم عام ستة من الهجرة
لزيارة البيت الحرام والاعتمار به ولم يكن معهم سلاح الا السيوف فنزلوا باقصى
الحديبية محل معروف فصده المشركون عن دخول مكة فارسل اليهم عثمان بكتاب
لاشراف قريش يعلمهم انه قدم معتمرا لا مقاتلا فقالوا لا يدخل مكة هذا العام
فشاع انهم قتلوا عثمان اشاع ذلك ابليس ورفع صوته به فقال عليه الصلاة والسلام
عند ذلك لا نبرح حتى نناجزهم الحرب ودعا الناس عند الشجرة للبيعة على الموت وعلى
ان لا يفروا بل يصبروا على الحرب فبايعوه على ذلك ووضع صلى الله عليه وسلم شماله
فى يمينه وقال هذه عن يد عثمان اى على تقدير حياته او نظر هنا للحقيقة ولم يتخلف
عنها الا الجد بن قيس بفتح الجيم اختبأ تحت بطن ناقته وكان منافقا ويقال انه
تاب وحسن اسلامه ثم تبينت حياة عثمان فصالحهم النبى صلى الله عليه وسلم على
شروط وهى ان يوضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين وان يؤمن بعضهم بعضا وان
يرجع فى هذا العام ويأتى للعمرة فى العام القابل وان من جاء ممن تبعه لا يردوه ومن
جاء من قريش مؤمنا يرده وكره المسلمون ذلك فقالوا يا رسول الله انا نرد ولا يردون
قال نعم من ذهب اليهم فابعده الله ومن جاء منهم فسيجعل الله له مخرجا حتى اسلم
ابو جندل وجماعة وانحازوا بجبل يقطعون الطريق على قريش فارسلوا له صلى
الله عليه وسلم باسقاط الشرط وان يأخذهم عنده وقد كتب على هذا ما صالح عليه
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو سلمنا انك رسول الله ما خاصمناك
فابى على ان يمحوها فقال صلى الله عليه وسلم ارنيها فمحاها وقال اكتب لهم كما قالوا محمد

ابن عبد الله فانى رسول الله وابن عبد الله وتحللوا بالحلق والذبح ورجعوا المدينة
والسابقون فضلهم نصا عرف هذه جملة مستأنفة ولهذا المريات بحرف الترتيب والسابقون
مبتدأ اول وفضلهم مبتدأ ثانى وجملة قوله عرف خبر المبتدأ الثانى وهو وخبره خبر عن
المبتدأ الاول ونصا منصوب على نزع الخافض وفى عبارة بعضهم منصوب على التمييز والمعنى
والمتقدمون الاولون فضلهم بمعنى كثرة ثوابهم على غيرهم ممن لم يشركهم فى هذه الصفة
عرف من نص القرآن او من جهة نص القرآن كقوله تعالى والسابقون الاولون من
المهاجرين والانصار الآية   وقوله هذا اى فهم هذا فهو مفعول لمحذوف ويصح غير ذلك
وقوله وفى تعيينهم قد اختلف اى وفى تعيين السابقين قد اختلف العلماء فقال ابو موسى
الاشعرى وغيره من الاكابر الذين صلوا الى القبلتين اى قبلة بيت المقدس والكعبة
وهذا هو قول الاكثر وهو الاصح وقال محمد بن كعب القرظى وجماعة هم اهل بدر وقال
الشعبى هم اهل بيعة الرضوان فالاقوال ثلاثة اذ صححها اولها وقد علم من كلام الناظم
ان التفضيل تارة يكون باعتبار الافراد وتارة يكون باعتبار الاصناف فالاول
كتفضيل ابى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على والثانى كتفضيل الخلفاء الاربعة ثم الستة
الباقية من العشرة ثم اهل بدر ثم اهل احد ثم اهل بيعة الرضوان وبعض اهل هذه
المراتب ربما دخل فى بعضها وربما دخل فى الجميع فقد يكون سابقا خليفة بدريا احديا
رضوانيا كالمشايخ الاربعة لكن عثمان بدرى اجرا لا حضورا لانه صلى الله عليه وسلم
خلفه على بنته رقية يمرضها وماتت فى غيبته صلى الله عليه وسلم وقال لك اجر رجل
وسهمه وكان عثمان يلقب بذى النورين لتزوجه ببنتيه صلى الله عليه وسلم رقية
وام كلثوم ولم يعلم من تزوج ببنتى نبى غيره   واول التشاجر الذى ورد
لما ذكر ان صحبه صلى الله عليه وسلم خير القرون احتاج للجواب عما وقع بينهم من المنازعات
الموهمة قدحا فى حقهم مع انهم لا يصرون على عمد المعاصى وان لم يكونوا معصومين
وقد وقع تشاجر بين على ومعاوية رضى الله عنهما وقد افترقت الصحابة ثلاث فرق
فرقة اجتهدت فظهر لها ان الحق مع على فقاتلت معه وفرقة اجتهدت فظهر لها
ان الحق مع معاوية فقاتلت معه وفرقة توقفت وقد قال العلماء المصيب باجرين
والمخطئ باجر وقد شهد الله ورسوله لهم بالعدالة والمراد من تاويل ذلك ان يصرف
الى محمل حسن لتحسين الظن بهم فلم يخرج واحد منهم عن العدالة بما وقع بينهم لانهم
مجتهدون وقوله ان خضت فيه اى ان قدر انك خضت فيه فاوله ولا تنقص
احدا منهم وانما قال المص ذلك لان الشخص ليس مأمورا بالخوض فيما جرى بينهم
فانه ليس من العقائد الدينية ولا من القواعد الكلامية وليس مما ينتفع به

والسابقون فضلهم نصا عرف [illegible]
هذا وفى تعيينهم قد اختلف

واول التشاجر الذى ورد [illegible]
[illegible]

فى الدين بل ربما ضر فى اليقين فلا يباح الخوض فيه الا للرد على المتعصبين او للتعليم
كتدريس الكتب التى تشتمل على الآثار المتعلقة بذلك واما العوام فلا يجوز لهم
الخوض فيه لشدة جهلهم وعدم معرفتهم بالتأويل واجتنب داء الحسد اى اترك
وجوبا فى خوضك فيما شجر بينهم داء هو الحسد فالاضافة للبيان ان اريد الداء
المعنوى او الحسد الشبيه بالداء فالاضافة من اضافة المشبه به للمشبه ان اريد
الداء الحسى والمراد داء الحسد الحامل على الميل مع احد الطرفين على وجه غير
مرضى وقد قال صلى الله عليه وسلم الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى
من آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه اى
اتقوا الله ثم اتقوا الله او انشدكم الله ثم انشدكم الله فى حق اصحابى وتعظيمهم
لا تتخذوهم كالغرض الذى يرمى اليه بالسهام فترموهم بالكلمات التى لا تناسب
مقامهم فمن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله اى تعدى حدوده وخالف
ففيه مشاكلة والا فحقيقة الايذا على الله محالة ومن آذى الله يوشك ان يأخذه
اى يقرب ان يعذبه وفى رواية لا تسبوا اصحابى من سب اصحابى فعليه لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ومعلوم جواز
لعن غير المعين من العصاة والصرف الفرض والعدل النفل وقيل بالعكس وقيل
غير ذلك وهذا فى المستحل او خارج مخرج المبالغة فى الزجر ومالك مبتدا وقوله
وسائر الائمة عطف عليه والخبر قوله هداة الائمة واما قوله كذا ابو القاسم
فجملة معترضة بين المبتدا والخبر واعلم انه لم يصح فى الائمة الاربعة حديث
بالخصوص وانما ورد يوشك ان تضرب اكباد الابل يطلبون العلم فلا يجدون احدا
اعلم من عالم المدينة فحمل على الامام مالك فكانوا يزدحمون على بابه لطلب العلم وقيل هو
كل عالم منها وورد عالم قريش يملأ طباق الارض علما فحمل على الامام الشافعى وقيل
هو ابن عباس وورد لو كان العلم بالثريا لناله رجال من فارس فحمل على ابى حنيفة
واصحابه وكل من هذه الاحاديث ظنى وقوله وسائر الائمة اى باقيهم وال فى
الائمة للعهد والمعهود الائمة الاربعة فقط والاولى جعلها للكمال لا بقيد عهد الاربعة
فقط فيدخل الامام الشافعى ابو عبد الله محمد بن ادريس والامام ابو حنيفة النعمان
ابن ثابت والامام احمد والامام الليث بن سعد وداود الظاهرى فانه كان جبلا
فى العلم وما نقل عن امام الحرمين من انه لا يؤخذ بكلام الظاهرية ولا يعول عليهم
فمحمول على طائفة مخصوصة كابن حزم ويدخل ايضا سفيان الثورى وكان يسمى
امير المؤمنين فى الحديث واسحق بن راهوية ومحمد بن جرير الطبرى وسفيان

ابن

وما لك وسائر الائمة
كذا ابو القاسم هداة الائمة

ابن عيينة وكان يقول اذا كانت نفس المؤمن محبوسة عن مكانها فى الجنة بدينه حتى
يقضى فكيف بصاحب الغيبة فان الدين يقضى والغيبة لا تقضى وعبد الرحمن بن عمر
الاوزاعى وكان يقول ليس ساعة من ساعات الدنيا الا وتعرض على العبد يوم القيمة
فالساعة التى لا يذكر الله فيها تتقطع نفسه عليها حسرات فكيف اذا مرت ساعة
مع ساعة ويوم مع يوم والامام ابو الحسن الاشعرى وابو منصور الماتريدى
وقوله كذا ابو القاسم كذا خبر مقدم وابو القاسم مبتدا مؤخر اى مثل من ذكر فى
الهداية واستقامة الطريق ابو القاسم محمد الجنيد سيد الصوفية علما وعملا
ولعل المصنف رأى شهرته بهذه الكنية ولو قال جنيدهم ايضا هداة الائمة لكان اوضح
وقد اختلف العلماء فى التكنى بابى القاسم فقال الامام الشافعى لا يجوز مطلقا اى سوا
كان اسمه محمدا او لا قبل مفارقته صلى الله عليه وسلم للدنيا او بعدها وقال الائمة الثلاثة
يجوز بعد مفارقته الدنيا صلى الله عليه وسلم وكان الجنيد رضى الله عنه على مذهب
ابى ثور صاحب الامام الشافعى فانه كان مجتهدا اجتهادا مطلقا كالامام احمد ومن
كلام الجنيد الطريق الى الله مسدود على خلقه الا على المقتفين آثار الرسول صلى
الله عليه وسلم ومن كلامه ايضا لو اقبل صادق على الله الف الف سنة ثم اعرض عنه
لحظة كان ما فاته اكثر مما ناله ومن كلامه ايضا اذ بدت ذرة من عين الكرم والجود
الحقت المسىء بالمحسن وبقيت اعمالهم فضلا لهم ودخل عليه ابليس فى صورة فقير يريد
خدمة الشيخ فخدمه مدة طويلة ثم اخبره بنفسه وقال له خدمتك مدة ولم
يختل من عملك شئ فلم يرتض قوله لما فيه من الدخيل وقال له انا عارف بك من اول
ما دخلت وقد استخدمتك عقوبة لك لعلمى انه لا اجر لك فى الخدمة ثم خرج خاسئا
وقوله هداة الائمة اى هداة هذه الامة التى هى خير الامم بشهادة قوله تعالى
كنتم خير امة اخرجت للناس فهم خيار الخيار لكن بعد من ذكر من الصحابة ومن معهم
والحاصل ان الامام مالك ونحوه هداة الامة فى الفروع والامام الاشعرى ونحوه
هداة الامة فى الاصول اى العقائد الدينية والجنيد ونحوه هداة الامة فى التصوف
فجزاهم الله عنا خيرا ونفعنا بهم فواجب تقليد الخ لما قدم ان الائمة المذكورين
هداة هذه الامة ولم يكن كل واحد من الناس قادرا على الاجتهاد المطلق ذكر هنا
انه يجب على كل من لم يكن فيه اهلية الاجتهاد المطلق ولو كان مجتهد مذهب او
فتوى تقليد امام من الائمة الاربعة فى الاحكام الفروعية وما جزم به الناظم
هو مذهب الاصوليين وجمهور الفقهاء والمحدثين واحتجوا بقوله تعالى
فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فأوجب السؤال على من لم يعلم ويترتب عليه

فصار واجبا تقليد احد منهم
[illegible] لفظ [illegible]

الأخذ بقول العالم وذلك تقليد له وقال بعضهم لا يجب تقليد واحد بعينه بل له ان
يأخذ فيما يقع له بهذا المذهب تارة وبغيره اخرى فيجوز صلاة الظهر على مذهب الامام
الشافعى وصلاة العصر على مذهب مالك وهكذا وخرج بقولنا من لم يكن فيه اهلية
الاجتهاد المطلق من كان فيه اهليته فانه يحرم عليه التقليد فيما يقع له عند الأكثر
واختاره الآمدى وابن الحاجب والسبكى لتمكنه من الاجتهاد الذى هو اصل التقليد
واما التقليد فى العقائد فقد علمته فى صدر هذه المنظومة وقوله حبر منهم بفتح الحاء
وكسرها اى عالم حاذق من الأئمة الأربعة ولا يجوز تقليد غيرهم ولو كان من أكابر
الصحابة لأن مذاهبهم لم تدون ولم تنضبط كمذاهب هؤلاء لكن جوز بعضهم ذلك
فى غير الافتاء كما قال وجائز تقليد غير الاربعة فى غير افتاء وفى هذا سعة وقوله
كذا حكى القوم بلفظ يفهم اى حكى الأصوليون وجمهور الفقهاء والمحدثين
بلفظ يفهمه السامع لوضوحه حكما مثل هذا الحكم الذى هو وجوب تقليد امام
من الأئمة الأربعة واختلف المشبه والمشبه به بالاعتبار فان القول باعتبار
كونه صادرا من المص غير نفسه باعتبار كونه صادرا من القوم وليس مراد المتن التبرى
من ذلك بل مجرد العزو فان قلت هل يجوز الانتقال من مذهب الى مذهب قلت
فيه اقوال ثلاثة فقيل يمتنع مطلقا وقيل يجوز مطلقا وقيل ان لم يجمع بين
المذهبين على صفة تخالف الاجماع كمن تزوج بلا صداق ولا ولى ولا شهود فان
هذه الصورة لا يقول بها احد وهذا شرط من شروط التقليد المنظومة فى قول
بعضهم عدم التتبع رخصة وتركب لحقيقة ما ان يقول بها احد وكذاك رجحان المقلد يعتقد
والحاجة تقليده تم العدد وقد املى شيخنا على هذين البيتين رسالة لطيفة ينبغى
الاطلاع عليها واثبتن للاوليا الكرامه اى اعتقد ثبوت الكرامة للأولياء
بمعنى جوازها ووقوعها لهم فى الحياة وبعد الموت كما ذهب اليه جمهور اهل السنة وليس
فى مذهب من المذاهب الأربعة قول بنفيها بعد الموت بل ظهورها ح اولى لأن النفس
حينئذ صافية من الأكدار ولذا قيل من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت فى حياته
فليس بصادق وقال الشعرانى ذكر لى بعض المشايخ ان الله تعالى يوكل بقبر الولى ملكا
يقضى الحوائج وتارة يخرج الولى من قبره ويقضيها بنفسه واستدلوا على الجواز بأنه
لا يلزم من فرض وقوعها محال وكل ما كان كذلك فهو جائز وعلى الوقوع بما جاء فى الكتاب
العزيز من قصة مريم قال تعالى وانبتها نباتا حسنا الآية اى انشأها انشاء حسنا
بأن سوى خلقها وجعلها تنبت فى اليوم كما ينبت المولود فى العام وكفلها زكريا وكان لا
يدخل عليها غيره وكان يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف

وقصة

واثبتن للاوليا الكرامة

وقصة اهل الكهف وهم سبعة من اشراف الروم خافوا بعد عيسى على ايمانهم
من ملكهم فخرجوا ودخلوا غارا فلبثوا فيه بلا طعام ولا شراب ثلثمائة
وتسع سنين نياما بلا آفة وقصة آصف بالمد وفتح الصاد وزير سليمان
وكان يعرف الاسم الأعظم فقال لسليمان انظر الى السماء فنظر اليها فدعا
آصف بالاسم الأعظم ان يأتى الله بعرش بلقيس فأتى به فرد سليمان طرفه
فوجده بين يديه وما وقع من كرامات الصحابة والتابعين الى وقتنا هذا
فقد روى ان عمر بن الخطاب رائ العدو من مسافة شهر فقال يا سارية الجبل
الجبل فسمع سارية صوته فانحاز بالناس الى الجبل وقاتلوا العدو فنصرهم
الله تعالى وروى ان عبد الله الشقيق كان اذا امرت عليه سحابة يقول لها
اقسمت عليك بالله الا امطرت فتمطر فى الحال والاولياء جمع ولى وهو
العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الامكان المواظب على الطاعة المجتنب
للمعاصى بمعنى انه لا يرتكب معصية بدون توبة وليس المراد انه لا تقع منه
معصية بالكلية اذ ليس معصوما وقولهم لا يكذب الولى اى بلسان حاله
بأن يظهر خلاف ما يبطن المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات المباحة
واما اصل التناول فلا مانع منه لا سيما اذا كان بقصد التقوى على العبادة
ويسمى وليا لان الله تولى امره فلم يكله الى نفسه ولا الى غيره لحظة ولأنه يتولى
عبادة الله على الدوام من غير ان يتخللها عصيان وكلا المعنيين واجب تحققه
حتى يكون الولى عندنا وليا فى نفس الامر والكرامة امر خارق للعادة يظهر على
يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبى كلف بشريعة مصحوب بصحيح الاعتقاد
والعمل الصالح علم بها اولم يعلم بها وسبق ما يتعلق بخوارق العادة عند المعجزات
ومن نفاها انبذن كلامه اى ومن نفى الكرامة وقال بعدم جوازها كالأستاذ
وابى عبد الله الحليمى من اهل السنة وجمهور المعتزلة اطرحن كلامه ولا تعول عليه
وأتى المص بهمزة الوصل للضرورة فتكون مكسورة وليست همزة قطع كما قد يتوهم
فان الذى فى القرآن العظيم ثلاثى قال تعالى فانبذ اليهم وتمسك من نفى الكرامة
بأنه لو ظهر الخوارق من الأولياء لالتبس النبى بغيره لأن الخارق انما هو المعجزة
وبأنها لو ظهرت على ايديهم لكثرت بكثرتهم وخرجت عن كونها خارقة للعادة والفرض
انها كذلك ورد الأول بأنه ليس فى وقوعها التباس النبى بغيره للفرق بين المعجزة
والكرامة بدعوى النبوة فى الأولى وعدمها فى الثانية ورد الثانى بانا لا نسلم
انها تخرج بكثرتها عن كونها خارقة للعادة بل غاية الأمر استمرار خرق العادة

ومن نفاها انبذن كلامه

وعندنا ان الدعاء ينفع

وذلك لا يوجب كونه عادة وسئل بعضهم لأى شئ كثرت الكرامات فى الزمان المتأخر
عن الزمان المتقدم فأجاب بأن ذلك لضعف اعتقاد المتأخرين فاحتيج لتاليفهم
بالكرامات ليعتقدوا فى الصالحين واما المتقدمون فاعتقادهم تابع لميزان الشرع
وعندنا ان الدعاء ينفع اى وعندنا معاشر اهل السنة ان الدعاء الذى
هو الطلب على سبيل التضرع وقيل رفع الحاجات الى رافع الدرجات ينفع الأحياء والاموات
ان دعوت لهم ويضرهم ان دعوت عليهم وان صدر من كافر على الراجح لحديث
انس رضى الله عنه دعوة المظلوم مستجابة ولو كافرا واما قوله تعالى وما دعاء
الكافرين الا فى ضلال فمعناه انه لا يستجاب لهم فى خصوص الدعاء بتخفيف عذاب
جهنم عنهم يوم القيامة وروى الحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يغنى
حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان البلاء لينزل ويتلقاه الدعاء
فيعتلجان الى يوم القيامة والدعاء ينفع فى القضاء المبرم والقضاء المعلق اما الثانى
فلا استحالة فى رفع ما علق رفعه منه على الدعاء ولا فى نزول ما علق نزوله منه على
الدعاء واما الأول فالدعاء وان لم يرفعه لكن الله تعالى ينزل لطفه بالداعى كما اذا
قضى عليه قضاء مبرما بأنه ينزل عليه صخرة فاذا دعى الله تعالى حصل له اللطف
بأن تصير الصخرة متفتتة كالرمل وتنزل عليه وانقسام القضاء الى مبرم ومعلق
ظاهر بحسب اللوح المحفوظ واما بحسب العلم فجميع الأشياء مبرمة لأنه ان علم الله
حصول المعلق عليه حصل المعلق ولا بد وان علم الله عدم حصوله لم يحصل ولا بد
لكن لا يترك الشخص الدعاء اتكالا على ذلك كما لا يترك الأكل اتكالا على ابرام الله الامر
فى الشبع واما عند المعتزلة فالدعاء لا ينفع ولا يكفرون بذلك لأنهم لم يكذبوا
القرآن كقوله تعالى ادعونى استجب لكم بل اولوا الدعاء بالعبادة والاجابة بالثواب
واعلم ان للدعاء شروطا وآدابا فمن شروطه اكل الحلال وان يدعو وهو موقن بالاجابة
وان لا يكون قلبه غافلا وان لا يدعو بما فيه اثم او قطيعة رحم او اضاعة حقوق
المسلمين وان لا يدعو بمحال ولو عادة لأن الدعاء به يشبه التحكم على القدرة القاضية
بدوامها وذلك اساءة ادب على الله تعالى ومن آدابه ان يتخير الأوقات الفاضلة
كان يدعو فى السجود وعند الأذان والاقامة ومنها تقديم الوضوء والصلاة
واستقبال القبلة ورفع الأيدى الى جهة السماء وتقديم التوبة والاعتراف بالذنب
والاخلاص وافتتاحه بالحمد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وختمه بها
وجعلها فى وسطه ايضا

كما من القرآن وعدا يسمع

كما من القرآن وعدا يسمع اى لأجل الذى يسمع داله
من الفاظ القرآن حال كونه موعودا به فالكاف للتعليل وما اسم موصول ويسمع

صلته

صلته ووعدا بمعنى موعودا به حال والمسموع انما هو الدال والموعود به المدلول
لا الدال قال تعالى وقال ربكم ادعونى استجب لكم وقال تعالى واذا سألك عبادى
عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وتخصيص القرآن لتواتره لا
لقصر الدلالة عليه والا فيدل على ان الدعاء ينفع السنة والاجماع فقد دعا
صلى الله عليه وسلم وتبر فى مواطن كثيرة كيوم بدر وقد اجمع عليه السلف
والخلف واعلم ان الاجابة تتنوع فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور وتارة
يقع ولكن يتأخر لحكمة فيه وتارة تقع الاجابة بغير المطلوب حيث لا يكون فى
المطلوب مصلحة ناجزة وفى ذلك الغير مصلحة ناجزة او يكون فى المطلوب
مصلحة وفى ذلك الغير اصلح منها على ان الاجابة مقيدة بالمشيئة كما يدل
عليه قوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء فهو مقيد لاطلاق الآيتين
السابقتين فالمعنى ادعونى استجب لكم ان شئت واجيب دعوة الداعى ان شئت

بكل عبد حافظون وكلهم

بكل عبد حافظون وكلوا الجار والمجرور متعلق بالفعل بعده اى وكلهم الله
تعالى بكل عبد وهو شامل للانس والجن والملائكة وقد تردد الجزولى فى الجن
والملائكة اعليهم حفظة ام لا ثم جزم بأن الجن عليهم حفظة واستبعد القول
بذلك فى الملائكة قال المص ولم اقف عليه لغيره اه والظاهر ان الملائكة لا حفظة
عليهم وهل المراد بالحافظين فى كلام المص الحافظون للعبد من المضار او الحافظون
لما يصدر منه من قول وفعل واعتقاد ويجعل الله لهم امارة على الاعتقاد وهذا
الخلاف مبنى على العطف فى قوله وكاتبون فان جعل للتغاير كما ذكره المص فى
شرحه الصغير كان المراد بالحافظين المعنى الأول وان جعل للتفسير كما ذكره فى شرحه
الكبير كان المراد بالحافظين المعنى الثانى والراجح الأول فقد ذكر بعضهم ان
المعقبات فى قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله غير
الكاتبين ويقويه كما قاله القرطبى انه لم ينقل ان الحفظة يفارقون العبد بل يلازمونه
ابدا بخلاف الكتبة فانهم يفارقون العبد عند ثلاث حاجات عند قضاء حاجة
الانسان بولا او غائطا وعند الجماع وعند الغسل كما جاء ذلك فى حديث ابن
عباس رضى الله عنهما ولا يمنع ذلك من كتب ما يصدر منه فى هذه الاحوال لأن الله
يجعل لهم علامة على ذلك كما مر فى الاعتقاد وفى غير هذه الأحوال لا يفارقونه ولو
كان بيته فيه جرس او كلب او صورة واما حديث لا تدخل الملائكة بيتا فيه
جرس ونحوه فالمراد ملائكة الرحمة وقد ورد ان عثمان سأل النبى صلى الله عليه وسلم
عن عدد الملائكة الموكلين بالآدمى فقال لكل آدمى عشرة بالليل وعشرة بالنهار

واحد عن يمينه وآخر عن شماله واثنان بين يديه ومن خلفه واثنان على جبينه
وآخر قابض على ناصيته فان تواضع رفعه وان تكبر وضعه واثنان على شفتيه
ليس يحفظان عليه الا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والعاشر يحرسه من
الحية ان تدخل فاه وفي بعض الروايات انه ذكر عشرين ملكا وذكر الأبي انه
يحفظ لابن عطية ان كل آدمي يوكل به من حين وقوعه نطفة في الرحم الى موته
اربعمائة ملك وحفظهم للعبد انما هو من المعلق واما المبرم فلا بد من نفاذه
فيتنحون عنه حتى ينفذ   وكانوا خيرة اي مختارون لان الله تعالى
اختارهم لذلك وقد علمت انه وقع خلاف في هذا العطف فقيل التغاير وقيل
للتفسير والحق الأول والمراد بالجمع ما فوق الواحد لأن كل واحد من العباد
انما عليه ملكان وكل منهما رقيب اي حافظ وعتيد اي حاضر لا كما قد يتوهم
من ان احدهما رقيب والآخر عتيد وهما لا يتغيران ما دام حيا فاذا مات
يقومان على قبره يسبحان ويهللان ويكبران ويكتبان ثوابه له الى يوم القيمة
ان كان مؤمنا ويلعنانه الى يوم القيامة ان كان كافرا وقيل لكل يوم وليلة
ملكان فلليوم ملكان ولليلة ملكان فتكون الملائكة اربعة يتعاقبون عند
صلاة العصر وصلاة الصبح ويؤرخون ما يكتبون من اعمال العباد بالأيام
والجمع والأعوام والأماكن وملك الحسنات من ناحية اليمين وملك السيئات
من ناحية اليسار والأول امين او امير على الثاني فاذا فعل العبد حسنة بادر
ملك اليمين الى كتبها واذا فعل سيئة قال ملك اليسار لملك اليمين أأكتب فيقول لا
لعله يستغفر او يتوب فاذا مضى ست ساعات فلكية من غير توبة قال له اكتب اراحنا
الله منه وهذا دعاء عليه بالموت ليتحولا عن مشاهدة المعصية لأنهما يتأذيان
بذلك وفي بعض الآثار ان كتب المباح على القول بكتابة السيئات وقد اعتمد بعضهم
ان المباح لا يكتب وهذه الكتابة مما يجب الايمان بها فيكفر منكرها لتكذيبه القرآن
قال تعالى كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون لكنها ليست لحاجة دعت اليها وانما
فائدتها ان العبد اذا علم بها استحيى وترك المعصية والكتب حقيقي بآلة وقرطاس
ومداد يعلمها الله سبحانه وتعالى حملا للنصوص على ظواهرها خلافا لمن قال انه
كناية عن الحفظ والعلم وفي بعض الأحاديث ان لسانه قلمهما وريقه مدادهما
والتفويض أولى واختلف في محلهما من الشخص فقيل با جذاء اي آخر اضراسه
الأيمن والأيسر وقيل عاتقاه وقيل ذقنه وقيل شفتاه وقيل عنفقته وروى
عن مجاهد انه ان قعد كان احدهما عن يمينه والآخر عن يساره وان مشى كان احدهما

[وكانوا خيرة لن يهملوا]

امامه

[لن يهملوا من امره شيئا فعل ولو ذهل حتى الانين في المرض كما نقل]

امامه والآخر وراءه وان رقد كان احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ويجمع
بين هذه الأقاويل بانهما لا يلزمان محلا واحدا والأسلم في امثال ذلك الوقف
لن يهملوا من امره شيئا فعل اي لن يتركوا من شأنه وحاله شيئا فعله
بلا كتابة بل يكتبونه قولا او غيره فليست الكتابة مختصة بالأقوال وان كان
قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد في خصوص الأقوال وكذلك
حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسير الآية المذكورة فانه قال
يكتب كل ما يتكلم به من خير او شر حتى انه ليكتب قوله اكلت شربت ذهبت جئت
رأيت حتى اذا كان يوم الخميس ويوم الاثنين عرض قوله وعمله فاقر منه ما كان
خيرا وشرا والغى سائره اي باقيه وهو المباح والمكروه فتلتقمه حيتان البحر
فتموت منه لنتنه فيخرج منه دود يأكل الزرع وهذا صريح في كتب المباحات
فيؤيد القول بكتابتها لكن تقدم ان بعضهم اعتمد عدم كتابتها وظواهر الآثار
ان الحسنات تكتب مميزة عن السيئات فقيل ان سيئات المؤمن اول كتابه وآخره
هذه ذنوبك قد سترتها وغفرتها وحسنات الكافر اول كتابه وآخره هذه
حسناتك قد رددتها عليك وما قبلتها   ولو ذهل اي ولو غفل ونسي
فالذهول عن الشيء نسيانه والغفلة عنه فيكتب ما فعله نسيانا وان كان لا
يؤاخذ به لأنه ليس الغرض من الكتابة المعاقبة ولا الاثابة وقوله حتى الأنين
في المرض اي حتى يكتبون الأنين الصادر منه في المرض والأنين مصدر
ان الرجل يئن اذا صوت وينبغي للمريض ان يقول آه لأنه ورد انه من اسماء الله
تعالى ولا يقول آخ لأنه اسم من اسماء الشيطان وقوله كما نقل اي كما نقله ائمة
الدين وعلماء المسلمين ومن اعظمهم الامام مالك رضي الله تعالى عنه فانه قال
يكتبون على العبد كل شيء حتى انينه في مرضه وتمسكوا بقوله تعالى ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد لأن وقوع قول في سياق النفي يقتضي العموم
فحاسب النفس اي اذا علمت ان عليك من يحفظ اعمالك ويكتبها فحاسب
نفسك كل صباح على جميع ما عملته ليلا وكل مساء على جميع ما عملته نهارا
فما وجدت من حسنة حمدت الله عليها او من سيئة استغفرت الله منها واقرب
من ذلك الى السلامة ان تحاسبها على كل فعل قبل الاقدام عليه حتى لا تتلبس
به الا بعد معرفة حكم الله فيه فما كان خيرا فعلته وما كان غير ذلك امسكت عنه
لتريح الملائكة من التعب ولأن من حاسب نفسه في الدنيا هان عليه عذاب الآخرة
وفي الحديث حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وقوله وقلل الأملا بفتح القاف

[فحاسب النفس وقلل الأملا
فرب من جد لأمر وصلا]

وتشديد اللام الأولى وتسكين الثانية ودرج همزة الأمل الثانية بنقل حركتها
للامه اى قصر الأملا وهو رجاء ما تحبه النفس كطول عمر وزيادة غناء وهو
مذموم الا من العلماء حيث املوا طول عمرهم لنفع المسلمين فيثابون على نياتهم
فى ذلك والأصل فيما ذكر قوله صلى الله عليه وسلم كن فى الدنيا كأنك غريب وعابر
سبيل وعد نفسك من اهل القبور ومن كلام بعضهم من قصر امله قل همه وتنور
قلبه ورضى بالقليل وبضدها تتميز الأشياء وقوله فرب من جد لأمر وصلا
مرتبط بمحذوف يؤخذ من قوله وقلل الأملا والتقدير وجد فى مطلوبك فرب
من جد الخ اى لأنه رب من اجتهد بتوفيق الله له لتحصيل امر من امور الدنيا او
الآخرة وصل الى ذلك لتقدير الله فى الأزل وصوله اليه   وواجب ايماننا
بالموت واجب خبر مقدم وايماننا مبتدأ مؤخر وبالموت متعلق بايماننا
والمعنى ان تصديقنا بالموت واجب فيجب التصديق بعمومه وفناء الكل خلافا
للدهرية فى قولهم ان هى الا ارحام تدفع وارض تبلع ويجب التصديق ايضا بأنه
على الوجه المعهود شرعا من فراغ الآجال المقدرة خلافا للحكماء فى قولهم
بأنه بمجرد اختلال نظام الطبيعة فمراد المص ذلك ردا على من ذكر واما اصل
وقوع الموت فلا حاجة للنص عليه لأنه لا يشك فيه عاقل لكونه مشاهدا ويدل
على ذلك قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت
والأحاديث فيه كثيرة وقد اختلف فى الموت هل هو وجودى او عدمى فذهب
الأشعرى رحمه الله تعالى الى الأول وعرفه بأنه كيفية اى صفة وجودية تضاد
الحياة فالتقابل بينهما تقابل التضاد وذهب الاسفرايينى والزمخشرى الى
الثانى وعرفاه بأنه عدم الحياة عما من شأنه ان يكون حيا فالتقابل بينهما
تقابل العدم والملكة ويدل للأول قوله تعالى الذى خلق الموت والحياة وتأويل
الخلق بالتقدير كما قاله من ذهب الى انه عدمى خلاف الظاهر وفى بعض الأحاديث
ان الله خلق الموت فى صورة كبش لا يمر بشئ الا مات كما ان فى بعض الأحاديث
ان الحياة خلقها الله على صورة فرس لا تمر بشئ الا حيى وهذا انما هو باعتبار
التمثيل والا فالموت صفة للميت كما ان الحياة صفة للحى والأولى التفويض فى
أمثال هذه المقامات   ويقبض الروح رسول الموت اى يخرجها من مقرها
الملك الموكل بالموت وهو عزرائيل عليه السلام ومعناه عبد الجبار وهو ملك
عظيم هائل المنظر مفزع جدا رأسه فى السماء العليا ورجلاه فى تخوم الارض
السفلى اى منتهاها ووجهه مقابل للوح المحفوظ والخلق بين عينيه وله اعوان

وواجب ايماننا بالموت
ويقبض الروح رسول الموت

بعدد من يموت يترفق بالمؤمن ويأتيه فى صورة حسنة دون غيره وفى
حديث ابن مسعود وابن عباس ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال يا ملك
الموت ارنى كيف تقبض انفاس الكفار قال يا ابراهيم لا تطيق ذلك قال بلى
قال اعرض فاعرض ثم نظر فاذا هو برجل اسود ينال رأسه السماء يخرج من فيه
لهب النار فغشى على ابراهيم ثم افاق وقد تحول ملك الموت فى الصورة الأولى
فقال يا ملك الموت لو لم يلق الكافر من البلاء والحزن الا صورتك هذه لكفاه
فأرنى كيف تقبض انفاس المؤمنين قال اعرض فأعرض ثم التفت فاذا هو برجل
شاب احسن الناس وجها واطيبهم ريحا فى ثياب بيض فقال يا ملك الموت
لو لم ير المؤمن عند الموت من قرة العين والكرامة الا صورتك هذه لكان يكفيه
وفى النظم افادة جوهرية الروح والا لم تقبض ومذهب اهل السنة من المتكلمين
والمحدثين والفقهاء والصوفية انها جسم لطيف مشتبك بالبدن كاشتباك
الماء بالعود الأخضر وبهذا جزم النووى ومذهب جماعة من الصوفية والمعتزلة
انها ليست بجسم ولا عرض بل جوهر مجرد متعلق بالبدن للتدبير غير داخل فيه
ولا خارج عنه وال فى الروح للاستغراق فهى دالة على العموم والمراد جميع روح
الثقلين ولو ارواح الشهداء برا وبحرا وارواح الملائكة حتى روح نفسه على
احد القولين وقيل القابض لروحه هو الله عز وجل وارواح البهائم والطيور
وغيرهم ولو بعوضة كما ذهب اليه اهل الحق خلافا للمعتزلة حيث ذهبوا الى
انه لا يقبض ارواح غير الثقلين من الملائكة والطيور وغيرهم وللمبتدعة حيث
ذهبوا الى انه لا يقبض ارواح البهائم بل يقبضها اعوانه وقد اشار المص للرد على
الجميع بأل الدالة على العموم ولمباشرة ملك الموت لذلك اسند اليه التوفى كما
فى قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم كنسبته الى اعوانه لمعالجتهم
نزعها من العصب والعظم والعروق فى قوله تعالى توفته رسلنا واما اسناد
التوفى اليه تعالى فى قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها فلأنه الخالق
لذلك حقيقة الموجد له   فائدة   مجئ الموت والعبد على عمل صالح يسهل
الموت وكذلك السؤال فيما ذكره جماعة ومما يسهل الموت وجميع ما بعده من
الأهوال ما ذكره السنوسى وغيره من صلاة ركعتين ليلة الجمعة بعد المغرب
يقرأ بعد الفاتحة الزلزلة خمسة عشر مرة وروى ان سورتها تعدل نصف القرآن
ومیت بعمره من يقتل   ميت خبر مقدم ومن يقتل مبتدأ مؤخر اى كل
ذى روح يفعل به ما يزهق روحه ميت بانقضاء عمره ففى عبارة المص حذف

وميت بعمره من يقتل
وغير هذا باطل لا يقبل

مضاف ولو عبّر بالاجل لم يحتج لتقدير المضاف لأن الأجل يطلق على آخر العمر
كما يطلق على مدة العمر بتمامها لكن المص عبّر بالعمر لأجل النظم فاحتيج لتقدير
المضاف وماذكره الناظم هو مذهب اهل الحق فالاجل عندهم واحد لايقبل الزيادة
والنقصان قال تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
وقد دلت الأحاديث على ان كل هالك يستوفى اجله من غير تقدم عليه ولا تأخر عنه
ولايعارض هذه القواطع ماورد ان بعض الطاعات كصلة الرحم يزيد فى العمر لأنه
خبر آحاد او ان الزيادة فيه بحسب الخير والبركة او بالنسبة لما ثبت فى صحف الملئكة
فقد يثبت الشئ فيها مطلقا وهو فى علم الله تعالى مقيد كأن يكون فى صحف
الملائكة ان عمر زيد خمسون مثلاً مطلقا وهو فى علم الله مقيد بان لايفعل كذا
من الطاعات وان فعلها فله ستون فان سبق فى علمه تعالى انه يفعلها فلا يتخلف عن
فعلها وكان عمره ستين فالزيادة بحسب الظاهر على ما فى صحف الملئكة والا فلابد
من تحقق ما فى علمه كما يشير له قوله تعالى يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام
الكتاب اى اصل اللوح المحفوظ وهو علمه تعالى الذى لا محو فيه ولا اثبات
واما اللوح المحفوظ فالحق قبول ما فيه للمحو والاثبات كصحف الملئكة وبعضهم
فسر ام الكتاب باللوح المحفوظ لأنه ما من كائن الا وهو مكتوب فيه والراجح
الأول وبالجملة فمختار اهل السنة ان كل مقتول ميت بانقضاء عمره وحضور اجله
فى الوقت الذى علم الله حصول موته فيه ازلا بخلقه تعالى من غير مدخلية للقاتل
فيه وانما وجب عليه القصاص نظرا للكسب فقط وعند اهل السنة انه لو لم يقتل
لجاز ان يموت فى ذلك الوقت وان لا يموت فيه لأنه لا اطلاع لنا على ما فى علم الله
فيحتمل لو لم يقتل ان يموت فى ذلك الوقت ان لم يكن عمره فى علم الله اكثر من ذلك
ويحتمل ان لا يموت فيه ان كان عمره فى علم الله اكثر من ذلك وهذا تجويز الى
على فرض عدم قتله كما هو ظاهر والا فقد بان بقتله ان الله علم موته فى ذلك
الوقت فلا يتخلف وغير هذا باطل لايقبل اى وغير ماذكر من مذاهب
المخالفين لأهل السنة غير مطابق للواقع لايقبل عند العقلاء المتمسكين
بالحق واشار المص بذلك للرد على اهل الاعتزال فان لهم مذاهب ثلاثة الاول
مذهب الكعبى وهو ان المقتول ليس بميت لأن القتل فعل العبد والموت فعله
تعالى واستدل على ذلك بقوله تعالى ولئن متم او قتلتم فان العطف يقتضى المغايرة
واهل السنة يقولون المعنى ولئن متم من غير سبب او قتلتم بان متم بسبب
فعند الكعبى ان المقتول له اجلان اجل بالقتل واجل بالموت فلو لم يقتل لعاش
الى

الى اجله بالموت والثانى مذهب جمهورهم وهو ان القاتل قطع على المقتول اجله
فعندهم ان المقتول له اجل واحد وهو الوقت الذى علم الله موته فيه لولا القتل فلو
لم يقتل لعاش اليه قطعا والثالث مذهب ابى الهذيل وهو ان المقتول اجله فى
ذلك الوقت فقط فعنده ان المقتول له اجل واحد وهو الوقت الذى قتل فيه
فلو لم يقتل لمات بدل القتل قطعا وبهذا التقرير ظهر الفرق بين مذاهب المعتزلة
ومذهب اهل السنة فتدبر وفى فنا النفس لدى النفخ اختلف اى وفى
ذهاب صورة النفس التى هى الروح عند نفخ اسرافيل فى الصور النفخة الأولى
اختلف العلماء فذهبت طائفة الى الحكم بفنائها عند ذلك لظاهر قوله تعالى كل
من عليها فان وذهبت طائفة اخرى الى الحكم بعدم فنائها عند ذلك واما قبل
نفخ اسرافيل فى الصور النفخة الأولى فلا خلاف بين المسلمين فى بقائها ولو
بعد فناء الجسم وتكون منعمة ان كانت من اهل الخير او معذبة ان كانت من
اهل الشر وتسمى النفخة الاولى نفخة الفنا ولا يبقى عندها حى الا مات ان لم يكن
مات قبل ذلك والا غشى عليه ان كان مات قبل ذلك كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام
الا من شاء الله كالملائكة الأربعة الرؤساء والحور العين وموسى عليه الصلاة والسلام
لأنه صعق فى الدنيا مرة فجوزى بها فجميع الأنبياء بعد الموت تعود اليهم ارواحهم
ثم يغشى عليهم عند النفخة الاولى الا موسى لما حصل له فى الدنيا ثم ينفخ اسرافيل
فى الصور النفخة الثانية وتسمى نفخة البعث فيجمع الله الارواح فى الصور عند
النفخة الثانية وفيه ثقب بعددها فتخرج منه الارواح الى اجسادها فلا تخطئ
روح جسدها وبين النفختين اربعون عاما على ما فى بعض الطرق واستظهر
السبكى بقاها الذ عرف بتخفيف البا وتسهيل الهمزة وتسكين الذال لغة
فى الذى اى اختار الامام تقى الدين السبكى فى تفسيره المسمى بالدر النظيم
من هذا الاختلاف القول ببقائها الذى عهد سابقا لانهم اتفقوا على بقائها
بعد الموت لسؤالها فى القبر وجوابها وتنعيمها او تعذيبها فيه والاصل فى
كل باق استمراره حتى يظهر ما يصرف عنه فالدليل على بقائها الاستصحاب
فتكون من المستثنى بقوله تعالى الا من شاء الله وما قاله السبكى هو المختار
عند اهل الحق وانما خصه المص بالذكر لتبحره فى الفنون حتى احاط بالمعقول والمنقول
عجب الذنب كالروح العجب بفتح العين وسكون الجيم وآخره باء موحدة وقد
تبدل ميما وبعضهم يحكى تثليث اوله فيهما فلغاته ست واضافته للذنب من اضافة
المماثل لمماثله فقولهم عجب الذنب معناه عجب شبيه بالذنب وهو عظم كالخردلة

وفى فنا النفس لدى النفخ اختلف
واستظهر السبكى بقاها اللذ عرف

عجب الذنب كالروح لكن صححا
المزنى للبلى ووضحا

في آخر سلسلة الظهر في العصعص مختص بالانسان كمغرز الذنب للدابة وهو بكسر
الراء من باب ضرب وتشبيهه بالروح في جريان الاختلاف في الفنا على قولين
والمشهور منهما انه لا يفنى لكن لا بقيد وقت النفخ وان كان الخلاف في المشبه به مقيدا
به كما صرح به المص في قوله وفي فنا النفس لدى النفخ اختلف
للبلا اى لكن صحح الامام اسمعيل بن يحيى المزني وهو منسوب لمزينة اسم قبيلة لكن صححا المزني
القول بان عجب الذنب يبلى ويفنى تمسكا بظاهر قوله تعالى كل من عليها فان
وفنا الكل يستلزم فنا الجزء وقوله ووضحا اى بين صحة ما ذهب اليه ووافقه ابن
قتيبة وقال انه آخر ما يبلى من الميت والاقوى في النظر انه لا يبلى لحديث الصحيحين
ليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب منه خلق الخلق
يوم القيامة ولحديث مسلم كل ابن آدم ياكله التراب الا عجب الذنب منه خلق ومنه
يركب وفي حديث الاحزان في الانسان عظما لا تاكله الارض ابدا واختلف هل
بقاؤه تعبدى او معلل والارجح انه تعبدى لضعف ما علل به القائل بانه معلل
فانه علله بجواز كونه جعل علامة للملائكة الموكلين بالاعادة على احياء كل انسان
بجواهره التي كانت في الدنيا ووجه ضعفه ان الملئكة لا يخفى عليهم هذا الامر
مع انهم يعيدون كل انسان بجواهره بامر الله على انه يجوز اللبس فيه نفسه
وكل شئ هالك قد خصصوا عمومه لما كان القول ببقاء الروح وعجب
الذنب هو الراجح اشار المص الى الجواب عما يرد عليه كقوله تعالى كل شئ هالك
الا وجهه اذ مقتضاه ان كل ما سواه تعالى محكوم عليه بالهلاك وحاصل
الجواب ان العلماء قصروا عمومه ذلك على غير الامور التي وردت الاحاديث
باستثنائها كالروح وعجب الذنب واجساد الانبياء والشهداء والعرش
والكرسي والجنة والنار والحور العين ونحو ذلك فتكون الآية من قبيل
العام المخصوص والعام لفظ يستغرق الصالح له بغير حصر والتخصيص
قصر العام على بعض افراده وهذا الجواب لجماعة كابن عباس وذهب محققوا
المتاخرين الى انه لا استثناء ولا تخصيص وقالوا معنى هالك قابل للهلاك
كما هو معنى فان ايضا وقوله فاطلب لما قد خصصوا اى فتوجه لما قد خصه العلما التي
وردت الاحاديث باستثنائها وقد تقدم بيانها ولا تخض في الروح اى
ولا تخض نحن معاشر جمهور المحققين في بيان حقيقة الروح هكذا في شرح
المص ومقتضى هذا ان المتن يقرأ بالنون والشائع بالتاء التي للمخاطب
وحمل الش النهى على الكراهة حيث قال فالخوض في بيان حقيقتها مكروه لعدم

التوقيف

وكل شئ هالك قد خصصوا عمومه فاطلب لما قد خصصوا

ولا تخض في الروح اذ ما وردا نص عن الشارع لكن وجدا

التوقيف في ذلك لكن كلام الجنيد يدل على الحرمة حيث قال الروح شئ استاثر الله بعلمه فلم
يطلع عليه احدا من خلقه فلا يجوز لعباده البحث عنها باكثر من انها موجودة قال تعالى
ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وفي ذلك اظهار لعجز المرء حيث لم يعلم حقيقة نفسه
التي بين جنبيه مع القطع بوجودها ولم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى اطلعه الله
تعالى على جميع ما ابهم عنه من الروح وغيرها مما يمكن علم البشر به لا على جميع معلوماته تعالى
والا لزم مساواة الحادث للقديم وما خالف ذلك نحو ولا اعلم الغيب محمول على انه كان قبل ان كشف
له عن ذلك ومما ذكر من عدم الخوض في الروح هو المختار ولذلك صدر الناظم به فتمسك
عن بيان حقيقتها وبيان مقرها من الجسد والمشهور عدم تعدد الروح في كل جسد وصرح
العز بن عبد السلام بان في كل جسد روحين احداهما روح اليقظة التي اجرى الله العادة
بانها اذا كانت في الجسد كان الانسان مستيقظا فاذا اخرجت منه نام ورأت تلك الروح
المنامات والاخرى روح الحياة التي اجرى الله العادة بانها اذا كانت في الجسد كان حيا
فاذا فارقته مات وهاتان الروحان في باطن الانسان لا يعرف مقرهما الا من اطلعه الله على ذلك
وقد كان بعض الارواح يوم الست بربكم مقبلا على بعض بالوجه وبعضها موليا ظهره لبعض وبعضها
جاعلا جنبه لبعض فالاقبال بالوجه غاية في المودة وعكسه بالظهر والجنب بين ذلك كما
في اليواقيت ويكشف لكثير عن ذلك كسهل بن عبد الله حتى انهم يعرفون تلامذتهم اذ ذاك
وفي الحديث الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف
اذ ما وردا نص عن الشارع اى لانه لم يرد دليل عن الله تعالى ببيانها وكل ما هو كذلك
فالاولى عدم الخوض فيه وهذا تعليل للنهى عن الخوض في الروح على الطريقة المختارة
لكن وجدا لمالك هي صورة كالجسد بسكون الياء لغة في هي بفتحها
اى لكن وجد لاهل مذهب مالك ممن خاض في بيان حقيقة الروح هي جسم
ذو صورة كصورة الجسد في الشكل والهيئة فان اصبغ نقل عن ابن القاسم
عن عبد الرحيم بن خالد قال الروح ذو جسم ويدين ورجلين وعينين وراس
تسل من الجسد سلا وانما نسبه المص لمالك لاستنادهم اليه في ذلك وما ذكر
من الخوض في الروح هو غير المختار قال النووي واصح ما قيل فيها على هذه
الطريقة ما قاله امام الحرمين انها جسم لطيف شفاف مشتبك بالجسم كاشتباك
الماء بالعود الاخضر فتكون سارية في جميع البدن وقيل مقرها البطن وقيل
القلب وقيل بقرب القلب والصواب ما قاله امام الحرمين وهذا في حالة الحياة واما بعد الموت
فارواح السعداء بافنية القبور على الصحيح وقيل عند آدم عليه السلام في سماء الدنيا
لكن لا دائما فلا ينافي انها تسرح حيث شاءت واما ارواح الكفار ففي سجين في الارض

لمالك هي صورة كالجسد فحسبك النص بهذا السند

السابعة السفلى محبوسة وقيل ارواح السعداء بالجابية بالشام وقيل ببئر
زمزم وارواح الكفار ببئر برهوت في حضرموت التي هي مدينة في اليمن وقوله
فحسبك النص بهذا السند اى واذا علمت النقل عن اهل مذهب مالك بالخوض في
حقيقتها فيكفيك في الخوض النص عنهم حال كونه متلبسا بهذا القول
المسند اليهم من ملابسة العام للخاص فلا تخض باكثر منه فالمراد بالسند المسند
الى اهل مذهب مالك وان كان في الاصل هو الطريق الموصلة للحديث وتلك الطريق
هي الرجال الذين يروون الحديث فان قيل يرد على ذلك انه اذا قطع عضو حيوان
لزم قطع نظيره من الروح اجيب بان لطافتها تقتضي سرعة انجذابها وانضمامها
من ذلك العضو المقطوع قبل انفصاله او سرعة الالتحام بعد القطع وهذا
يقتضي انقطاع الروح ثم تلتحم سريعا والاول يقتضي عدم انقطاعها فهو اولى
لان الاصل عدم الانقطاع فان قيل كيف يخوضون مع ان الآية دالة على عدم
الخوض فيها حيث امر فيها النبي صلى الله عليه وسلم بان يقول قل الروح من امر ربي
اجيب بانه انما امر عليه الصلاة والسلام بترك الجواب تصديقا لما في كتب
اليهود من ان الامساك عن ذلك من علامات نبوته وادلة رسالته والعقل
كالروح مبتدا وخبر اى والعقل مثل الروح من حيث الخوض في بيان الحقيقة
والوقف عن ذلك واختلف كلام المص في الترجيح فرجح في هداية المريد طريق
الخوض ورجح في الكبير طريق الوقف وهو المختار لانه من المغيبات وكل ما هو
كذلك فالاولى الكف عن الخوض فيه وهو لغة المنع من عقل البعير اذا منعه بالعقال
وسمي بذلك لمنعه صاحبه من العدول عن سواء السبيل واعلم ان العقل
على خمسة انواع الاول غريزي وهو غريزة يتهيأ بها لدرك العلوم النظرية
كما قاله شيخ الاسلام والثاني كسبي وهو ما يكتسبه الانسان من معاشرة
العقلاء والثالث عطائي وهو ما يعطيه الله للمؤمنين ليهتدوا به الى الايمان
والرابع عقل الزهاد وهو الذي يكون به الزهد والخامس شرفي وهو عقل نبينا
صلى الله عليه وسلم لانه اشرف العقول وقد اختلف في تفضيل العقل على العلم او
العكس والراجح تفضيل العلم على العقل لان العلم من صفاته تعالى وما يروى في
فضل العقل فهو موضوع لا اصل له كما صرح به الجلال السيوطي
لكن قرروا فيه خلافا اى لكن قرر العلماء في العقل خلافا ولا محل لهذا الاستدراك
لانهم قرروا في الروح خلافا ايض فلعل لكن لمجرد التاكيد ثم رأيت المص في شرحه
قال ولكن الخ استدراك على طريقة الخائضين فاشار الى انهم لم يتفقوا على حقيقة

معينة

والعقل كالروح ولكن قرروا
فيه خلافا فانظرن ما فسروا

معينة بل اختلفوا في بيانها فالاستدراك يشعر بانتشار الخلاف وكثرته وقوله
فانظرن ما فسروا اى فانظرن التفاسير التي ذكرها القوم في كتبهم لا في هذه
المقدمة لصغر حجمها واقوال اهل السنة متطابقة على عرضيته فبعضهم قال
انه من قبيل العلوم وعرفه بانه العلم ببعض العلوم الضرورية كالعلم بوجوب
تحيز الجرم واستحالة عروه عن الحركة والسكون وجواز احراق النار وغير ذلك
وهذا القول لامام الحرمين وجماعة وبعضهم قال انه ليس من قبيل العلوم
وعرفه بانه غريزة اى طبيعة مغروزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة
الآلات وعرفه الشيرازي بانه صفة يميز بها بين الحسن والقبيح واحسن
ما قيل فيه انه نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية
وقال بعضهم ان هناك لطيفة ربانية لا يعلمها الا الله تعالى فمن حيث تفكرها
تسمى عقلا ومن حيث حياة الجسد بها تسمى روحا ومن حيث شهوتها تسمى نفسا
فالثلاثة متحدة بالذات مختلفة بالاعتبار وقالت المعتزلة والخوارج والحكما
بجوهريته وفسره بعضهم بانه جوهر يدرك به الغائبات بالوسائط والمحسوسات
بالمشاهدة ومنهم من فسره بغير ذلك وفي كلام الغزالي انه جوهر مجرد وقد
اختلف في محله والصحيح ان محله القلب وله نور متصل بالدماغ كما ذهب اليه
الامام الشافعي والامام مالك رضي الله عنهما وجمهور المتكلمين وقالت الحكماء
وبعض الفقهاء بان محله الدماغ لفساده بفساد الدماغ وهذا لا يدل على ما ذكروه
لجواز ان تكون سلامة الدماغ شرطا لاستمراره وان كان محله القلب
سؤالنا اى سؤال منكر ونكير ايانا معاشر امة الدعوة المؤمنين والمنافقين
والكافرين خلافا لابن عبد البر حيث قال في تمهيده الكافر لا يسأل وانما يسأل
المؤمن والمنافق لانتسابه للاسلام في الظاهر والجمهور على خلافه وانما
سمي هذان الملكان بذلك لانهما يأتيان للميت بصورة منكرة فان صفتهما كما في
الحديث انهما اسودان ازرقان اعينهما كقدور النحاس وفي رواية كالبرق
واصواتهما كالرعد اذا تكلما يخرج من افواههما كالنار بيد كل واحد منهما مطراق
من حديد لو ضرب به الجبال لذابت وفي رواية بيد احدهما مرزبة لو اجتمع عليها
اهل منى ما اقلوها وهما للمؤمن الطائع وغيره على الصحيح لكن يترفقان بالمؤمن
ويقولان له اذا وفق للجواب نم نومة العروس وينتهران المنافق والكافر وقيل
المؤمن الموفق له مبشر وبشير واما الكافر والمؤمن العاصي فلهما منكر ونكير قيل
ومعهما ملك آخر يقال له ناكور وما قيل من انه يجيء قبلهما ملك يقال له رومان

ثم سؤالنا ثم عذاب القبر
نعيمه واجب كبعث الحشر

فحديثه موضوع وقيل فيه لين ويكون السؤال بعد تمام الدفن وعند انصراف الناس
وفي الحديث كما في شرح المص وانه ليسمع قرع نعالهم فيعيد الله تعالى الروح الى جميع الميت
كما ذهب اليه الجمهور وهو ظاهر الاحاديث وقال ابن حجر الى نصفه الاعلى فقط وغلط
من قال يسئل البدن بلا روح كمن قال تسئل الروح بلا بدن لكن وان عادت له الروح
لا ينتفي اطلاق اسم الميت عليه لان حياته حينئذ ليست حياة كاملة بل امر متوسط
بين الموت والحياة كتوسط النوم بينهما ويرد اليه من الحواس والعقل والعلم ما
يتوقف عليه فهم الخطاب ويتاتى معه رد الجواب حتى يسئل واحوال المسؤلين
مختلفة فمنهم من يساله الملكان جميعا تشديدا عليه ومنهم من يسأله احدهما
تخفيفا عليه ووجد بطرة المؤلف ان احدهما يكون تحت رجليه والآخر عند رأسه
ويسأل مرة واحدة وفي حديث اسما انه يسئل ثلاثا وعن الجلال ان المؤمن يسأل سبعة
ايام والكافر اربعين صباحا ويسألان كل احد بلسانه على الصحيح خلافا لمن قال
بالسرياني ولذلك قال بعضهم ومن عجيب ما ترى العينان ان سؤال القبر بالسرياني
افتى بهذا شيخنا البلقيني ولم اره لغيره بعيني ويسئل الميت ولو تمزقت
اعضاؤه او اكلته السباع في اجوافها اذ لا يبعد ان الله يعيد له الروح في اعضائه
ولو كانت متفرقة لان قدرة الله صالحة لذلك ويحتمل ان يعيده كما كان واذا مات
جماعة في وقت واحد باقاليم مختلفة قال القرطبي جاز ان تعظم جثتهما ويخاطبان
الخلق الكثير مخاطبة واحدة وقال الحافظ السيوطي ويحتمل تعدد الملائكة
المعدة لذلك ثم رايت الحليمي ذهب اليه فقال في منهاجه والذي يشبه ان يكون
ملائكة السؤال جماعة كثيرة ويسمى بعضهم منكرا وبعضهم نكيرا فيبعث الى كل
ميت اثنان منهم والله اعلم واختلفت الاحاديث كما قاله القرطبي في كيفية السؤال
والجواب فمنهم من يسأل عن بعض اعتقاداته ومنهم من يسأل عن كلها قال ابن
عباس رضي الله عنهما يسئلون عن الشهادتين وقال عكرمة يسئلون عن الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم وامر التوحيد وقد ورد انهما يقولان ما تقول في هذا
الرجل وانما يقولان ذلك من غير تعظيم وتفخيم ليتميز الصادق في الايمان من
المرتاب فيجيب الاول ويقول الثاني لا ادري فيشقى شقا الابد وهذا السؤال
خاص بهذه الامة وقيل كل نبي مع امته كذلك وهذا السؤال هو عين فتنة القبر
وقيل هي التلجلج في الجواب وقيل هي ما ورد من حضور ابليس في زاوية من زوايا
القبر مشيرا الى نفسه بان انا عند قول الملك للميت من ربك مستدعيا منه جوابه
بهذا وجب ولم يثبت حضور النبي صلى الله عليه وسلم ولا رؤية الميت له عند السؤال

ويستثنى

ويستثنى من عموم قول الناظم سؤالنا من ورد الاثر بعدم سؤاله كالانبياء
فانهم لا يسألون وقيل يسألون عن جبريل والوحي الذي نزل عليهم
ولا ينبغي ان يكون سيدهم الاعظم محل خلاف وكالصديقين والشهداء
والمرابطين والملازمين لقراءة تبارك الملك كل ليلة من حين بلوغ الخبر لهم
والمراد بالملازمة الاتيان بها في غالب الاوقات فلا يضر الترك مرة بعذر
سواء اقرأها عند النوم او قبل ذلك وهكذا سورة السجدة فيما ذكره بعضهم
وكذا من قرأ في مرض موته قل هو الله احد ومريض البطن والميت بالطاعون
او بغيره في زمنه صابرا محتسبا والميت ليلة الجمعة او يومها الى غير ذلك
والراجح ان غير الانبياء وشهداء المعركة يسألون سؤالا خفيفا وبعضهم اخذ
بظاهر ذلك والظاهر كما جزم به الجلال السيوطي وغيره اختصاص السؤال
بمن يكون مكلفا بخلاف الاطفال والظاهر ايضا عدم سؤال الملائكة واما الجن
فجزم الجلال بسؤالهم لتكليفهم وعموم ادلة السؤال لهم وحكمة السؤال
اظهار ما كتمه العباد في الدنيا من ايمان او كفر او طاعة او عصيان فالمؤمنون
الطائعون يباهي الله بهم الملائكة وغيرهم يفتضحون عند الملائكة
ثم عذاب القبر عطف على قوله سؤالنا لمشاركته له في حكمه الآتي وهو الوجوب
وانما اضيف الى القبر لانه الغالب والا فكل ميت اراد الله تعذيبه عذب قبر او
لم يقبر ولو صلب او غرق في بحر او اكلته الدواب او حرق حتى صار رمادا
وذري في الريح ولا يمنع من ذلك كون الميت تفرقت اجزاؤه والمعذب البدن والروح
جميعا باتفاق اهل الحق وخالف محمد بن جرير الطبري وعبد الله بن كرام
وطائفة فقالوا المعذب البدن فقط ويخلق الله فيه ادراكا بحيث يسمع ويعلم
ويلتذ ويتألم ويكون للكافر والمنافق وعصاة المؤمنين ويدوم على الاولين
وينقطع عن بعض عصاة المؤمنين وهو من خفت جرائمهم من العصاة فانهم
يعذبون بحسبها وقد يرفع عنهم بدعاء او صدقة او غير ذلك كما قاله ابن القيم
وكل من كان لا يسأل في قبره لا يعذب فيه ايضا ومن عذاب القبر ما اخرجه
ابن ابي شيبة وابن ماجه عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين
تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة لو ان تنينا منها نفخ على الارض ما انبتت
خضراء والتنين بكسر المثناة الفوقية وتشديد النون وهو اكبر الثعابين
قيل وحكمة هذا العدد انه كفر باسماء الله الحسنى وهي تسعة وتسعون

وَمن عذابه ايضا ضغطته وهي التقاء حافتيه وورد ان الارض تضمه حتى
تختلف اضلاعه ولا ينجو منها احد ولو صغيرا سواء كان صالحا او طالحا الا
الأنبياء والا فاطمة بنت اسد والا من قرأ سورة الاخلاص في مرضه ولو نجى
منها احد لنجى منها سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن لموته نعيمه
اى ونعيم القبر فهو معطوف على ما تقدم باسقاط حرف العطف ويكون
للمؤمنين لما ورد في ذلك من النصوص البالغة مبلغ التواتر وانما اضيف الى
القبر لانه الغالب والا فلا يختص بالمقبور ولا يختص بمؤمني هذه الأمة ولا
بالمكلفين ومن نعيمه توسيعه سبعين ذراعا عرضا وكذا طولا ومنه ايضا
فتح طاقة فيه من الجنة وامتلاؤه بالريحان وجعله روضة من رياض الجنة
وجعل قنديل بفتح القاف فيه فينور له قبره كالقمر ليلة البدر وقد ورد
ان الله اوحى الى موسى تعلم الخير وعلمه الناس فاني منور لمعلم العلم ومتعلمه قبورهم
حتى لا يستوحشوا لمكانهم وعن عمر مرفوعا من نور في مساجد الله نور الله
له قبره وكل هذا محمول على حقيقته عند العلماء واجب بسكون الباء للوزن
وهو خبر قوله سؤالنا وما عطف عليه فكل واحد من الثلاثة المذكورة واجب
سمعا لأنه امر ممكن اخبر به الصادق وكل ما هو كذلك فهو واجب وهذا ما
عليه اهل السنة وجمهور المعتزلة وانكرت الملحدة كلا من هذه الثلاثة
كبعث الحشر اى بعث الناس للحشر فالاضافة على معنى اللام والتشبيه في الوجوب
والبعث عبارة عن احياء الموتى واخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية
وهي التي من شأنها البقاء من اول العمر الى آخره ولو قطعت قبل موته بخلاف
التي ليس من شأنها ذلك كالظفر والحشر عبارة عن سوقهم جميعا الى الموقف
وهو الموضع الذي يقفون فيه من ارض القدس المبدلة التي لم يعص الله
عليها لفصل القضاء بينهم ولا فرق في ذلك بين من يجازى وهم الانس والجن
والملك وبين من لا يجازى كالبهائم والوحوش على ما ذهب اليه المحققون
وصححه النووي وذهبت طائفة الى انه لا يحشر الا من يجازى وهذا ظاهر
في الكامل واما السقط وهو الذي لم تتم له ستة اشهر فان الذي بعد نفخ
الروح فيه اعيد بروحه ويصير عند دخول الجنة كاهلها في الجمال والطول
وان الذي قبل نفخ الروح فيه كان كسائر الاجسام التي لا روح فيها كالحجر
فيحشر ثم يصير ترابا واول من تنشق عنه الأرض نبينا صلى الله عليه وسلم فهو
اول من يبعث واول وارد المحشر كما انه اول داخل الجنة وبعده سيدنا نوح
كما

كما ورد لكن ورد ان بعده صلى الله عليه وسلم ابو بكر وحمل على انه بعد الانبياء
ومراتب الناس في الحشر متفاوتة فمنهم الراكب وهو المتقي ومنهم الماشي على
رجليه وهو قليل العمل ومنهم الماشي على وجهه وهو الكافر وهذا الحشر
المذكور هنا هو احد انواع الحشر من حيث هو ثانيهما صرف الناس من الموقف
الى الجنة او النار وهذان النوعان في الآخرة ثالثها اخراج اليهود من جزيرة
العرب الى الشام وهو المذكور في قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من
اهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر رابعها سوق النار التي تخرج من ارض
عدن باليمن للكفار وغيرهم من كل حي قرب قيام الساعة الى المحشر فتبيت معهم
حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتقذرهم والدنيا كلها وتطير ولها دوي كدوي
الرعد القاصف وحكمتها الامتحان والاختبار فمن علم انها مرسلة من عند الله
وانساق معها سلم منها ومن لم يكن كذلك احرقته واكلته وبعد سوقها لهم
الى المحشر يموتون بالنفخة الاولى بعد مدة مديدة وهذان النوعان في الدنيا
فانواع الحشر اربعة وجعلها الشيخ محيي الدين كثيرة جدا وعد منها حشر الذر
يوم الست بربكم وغير ذلك انظر اليواقيت للشعراني وقل اى قولا
نفسيا او عقليا كما قاله في كبيره وقال الش قولا مطابقا للاعتقاد اه ويغني
عنه ما تقدم فالمراد بالقول هنا الاعتقاد وقوله يعاد الجسم اى يعيده الله
تعالى بعينه فالجسم الثاني المعاد هو الجسم الأول بعينه لا مثله والا لزم
ان المثاب او المعذب غير الجسم الذي اطاع او عصى وهو باطل بالاجماع
وقوله بالتحقيق متعلق بقل او بيعاد فالمعنى على الاول قولا متلبسا بالتحقيق
الذي هو اثبات الحكم بالدليل في اشهر اطلاقاته ففيه اشارة الى ان هذا القول
عن دليل لا من قبيل الرأي والمعنى على الثاني اعادة متلبسة بالتحقيق اى
اعادة محققة لا مشكوكا فيها وقوله عن عدم اى بعد عدم فعن بمعنى بعد وقا
التنا اعادة ناشئة عن عدم لكن لا معنى لكون الاعادة ناشئة عن العدم فيصير
الجسم معدوما بالكلية الا عجب الذنب ثم يعيده الله تعالى كما اوجده اولا
قال تعالى كما بدأكم تعودون وقوله وقيل عن تفريق اى بعد التفريق فعن
بمعنى بعد كما تقدم فعلى القول الاول يذهب الله العين والأثر جميعا ثم يعيد
الجسم كما كان وعلى القول الثاني يفرق الله اجزاء الجسم بحيث لا يبقى فيه جوهران
فردان على الاتصال والصحيح القول الاول ولذا قدمه المص جازما به وحكى ما
قابله بصيغة التمريض وقوله محضين صفة عدم وتفريق اى عدم محض وتفريق

وقل يعاد الجسم بالتحقيق
عن عدم وقيل عن تفريق

محضين ثم جاء في الطرق وحقا
... وفي نظم نقل

محض تعني محضية العدم خلوصه من شائبة الوجود بجزء ما ومعنى محضية
التفريق خلوصه من شائبة الاتصال في اجزائه ودفع المص بذلك توهم
ان المراد بالعدم عند القائلين به العدم العرفي الصادق بوجود جزء ما من
اجزائه وان المراد بالتفريق عند القائلين به التفريق العرفي الصادق باتصال
بعض اجزائه   لكن ذا الخلاف خصا بالفلا اطلاق وهذا استدراك على
اطلاق الخلاف السابق وفي التعبير بالتخصيص تسمح لأن التخصيص من
عوارض العموم والتقييد من عوارض الاطلاق فالمعنى لكن هذا الخلاف قيد
العلماء اطلاقه وقوله بالانبياء اى بسبب اخراج الانبياء منه فان الارض لا
تاكل اجسامهم ولا تبلى ابدا نهم اتفاقا فالخلاف في غيرهم وغير من الحق بهم
ممن سياتي وقوله ومن عليهم نصا بالفلا اطلاق اى ومن نص الشارع على
ان الارض لا تاكل اجسامهم كالشهداء والمراد بهم كل مقتول على الحق ولو لم
يكن من شهداء المعركة وكالمؤذنين احتسابا اى ادخارا للثواب ذلك عند الله
تعالى للآخرة وكالعلماء العاملين وحملة القرآن الملازمين لتلاوته العاملين
بما فيه المعظمين له بضبط لسانهم وطهارتهم وآدابهم الى غير ذلك مما نقل عن
الشرع فان المسئلة توقيفية   وفي اعادة العرض قولان لما اختلف
القائلون باعادة الجسم في اعادة العرض الذي كان قائما به في الدنيا اشار
الى ذلك الاختلاف بقوله وفي اعادة العرض قولان فالقول الأول وهو مذهب
الأكثرين واليه مال امامنا الاشعري انه يعاد حين اعادة الجسم لا فرق في
ذلك بين العرض الذي يطول بقاؤه كالبياض وبين غيره كالصوت ولا فرق
في ذلك ايضا بين ما هو مقدور للعبد كالضرب وبين غيره كالعلم ولا يلزم
ان تكون اعادته بالتلبس به كما كان في الدنيا بل ما كان من الأعراض الملازمة
للذات من بياض ونحوه وطول ونحوه فانه يعاد متعلقا بها وما كان من
غير ذلك كضرب وكفر وغير ذلك من بقية المعاصي وصلاة وصوم وبقية
الطاعات فانه يعاد مصورا بصورة جسمية لكن الحسنات في صورة
حسنة والسيئات في صورة قبيحة هذا هو الظاهر والتفويض في مثل
هذه المواطن احسن فان قيل يلزم على ذلك اجتماع المتنافيات كالطول
والقصر والكبر والصغر واجيب بان اعادة العرض ليست دفعية بل
على التدريج حسبما كانت في الدنيا لكن يمر عليه جميع الاعراض كلمح البصر
وربك على كل شيء قدير والقول الثاني امتناع اعادته مطلقا فيوجد

الجسم

وفي اعادة العرض قولان
ورجحت اعادة الاعيان

الجسم بعرض آخر فانه لا ينفك عقلا عن عرض والى هذا ذهب بعض اصحابنا
ايضا   ورجحت اعادة الأعيان اى ورجح جماعة من العلماء اعادة الاعراض
بأعيانها اى باشخاصها وانفسها فالمراد بالاعيان الاشخاص والأنفس اى
شخص العرض ونفسه فيعاد العرض الذي كان في الدنيا لا عرض آخر مغاير له
بل يعاد بعينه   وفي الزمن قولان اى وفي اعادة الزمن قولان احدهما وهو
الأرجح انه يعاد جميع ازمنة الاجسام التي مرت عليها في الدنيا لتشهد للانسان
وعليه بما وقع فيها من الطاعات والآثام وثانيهما امتناع اعادته لاجتماع المتنافيات
كالماضي والحال والاستقبال واجاب عن ذلك القائلون بالقول الاول بان
اعادته ليست دفعية بل على التدريج حسبما كانت في الدنيا لكن في اسرع وقت
          والحساب حق اى ثابت بالكتاب والسنة والاجماع ففي الكتاب سريع الحساب
وفي السنة حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا واجمع المسلمون عليه وهو لغة
العدد واصطلاحا توقيف الله الناس على اعمالهم خيرا كانت او شرا قولا او فعلا
تفصيلا بعد اخذهم كتبها ويكون للمومن والكافر انسا وجنا الا من استثنى منهم
ففي الحديث يدخل الجنة من امتي سبعون الفا ليس عليهم حساب فقيل هلا استزدت
ربك فقال استزدته فزادني مع كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا فقيل
هلا استزدت ربك فقال استزدته فزادني ثلاث حثيات بيده الكريمة او
كما ورد والثلاث حثيات ثلاث دفعات من غير عدد فهولاء يدخلون الجنة
بغير حساب واذا كان من المؤمنين من يكون ادنى الى الرحمة فيدخل الجنة من غير
حساب كان من الكافرين من يكون ادنى الى الغضب فيدخل النار من غير حساب
فطائفة تدخل الجنة بلا حساب وطائفة تدخل النار بلا حساب وطائفة
توقف للحساب فلا تنافي بين النصوص في مثل ذلك وقد اختلف في المراد بتوقيف
الله الناس على اعمالهم فقيل المراد به ان يخلق الله في قلوبهم علوما ضرورية
بمقادير اعمالهم من الثواب والعقاب وهذا قول الفخر وقيل المراد به ان
يوقفهم بين يديه ويؤتيهم كتب اعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم فيقول
هذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم وهذا القول
نقل عن ابن عباس وفيه قصور لأن الحساب غير قاصر على هذا المقدار وقد ورد
ان الكافر ينكر فتشهد جوارحه وقيل المراد به ان يكلمهم في شأن اعمالهم
وكيفية ما لها من الثواب وما عليها من العقاب فيسمعهم كلامه القديم وهذا
هو الذي تشهد له الاحاديث الصحيحة ولا يشغله تعالى محاسبة احد عن احد

بل يحاسب الناس جميعاً حتى ان كل احد يرى انه المحاسب وحده وكيفيته مختلفة
فمنه اليسير والعسير والستر والجهر والتوبيخ والفضل والعدل وحكمته
اظهار تفاوت المراتب فى الكمال وفضائح اهل النقص ففيه ترغيب فى الحسنات
وزجر عن السيئات وما فى حقا رتياب اى وليس فى وقوع حق شك اي لا
ينبغى ان يقع فيه ذلك فالسيئات عنده بالمثل اى جزاؤها عنده تعالى
مقدر بمثلها ان جازاه عليها وله ان يعفو عنها ان لم تكن كفرا والاخلد فى النار
والسيئات جمع سيئة وهى ما يذم شرعا صغيرة كانت او كبيرة وسميت سيئة لأن
فاعلها يساء عند المقابلة عليها يوم القيامة والمراد التى عملها العبد حقيقة او
حكما بأن طرحت عليه لظلامة الغير بعد نفاد حسنا ته فانه يؤخذ من حسنات
الظالم ويعطى للمظلوم فاذا نفدت حسنات الظالم طرح عليه من سيئات المظلوم
ثم قذف بالظالم الى النار وقوله والحسنات ضوعفت بالفضل اى ضاعفها الله
تعالى بفضله لا وجوبا عليه والحسنات جمع حسنة وهى ما يمدح فاعله شرعاً
وسميت حسنة لحسن وجه صاحبها عند رؤيتها يوم القيامة والمراد الحسنات
المقبولة الأصلية المعمولة للعبد او ما فى حكمها بأن عملها عنه غيره كما اذا
تصدق غيرك عنك بصدقة لا المأخوذة فى نظير ظلامة فخرج بالمقبولة
المردودة بنحو رياء فلا ثواب فيها اصلا وبالأصلية الحاصلة بالتضعيف
فلا تضاعف ثانيا وبالمعمولة او ما فى حكمها الحسنة التى هم بها فتكتب واحدة
من غير تضعيف وكذلك اذا صمم على المعصية ثم تركها فله حسنة من غير مضاعفة
وبقولنا لا المأخوذة فى نظير ظلامة الحسنات التى يأخذها المظلوم من ظالمه
فلا تضاعف والتضعيف من خصائص هذه الأمة واما غيرها من الأمم
فكانت حسنتهم بحسنة واحدة واقل مراتب التضعيف عشرة وقد تضاعف
الى سبعين الى سبعمائة او اكثر من غير انتهاء الى حد تقف عنده وتفاوت مراتب
التضعيف بحسب ما يقترن بالحسنة من الاخلاص وحسن النية
وباجتناب للكبائر بسكون الراء لأنه رجز والمراد باجتناب الكبائر ما يعم
التوبة منها بعد فعلها لا ما يخص عدم ارتكابها بالمرة بخلاف التلبس بها
من غير توبة والكبائر هى الذنوب العظيمة من حيث المؤاخذة بها وقوله تغفر
صغائر اى تكفر الذنوب الصغائر قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
عنكم سيئاتكم اى الصغائر وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يؤدى الصلوات الخمس
ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبع الا فتحت له ثمانية ابواب الجنة يوم

فالسيئات عنده بالمثل والحسنات ضوعفت بالفضل

وباجتناب للكبائر تغفر صغائر وجا الوضوء يكفر

القيامة حتى انها لتصفق اى يضرب بعضها بعضا من خلوها فلا يدخلها احد حتى
يدخلها والسبع ليست بقيد بل غيرها كذلك والمراد بها الموبقات السبع
وهى الشرك بالله والسحر وقتل النفس بغير حق واكل مال اليتيم واكل الربو
والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات وفى حديث آخر الصلوات
الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت
الكبائر وقد اتفقوا على ترتيب التكفير على الاجتناب ثم اختلفوا هل هو
قطعى او ظنى فذهب جماعة من الفقهاء والمحدثين والمعتزلة الى الأول
وذهب ائمة الكلام الى الثانى وهو الحق واعلم ان غفر الذنب هو العفو عنه اي
عدم المؤاخذة به اما بستره عن اعين الملئكة مع بقائه فى الصحيفة واما بمحوه
من صحف الملائكة وحكى بعضهم ان الأول هو الصحيح عند المحققين وجا الوضو
بالقصر للوزن وقوله يكفر اى الصغائر ومراد المصنف انه جاء فى السنة ان الوضوء
يكفر الذنوب ففى الحديث عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يسبغ احد الوضوء الا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وفى الحديث ايضا من
توضأ نحو وضوئى هذا ثم قام فركع ركعتين لا يحدث فيهما نفسه يعنى بسوء الا غفر
له ما تقدم من ذنبه وفى رواية ولا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء فيصلى صلاة
الا غفر له ما بينها وبين الصلاة التى تليها وذكر الصلاة فى هذين الحديثين
للترغيب فى سنة الوضوء ليزيد ثوابه والا فالتكفير لا يتوقف على الصلاة كما
اخرجه احمد مرفوعا الوضوء يكفر ما قبله ثم تصير الصلاة نافلة واشار المصنف
بذلك الى انه لا ينحصر تكفير الصغائر فى اجتناب الكبائر بل الوضوء يكفرها ايضا
وكذلك الصلوات الخمس وكذلك صوم رمضان وكذلك الحج المبرور فان
قيل اذا كفر الوضوء لم يجد الصوم ما يكفره وهكذا اجيب بأن الذنوب
كالأمراض والطاعات كالأدوية فكما ان لكل نوع من انواع الامراض نوعا
من انواع الادوية لا ينفع فيه غيره كذلك الطاعات مع الذنوب ويدل
له حديث ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا جهاد وانما
يكفرها السعى على العيال وهذا كله فى الذنوب المتعلقة بحقوق الله تعالى
واما المتعلقة بحقوق الآدميين فلا بد فيها من المقاصة بأن يأخذ من
حسنات الظالم ويعطى المظلوم فاذا انفدت حسنات الظالم طرح عليه من
سيئات المظلوم لكن قد اخرج البزار عن انس بن مالك مرفوعا من تلا قل هو
الله احد مائة الف مرة فقد اشترى نفسه من الله ونادى مناد من قبل الله

تعالى في سمواته وارضه الا انا فلانا عتيق الله فمن له قبله تباعة فليأخذها من الله عز وجل وظاهره ذلك تكفير الكبائر بهذا ايضا وهذه هي العتاقة الكبرى ومن جملة مكفرات الكبائر الحج المبرور لحديث الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ومن جملتها ايضا الجهاد فقد ورد ان الغزو في البر يكفرها الا التبعات وفي البحر يكفرها حتى التبعات والبوم الآخر بدرج الهمزة وتسكين الراء واليوم مبتدأ والآخر صفته وحق خبره واليوم الآخر هو يوم القيامة واوله من وقت الحشر الى مالا يتناهى على الصحيح وقيل الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وسمي باليوم الآخر لأنه آخر ايام الدنيا بمعنى انه متصل بآخر ايام الدنيا لأنه ليس منها حتى يكون آخرها وسمي بيوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم وقيامهم بين يدي خالقهم وقيام الحجة لهم وعليهم وله نحو ثمانية اسم وقوله ثم هول الموقف اي الهول الحاصل في الموقف فهو من اضافة الشئ الى مكانه والمراد بهول الموقف ما ينال الناس فيه من الشدائد لطول الوقوف قيل الف سنة كما في آية السجدة ه وقيل خمسين الف سنة كما في آية سأل ولا تنافي لان العدد لا مفهوم له وهو مختلف باختلاف احوال الناس فيطول على الكفار ويتوسط على الفساق ويخف على الطائعين حتى يكون كصلاة ركعتين وكالجام الناس بالعرق الذي هو انتن من الجيفة حتى يبلغ آذانهم ويذهب في الارض سبعين ذراعا والناس يكونون فيه على قدر اعمالهم ففي حديث مسلم تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما واشار عليه الصلوة والسلام الى فيه وفسر الميل بمرود المكحلة وبالمساحة المخصوصة قال سليم بن عامر فوالله ما ادري ما يعني بالميل امسافة الارض والميل الذي يكتحل به والاول اقرب وحقويه تثنية حقو وهو الكشح الذي بين الخاصرة الى الضلع الخلف وكسؤال الملئكة لهم عن اعمالهم وتفريطهم فيها قال تعالى وقفوهم انهم مسئولون وكشهادة الألسنة والأيدي والأرجل والسمع والبصر والجلد والأرض والليل والنهار والحفظة الكرام ولا ينال شئ مما ذكر الانبياء والأولياء ولا سائر الصلحاء لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر فهم آمنون من عذاب الله لكنهم يخافون ربهم خوف اجلال واعظام حق اي ثابت لا محالة فيجب الايمان به لوروده في الكتاب والسنة واجماع المسلمين عليه وكذا يجب الايمان بعلاماته المتواترة فمن علاماته الصغرى ما قد وقع ومنها ما لم يقع وعلاماته الكبرى عشرة اولها ظهور المهدي ثم خروج

الدجال

واليوم الآخر ثم هول الموقف حق فخفف يا رحيم واسعف

الدجال ثم نزول عيسى بن مريم ثم خروج ياجوج وماجوج ثم خروج الدابة التي تكتب بين عيني المؤمن مؤمنا فيضئ وجهه وبين عيني الكافر كافرا فيسود وجهه وطلوع الشمس من مغربها وظهور الدخان يمكث في الأرض اربعين يوما يخرج من انف الكافر وعينيه واذنيه ودبره حتى يصير كالسكران ويصيب المؤمن منه كهيئة الزكام وخراب الكعبة على ايدي الحبشة بعد موت عيسى ورفع القران من المصاحف والصدور ورجوع اهل الارض كلهم كفارا وقوله فخفف يا رحيم واسعف بوصل الهمزة للضرورة فانها همزة قطع اي خفف يا رحيم هوله واعنا عليه ومن اسباب تخفيفه والاعانة عليه قضاء الحوايج للمسلمين وتفريج الكرب عنهم واشباع الجائع وايواء ابن السبيل وواجب اخذ العباد الصحفا واجب خبر مقدم واخذ العباد مبتدأ مؤخر والاصل واخذ العباد الصحفا واجب سمعا لوروده كتابا وسنة ولانعقاد الاجماع عليه فيجب الايمان به ومن انكره كفر والمراد من الصحف الكتب التي كتبت فيها الملئكة ما فعله العباد في الدنيا والاحاديث صريحة الظواهر في ان كل مكلف له صحيفة واحدة يوم القيامة مع انها كانت متعددة في الدنيا كما يدل عليه حديث ما من مؤمن الا وله كل يوم صحيفة فاذا طويت وليس فيها استغفار طويت وهي سوداء مظلمة واذا طويت وفيها استغفار طويت ولها نور يتلألأ وقد اختلف فقيل توصل صحف الايام والليالي وقيل ينسخ ما في جميعها في صحيفة واحدة فان قيل اذا كان كل مكلف له صحيفة واحدة يوم القيامة فلم جمعها المص اجيب بانه جمعها في مقابلة جمع العباد فهو من مقابلة الجمع بالجمع فتنقسم الآحاد على الآحاد وظواهر الآيات والاحاديث شاهدة بعموم بجميع الأمم نعم الأنبياء لا يأخذون صحفا وكذا الملئكة لعصمتهم ومن يدخل الجنة بغير حساب ورئيسهم ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ولم يذكر المص من يدفع الصحف للعباد وقد ورد ان الريح تطيرها من خزانة تحت العرش فلا تخطئ صحيفة عنق صاحبها وورد ايضا ان كل احد يدعى فيعطى كتابه فحصل التعارض بين الروايتين وجمع بينهما بان الريح تطيرها اولا من الخزانة فتتعلق كل صحيفة بعنق صاحبها ثم تناديهم الملائكة فتأخذها من اعناقهم وتعطيها لهم في ايديهم فالمؤمن المطيع يأخذ كتابه بيمينه والكافر يأخذه بشماله من وراء ظهره واما المؤمن الفاسق فجزم الماوردي بانه يأخذه بيمينه قال وهو المشهور ثم حكى قولا بالوقف قال ولا قائل بانه يأخذه بشماله وفي كلام بعضهم ان هناك قولا بانه يأخذه بشماله واختلف فقيل يأخذه قبل دخول النار وقيل بعد خروجه منها واول

وواجب أخذ العباد الصحفا كما من القرآن نصا عرفا

من يعطى كتابه بيمينه مطلقا عمر رضى الله عنه وبعده ابو سلمة عبد الله بن عبد الأسد
واول من يأخذه بشماله اخوه الأسود بن عبد الاسد لأنه اول من بادر النبى صلى
الله عليه وسلم بالحرب يوم بدر وقد روى انه يمد يده ليأخذه بيمينه فيجذبه ملك
فيخلع يده فيأخذه بشماله من وراء ظهره   كما من القرآن نصا عرفا اى كالأخذ
الذى عرف من القرآن حال كونه منصوصا فنصا بمعنى منصوصا حال من ضمير عرفا
المبنى للمفعول وهو صلة الموصول ومن القرآن متعلق به قدم عليه لاستقامة
الوزن وذلك كقوله تعالى فأما من اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه
انى ظننت انى ملاق حسابيه واما من اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت
كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية فيقول الاول لاهل المحشر
فرحا هاؤم اى خذوا فهو اسم فعل لجماعة الذكور اقرؤا كتابيه انى ظننت اى علمت
لانه جازم ويقول الثانى لما يرى من سوء عاقبته يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر
ما حسابيه يا ليتها اى الموتة التى متها كانت القاضية اى القاطعة لأمره فلم
يبعث بعدها وكقوله تعالى فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا
يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا واما من اوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا
ويصلى سعيرا وظاهر كلامهم ان القراءة حقيقية وهو الراجح وقيل مجاز عن علم
كل احد بما له وعليه ويقرأ كل احد كتابه ولو كان أميا لكن من الآخذين من لم
يقرأ كتابه ذهولا ودهشة لاشتماله على القبائح والمومن يأتيه كتابه ابيض بكتابة
بيضاء ويأخذه بيمينه فيقرأه فيبيض وجهه والكافر يأتيه كتابه اسود
بكتابة سوداء فيقرأه فيسود وجهه كما ذكره المص في كبيره والذى ذكره الشيخ
عبد السلام ان اول سطر من صحيفة المؤمن ابيض فاذا قرأه ابيض وجهه
والكافر بضد ذلك اهـ ويمكن ترجيح كلامه لكلام والده بأن يقال لا مفهوم
لقوله اول سطر بل مثله الباقى فتأمل   ومثل هذا الوزن والميزان اى
ومثل اخذ العباد الصحف فى الوجوب السمعى وزن افعال العباد والميزان وهو
ميزان واحد على الراجح له قبضة وعمود وكفتان كل واحدة منهما اوسع من
طباق السموات والارض وجبريل آخذ بعموده ناظر الى لسانه وميكائيل امين
عليه ومحله بعد الحساب وقيل لكل عامل موازين يوزن بكل منها صنف من عمله ويدل
على الوزن قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وعلى الميزان قوله تعالى ونضع الموازين
القسط ليوم القيامة وقوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت
موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم وخفة الموزون وثقله على صورته فى الدنيا

ومثل هذا الوزن والميزان في وزن الكتب او الاعيان

وقيل

وقيل على عكس صورته فى الدنيا فالثقيل يصعد الى اعلى والخفيف ينزل الى اسفل لقوله
تعالى والعمل الصالح يرفعه والجمع فيما ذكر للتعظيم على المشهور من انه ميزان واحد
لجميع الامم ولجميع الاعمال وقد بلغت احاديثه مبلغ التواتر فيجب الايمان به ونمسك
عن تعيين حقيقته ولا يكون الوزن فى حق كل احد لانه لا يكون للأنبياء والملائكة
ومن يدخل الجنة بغير حساب فانه فرع عن الحساب ولا مانع من وزن سيئات الكفار
ليجازوا عليها بالعقاب فقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا معناه لا نقيم
لهم يوم القيامة وزنا نافعا فان قيل وزن اعمال المؤمنين وجهه ظاهر اذ لهم
من الحسنات ما يقابل السيئات واما الكفار فليس لهم حسنات حتى تقابل بها
سيئاتهم اجيب بأنه يكون منهم صلة الرحم ومواساة الناس وعتق المماليك
ونحوها من الأعمال التى لا تتوقف صحتها على نية فتجعل هذه الأمور ان صدرت
منهم فى مقابلة سيئاتهم غير الكفر اما هو فلا فائدة فى وزنه لأن عذابه دائم
وفى كلام القرطبى ما يصرح بوزنه حيث قال فتجمع له هذه الأمور وتوضع فى ميزانه
يعنى الكافر فيرجح الكفر بها انتهى   فتوزن الكتب والأعيان اشار بذلك
الى الخلاف للعلماء فى الموزون فذهب جمهور المفسرين الى ان الموزون الكتب التى
اشتملت على اعمال العباد بناء على ان الحسنات مميزة بكتاب والسيئات بآخر ويشهد
له حديث البطاقة وهى بكسر الموحدة ورقة صغيرة وحديثها ما روى عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يستخلص
رجلا من امتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا
كل سجل منها مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتى الحافظون
فيقول لا يا رب فيقول ألك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة
وانه لا ظلم عليك فتخرج له بطاقة كالأنملة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان
محمدا رسول الله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم
فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة ولا يثقل
مع اسم الله شئ اهـ وهذا ليس لكل عبد بل لعبد اراد الله به خيرا وذهب بعضهم الى
ان الموزون اعيان الاعمال فتصور الاعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية ثم
تطرح فى كفة النور وهى اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله سبحانه وتعالى
وتصور الاعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ثم تطرح فى كفة الظلمة وهى الشمال
المعدة للسيئات فتخف وهذا فى المومن واما الكافر فتخف حسناته وتثقل سيئاته
بعدل الله سبحانه وتعالى ولا يرد ان فى ذلك قلب الحقائق وهو ممتنع لأن امتناع

قلب الحقائق مختص بأقسام الحكم العقلي فلا ينقلب الواجب جائزاً مثلا واما انقلاب
المعنى جزما فلا يمتنع وقيل يخلق الله اجساما على عدد تلك الاعمال من غير قلب
لها قيل وقد يوزن الشخص نفسه لحديث ابن مسعود رجله في الميزان اثقل
من جبل احد وفائدة الوزن جعله علامة لأهل السعادة والشقاوة وتعريف
العباد ما لهم وعليهم من الخير والشر واقامة الحجة عليهم كذا الصراط
كذا خبر مقدم والصراط مبتدأ مؤخر اى الصراط مثل المذكور من اخذ العباد
الصحف والوزن والميزان في الوجوب السمعي وهو بالصاد وبالسين او بالزاى
المحضة او بالاشمام وقرئ في السبع بما عدا الزاى المحضة ومعناه لغة الطريق
الواضح مأخوذ من صرطه يصرطه اذا ابتلعه لأنه يبتلع المارة وشرعا جسر
ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون حتى الكفار خلافا للحليمي
حيث ذهب الى انهم لا يمرون عليه ولعله اراد الطائفة التي ترمى في جهنم
من الموقف بلا صراط وشمل ما ذكر النبيين والصديقين ومن يدخل الجنة بغير حساب
وكلهم ساكتون الا الانبياء فيقولون اللهم سلم سلم كما في الصحيح وفي بعض
الروايات انه ادق من الشعرة واحد من السيف وهو المشهور ونازع في ذلك
العز بن عبد السلام والشيخ القرافي وغيرهما كالبدر الزركشي قالوا وعلى فرض
صحة ذلك فهو محمول على غير ظاهره بان يؤول بانه كناية عن شدة المشقة وح
فلا ينافي ما ورد من الاحاديث الدالة على قيام الملئكة على جنبيه وكون الكلاليب
فيه زاد القرافي والصحيح انه عريض وفيه طريقان يمنى ويسرى فاهل السعادة
يسلك بهم ذات اليمين واهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال وفيه طاقات
كل طاقة تنفذ الى طبقة من طبقات جهنم وقال بعضهم انه يدق ويتسع بحسب
ضيق النور وانتشاره فعرض صراط كل احد بقدر انتشار نوره فان نور كل انسان
لا يتعداه الى غيره فلا يمشي احد في نور احد ومن هنا كان دقيقا في حق قوم وعريضا
في حق آخرين وطوله ثلاثة آلاف سنة الف صعود والف هبوط والف استواء
وفي كلام الشيخ الاكبر ما يفيد عدم التعويل على ظاهر هذه الآلاف مع ان مآله
الامتداد للعلو حتى يصل للجنة فانها عالية جدا وافاد الشعراني انه لا يوصل لها
حقيقة بل يوصل لمرجها الذي فيه الدرج الموصل لها وقال ويوضع لهم هناك
مائدة قال ويقوم احدهم فيتناول مما تدلى هناك من ثمار الجنة وقد ورد به الكتاب
قال تعالى فاستبقوا الصراط والسنة قال صلى الله عليه وسلم ويضرب الصراط
بين ظهراني جهنم فاكون انا وامتي اول من يجوز واتفقت الكلمة عليه في الجملة
اي

اى بقطع النظر عن ابقائه على ظاهره كما هو مذهب اهل السنة وصرفه عنه كما هو
مذهب كثير من المعتزلة فانهم ذهبوا الى ان المراد به طريق الجنة وطريق النار
وقيل المراد به الأدلة الواضحة وجبريل في اوله وميكائيل في وسطه يسألان
الناس عن عمرهم فيما افنوه وعن شبابهم فيما ابلوه وعن علمهم ماذا عملوا به
وفيها فتيه كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من امرت به فالعباد مختلف
مرورهم اى اذا علمت ان الصراط واجب فاعلم ان العباد متفاوت مرورهم عليه
في سرعة النجاة وعدمها فليسوا في المرور عليه على حد سواء وقوله فسالم ومختلف
اى فمنهم فريق سالم من الوقوع في نار جهنم ومنهم فريق متلف بالوقوع فيها
اما على الدوام والتأبيد كالكفار والمنافقين واما الى مدة يريدها الله تعالى ثم
ينجو كبعض عصاة المؤمنين ممن قضى الله عليه بالعذاب والفريق الأول هم
السالمون من السيئات واهل رجحان الأعمال الصالحة ممن خصهم الله و
بسابقة الحسنى وهم يجوزون كطرف العين وبعدهم الذين يجوزون كالبرق
الخاطف وبعدهم الذين يجوزون كالريح العاصف وبعدهم الذين يجوزون كالطير
وبعدهم الذين يجوزون كالجواد السابق وبعدهم الذين يجوزون سعيا
ومشيا وبعدهم الذين يجوزون حبوا وتفاوتهم في المرور بحسب تفاوتهم في
الاعراض عن محرمات الله تعالى فمن كان منهم اسرع اعراضا عما حرم الله كان
اسرع مرورا في ذلك اليوم والحكمة في مرورهم على الصراط ظهور النجاة من
النار وان يتحسر الكفار بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في المرور والعرش
وهو جسم عظيم نوراني علوى قيل من نور وقيل من زبرجدة خضراء وقيل من
ياقوتة حمراء والأولى الامساك عن القطع بتعيين حقيقته لعدم العلم بها
والتحقيق انه ليس كرويا بل هو قبة فوق العالم ذات اعمدة اربعة تحمله الملئكة
في الدنيا اربعة وفي الآخرة ثمانية لزيادة الجلال والعظمة في الآخرة رؤسهم عند
العرش في السماء السابعة واقدامهم في الأرض السفلى وقرونهم كقرون الوعل
اى بقر الوحش ما بين اصل قرن احدهم الى منتهاه خمسمائة عام وقيل انه كروي
محيط بجميع الأجسام وهذا خلاف التحقيق وقوله والكرسي معطوف على العرش
وهو جسم عظيم نوراني تحت العرش ملتصق به فوق السماء السابعة بينه وبينها
مسيرة خمسمائة عام كما نقل عن ابن عباس ونمسك عن الجزم بتعيين حقيقته
لعدم العلم بها وهو غير العرش خلافا للحسن البصري وقوله ثم القلم معطوف على
الكرسي وهو جسم عظيم نوراني خلقه الله وامره بكتب ما كان وما يكون الى يوم القيمة

قيل هو من اليراع وهو القصب والأولى ان نمسك عن الجزم بتعيينه وقوله والكاتبون
معطوف على القلم واقسامهم ثلاثة الكاتبون على العباد اعمالهم فى الدنيا والكاتبون
من اللوح المحفوظ ما فى صحف الملائكة الموكلين بالتصرف فى العالم كل عام والكاتبون
من صحفها الملائكة كتابا يوضع تحت العرش وقوله اللوح معطوف على ما قبله بتقدير
حرف العطف فهو مرفوع وليس معمولا للكاتبين كما قد يتوهم لان الملائكة لم تكتب
فيه بل القلم يكتب فيه بمجرد القدرة وهو جسم نورانى كتب فيه القلم باذن الله ما كان
وما يكون الى يوم القيامة وهو يكتب فيه الآن على التحقيق من انه يقبل المحو
والتغيير ونمسك عن الجزم بحقيقته وفى بعض الآثار ان لله لوحا احد وجهيه
ياقوتة حمراء والوجه الثانى زمردة خضراء كما فى شرح المص وقوله كل حكم اى كل من
هذه المذكورات ذو حكم فكل واحد منها لحكم يعلمها الله سبحانه وان قصرت عقولنا
عن الوقوف عليها وبعضهم لم يلتزم الحكمة لانه تعالى يتصرف بما يشاء لا يسأل
عما يفعل والحكمة هى الامر الصائب وهو سر الفعل وفائدته المترتبة عليه
لا لاحتياج اى كل مخلوق لحكمة لا لاحتياجه تعالى الى شئ منها فلم يخلق العرش
للاتقاء ولا الكرسى للجلوس ولا القلم لاستحصاء ما غاب عن علمه تعالى ولا الكاتبين
ولا اللوح لضبط ما يخاف نسيانه وقوله وبها الايمان يجب عليك ايها الانسان
اى بهذه المذكورات كغيرها من كل ما ثبت بصحيح الاحاديث كالحجب والانوار
التصديق يجب عليك ايها الانسان المكلف فيجب الايمان بوجودها شرعا حسبما
علم تفصيلا او اجمالا وغاية الامر ان الايمان بها تعبدى والنار حق وجدت كالجنة
اى والنار التى هى دار العذاب ثابتة بالكتاب والسنة واتفقت علماء هذه الامة
انه اوجدها الله فيما مضى كالجنة التى هى دار الثواب فى كونها حقا وانها اوجدت
فيما مضى ورد المص بحقيقتهما على منكرهما بالمرة كالفلاسفة وبايجادهما فيما مضى
على منكر وجودهما فيما مضى وانهما انما يوجدان يوم القيامة كابى هاشم وعبد الجبار
المعتزليين ويدل لنا قصة آدم وحواء عليهما السلام على ما جاء به القرآن والسنة
وانعقد عليه الاجماع قبل ظهور المخالف فذلك يدل على ثبوت الجنة ولا قائل
بثبوتها دون النار فهى ثابتة ايضا والآيات صريحة فى ذلك وقد اجمع العلماء
على ان تأويلها من غير ضرورة الحاد فى الدين كما قيل آدم كان رجلا فى جنة
اى بستان له على ربوة اى محل مرتفع فعصى ربه فانزله لبطن الوادى ولم يرد
نص صريح فى تعيين مكان الجنة والنار فى شرح المقاصد والاكثرون على ان الجنة
فوق السموات السبع وتحت العرش وان النار تحت الارضين السبع والحق

تفويض

لا لاحتياج وبها الايمان يجب عليك ايها الانسان
والنار حق وجدت كالجنة فلا تمل لجاحد ذى جنة

تفويض علم ذلك الى اللطيف الخبير كما فى شرح المص وطبقات النار سبع اعلاها
جهنم وهى لمن يعذب على قدر ذنبه من المؤمنين وتصير خرابا بخروجهم منها
وتحتها لظى وهى لليهود ثم الحطمة وهى للنصارى ثم السعير وهى للصابئين
وهم فرقة من اليهود ثم سقر وهى للمجوس ثم الجحيم وهى لعبدة الاصنام ثم
الهاوية وهى للمنافقين وذكر ابن العربى ان هذه النار التى فى الدنيا ما اخرجها
الله الى الناس من جهنم حتى غمست فى البحر مرتين ولولا ذلك لم ينتفع بها احد
من حرها وكفى بها زاجرا وبعد اخذ نار الدنيا منها اوقد عليها الف سنة حتى
ابيضت ثم الف سنة حتى احمرت ثم الف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة
وحرها هواء محرق ولا جمر لها سوى بنى آدم والاحجار المتخذة آلهة من دون الله
قال تعالى يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة
واختلف فى الجنة هل هى سبع جنات متجاورة افضلها واوسطها الفردوس
وهى اعلاها والمجاورة لانها فى العلو وفوقها عرش الرحمن ومنها تتفجر انهار
الجنة ويليها فى الافضلية جنة عدن ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم وجنة المأوى
ودار السلام ودار الجلال والجنات كلها متصلة بمقام الوسيلة ليتنعم
اهل الجنة بمشاهدته صلى الله عليه وسلم لظهوره صلى الله عليه وسلم لهم منها
لانها تشرق على اهل الجنة كما ان الشمس تشرق على اهل الدنيا وهذا ما ذهب
اليه ابن عباس او اربع ورجحه جماعة لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
جنة النعيم وجنة المأوى ثم قال ومن دونهما جنتان جنة عدن وجنة الفردوس
كما قاله بعض المفسرين وهذا ما ذهب اليه الجمهور او جنة واحدة وهذه الاسماء
كلها جارية عليها لتحقق معانيها فيها اذ يصدق على الجميع جنة عدن اى اقامة
وجنة المأوى اى مأوى المؤمنين وجنة الخلد ودار السلام لان جميعها للخلود
والسلامة من كل خوف وحزن وجنة النعيم لانها كلها مشحونة باصناف
فلا تمل لجاحد اى فلا تصغ لقول منكرهما بالمرة لكفره كالفلاسفة او منكر
لوجودهما فيما مضى لبدعته كابى هاشم وعبد الجبار المعتزليين وقوله ذى جنة
اى صاحب جنون لان انكارهما لا يكاد يصدر عن ذى عقل فانه يؤدى الى احالة
ما علم من الدين بالضرورة دار خلود اى دار اقامة مؤبدة ورد المص بذلك
على الجهمية وهم منسوبون لجهم اسم رجل يقولون بفنائهما وفناء اهلهما
وهم كفار لمخالفتهم للكتاب والسنة وقوله للسعيد والشقى اى فالجنة دار
خلود للسعيد وهو من مات على الاسلام وان تقدم منه كفر ودخل فى السعيد

دار خلود للسعيد والشقى معذب بنارها ...

عصاة المؤمنين فدار خلودهم الجنة فلا يخلدون في النار ان دخلوها بل لا
يدوم عذابهم فيها مدة بقائهم لأنهم يموتون بعد الدخول بلحظة ما يعلم الله
مقدارها فلا يحيون حتى يخرجوا منها والمراد بموتهم انهم يفقدون احساس
ألم العذاب لا انهم يموتون موتا حقيقيا بخروج الروح وبعضهم اختار انهم يموتون
حقيقة والنار دار خلود للشقي وهو من مات على الكفر وان عاش طول عمره على الايمان
ودخل في الشقي الكافر الجاهل والمعاند ومن بالغ في النظر فلم يصل الى الحق وترك
التقليد الواجب عليه ولا يدخل فيه اطفال المشركين بل هم في الجنة على الصحيح
من اقوال كثيرة فمنها انهم في النار وقيل على الأعراف الى غير ذلك من الاقوال واما
اطفال المؤمنين ففي الجنة عند الجمهور ومقابله انهم في المشيئة وانكر ذلك
القول وهذا في غير اولاد الأنبياء واما اولاد الانبياء ففي الجنة اجماعا ولا فرق
في السعيد والشقي بين الانس والجن ويدل على ما ذكر من ان الجنة دار خلود للسعيد
والنار دار خلود للشقي قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد الآية والمراد بالسموات والارض
في هذه الآية سقف النار وارضها وسقف الجنة وارضها لا سما الدنيا وارضها
لتبدلهما وقوله معذب منهم اي فداخل النار معذب فيها بانواع العذاب كالزمهرير
والحيات والعقارب وغير ذلك وداخل الجنة منعم فيها بانواع النعيم واعلاه رؤية وجه
الله الكريم وقوله مهما بقي اي مدة بقاء كل من الفريقين في احدى الدارين وما
يقال يتمرن اهل النار بالعذاب حتى لو القوا في الجنة لتألموا مدسوس على القوم كيف
وقد قال تعالى فلن نزيدكم الا عذابا فائدة الناس يكونون في الموقف على
حالتهم التي ماتوا عليها ثم يدخل المؤمنون الجنة جردا مردا ابناء ثلاثة وثلاثين
سنة طول كل واحد منهم ستون ذراعا وعرضه سبعة اذرع ثم لا يزيدون ولا ينقصون
واما اجسام الكفار فمختلفة المقادير حتى ورد ان ضرس الكافر في النار مثل احد وفخذه
مثل ورقان وهما جبلان بالمدينة كما في شرح المصنف ايماننا بحوض خير الرسل
حتم اي تصديقنا بالحوض الذي يعطاه في الآخرة افضل المرسلين وهو
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واجب لكن لا يكفر من انكره وانما يفسق وقد نفته
المعتزلة ولذلك اشار للنص للرد عليهم بما ذكر وهو جسم مخصوص كبير متسع
الجوانب يكون على الأرض المبدلة وهي الارض البيضاء كالفضة من شرب منه لا
يظمأ ابدا ترده هذه الأمة وقد ورد ان لكل نبي حوضا ترده امته فعن الحسن
مرفوعا ان لكل نبي حوضا وهو قائم على حوضه وبيده عصا يدعو من عرف
من امته الا وانهم يتباهون ايهم اكثر تبعا واني لأرجو ان اكون اكثرهم تبعا

وفي

وفي اثر ان حوضه صلى الله عليه وسلم اعرض الحياض واكثرها واردا وتخصيص
حوض نبينا بالذكر لوروده بالاحاديث البالغة مبلغ التواتر بخلاف غيره
لوروده بالآحاد وقوله كما قد جاءنا في النقل اي النص الذي قد ورد الينا
في المنقول عنه صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو
ابن العاص رضي الله عنهما حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه ابيض
من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه اكثر من نجوم السماء من شرب
منه فلا يظمأ ابدا وقد ورد تحديده بجهات مختلفة ففي رواية لأحمد ان
الحوض كما بين عدن وعمان وذلك نحو شهر وفي رواية للصحيحين ما بين
صنعاء والمدينة وذلك نحو شهرين وفي رواية ما بين مكة وايلة وذلك
نحو شهر كالاولى وفي رواية لابن ماجه ما بين المدينة الى بيت المقدس
وهو كالذي قبله فقد تحدث المصطفى بحديث الحوض مرات وذكر فيه
تلك الألفاظ المختلفة فكان يخاطب كل قوم بالجهة التي كانوا يعرفونها ولا
تنافي من حيث تقدير المسافة بنحو شهر في بعض الروايات وبنحو شهرين
في بعض آخر لأن الله سبحانه وتعالى تفضل عليه باتساعه شيئا فشيئا فأخبر
صلى الله عليه وسلم بالمسافة القصيرة اولا ثم اخبر بالمسافة الطويلة
والاعتماد على ما يدل على اطولها مسافة كما اشار اليه النووي وفيما اوحى
الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام من صفة نبينا صلى الله عليه وسلم
له حوض ابعد من مكة الى مطلع الشمس فيه آنية مثل عدد نجوم السماء
وله لون كل شراب الجنة وطعم كل ثمارها وقوله في هذه الرواية مثل عدد نجوم
السماء لا ينافي قوله في الرواية السابقة اكثر من نجوم السماء لاحتمال انه اخبر
اولا بانها مثل ثم اخبر ثانيا بانها اكثر ومعنى كونه له لون كل شراب الجنة ان
بعضه لونه احمر وبعضه لونه ابيض وهكذا فلا يرد ان فيه الجمع بين الأضداد
وهو ممتنع ومعنى كونه له طعم كل ثمارها ان له طعم الخوخ والموز والمشمش
وغيرها فمن يشرب منه يجد طعم ثمار الجنة واختلف في محله فقيل قبل
الصراط وهو قول الجمهور وصححه بعضهم لأن الناس يخرجون من قبورهم
عطاشا فيردون الحوض للشرب منه وقيل بعده وصححه بعضهم لأنه ينصب
فيه الماء من الكوثر وهو النهر الذي في داخل الجنة فيكون الحوض بعد الصراط
بجانب الجنة ولو كان قبله لحالت النار بينه وبين الماء الذي ينصب فيه من
الكوثر واورد عليه ان الحوض اذا كان عند الجنة لم يحتج للشرب منه اجيب

بأنهم يحبسون هناك لأجل المظالم التى بينهم حتى ينجا للوا منها وهو المسمى بموقف القصاص وقيل له صلى الله عليه وسلم حوضان حوض قبله وحوض بعده وصححه القرطبى وهذا كله لا يجب اعتقاده وانما يجب اعتقاد انه صلى الله عليه وسلم له حوض ولا يضر الجهل بكونه قبل الصراط او بعده

ينال شربا منه اقوام اى يتعاطى الشرب من ذلك اقوام والمراد بهم ما يشمل الذكور والاناث واحوالهم فى الشرب مختلفة فمنهم من يشرب لدفع العطش ومنهم من يشرب للتلذذ ومنهم من يشرب لتعجيل المسرة واطفال المسلمين ذكورهم واناثهم حول الحوض وعليهم اقبية الديباج ومناديل من نور وبايديهم اباريق الفضة واقداح الذهب يسقون اباءهم وامهاتهم الا من سخط فى فقدهم فلا يؤذن لهم ان يسقوه وقوله وفوا بعهدهم وصف لاقوام اى وفوا الله بعهدهم وهو الميثاق الذى اخذه عليهم حين اخرجهم من ظهر آدم عليه السلام واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى اى انت ربنا واول من قال بلى النبى صلى الله عليه وسلم ومعنى وفائهم بعهدهم انهم لم يغيروه ولم يبدلوه حتى ماتوا وهذا الوصف وان شمل جميع مؤمنى الامم السابقة لكنه خلاف ظاهر الاحاديث من انه لا يرده الا مؤمنو هذه الامة لان كل امة انما ترد حوض نبيها

وقل يذاد من طغوا اى وقل قولا باطنيا وهو الاعتقاد يطرد عنه اقوام ظلموا انفسهم بان غيروا وبدلوا عهدهم الذى اخذه الله عليهم فالمرتد من المطرودين ومن احدث فى الدين ما لا يرضاه الله تعالى ومن خالف جماعة المسلمين فى الضلالة كالخوارج والروافض والمعتزلة على اختلاف فرقهم والظلمة الجائرون والمعلن بالكبائر المستخف بالمعاصى واهل الزيغ والبدع لكن المبدل بالارتداد مخلد فى النار والمبدل بالمعاصى فى المشيئة فان شاء الله عفا عنه وان شاء عاقبه وظاهر ذلك ان جميع من ذكر لا يشرب منه ابدا والذى عليه المحققون ان المطرودين عن الحوض قسمان قسم يطرد حرمانا وهم الكفار فلا يشربون منه ابدا وقسم يطرد عقوبة ثم يشرب وهم عصاة المؤمنين فيشربون قبل دخولهم النار على الصحيح

وواجب شفاعة المشفع اى وواجب سمعا عند اهل الحق شفاعة المشفع بفتح الفاء وهو الذى تقبل شفاعته واما بكسرها فهو الذى يقبل شفاعة غيره والشفاعة لغة الوسيلة والطلب وعرفا سؤال الخير من الغير للغير وشفاعة المولى عبارة عن عفوه فانه تعالى يشفع فيمن قال لا اله الا الله

ونال شربا منه اقوام وفوا ... بعهدهم وقل يذاد من طغوا

وواجب شفاعة المشفع ... محمد مقدما لا تمنع

واثبت الرسالة للرسول الذى ارسل اليه ولم يعمل خيرا قط لتفضل الله تعالى عليه بعدم دخوله النار بلا شفاعة احد وقوله محمد بدل من المشفع دفع به ابهامه وقوله مقدما اى حال كونه مقدما على غيره من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين فهو الذى يفتح باب الشفاعة لغيره كما قاله ابن العربى وفى الصحيحين انا اول شافع واول مشفع وفى كلام المص اشارة الى واجبات ثلاثة فالاول كونه صلى الله عليه وسلم شافعا والثانى كونه مشفعا اى مقبول الشفاعة والثالث كونه مقدما على غيره من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين فانه حين يشتد الهول ويتمنى الناس الانصراف ولو للنار يلهمون ان الانبياء هم الواسطة بين الله وخلقه فيذهبون الى آدم فيقولون له انت ابو البشر اشفع لنا فيقول لست لها لست لها نفسى نفسى لا اسأل اليوم غيرها ويعتذر بالاكل من الشجرة فيذهبون الى نوح ويسألونه الشفاعة فيعتذر لهم وهكذا وبين كل نبى ونبى الف سنة فلما يذهبون الى سيدنا محمد ويسألونه الشفاعة فيقول انا لها انا لها امتى امتى فيسجد تحت العرش فينادى من قبل الله محمد ارفع رأسك واشفع تشفع فيرفع رأسه ويشفع فى فصل القضا وحينئذ يفتح باب الشفاعة لغيره وهذه هى الشفاعة العظمى وهى مختصة به قطعا وهى اول المقام المحمود المذكور فى قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اى يحمدك فيه الاولون والآخرون وآخره استقرار اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار وله صلى الله عليه وسلم شفاعات اخر منها شفاعته فى ادخال قوم الجنة بغير حساب ومنها شفاعته فى عدم دخول النار لقوم استحقوا دخولها ومنها شفاعته فى اخراج الموحدين من النار ومنها شفاعته فى زيادة الدرجات فى الجنة لاهلها ومنها غير ذلك كما ذكره السيوطى وغيره

لا تمنع اى لا تعتقد امتناع شفاعته صلى الله عليه وسلم فى اهل الكبائر وغيرهم لا قبل دخولهم النار ولا بعده وقصد المص بذلك الرد على المعتزلة ومن وافقهم فى انكارهم شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن استحق النار ان لا يدخلها وفيمن دخلها ان يخرج منها واما الشفاعة العظمى فلا ينكرونها وكذا الشفاعة فى زيادة الدرجات وحديث لا تنال شفاعتى اهل الكبائر من امتى موضوع باتفاق وبتقدير صحته فهو محمول على من ارتد منهم

وغيره من مرتضى الاخيار يشفع بسكون العين للوزن اى وغيره صلى الله

وغيره من مرتضى الاخيار ... يشفع كما قد جاء فى الاخبار

عليه وسلم ممن ارتضاه الله من الأخيار كالأنبياء والمرسلين والملئكة والصحابة
والشهداء والعلماء العاملين والأولياء يشفع في ارباب الكبائر على قدر
مقامه عند الله تعالى وشفاعة الملائكة على الترتيب فأولهم في الشفاعة
جبريل وآخرهم فيها التسعة عشر التي على النار وقوله كما قد جاء في الأخبار
اى للنص الذى قد جاء في الاخبار الدالة على ذلك كما اجمع عليه اهل السنة
ولا يشفع احد ممن ذكر الا بعد انتهاء مدة المؤاخذة فإن قيل لا فائدة في
الشفاعة حينئذ اجيب بأن فائدتها اظهار مزية الشافع على غيره على انه
لولا الشفاعة لجوزنا البقاء وعدمه بحسب الظاهر لنا وبالجملة فذلك من
باب القضاء المعلق اذ جائز غفران غير الكفر هذا تعليل للشفاعة
فكأنه قال لأنه يجوز عقلا وسمعا غفران غير الكفر من الذنوب بلا شفاعة
فبالشفاعة اولى واما غفران الكفر فهو وان جاز عقلا ممتنع سمعا قال
تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وعلم مما
تقرر ان المراد بالجواز في كلام المص الجواز العقلى والسمعى معا ولذلك
قيد بغير الكفر لان غفران الكفر ممتنع سمعا وان جاز عقلا والحكمة
في غفران الذنوب دون الكفر انها لا ينفك عن خوف عقاب ورجاء عفو
ورحمة بخلاف الكفر وذلك ان صاحب الذنوب المسلم يعتقد نقص نفسه
فيخاف العقاب ويرجو العفو والرحمة بخلاف صاحب الكفر فانه لا يعتقد نقص نفسه فلا يخاف
العقاب ولا يرجو العفو والرحمة ولا يخفى ان هذا التعليل الذى ذكره المص فيه قصور لان الشفاعة
شاملة للشفاعة في فصل القضاء والشفاعة في غفران الذنوب وهذا التعليل خاص بالشفاعة في غفران
الذنوب فتأمله فلا نكفر مؤمنا بالوزر مفرع على ما ذكر اى فلا نكفر بالنون
اى معاشر اهل السنة او بالتاء اى ايها المخاطب احدا من المومنين بارتكاب
الذنوب صغيرة كان الذنب او كبيرة عالما كان مرتكبه او جاهلا بشرط
ان لا يكون ذلك الذنب من المكفرات كانكار علمه تعالى بالجزئيات والا
كفر مرتكبه قطعا وبشرط ان لا يكون مستحلا له وهو معلوم من الدين بالضرورة
كالزنا والا كفر باستحلاله لذلك وخالفت الخوارج فكفروا مرتكب الذنوب
وجعلوا جميع الذنوب كبائر كما سيأتى ولم يكفروا بتكفير مرتكب الذنوب
مع ان من كفر مؤمنا كفر لأنهم قالوا ذلك بتأويل واجتهاد واما المعتزلة فأخرجوا
مرتكب الكبيرة من الايمان ولم يدخلوه في الكفر الا باستحلال فجعلوه منزلة
بين المنزلتين فمرتكب الكبيرة مخلد عند الفريقين في النار ويعذب عند الخوارج

عذاب

اذ جائز غفران غير الكفر
فلا نكفر مؤمنا بالوزر

عذاب الكفار وعند المعتزلة عذاب الفساق ومن اسم شرط جازم مبتداء
ويمت فعل الشرط مجزوم بالسكون وجملة فعل الشرط في محل رفع على الراجح
ولم يتب من ذنبه جملة حالية مرتبطة بالواو وجملة فأمره مفوض لربه في
محل جزم جواب الشرط اى ومن يمت بعد ان ارتكب ذنبا من الكبائر غير المكفرة
بلا استحلال والحال انه لم يتب من ذنبه الى الله تعالى فأمره وشأنه مفوض
وموكول الى ربه فلا نقطع بالعفو عنه لئلا تكون الذنوب في حكم المباحة
ولا بالعقوبة لأنه تعالى يجوز عليه ان يغفر ما عدا الكفر وعلى تقدير وقوع
العقاب نقطع له بعدم الخلود في النار كما اشار اليه بقوله الآتى ثم الخلود
مجتنب وهذا هو مذهب اهل الحق واستدلوا عليه بالآيات والأحاديث
الدالة على ان المؤمنين يدخلون الجنة البتة كقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره وقوله عليه الصلاة والسلام من قال لا اله الا الله دخل الجنة
ولا يصح ان يدخل الجنة ثم يدخل النار لان من يدخل الجنة لا يخرج منها قال
تعالى وما هم منها بمخرجين فتعين ان يكون دخوله الجنة بدون دخول النار
بالمرة وهذا هو العفو عن النار او بعد دخول النار بقدر ذنبه وهذا هو عدم
الخلود في النار وواجب تعذيب بعض ارتكب كبيرة واجب خبر مقدم
وتعذيب مبتدا مؤخر اى وتعذيب بعض غير معين من عصاة هذه الأمة
ارتكب كبيرة من غير تأويل يعذر به ومات بلا توبة واجب اى ثابت وواقع
شرعا بخلاف من ارتكب صغيرة او ارتكب كبيرة بتأويل كما يقع من البغاة المتأولين
او ارتكبها من غير تأويل لكن مات بعد التوبة وهل المراد بهذه الأمة امة
الدعوة فيشمل الكفار فيجوز ان يكون البعض المعذب على الكبائر غير الكفر
بعض الكفار وعلى هذا يجوز طلب المغفرة لجميع المسلمين او امة الاجابة فلا يشمل
الكفار فلا يجوز ان يكون البعض المعذب على الكبائر بعض الكفار بل لابد ان
يكون من المسلمين قولان جرى الشيخ عبد السلام على الأول والمعتمد الثاني
والمراد بالبعض المذكور طائفة ولو واحدا من كل صنف من العصاة كالزناة
وقتلة الأنفس وشربة الخمر وهكذا فلابد من نفوذ الوعيد في طائفة من كل
صنف ولو واحدا لكن هذه المسئلة مبنية على طريقة الماتريدية من انه
لا يجوز تخلف الوعيد واما على طريقة الأشاعرة من انه يجوز تخلف الوعيد
لأنه على تقدير المشيئة كما هو عادة الكريم فانه اذا قال اذا فعل زيد كذا اعاقبه
كان المراد اعاقبه ان شئت فلا يجب تعذيب بعض العصاة لجواز تخلف الوعيد

ومن يمت ولم يتب من ذنبه
فأمره مفوض لربه
وواجب تعذيب بعض ارتكب
كبيرة ثم الخلود مجتنب

وصف شهيد الحرب بالحياة
ورزقه من مشتهى الجنات

نعم قد ورد تعذيب بعض الموحدين والشفاعة فيهم لكن لا يعم الانواع كلها
ثم الخلود مجتنب اى ثم خلود من اراد الله تعذيبه من عصاة المومنين
مجتنب وقوعه فلا نقول به والحاصل ان الناس على قسمين مومن وكافر
فالكافر مخلد فى النار اجماعاً والمؤمن على قسمين طائع وعاص فالطائع
فى الجنة اجماعاً والعاصى على قسمين تائب وغير تائب فالتائب فى الجنة اجماعا
وغير التائب فى المشيئة وعلى تقدير عذابه لا يخلد فى النار وصف
شهيد الحرب بالحياة اى اعتقد وجوبا اتصاف شهيد الحرب بالحياة الكاملة
وان كانت كيفيتها غير معلومة لنا والموتى وان كانوا كلهم احيا لاتصال
ارواحهم باجسامهم لكن الشهداء اكمل حياة من غيرهم والانبياء اكمل
حياة من الشهداء وهى ثابتة للذات والروح جميعاً فهى حياة حقيقية
ولا يلزم من كونها حقيقية ان تكون الابدان معها كما كانت فى الدنيا من
الاحتياج للطعام والشراب وغيرهما من صفات الاجسام التى تشاهد
فى الدنيا بل يكون لها حكم آخر فاكلهم وشربهم للتلذذ لا للاحتياج فان
قيل كيف تعقل حياتهم مع ما ورد من ان ارواحهم فى حواصل طيور خضر
اجيب بان ارواحهم متصلة باجسامهم اتصالاً قوياً وان كان مقرها
حواصل الطيور على انها امور خارقة للعادة فلا يقاس عليها غيرها وقوله
ورزقه بفتح الراء مصدر مضاف لمفعوله بعد حذف الفاعل اى رزق الله
اياه اى شهيد الحرب وقوله من مشتهى الجنات اى من محبوب نعيم الجنات من
مأكول ومشروب وملبوس وغيرها قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى
سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ولا يرد على كونهم مرزوقين
متنعمين ما ورد من ان ارواحهم فى حواصل طيور خضر كما مر مع ان فى هذا
ضرراً عليهم وحبساً لهم لان اجواف الطيور شفافة لا تحجبها فلا تتضرر
بها او انه كناية عن سرعة قطع المسافة البعيدة كالطير والمراد بشهيد الحرب
شهيد الدنيا والآخرة وهو الذى قاتل لاعلاء كلمة الله تعالى بخلاف شهيد
الدنيا وهو الذى قاتل لاجل الغنيمة فانه ليس له الثواب الكامل وان جرت
عليه احكام الشهداء فى الدنيا واما شهيد الآخرة فقط كالمطعون والمبطون
ونحوهما فهو كالاول فى الثواب لكنه دونه فى الحياة والرزق ولا تجرى عليه
احكام الشهداء فى الدنيا فانه يغسل ويصلى عليه فظهر ان الشهداء ثلاثة
شهيد الدنيا والآخرة وشهيد الدنيا فقط وشهيد الآخرة فقط والاول هو

المراد

والرزق عند القوم ما به انتفع
وقيل لا بل ما ملك وما اتبع

المراد هنا خلافاً لما وقع فى كلام الشارح فى آخر عبارته من ان المراد الاولان
فانه خلاف ما صرح به اولا من التخصيص بالاول وهو الموافق للنصوص وسمى
شهيداً لان الله وملئكته يشهدون له بالجنة فهو فعيل بمعنى مفعول ولان
روحه شهدت دار السلام فهو ايضاً فعيل بمعنى فاعل بخلاف غيره فانه
لا يشهدها الا يوم القيامة واستشكل بان ارواح المسلمين تدخل الجنة
الآن كما دلت عليه الاحاديث واجيب بان غير الشهيد وان دخلت روحه الجنة
لا يكون كالشهيد فى الحياة والرزق بل لا يأكل فيها ولا يتمتع كما قاله النسفى
والرزق عند القوم ما به انتفع اى والرزق بكسر الراء بمعنى الشئ المرزوق عند اهل
السنة ما ساقه الله الى الحيوان فانتفع به الحيوان بالفعل فلا يرد قوله تعالى
ومما رزقناهم ينفقون فانه يقتضى انه لا يعتبر فى الرزق الانتفاع بالفعل
لان المراد به المعنى اللغوى فالمعنى ومما اعطيناهم ينفقون او المراد به ما هيئ
لكونه رزقا ودخل فى الرزق على هذا التعريف رزق الانسان والدواب
وغيرهما وشمل المأكول وغيره مما انتفع به وخرج ما لم ينتفع به بالفعل فمن ملك
شيئا وتمكن من الانتفاع به ولم ينتفع به بالفعل فليس ذلك الشئ رزقا له وانما
يكون رزقا لمن ينتفع به بالفعل وبهذا ظهر قول اكابر اهل السنة ان كل احد
يستوفى رزقه وانه لا يأكل احد رزق غيره ولا يأكل غيره رزقه وفى الخبر عن
ابن مسعود مرفوعاً ان روح القدس نفث فى روعى لن تموت نفس حتى تستكمل
رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب ولا يحملن احدكم استبطاء الرزق ان
يطلبه بمعصية الله فان الله تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته اى ان جبريل
القى فى قلبى لن تموت نفس الخ فائدة الارزاق نوعان ظاهرة للابدان
كالاقوات وباطنة للقلوب كالعلوم والمعارف وقوله وقيل لا بل ما ملك
اى وقال جماعة من المعتزلة ليس الرزق ما انتفع به بل هو ما ملك فلا يعتبر فيه
الانتفاع ويعتبر فيه المملوكية انتفع به ام لا ويلزم على هذا ان الشخص قد لا
يستوفى رزقه وانه قد يأكل رزق غيره ويأكل غيره رزقه وقوله وما اتبع
اى ولم يتبع هذا القول ائمتنا لفساده طرداً وهو التلازم فى الثبوت
وعكساً وهو التلازم فى النفى اما الاول فلان الله تعالى مالك لجميع الاشياء
ولا يسمى ملكه رزقا اتفاقا والا لكان الله تعالى مرزوقا واما الثانى فلخروج
رزق الدواب والعبيد والاماء عند بعض الائمة كالامام الشافعى رضى الله
تعالى عنه فانه يقول لا ملك للعبيد والاماء اصلا وقال الامام مالك يملكون

ملكا غير تام فيرزق الله الحلال مفرع على مذهب اهل السنة والحلال
ماكان مباحاً بنص او اجماع او قياس جلي ولا ينبغي اليوم ان يسأل عن اصل
الشئ لأن الحلال ما جهل اصله والأصول قد فسدت واستحكم فسادها
فأخذ الشئ على ظاهر الشرع اولى من السؤال عن شئ يتبين تحريمه قال القزويني
ومن قال ان الحلال ليس بموجود فقد طعن في الشريعة وهو احمق حصل له
ذلك من جهله فان الله لم يكلف الخلق عين الحلال في علم الله تعالى بل كلفهم
ان يصيبوا الحلال في اعتقادهم وظنهم وقوله فاعلما بنون التوكيد الخفيفة
المنقلبة الفا وكان حقه التأخير عن قوله ويرزق المكروه والمحرما لكنه قدمه
للضرورة ونبه به على انه تعالى يرزق كل احد من الاقسام الثلاثة اجتماعا
وانفرادا كذا قال الش تبعا لوالده وفيه خفا لأن ذلك لا يشعر به قوله فاعلما
وانما يستفاد ذلك من ذكره الاقسام الثلاثة مع جعل الواو بمعنى او التي
لمنع الخلو وقوله ويرزق المكروه والمحرما فالأول ما نهى عنه نهيا غير اكيد
كما في خبر ابن عمر وهو انه صلى الله عليه وسلم نهى عن اكل الجلالة وشرب
لبنها حتى تعلف اربعين يوما والثاني ما نهى عنه نهيا اكيدا ورد المص بذلك
على المعتزلة القائلين بأن الحرام لا يكون رزقا بناء على التحسين والتقبيح
العقليين في الاكتساب والتوكل اختلف اي في فضلية الاكتساب
وافضلية التوكل اختلف العلماء فالخلاف انما هو في الأفضلية فرجح قوم
الاكتساب وهو مباشرة الأسباب بالاختيار كالبيع والشرا لأجل الربح
ومثله تعاطي الدوا لأجل الصحة ونحو ذلك وانما رجحوه لما فيه من كف النفس
عن التطلع لما في ايدي الناس ومنعها من الخضوع لهم والتذلل بين ايديهم
مع حيازة منصب التوسعة على عباد الله ومواساة المحتاجين وصلة الأرحام
بتوفيق الله تعالى ورجح قوم التوكل وهو الاعتماد عليه تعالى وقطع النظر
عن الأسباب مع التمكن منها وانما رجحوه لما فيه من ترك ما يشغل عن الله
تعالى والاتصاف بالرغبة الى الله تعالى والوثوق بما عنده مع حيازة مقام
السلامة من فتنة المال او المحاسبة عليه وقد اخرج القضاعي من انقطع الى
الله تعالى كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا
وكله الله اليها قال سليمان الخواص لو ان رجلا توكل على الله بصدق النية لاحتاج
اليه الأمراء ومن دونهم وكيف يحتاج هو الى احد ومولاه هو الغني الحميد
وفي شرح المص ترجيح تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقوله والراجح

التفصيل

التفصيل حسبما عرف اي والراجح القول بالتفصيل حسب ما عرف من كتب
القوم كالاحيا للغزالي والرسالة للقشيري وحاصل التفصيل انهما
يختلفان باختلاف احوال الناس فمن يصبر عند ضيق معيشته بحيث لا يتسخط
ولا يتطلع لسؤال احد فالتوكل في حقه ارجح لما فيه من مجاهدة النفس على ترك
شهواتها ولذاتها والصبر على شدتها ومن لم يكن كذلك فالاكتساب في حقه
ارجح حذرا من التسخط وعدم الصبر بل ربما وجب الاكتساب في حقه وهذا
كله انما يتمشى على ان التوكل ينافي الكسب كما هو طريقة ابي جعفر الطبري
ومن وافقه بخلافه على طريقة الجمهور وهو ان التوكل لا ينافي الكسب فقد
يكون متوكلا وهو يكتسب لأن حقيقة التوكل على هذه الطريقة الثقة
بالله تعالى والاعتماد عليه واعتقاد ان الأمر منه واليه ولو كان مع مباشرة
الاسباب كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم فائدة قال الغزالي اخذ
الزاد في السفر بنية عون مسلم افضل والأفضل تركه لمنفرد قوي القلب
يشغله الزاد عن عبادة الله وقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم واصحابه
والسلف الصالح يحملون الزاد بنيات الخير لا لميل قلوبهم الى الزاد عن الله
والمعتبر القصد فكم حامل زاد وقلبه مع الله وكم تارك زاد وقلبه مع الزاد
والدخول في البوادي بلا زاد بدعة لم تنقل عن احد من السلف لأنه مخاطرة
بالروح وقد قال تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وعندنا الشئ
هو الموجود اي وعندنا معاشر اهل الحق من الأشاعرة وغيرهم الشئ هو
الموجود فان الأمر باعتبار تحققه في نفسه يقال له شئ وباعتبار تحققه
في الخارج يقال له موجود فهما متساويان صدقا فكل ما صدق عليه
الشئ صدق عليه الموجود وبالعكس فكل شئ موجود وكل موجود شئ
والمعدوم ليس بشئ سواء كان ممكنا او ممتنعا لأن الأمور قبل وجودها لا
ثبوت لها في نفس الامر خلافا للمعتزلة فالمعدوم عندهم شئ لأن الأشياء
قبل وجودها ثابتة في نفسها الا انها مستترة كاستتار الثوب في الصندوق
ولذلك يقولون ان الحقائق ليست بجعل جاعل لم تتعلق القدرة الا بظهورها
لا ستتارها قبل ذلك واما اهل السنة فيقولون انها بجعل جاعل تعلقت
القدرة بوجودها لعدم ثبوتها قبل ذلك وهذا كله انما هو في الشئ اصطلاحا
واما لغة فالشئ هو الامر مطلقا موجودا او معدوما وقوله وثابت في الخارج
الموجود جملة من مبتدا وخبر فثابت في الخارج خبر مقدم والموجود مبتدا مؤخر

يعني ان الثابت في الخارج بحيث تصح رؤيته هو الموجود وغرضه بذلك الرد
على السوفسطائية الذين ينكرون حقائق الأشياء ويزعمون انها خيالات ولذلك
قال في اول العقائد حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها محقق خلافا للسوفسطائية
وقد حكي ان سوفسطائيا اتى على بغلة الى الامام ابي حنيفة ليناظره فأمر الامام
بعض تلامذته ان يذهب بالبغلة فلما خرج السوفسطائي لم يجدها فطلبها
فقال له الامام انت تزعم انه لم يكن لبغلتك حقيقة فلا تطلبها فرجع عن
معتقده وردت اليه بغلته   وجود شئ عينه اي ان وجود شئ من
الموجودات عين حقيقته كما قاله الأشعري ومن تبعه وقال الامام الرازي
وجود الشئ ليس عين حقيقته وفسره بأنه الحال الثابتة للذات ما دامت
الذات وهذه الحال غير معللة بعلة ثم ان بعضهم ابقى عبارة الأشعري على
ظاهرها وجعل في عد الوجود صفة تسامحا واولها المحققون كالسعد بأن
المراد ان وجود الشئ ليس زائدا في الخارج يرى كالقدرة والارادة فلا ينافي
انه امر اعتباري وهو ثبوت الشئ وهذا هو التحقيق وان كان ظاهر عبارة
المص يفيد ان الوجود عين الموجود حقيقة كما هو ظاهر عبارة الأشعري وقد
تقدم توضيح ذلك   والجوهر الفرد حادث بسكون المثلثة لضرورة
الوزن اي والجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتجزى بحيث لا يقبل القسمة
اصلا لا قطعا ولا كسرا ولا وهما ولا فرضا مطابقا للواقع والا فقد يفرض
العقل المحال ومعنى كونه حادثا انه مسبوق بالعدم لأنه لا معنى للحادث
الا ما كان مسبوقا بالعدم وجميع الاجسام متركبة منه فهي حادثة والعالم
بجميع اجزائه حادث وهذا مذهب المسلمين وقالت الفلاسفة جميع الأجسام
متركبة من الهيولى اي المادة كالطين بالنسبة للابريق ومن الصورة وهي
عندهم جوهر حال في غيره كالابريقية الحالة في الطين واما عندنا فهي
عرض لا جوهر وقوله عندنا اي معاشر المسلمين لا ينكر ثبوته وتقرره في الوجود
لأن الله تعالى قادر على تفريق الاجسام بحيث لا يبقى جزء على جزء وغرضه
بذلك الرد على الفلاسفة المنكرين للجوهر الفرد ويترتب على الخلاف في ثبوته
وعدمه القول بحدوث العالم وقدمه واذا علمت ذلك علمت ان هذه المسألة
ينبغي معرفتها والاعتناء بها فتفطن   ثم الذنوب عندنا قسمان
اي ثم الذنوب عند جمهور اهل السنة قسمان صغائر وكبائر كما سيذكره
خلافا للمرجئة حيث ذهبوا الى انها كلها صغائر ولا تضر مرتكبها ما دام
على

وجود شئ عينه والجوهر الفرد حادث عندنا لا ينكر ثبوته

ثم الذنوب عندنا قسمان صغائر وكبائر

على الاسلام ولذلك قال شاعرهم   مت مسلما ومن الذنوب فلا تخف
حاشا المهيمن ان يرى تنكيدا   لو رام ان يصليك نار جهنم   ما كان ألهم
قلبك التوحيدا   وخلافا للخوارج حيث ذهبوا الى انها كلها كبائر وان كل
كبيرة كفر وخلافا لمن ذهب الى انها كلها كبائر نظرا لعظمة من عصي بها
ولكن لا يكفر مرتكبها الا بما هو كفر منها كالسجود لصنم ورمي مصحف في قاذورة
ونحو ذلك وقوله صغيرة كبيرة بدل من قوله قسمان للتفصيل وفيه حذف
العاطف والأصل صغيرة وكبيرة وليست الكبيرة منحصرة في عدد وهي
كما قال ابن الصلاح كل ذنب كبر كبرا يصح معه ان يطلق عليه اسم الكبيرة
ولها امارات منها ايجاب الحد ومنها الايعاد عليها بالعقاب ومنها وصف فاعلها
بالفسق ومنها اللعن كلعن الله السارق واكبرها الشرك بالله ثم قتل النفس
التي حرم الله قتلها الا بالحق وما سوى هذين منها كالزنا واللواط وعقوق
الوالدين والسحر والقذف والفرار يوم الزحف واكل الربو وغير ذلك فيختلف
امره باختلاف الاحوال والمفاسد المترتبة عليه فيقال لكل واحدة منه هي
من اكبر الكبائر وان جاء في موضع انها اكبر الكبائر كان المراد منه انها من اكبر
الكبائر كما قاله النووي ومن اكبر الكبائر الكذب على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بل قال الشيخ ابو محمد الجويني ان من تعمد الكذب عليه صلى الله عليه
وسلم كفر كفرا يخرجه عن الملة وتبعه على ذلك طائفة وهو ضعيف وكل ما
خرج عن حد الكبيرة وضابطها فهو صغيرة وقد تعطى حكم الكبيرة لانها
تنقلب كبيرة كما قاله ابن حجر في شرح الأربعين النووية وان وقع في عبارة
بعضهم انها تنقلب كبيرة بالاصرار عليها وهو معاودة الذنب مع نية العود
اليه بعد الفعل فان عاوده من غير نية العود لم يكن اصرارا على الاصح وقال
بعضهم هو تكرير الذنب سواء عزم على العود او لا او بالتهاون بها وهو الاستخفاف
وعدم المبالاة بها وبالفرح والافتخار وصدورها من عالم يقتدى به فيها
فالثاني منه المتاب واجب في الحال اي اذا علمت ان الذنوب قسمان
صغائر وكبائر فاعلم ان الثاني وهو الكبائر منه المتاب واجب عينا في حال
التلبس بالمعصية فورا فان اخرها ذنب آخر لكنه ذنب واحد ولو تراخى
لكنه يتفاوت في الكيف باعتبار طول الزمان وقصره خلافا للمعتزلة القائلين
بتعدده بتعدد الزمان حتى لو اخرها لحظة بعد لحظة الذنب فاربعة ذنوب
الذنب الأول وتأخير توبته في اللحظة الأولى وتأخير التوبة من هذين في الثانية

فالثاني منه المتاب واجب في الحال

وان أُخر لحظة اخرى فثمانية وهكذا وانما اقتصر المص على الثانى لأنه الأهم
والا فالأول وهو الصغائر كذلك وعبارة النووى واتفقوا على ان التوبة من
جميع المعاصى واجبة على الفور ولا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة
او كبيرة انتهت والمراد بالمتاب التوبة فهو مصدر ميمى بمعنى التوبة وهى لغة
مطلق الرجوع وشرعا ما استجمع ثلاثة اركان الإقلاع من الذنب فلا يصح
توبة المكاس مثلا الا اذا اقلع عن المكس والندم على فعلها لوجه الله تعالى
فلا يصح توبة من لم يندم او ندم لغير وجه الله تعالى كأن ندم لأجل مصيبة
حصلت له والعزم على ان لا يعود الى مثلها ابدا فلا تصح توبة من لم يعزم على
عدم العود وهذا ان لم تتعلق المعصية بالآدمى فان تعلقت به فلها شرط رابع
وهو رد الظلامة الى صاحبها او تحصيل البراءة منه تفصيلا عندنا معاشر
الشافعية واما عند المالكية فيكفى تحصيل البراءة اجمالا وفيه فسحة فان لم
يقدر على ذلك بأن كان مستغرق الذمم فالمطلوب منه الاخلاص وكثرة التضرع
الى الله لعله يرضى عنه خصماه يوم القيامة ومن شروطها ايضا صدورها قبل
الغرغرة وهى حالة النزع وقبل طلوع الشمس من مغربها ففى حال الغرغرة لا
تقبل توبة ولا غيرها وكذلك اذا طلعت الشمس من مغربها فانه يغلق باب
التوبة ويسمع له دوى فتمتنع التوبة على من لم يكن تاب قبل ذلك ولا فرق
فى عدم صحة التوبة فى حال الغرغرة عند الأشاعرة بين الكافر والمؤمن العاصى
واما عند الماتريدية فلا تصح من الكافر فى حال الغرغرة وتصح من المؤمن ح
وبعضهم بعكس مذهب الماتريدية وعلى كل حال هو بعيد ولا خلاف فى وجوب
التوبة عينا وانما الخلاف فى دليل الوجوب فعندنا دليله سمعى كقوله تعالى
وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون وعند المعتزلة دليله عقلى لان العقل
يدرك حسنها وما ادرك العقل حسنه فهو واجب بناء على مذهبهم الفاسد
من ان الأحكام تابعة للتحسين والتقبيح العقليين ولا انتقاض ان
يعد فى الحال اى ولا انتقاض لتوبة التائب الشرعية ان يعد للحال التى كان
عليها من التلبس بالذنب فلا يعود الذنب الذى تاب منه بعوده له خلافا
للمعتزلة فى قولهم بانتقاض التوبة بعوده للذنب فيعود ذنبه الذى تاب
منه بعوده له لأن من شروط التوبة عندهم ان لا يعاود الذنب بعد التوبة
وعند الصوفية معاودة الذنب بعد التوبة اقبح من سبعين ذنبا بلا توبة
وقوله لكن يجدد توبة لما اقترف بسكون الدال لأنه جزاء اى لكن يجب عليه

بتجديد

تجديد التوبة للذنب الذى ارتكبه ثانيا فلا يضر الا الاصرار على المعاصى
بخلاف ما اذا كان كلما وقع فى معصية تاب منها قال الله تعالى ان الله يحب
التوابين وهم الذين كلما اذنبوا تابوا وفى الحديث التائب من الذنب
كمن لا ذنب له وقوله وفى القبول رأيهم قد اختلف اى وفى قبول التوبة
رأى العلماء قد اختلف فقال امامنا ابو الحسن الأشعرى بأنها تقبل
قطعا بدليل قطعى كما يدل له قوله تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن
عباده والدعا بقبولها لعدم الوثوق بشروطها وقال امام الحرمين
والقاضى بأنها تقبل ظنا بدليل ظنى لكنه قريب من القطع اذ يحتمل
ان معنى قوله تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده انه يقبلها ان شاء
وهذا الخلاف فى غير توبة الكافر واما هى فمقبولة قطعا بدليل قطعى
اتفاقا لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وهل توبة الكافر نفس اسلامه او لابد مع ذلك من الندم على كفره فأوجبه
امام الحرمين وقال غيره يكفيه ايمانه لان كفره محى بايمانه وحفظ
الخ هذا شروع فى المسئلة المعروفة عند القوم بالكليات الخمس والست
وهو الموافق للمتن حيث جعل العرض مستقلا عن النسب فمن جعل العرض راجعا
للنسب عبر عنها بالكليات الخمس ومن جعله مستقلا عن النسب عبر عنها
بالكليات الست وانما سميت بالكليات لأنه يتفرع عليها احكام كثيرة
ولأنها وجبت فى كل ملة فلم تبح فى ملة من الملل فان قيل يرد عليه ان
شرب الخمر كان جائزا فى صدر الاسلام بوحى وتكرر النسخ له اجيب
بأن المراد ان المجموع لم يبح فى ملة من الملل وانه باعتبار ما استقر عليه امر
ملتنا واكد هذه الأمور الدين لأن حفظ غيره وسيلة لحفظه ثم
النفس لان قتل النفس يلى الكفر كما تقدم ثم النسب ثم العقل وبعضهم
قدم العقل على النسب والاول اولى لأن الزنا اشد تحريما من الخمر ثم المال
وفى مرتبته العرض ان لم يؤد الطعن فيه الى قطع النسب فان ادى الى ذلك
كأن قذف زوجته بالزنا ونفى ولدها عنه فهو فى مرتبة النسب ومنهم من
يقدم العرض على المال قال السنوسى والذى يظهر لو قيل بعكسه لأن العقوبة
المترتبة على اخذ الاموال كما فى السرقة وقطع الطريق اعظم من العقوبة
المترتبة على الخوض فى الاعراض كما فى القذف وقوله دين اى ما شرعه الله تعالى
لعباده من الاحكام والمراد بحفظه صيانته عن الكفر وانتهاك حرمة المحرمات

ووجوب الواجبات فانها الحرمة المحرمات ان يفعل المحرمات غير مبال بحرمتها وانتهاك وجوب الواجبات ان يترك الواجبات غير مبال بوجوبها ولحفظ الدين شرع القتال للكفار الحربيين وغيرهم كالمرتدين وقوله ثم نفس اى عاقلة ولو بحسب الشأن فيدخل الصغير والمجنون وتخرج البهيمة فيتصرف المتخصص فيها بالوجه الشرعى كالذبح وغيره ان كانت له فان كانت لغيره فهى داخلة فى المال ولحفظ النفس شرع القصاص فى النفس والطرف لأنه ربما ادى الى النفس وقوله مال يقرأ بسكون اللام وحذف الالف اى ومال فهو على حذف حرف العطف والمراد به كل ما يحل تملكه شرعا وان قل ولحفظه شرع حد السرقة وحد قطع الطريق وقوله نسب اى ونسب فهو على حذف حرف العطف ايضا والمراد الارتباط الذى يكون بين الوالد وولده ولحفظه شرع حد الزنا وقوله ومثلها عقل اى ومثل المذكورات عقل فى وجوب الحفظ ولحفظه شرع حد شرب الخمر والدية ممن اذهبه بجناية وقوله وعرض اى ومثلها عرض فى وجوب الحفظ وهو بكسر العين موضع المدح والذم من الانسان وهو وصف اعتبارى تقويه الافعال الحميدة وتزرى به الافعال القبيحة ولحفظه شرع حد القذف للعفيف والتعزير لغيره فيحد من قذف عفيفا ويعزر من قذف غير عفيف وقوله قد وجب اى حفظ الجميع وقد عرفت الآكد منها وانما لم يرتبها الناظم على ترتيبها فى الآكدية لضيق النظم ومن المعلوم ضرورة جحد من ديننا يقتل كفرا ليس حد من مبتدا والمعلوم معمول مقدم لجحد واللام زائدة لتقوية العامل فانه ضعف بالتأخير وضرورة منصوب بنزع الخافض اى بالضرورة او على التمييز اى من جهة الضرورة وجحد صلة من ومن ديننا متعلق بمعلوم وجملة يقتل خبر وكفرا منصوب على انه مفعول لأجله وليس حد معلوم مما قبله لكنه اتى به توضيحا والمعنى من جحد امرا معلوما من ادلة ديننا يشبه الضرورة بحيث يعرفه خواص المسلمين وعوامهم كوجوب الصلاة والصوم وحرمة الزنا والخمر ونحوها يقتل لأجل كفره لأن جحده لذلك مستلزم لتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم وليس قتله حدا وكفارة لذنبه كما فى سائر الحدود فانها كفارات للذنوب ومثل هذا من نفى لمجمع اى ومثل من جحد امرا معلوما من الدين بالضرورة من نفى حكما مجمعا عليه اجماعا قطعيا وهو ما اتفق المعتبرون على كونه اجماعا بخلاف الاجماع السكوتى فانه ظنى لا قطعى وظاهر كلام الناظم ان من نفى مجمعا عليه يكفر وان لم يكن معلوما من الدين بالضرورة كاستحقاق

بنت

ومن المعلوم ضرورة جحد من ديننا يقتل كفرا ليس حدا
ومثل هذا من نفى لمجمع او استباح كالزنا فلتسمع

بنت الابن السدس مع بنت الصلب وهو ضعيف وان جزم به الناظم والراجح انه لا يكفر من نفى المجمع عليه الا اذا كان معلوما من الدين بالضرورة او استباح كالزنا اى او اعتقد اباحة محرم مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة ولو صغيرة سواء كان تحريمه لعينه كالزنا وشرب الخمر او لعارض كصوم يوم العيد فان تحريمه لعارض وهو الاعراض عن ضيافة الله تعالى خلافا للماتريدية حيث قال من اعتقد حل محرم فان كان تحريمه لعينه كالزنا وشرب الخمر كفر والا فلا كما اذا استحل صوم يوم العيد ولا يخفى انه يلزم من استباحة المحرم المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة انه نفى مجمعا عليه فهو داخل فيما قبله فما ذكره المص صريحا الا تبعا للقوم وتنصيصا على اعيان المسائل وزيادة فى الايضاح وقوله فلتسمع تكملة وواجب نصب امام عدل واجب خبر مقدم ونصب مبتدا مؤخر اى ونصب امام عدل واجب على الأمة عند عدم النص من الله او رسوله على معين وعدم الاستخلاف من الامام السابق بخلافه عند النص من الله كما فى قوله تعالى يا داوود انا جعلناك خليفة فى الارض او من رسوله او الاستخلاف من الامام السابق كما وقع من ابى بكر فانه اوصى بالخلافة بعده لعمر رضى الله تعالى عنه ولا فرق فى وجوب نصب الامام بين زمن الفتنة وغيره كما هو مذهب اهل السنة واكثر المعتزلة وقيل يجب لتسكين الفتنة وقيل فى غيرها لأنه زمن الطاعة وقيل لا يجب اصلا والمراد بالعدل هنا عدل الشهادة ولا يتحقق الا بشروط خمسة الاسلام لان الكافر لا يراعى مصلحة المسلمين والبلوغ والعقل لأن الصبى والمجنون لا يليان امر نفسهما فلا يليان امر غيرهما والحرية لأن الرقيق مشغول بخدمة سيده ولأنه مستحقر فى اعين الناس لا يهاب ولا يمتثل امره وعدم الفسق لأن الفاسق لا يوثق به فى امره ونهيه والمراد بكونه عدلا ولو ظاهرا لأنه الذى كلفنا به فلا تشترط العدالة الباطنة ثم هذه الشروط انما هى فى الابتدا او حالة الاختيار واما فى الدوام فلا يشترط كما يعلم مما يأتى ولو تغلب عليها شخص قهرا انعقدت له وان لم يكن اهلا كصبى وامرأة وفاسق ويجب طاعته فيما امر به او نهى عنه كالمستوفى للشروط بالشرع فاعلم لا بحكم العقل اى ان وجوب نصب الامام بالشرع عند اهل السنة فاعلم ذلك ورد بقوله لا بحكم العقل على بعض المعتزلة كالجاحظ وغيره حيث

وواجب نصب امام عدل
بالشرع فاعلم لا بحكم العقل

ذهبوا الى ان ذلك بالعقل لا بالشرع بناء على قاعدتهم من التحسين والتقبيح العقليين
ومن الوجوه الدالة على وجوبه بالشرع ان الشارع امر باقامة الحدود وسد
الثغور وتجهيز الجيوش وذلك لا يتم الا بامام يرجعون اليه في امورهم
وقد اجمعت الصحابة عليه بعد مفارقته الدنيا صلى الله عليه وسلم واشتغلوا
به عن دفنه صلى الله عليه وسلم لانه توفي يوم الاثنين عند الزوال فمكث
ذلك اليوم وليلة الثلاثاء ودفن صلى الله عليه وسلم في آخر ليلة الاربعاء
وقال ابو بكر رضي الله عنه ولا بد لهذا الامر ممن يقوم به فانظروا وهاتوا
آراءكم رحمكم الله تعالى فقالوا من كل جانب صدقت صدقت ولم يقل احد
منهم لا حاجة بنا الى امام واجتمع المهاجرون يتشاورون في شأن الخلافة
فقالوا لابي بكر انطلق بنا الى اخواننا الانصار ندخلهم معنا في امر الخلافة
فقال الانصار منا امير ومنكم امير فقال عمر من ثبت له مثل هذه الفضائل
التي لابي بكر قال تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار وقال تعالى اذ يقول لصاحبه
لا تحزن ان الله معنا فاثبت صحبته بذلك واثبت له معية كمعية نبيه
بقوله تعالى ان الله معنا ثم مد يده فبايع ابا بكر وبايعه الناس ثم امرهم
بجهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختلفوا هل يغسل في ثيابه او يجرد
منها فالقى الله عليهم النوم وسمعوا النداء من ناحية البيت قائلا يقول لا تغسلوه
فانه طاهر فقال العباس لا نترك سنة لصوت لا ندري ما هو فغشيهم
النعاس وسمعوا قائلا يقول غسلوه وعليه ثيابه فان ذلك ابليس وانا
الخضر فغسله علي وعليه قميصه والعباس وابنه الفضل يعينانه وقثم
واسامة وشقران مولى المصطفى يصبون الماء واعينهم معصوبة وكفن في ثلاثة
اثواب بيض من قطن ولم يكن في كفنه قميص ولا عمامة وصلوا عليه فرادى
يدخل جماعة ويخرج جماعة واختلفوا في الموضع الذي يدفن فيه فقال ابو
بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدفن نبي الا حيث قبض
فدفن في بيت عائشة ذكره الشنواني في حاشيته   فليس ركنا يعتقد
في الدين اي فليس نصب الامام ركنا يعتقد في قواعد الدين المجمع عليها
المعلومة بالتواتر بحيث يكفر منكرها كالشهادتين كالزكاة والصلاة وصوم
رمضان والحج لانه ليس معلوما من الدين بالضرورة فلا يكفر منكره وقوله
ولا تزغ عن امره المبين اي ولا تخرج عن امتثال امره الواضح الجاري على
قواعد الشريعة وفي كلامه حذف الواو مع ما عطفت والتقدير عن امره

فليس ركنا يعتقد في الدين
ولا تزغ عن امره المبين

ونهيه كما اشار اليه الشارح ولو حمل الامر في النظم على الشأن لعم الامرين جميعا
فتجب طاعته على جميع الرعايا ظاهرا وباطنا لقوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم وهم العلماء والامراء ولقوله صلى الله عليه وسلم
من اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني لكن لا يطاع
في الحرام والمكروه واما المباح فان كان فيه مصلحة عامة للمسلمين وجبت
طاعته فيه والا فلا فلو نادى بعدم شرب الدخان المعروف الآن وجبت
عليهم طاعته لان في ابطاله مصلحة عامة اذ في تعاطيه خسة لذوي الهيئات
ووجوه الناس خصوصا اذا كان في القهاوي وقد وقع انه امر بترك الدخان
في الاسواق والقهاوي فيحرم الآن   الا بكفر فانبذن عهده اي الامام
اذا امر بكفر فاطرحن بيعته جهرا فان لم تقدر على الجهر بذلك فاطرحها سرا
وقوله فالله يكفينا اذاه وحده اي فالله تعالى يكفينا اذى الامام الذي
امر بالكفر وحده اذ هو الذي ناصيته بقدرته   بغير هذا الاباح
صرفه اي بغير هذا الكفر من جميع المعاصي لا يجوز خلعه عن الامامة لا
جهرا ولا سرا وقوله وليس يعزل ان ازيل وصفه بسكون اللام من يعزل
للوزن اي وليس يعزل ان ولي مستكملا للشروط ثم ازيل وصفه السابق وهو
العدالة بطرو الفسق خلافا لطائفة ذهبوا الى انه يعزل بذلك   وامر
بعرف اي وانه عن منكر ففيه حذف الواو مع ما عطفت وانما ترك المصنف النهي
عن المنكر لاستلزام الامر له والعرف بضم العين لغة في المعروف وهو ما
عرفه الشرع وهو الواجب والمندوب والمنكر ما انكره الشرع وهو الحرام
والمكروه فيندب الامر بالمندوب والنهي عن المكروه ويجب الامر بالواجب
والنهي عن الحرام وجوبا كفائيا فاذا قام به البعض سقط الطلب عن الباقين
وهو فوري اجماعا ولا يختص وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
بمن لا يرتكب مثله بل من رأى منكرا وهو يرتكب مثله فعليه ان ينهى عنه
ولهذا قال امام الحرمين يجب على متعاطي الكاس ان ينكر على الجلاس وقال
الغزالي يجب على من زنا بامرأة امرها بستر وجهها عنه والدليل على وجوب
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب
فكقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر واما السنة فكحديث ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده

بغير هذا الاباح صرفه
وليس يعزل ان ازيل وصفه
وامر بعرف واجتنب نميمة
وغيبة وخصلة ذميمة

[illegible]

فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان اى اقل
ثمراته لا لانه على عدم انتظامه والا فلا يكلف الله نفسا الا وسعها فمراتب
الانكار ثلاث اقواها ان يغير بيده ويليها التغيير بالقول واضعفها
الانكار بالقلب بان يكرهه بقلبه ولا يرضى به واما الاجماع فلان المسلمين
فى الصدر الاول وبعده كانوا يتواصون بذلك ويوبخون تاركه مع الاقتدار
عليه ولا يشكل على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لان المعنى اذا
فعلتم ما كلفتم به ومنه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يضركم فعل غيركم
للمعصية فصارت الآية دالة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قال
ابن مسعود ان من اكبر الذنوب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول
عليك بنفسك وفى الحديث من قيل له اتق الله فغضب وقف يوم القيامة
فلم يبق ملك الا مر به وقال له انت الذى قيل لك اتق الله فغضبت يعنى يوبخونه
واعلم ان لوجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شروطا احدها ان يكون
المتولى لذلك عالما بما يأمر به وينهى عنه فالجاهل بالحكم لا يحل له الأمر
بالمعروف ولا النهى عن المنكر فليس للعوام امر ولا نهى فيما يجهلونه واما
الذى استوى فى معرفته العام والخاص ففيه للعالم وغيره الأمر بالمعروف
والنهى عن المنكر وثانيها ان يأمن ان يؤدى انكاره الى منكر اكبر منه كان
ينهى عن شرب الخمر فيؤدى نهيه عنه الى قتل النفس او نحوه فعدم هذين الشرطين
يوجب التحريم وثالثها ان يغلب على ظنه ان امره بالمعروف مؤثر فى تحصيله
وان نهيه عن المنكر مزيل له وعدم هذا الشرط يسقط الوجوب ويبقى
الجواز اذا قطع بعدم الافادة والندب اذا شك فيها قاله القرافى وغيره
وقال السعد والآمدى بالوجوب فيما لو ظن عدم الافادة او شك فيها بخلاف
ما اذا قطع بعدم الافادة ولفظ السعد ومن الشروط تجويز التأثير بان لا
يعلم قطعا عدم التأثير لئلا يكون عبثا او اشتغالا بما لا يعنى اهـ وقال
الآمدى من شروط الوجوب ان لا ييأس من اجابته اهـ وقال اكثر العلماء
كالشافعية لا يشترط هذا الشرط لان الذى عليه الأمر والنهى لا القبول
كما قال تعالى ما على الرسول الا البلاغ وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع
المؤمنين ولذلك قال النووى قال العلماء ولا يسقط عن المكلف الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر لكونه لا يفيد فى ظنه بل يجب عليه فعله اهـ ملخصا من شرح المص

ومن

ومن حاشية الشنوانى   واجتنب نميمة اى انفر منها وتباعد عنها والأمر
فى ذلك للوجوب العينى والنميمة نقل كلام الناس بعضهم الى بعض على وجه
الافساد بينهم كقوله فلان يقول فيك كذا لكن قال ابو حامد الغزالى
وليست النميمة مختصة بذلك بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كان الكشف
بالقول او الكتابة او الرمز او نحوها وسواء كان المنقول من الأعمال او من الأحوال
وسواء كان عيبا او غيره قال النووى فحقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر
عما يكره كشفه قال وكل من حملت اليه نميمة لزمه ستة امور الأول ان لا يصدقه
لأن النمام فاسق والفاسق مردود الخبر الثانى ان ينهاه عن ذلك وينصحه
الثالث ان يبغضه فانه بغيض عند الله ويجب بغض من يبغضه الله تعالى
الرابع ان لا يظن بالمنقول عنه السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن
ان بعض الظن اثم الخامس ان لا يحمله ما حكى له على التجسيس والبحث عن
تحقيق ذلك قال الله تعالى ولا تجسسوا السادس ان لا يحكى نميمة عنه
فيقول فلان حكى لى كذا فيصير بذلك نماما والنميمة محرمة بالاجماع والعلماء
متفقة على انها كبيرة لحديث الصحيحين لن يدخل الجنة نمام وفى رواية لمسلم
قتات بتاء ين اولاهما مشددة اى نمام من قت الحديث نمه والمراد لا يدخلها
مع السابقين الا ان غفر له وكل ذلك ما لم تدع الحاجة اليها والاجازت لأنها
حينئذ ليست نميمة بل نصيحة كما اذا اخبرك شخص بان فلانا يريد البطش بمالك
او بأهلك او نحو ذلك لتكون على حذر فليس ذلك بحرام لما فيه من دفع المفاسد
وقد يكون بعضه واجبا كما اذا تيقن وقوع ذلك لو لم يخبرك بهذا الخبر
وقد يكون بعضه مستحبا اذا شك فى ذلك ذكره النووى افاده المص فى شرحه
وغيبة اى واجتنب غيبة والأمر فيه للوجوب العينى كما فى سابقه
والغيبة بكسر الغين ذكرك اخاك بما يكره ولو بما فيه ولو بحضوره لكن ظاهر
المادة يؤيد ما قيل من ان ما فى الحضور لا يسمى غيبة بل بهتانا واذا ذكره
بما ليس فيه فقد زاد اثم الكذب ومن الضلال قول بعض العامة ليس هذا
غيبة انما هو اخبار بالواقع وربما جره ذلك للكفر لاستحلاله والعياذ بالله
وليست الغيبة مختصة بالذكر بل ضابطها كل ما افهمت به غيرك نقصان مسلم
بلفظك او كتابتك او اشرت اليه بعينك او يدك او رأسك او نحو ذلك سواء
كان ذلك فى بدنه او دينه او دنياه او ولده او والده او زوجته او خادمه او
حرفته او لونه او مركوبه او عمامته او ثوبه او غير ذلك مما يتعلق به ومن

ذلك قول المصنفين في كتبهم قال فلان كذا وهو غلط او خطأ او نحو ذلك فهو
حرام الا ان اراد ابيان غلطه او خطائه لئلا يقلد لأن ذلك نصيحة لا غيبة
وقولهم قال مصنف او قال قوم او جماعة كذا وهو غلط او خطأ او نحو ذلك
ليس غيبة لأن الغيبة لا تكون الا في انسان معين او جماعة معينين وقولك
فعل كذا بعض الناس او بعض الفقهاء او من يدعي العلم او بعض المفتين او
نحو ذلك غيبة محرمة اذا كان المخاطب يفهمه بعينه وقضية ذلك انك اذا
ذكرت شخصا تعرفه انت دون المخاطب لا يكون غيبة ويشكل عليه حرمة
الغيبة في الخلوة دون حضور احد وكذا بالقلب فقط فانها بالقلب محرمة
كهي باللسان ومحل ذلك في غير من شاهد واما من شاهد فيعذر في الاعتقاد
ح نعم ينبغي ان يحمله على انه تاب وذكر بعضهم انه اذا كان معينا عند
الذاكر والسامع حرمت وان كان مبهما عندهما جازت وان كان مبهما عند
السامع دون الذاكر حرمت على الذاكر دون السامع وذكر الأخ في التعريف
السابق لذكره في بعض الأحاديث وقد اخذ به جمع وقالوا لا غيبة في الكافر
والحق انه اذا كان حربيا فلا غيبة فيه وان كان ذميا حرمت غيبته وتخصيص
المسلم بالذكر في الأحاديث لشرفه وحكم الغيبة التحريم بالاجماع وفي الكتاب
العزيز ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا الآية وفي هذه الآية تنفير شديد
لأنها اشتملت على خمسة امور وهي كونه لحما وميتا ونيا ومن آدمي واخ وفي
سنن ابي داوود والترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت قلت
للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا تعني قصيرة فقال لقد
قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قال النووي معنى مزجته خالطته بحيث
يتغير منها طعمه او ريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من اعظم الزواجر
عن الغيبة واعمها وقد اختلف العلماء في مرتبتها من التحريم فقال القرطبي من
المالكية انها كبيرة بلا خلاف يعني في المذهب واليه ذهب كثير من الشافعية
وذكر صاحب العدة عنهم انها صغيرة واقره عليه الرافعي ومن تبعه لعموم البلوى
بها فقل من يسلم منها وفي التعليل نظر لا يخفى لأن ذلك لا يقتضي كونها من
الصغائر والذي جزم به ابن حجر الهيتمي في شرح الشمائل ان غيبة العالم وحامل
القرآن كبيرة وغيبة غيرهما صغيرة وهو المعتمد وكما يحرم على المغتاب ذكر
الغيبة يحرم على السامع استماعها واقرارها فيجب على كل من سمع انسانا يذكر
غيبة محرمة ان ينهاه ان لم يخف ضررا ظاهرا وقد ورد ان من رد غيبة مسلم
رد

رد الله النار عن وجهه يوم القيامة فان لم يستطع باليد ولا باللسان فارق
ذلك المجلس ولا يخلص الانكار بحسب الظاهر فان قال بلسانه اسكت
وهو يشتهي بقلبه استمراره فذلك نفاق كما قاله الغزالي فلا بد من كراهته
بقلبه وربما الحق مجلس الغيبة بخطاب الاجابة فيقول اللهم الطف بنا وبفلان
فعل كذا وكذا ومن ذلك غيبة المتفقهين والمتعبدين فيقال لأحدهم كيف
حال فلان فيقول الله يصلحنا الله يغفر لنا الله يصلحه نسأل الله العافية
الله يتوب علينا وما اشبه ذلك مما يفهم منه تنقيصه فكل ذلك غيبة
محرمة وكذلك اذا قال فلان ما له حيلة كلنا نفعل ذلك واعلم ان العلماء
ذكروا ان الغيبة تباح في احوال للمصلحة بل ربما وجبت وتلك الاحوال
ست نظمها الجوجري بجيمين على الصواب في قوله لست غيبة كرر وخذها
منظمة كأمثال الجواهر تظلم واستعن واستفت حذر وعرف واذكرن
فسق المجاهر فالأولى التظلم كأن يقول المظلوم لمن له الولاية كالقاضي فلان
ظلمني مثلا والثانية الاستعانة على تغيير المنكر كأن يقول لمن يرجو
قدرته على ازالة المنكر فلان يعمل كذا فاعني على منعه بشرط ان يكون قصده
التوصل الى ازالة المنكر فان لم يقصد ذلك كان حراما والثالثة الاستفتا
كأن يقول للمفتي ظلمني فلان فهل له ذلك وما طريقي في الخلاص منه والرابعة
التحذير كأن تذكر عيوب شخص لمن يريد الاجتماع عليه اذا لم ينكف بدون
ذكرها والاحرم والخامسة التعريف كأن يقول فلان الأعمش والاعرج
او نحو ذلك فيمن كان معروفا بذلك بشرط ان يكون بنية التعريف فان
كان بقصد التنقيص حرم والسادسة ان يكون مجاهرا بفسقه كالمجاهر
بشرب الخمر واخذ المكس وغير ذلك فيجوز ذكره بما فسق به لا بغيره من العيوب
بشرط ان يقصد ان تبلغه لينزجر وحديث لا غيبة في فاسق غير ثابت الصحة
عند اهل العلم ولو سلمت صحته وجب تقييده بما اذا اغتابه بما فسق به بعد
مجاهرته به بالشرط المذكور والتوبة تنفع في الغيبة من حيث الاقدام عليها
واما من حيث الوقوع بحرمة من هي له فلا بد فيها مع التوبة من طلب عفو صاحبها
عنه اذا بلغته واذا لم تبلغه كفى الاستغفار له واذا بلغته بعد ذلك بلغته محوة
ولا يصح ابراء صاحبها مع الجهل بما قاله كأن يقول له انا قلت في حقك كلاما
فسامحني منه بل لا بد من التعيين على الأصح من وجهين عند الشافعية
كأن يقول له قلت في حقك كذا وكذا عند فلان وفلان فسامحني منه وبحج

الابرا مع الجهل عند المالكية كما هو ثاني الوجهين عندنا ومما يعين على ترك
الغيبة شهود ان ضررها عائد على النفس فانه ورد انه تؤخذ حسنات المغتاب
لمن اغتابه وتطرح عليه سيئاته وعن ابن المبارك لو كنت مغتابا لاغتبت
والدي لانهما احق بحسناتي فالعاقل من اشتغل بعيوب نفسه فان قال لا
اعلم لي عيبا فهذا اعظم عيب ومما يرجى بركته الاستغفار لارباب الحقوق
ومن اوراد سيدي احمد زروق استغفر الله العظيم لي ولوالدي ولاصحاب
الحقوق الواجبة علي وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء
منهم والاموات خمس مرات بعد كل فريضة اه ملخصا من شرح المص بزيادة
وخصلة ذميمة اي واجتنب كل خصلة ذميمة شرعا وانما خص المصنف
ما ذكره بعد اهتماما بعيوب النفس فان بقاءها مع اصلاح الظاهر كلبس
ثياب حسنة على جسد ملطخ بالقذورات وقد ادخلت الكاف ما بقي من افراد
الخصلة الذميمة كالظلم والبغي وقطع الطريق والغش كان يخلط الردئ
بالجيد وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما فاعجبه
فادخل يده فرأى بللا فقال له ما هذا فقال اصابته السماء فقال هلا جعلته
من فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا اي فليس على طريقتنا
الكاملة وكالكذب لغير مصلحة شرعية فان كان لمصلحة شرعية جاز كالكذب
للزوجة تطييبا لنفسها بل قد يجب كالكذب لانقاذ مسلم او لاصلاح ذات
البين وكعقوق الوالدين وترك الصلاة ومنع الزكاة والمداهنة ان كان
فيها افساد الدين كان يشكو ظالما على ظلمه او مبطلا على باطله فتحرم وقد تجب
كما اذا توقف عليها دفع محرم وتندب ان كانت وسيلة لمندوب وتكره ان
كانت وسيلة لمكروه وان خلت عن ذلك ابيحت فتعتريها الاحكام الخمسة
كالعجب هو رؤية العبادة واستعظامها كما يعجب العابد بعبادته والعالم
بعلمه فهذا حرام غير مفسد للطاعة وكذلك الرياء غير مفسد للطاعة خلافا لمن قال بانه
يفسدها فان الذي صرح به بعض المحققين انه محبط للثواب فقط مع وقوع
العمل صحيحا وانما حرم العجب لانه سوء ادب مع الله تعالى اذ لا ينبغي للعبد ان
يستعظم ما يتقرب به لسيده بل يستصغره بالنسبة الى عظمة سيده لا سيما
عظمته سبحانه وتعالى قال تعالى وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته
ومما يعين على دفع العجب ان الصادق المصدوق اخبر انه يفسد العمل اي يبطل ثوابه
فاذا ارادت نفسك العجب فقل عوضك الله في العمل خيرا ولا معنى للعجب بما لم يعلم

اقبل

اقبل ام لم يقبل على انه حيث شهد ان كل شئ من الله تعالى لم يبق له شئ يعجب به
والكبر هو بطر الحق وغمص الخلق بالصاد او غمط الخلق بالطاء كما فسره
به عليه الصلاة والسلام في حديث مسلم وهو لن يدخل الجنة من في قلبه مثقال
ذرة من الكبر فقالوا يا رسول الله ان احدنا يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله
حسنة فقال ان الله جميل يحب الجمال ولكن الكبر بطر الحق وغمص او وغمط الناس
بالصاد او الطاء فقوله لن يدخل الجنة الخ اي مع السابقين او محمول على
المستحل وقد قيل الاول متكبر وهو ابليس فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج
انك من الصاغرين وقوله ان الله جميل يحب الجمال اي ان الله متصف بصفات
الجمال وهي صفات الكمال يثيب على التجمل بالملابس ونحوها اظهارا لنعمته
تعالى فالتجمل بالملابس ونحوها ليس كبرا بل يكون مندوبا في الصلوات
والجماعات ونحوها وفي حق المرأة لزوجها وفي حق العلماء لتعظيم العلم في
نفوس الناس ويكون واجبا في حق ولاة الامور وغيرهم اذا توقف عليه تنفيذ
الواجب فان الهيئة المزرية لا تصلح معها مصالح العامة في العصر المتاخرة
لما طبعت عليه النفوس الان من التعظيم بالصور عكس ما كان عليه السلف
الصالح من التعظيم بالدين والتقوى ويكون حراما اذا كان وسيلة لمحرم ومكروها
اذا كان وسيلة لمكروه ومباحا اذا خلى عن هذه الاسباب قال العلماء بطر
الحق رده على قائله اي عدم قبوله منه وغمص او وغمط الناس احتقارهم اي
انتقاصهم والتهاون بهم وقد عمت البلوى بالكبر حتى قيل آخر ما يخرج من قلوب
الصديقين حب الرياسة وهو معصية ابليس فانه تكبر حين امر بالسجود
لآدم فامتنع واستقبح امر الله له بالسجود فلذلك كفر وله دواء عقلي وشرعي
وعادي اما العقلي فان يعلم بان التاثير لله وانه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا
ولا ضرا فلا ينبغي لعاقل ان يتكبر فانه قد استوى القوي والضعيف والرفيع
والوضيع في الذل الذاتي وقد قيل لسيد الكائنات ليس لك من الامر شئ
واما الشرعي فهو الوعيد الوارد فيه لكونه صفة الرب من نازعه فيها اهلكه
وغارت عليه جميع الكائنات لخروجه على سيدها فيستثقل ظاهرا وباطنا
كما هو مشاهد واما العادي فان ينظر لاصله وماله وتقلباته فان اصله نطفة
قذرة اصلها من دم واقام مدة وسط القذورات من دم حيض وغيره ومدة
يبول على نفسه ويتغوط ثم هو الآن محشو بقذورات لا تحصى ويباشر
العذرة بيده كذا كذا مرة يغسلها عن جسمه وماله جيفة منتنة فمن تأمل

صفات نفسه عرف مقداره والمتواضع من عرف الحق ورآى جميع ما معه من فضل
الله ولا يحقر شيئا فى مملكة سيده ويسأله دوام ما تفضل به عليه ومحل كون
الكبر حراما اذا كان على عباد الله الصالحين وأئمة المسلمين وهو ح من الكبائر
ومن اعظم الذنوب القلبية واما اذا كان على اعداء الله فهو مطلوب شرعا حسن
عقلا والمراد بالكبر عليهم احتقارهم لاجل كفرهم ومعصيتهم لا احتقار ذاتهم
وداء الحسد اى داء هو الحسد فالاضافة للبيان ان اريد الداء المعنوى
فان اريد الداء الحسى كان من اضافة المشبه به للمشبه اى الحسد الشبيه بالداء
وهو تمنى زوال نعمة الغير سواء تمناها لنفسه اولا بان تمنى انتقالها عن غيره
لغيره وهذا اخس الاخسا لانه باع آخرته بدنيا غيره بخلاف ما اذا تمنى مثل
نعمة الغير فانه غبطة محمودة فى الخير كما ورد لا حسد الا فى اثنتين الحديث
ودليل تحريمه الكتاب والسنة والاجماع قال تعالى ومن شر حاسد اذا حسد
وشره كثير فمنه ما هو غير مكتسب وهو اصابة العين ومنه ما هو مكتسب
كسعيه فى تعطيل الخير عنه وتنقيصه عند الناس وربما دعا عليه او بطش به
الى غير ذلك وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات
كما تأكل النار الحطب او العشب ودواء الحسد النظر للوعيد مع انه اساءة ادب
مع الله تعالى كانه لا يسلم له حكمه ولذلك قال بعضهم الا قل لمن بات لى حاسدا
اتدرى على من اسأت الادب اسأت على الله فى فعله كأنك لم ترض لى ما وهب
فكان جزاؤك ان خصنى وسد عليك طريق الطلب ومن الحكمة الحسود لا يسود
اى كثير الحسد لا تحصل له سيادة ومن كلام ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه
ان يحسدونى فانى غير لائمهم قبلى من الناس اهل الفضل قد حسدوا فدام لى ولهم ما بى وما بهم
ومات اكثرنا غيظا بما يجد انا الذى يجدونى فى صدورهم لا ارتقى صدرا منها ولا ارد
ويروى ان ابليس قال لسيدنا نوح عليه الصلاة والسلام خذ منى خمسا قال لا
اصدقك فأوحى الله اليه ان صدقه فقال قل فقال اياك والكبر فانى انما وقعت فيما
وقعت فيه بالكبر واياك والحسد فان قابيل قتل اخاه هابيل بالحسد واياك
والطمع فان آدم ما اورثه الله ما اورثه الا بالطمع واياك والحرص فان حوا ما
وقعت فيما وقعت فيه الا بالحرص واياك وطول الامل فانهما ما وقعا فيما وقعا فيه
الا بطول الامل وكالمرا هو لغة الاستخراج يقال مارى فلان فلانا اذا استخرج
ما عنده وعرفا منازعة الغير فيما يدعى صوابه ومحل كونه مذموما اذا كان
لتحقير غيرك واظهار مزيتك عليه وقد ورد فى الحديث هلك المتنطعون ثلاثا

اى المتعمقون فى البحث واخرج الطبرانى عن ثوبان مرفوعا سيكون فى امتى اقوام
يغلطون فقهاءهم بعضل المسائل بضم العين وفتح الضاد اى صعابها اولئك
شرار امتى واما اذا كان لاحقاق حق وابطال باطل اى لاظهار حقيقة الحق واظهار
بطلان الباطل فممدوح شرعا ولو من ولد لوالده فيكون عقوقا محمودا والجدل
بسكون آخره للوزن وهو دفع الشخص خصمه عن افساد قوله بحجة قاصدا به
تصحيح كلامه كذا عرفه الش وعليه فالفرق بينه وبين المرا ان الجدال يكون من قبل
صاحب القول يدفع عن قوله الافساد والمرا يكون من قبل الخصم واذا حققت
النظر وجدتهما بمعنى واحد وح فنقول فى تعريفهما مقابلة الحجة بالحجة ومحل
حرمته اذا كان لافساد قول الغير بخلاف ما اذا كان لاحقاق حق وابطال الباطل
قال الامام الشافعى ما ذاكرت احدا وقصدت افحامه وانما اذاكره لاظهار
الحق من حيث هو حق فاعتمد المقصود منه التكملة واشار به المص الى انقضا
فن العقائد اى فاعتمد فى العقائد على ما ذكرته لانه مذهب اهل السنة والجماعة
وكن الخ هذا من باب التخلص من التخلية بالخاء المعجمة اى التخلى من الرذائل
التى اشار اليها المص بقوله واجتنب الخ الى التحلية بالحاء المهملة اى التحلى
بالفضائل التى اشار اليها بقوله وكن الخ وقد ذكر المص شيئا من فن التصوف
ومنه مباحث النميمة وما بعدها من المهلكات فهى تصوف وعرفوه بانه علم
باصول يعرف بها اصلاح القلب وسائر الحواس وفائدته اصلاح احوال الانسان
لما فيه من الحث على تصفية الاعتقاد وكمال الاعمال بالسداد وقال الغزالى هو تجريد
القلب لله تعالى واحتقار ما سواه اى تخليص القلب لله تعالى واعتقاد ان ما سواه
لا ينفع ولا يضر فلا يعول الا على الله فالمراد باحتقار ما سواه اعتقاد انه لا يضر
ولا ينفع وليس المراد به الازدرا والتنقيص والحق ان التصوف ثمرة جميع علوم
الشريعة وليس قواعد مخصوصة مدونة وسميت بالتصوف لغلبة لبس الصوف
على اهله كالمرقعات وحكمته كما قاله الشيخ الشعرانى انهم لا يجدون ثوبا
كاملا من الحلال بل قطعا قطعا وقيل لتشبههم باهل الصفة وقيل للصفا
قال سهل بن عبد الله الصوفى من صفا من الكدر وامتلأ من العبر وانقطع الى الله
عن البشر وتساوى عنده الذهب والمدر وينسب لسيدى عبد الغنى النابلسى
يا واصفا انت فى التحقيق موصوفى وعارفى لا تغالطنى انت معروفى ان الفتى من بعهده
فى الازل يوفى صافى فصوفى لهذا سمى الصوفى وما احسن ما انشده ابن الحاج فى
كتابه المدخل ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاؤك ان غنى المغنونا

ولا صياح ولا رقص ولا طرب ولا اختباط كأن قد صرت مجنونا بل التصوف أن
تصفو بلا كدر وتتبع الحق والقرآن والدينا وأن ترى خاشعا لله مكتئبا
على ذنوبك طول الدهر محزونا كما كان خيار الخلق أي كن متصفا بأخلاق
مثل الأخلاق التي كان عليها خيار الخلق فالكاف للتمثيل والتشبيه ويحتمل
أن تكون بمعنى الباء أي كن متصفا بالأخلاق التي كان عليها خيار الخلق والمراد
من خيار الخلق نبينا صلى الله عليه وسلم لأنه جمع ما تفرق في غيره من الخصال
الحميدة فهو الخيار المطلق ويحتمل أن المراد به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
لأنهم خيار الخلق والأولى أن يراد به كل من ثبتت له الخيرية ولو بالنسبة لمن دونه
فيشمله صلى الله عليه وسلم ويشمل الأنبياء والعلماء والشهداء والأولياء والزهاد
والعباد ويكون الكلام موزعا باعتبار الأشخاص وأنواع الخير فمن الناس من له
قدرة على صورة مجاهدته صلى الله عليه وسلم ومنهم من له قدرة على صورة مجاهدة
غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومنهم من له قدرة على مجاهدة العلماء
وهلم جرا وإذا كانت المجاهدة على يد شيخ من العارفين كان أنفع لقولهم حال
رجل في ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل في رجل فينبغي للشخص أن يلزم
شيخا عارفا على الكتاب والسنة بأن يزنه قبل الأخذ عنه فإن وجده على
الكتاب والسنة لازمه وتأدب معه فعساه يكتسب من حاله ما يكون به صفا
باطنه والله يتولى هداه حليف حلم أي وكن حليف حلم فهو خبر ثان لكن في
قوله وكن كما كان خيار الخلق والحليف بمعنى المحالف والملازم فهو فعيل
بمعنى مفاعل والحلم بمعنى تحمل مشاق عباد الله بحيث لا يستفزك الشيطان ولا الهوى
ولا يحركك الغضب فالشجاع ليس بالصرعة وإنما الشجاع من يملك نفسه عند
الغضب وإنما خص الناظم الحلم بالذكر مع دخوله في عموم ما كان عليه خيار الخلق
اهتماما به ولأنه وصف جامع لأوصاف الخير لكن الحلم فيما يغضب الله مذموم
تابعا للحق أي وكن تابعا للحق فهو خبر ثالث لكن المتقدمة والمراد بالحق الله تعالى
لأن الحق اسم من أسمائه وفي الكلام حذف مضاف أي لدين الحق ويحتمل أن المراد به
الأحكام الحقة وح فلا حاجة لتقدير المضاف ولا يخفى عليك أيها الموفق
أنك لا تكون تابعا للحق إلا إذا كنت متمسكا ممتثلا لأوامره مجتنبا لنواهيه قال
تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فزن جميع أقوالك وأفعالك
واعتقاداتك بميزان الشريعة وعليك بحفظ الحواس وضبط الأنفاس
فكل خير في اتباع من سلف هذا علة للأمر السابق في قوله وكن كما كان خيار الخلق

فكل خير في اتباع من سلف
وكل شر في ابتداع من خلف

الخ

الخ فالمعنى لأن كل خير حاصل في اتباع من سلف فالفاء بمعنى لام التعليل والمراد
بمن سلف من تقدم من الأنبياء والصحابة والتابعين وتابعيهم خصوصا
الأئمة الأربعة المجتهدون الذين انعقد الإجماع على امتناع الخروج عن
مذاهبهم في الإفتاء والحكم وأما عمل الشخص في نفسه فيجوز تقليد غيرهم فيه
وكل شر في ابتداع من خلف هذا علة لما تضمنه الأمر السابق من النهي والتقدير
ولا تكن كما كان شرار الخلق لأن كل شر حاصل في ابتداع من خلف أي من تأخر من
الخلف السيئين الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات واعلم أن البدعة تعتريها
الأحكام الخمسة فتارة تكون واجبة كضبط المصاحف والشرائع إذا خيف
عليها الضياع وتارة تكون محرمة كالمكوس وسائر المحدثات المنافية لقواعد
الشريعة وتارة تكون مندوبة كصلاة التراويح جماعة ولذلك قال سيدنا عمر
رضي الله عنه في التراويح نعمت البدعة هي وتارة تكون مكروهة كزخرفة المساجد
وتزويق المصاحف وتارة تكون مباحة كاتخاذ المناخل الدقيق ففي الآثار
أول شيء أحدثه الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخاذ المناخل وإنما
كانت مباحة لأن لين العيش وإصلاحه من المباحات فوسائله مباحة
وكل هدي للنبي قد رجح أي وكل هدي منسوب للنبي صلى الله عليه وسلم قد رجح على
كل ما لم ينسب له صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأفعال والاعتقادات فأفضل
الأحوال أحواله صلى الله عليه وسلم التي لم تنسخ وليس المقصود بها مجرد بيان الجواز
ولا مما قام الدليل على اختصاصه به صلى الله عليه وسلم بخلاف ما نسخ كقيام
الليل كله وما قصد به مجرد بيان الجواز كوضوئه صلى الله عليه وسلم مرة مرة وما
كان مختصا به عليه الصلاة والسلام كتزوج أكثر من أربع فما أبيح افعل
أي فما لم ينه عنه ولو تنزيها افعل فالمراد بما أبيح ما لم ينه عنه فيشمل الواجب
والمندوب والمباح وهو ما استوى طرفاه أي فعله وتركه وقوله ودع ما لم يبح
أي واترك ما لم يبح لك فعله وهو المنهي عنه بأن كان مكروها أو محرما أو خلاف
الأولى فتابع الصالح ممن سلفا أي فتابع في عقائدك وأقوالك وأفعالك
الفريق الصالح ممن سلف كقوله عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتي وسنة
الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وهذا كناية عن شدة
التمسك بها والصالح هو القائم بحقوق الله وحقوق العباد وهو أندر من
الكبريت الأحمر ويطلق الصالح على النبي كما يطلق على الولي إلا أن الصلاح في الأنبياء
أكمل منه في الأولياء وجانب البدعة ممن خلفا أي واترك البدعة المذمومة ممن

وكل هدي للنبي قد رجح
فما أبيح افعل ودع ما لم يبح

فتابع الصالح ممن سلفا
وجانب البدعة ممن خلفا

جاء بعد خواص الصحابة وعلمائهم وقد علمت ان البدعة تعتريها الاحكام الخمسة
والحاصل ان كل ما وافق الكتاب او السنة او الاجماع او القياس فهو سنة وما
خرج عن ذلك فهو بدعة مذمومة هذا مفعول لمحذوف اى افهم هذا او

هذا وارجوا الله في الاخلاص
من الرياء ثم في الخلوص

مبتدا او الخبر محذوف اى هذا الذى ذكرته لك فى هذه المنظومة مذهب اهل السنة
او نحوه لك وهذا من باب التخلص وهو الانتقال من غرض وهو هنا الامر بمتابعة
السلف الصالح ومجانبة البدعة بمن خلف الى غرض آخر وهو هنا رجاء الاخلاص وما
ذكر بعده وبين الغرضين تناسب وارجوا الله الرجاء بالمد هو تعلق القلب
بمرغوب فيه مع الأخذ فى الاسباب والا فهو طمع مذموم قال ابن الجوزى
مثل الراجى مع الاصرار على المعصية كمثل من رجا حصادا وما زرع او ولدا وما
نكح وقال عبد الله بن المبارك ما بال دينك ترضى ان تدنسه وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجوا النجاة ولم تسلك طريقتها ان السفينة لا تجرى على اليبس وفى
الحديث القدسى ما اقل حياء من ان يطمع فى جنتى بغير عمل كيف اجود برحمتى على
من بخل بطاعتى فى الاخلاص اى فى اتصافى به وهو قصد الله بالعبادة
وحده وهو سبب للخلاص من اهوال يوم القيامة وهو واجب عينى على كل
مكلف فى جميع الطاعات قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له
الدين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا
وما ابتغى به وجهه وفى حديث انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لا شريك له واقام الصلاة
وايتاء الزكاة فارقها والله عنه راض وعن ثوبان قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول طوبى للمخلصين اولئك مصابيح الهدى تنجلى عنهم كل
فتنة ظلماء وفى رواية عمياء وهى بمعنى ظلماء ومما يعين على الاخلاص استحضار ان ما
سوى الله لا شئ بيده وان كل شئ بيد الله تعالى والصادق فى اخلاصه لا يحب
اطلاع الناس على حسن عمله ولا يكره ان يطلع الناس على سيئ عمله ولا يبالى
بخروج قدره من قلوب الخلق ورءى بعضهم فى المنام بعد الموت يقول الجنة
ارضها الايمان وشجرها الأعمال وثمرها الاخلاص من الرياء بالمد اى
بدله فمن للبدل على حد قوله تعالى ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة اى بدلها
وليست للتعدية لانه لم يعبر بالخلاص او الخلوص بل عبر بالاخلاص والرياء
ان يعمل العمل ليراه الناس واما التسميع فهو ان يعمل العمل وحده ثم يخبر به الناس
لاجل تعظيمهم له او لجلب خير منهم وكل من الريا والتسميع محبط للثواب مع صحة
العمل

العمل خلافا لما نص عليه السادة المالكية من انه مبطل للعبادة وقول الحسن من
اعطى غيره شيئا حياء منه له فيه اجر وقول ابن سيرين من تبع جنازة حياء من اهلها
له اجر كل منهما محمول على ما اذا قصد جبر خاطر من اعطاه واهل الجنازة لله
والا فهو رياء وفى الحديث القدسى انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا
اشرك فيه غيرى تركته لشريكى وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم
ساهون الذين هم يراؤن والرياء قسمان جلى وخفى فالاول ان يفعل الطاعة
بحضرة الناس لا غير فان خلى بنفسه لا يفعل شيئا والثانى ان يفعلها مطلقا
حضر الناس او لا لكن يفرح عند حضورهم قال الفضيل بن عياض العمل لاجل
الناس شرك وترك العمل لاجل الناس هو الرياء والاخلاص ان يعافيك الله
عنهما فمن عزم على عبادة خوف الناس فهو مراءى الا ان تركها ليفعلها فى الخلوة
فهو مستحب ثم فى الخلاص الخ اى وارجوا الله فى الخلاص من هذه الامور
فثم هنا وفيما بعد بمعنى الواو كما يدل عليه تعبير الناظم بالواو فى قوله والهوى
وما احسن قول بعضهم فى هذا المعنى انى بليت باربع ترميننى بالنبل قد نصبوا
على شراكا ابليس والدنيا ونفسى والهوى من اين ارجو بينهن فكاكا يارب
ساعدنى بعفوك اننى اصبحت لا ارجو لهن سواكا من الرجيم اى من الوقوع
فى مكائد الشيطان الرجيم بمعنى المرجوم اى المطرود عن رحمة الله تعالى او بمعنى
الراجم للناس بوسوسته فرجيم فعيل بمعنى مفعول او فاعل والمراد بالشيطان
الرجيم ما يشمل ابليس واعوانه وهم اولاده من ظهره فانه لما اهبط من الجنة
لاط بنفسه لكونه لا زوجة له فباض خمس بيضات فكانت اصل ذريته فهو اول
من لاط بنفسه كما روى عنه صلى الله عليه وسلم وهو ابو الشياطين كما ان آدم
ابو الانس والعداوة بين الثقلين اعنى الجن والانس فرع العداوة بين الابوين
قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا اى فى عقائدكم واقوالكم وافعالكم
وكونوا على حذر منه فى جميع احوالكم ثم نفسى اى وارجوا الله فى الخلاص من
مكائد نفسى التى هى اشد من الشيطان فى الكيد ولذلك قال بعضهم توق
نفسك لا تأمن غوائلها فالنفس اخبث من سبعين شيطانا والمراد بالنفس هنا
الامارة وهى التى تأمر بالسوء ولا تأمر بالخير الا نادرا بخلاف اللوامة وهى
التى تغلب صاحبها ثم ترجع عليه باللوم على ما وقع منه لكونها اذعنت للحق بسبب
المجاهدة والملهمة وهى التى الهمت فجورها وتقواها بسبب المجاهدة والمطمئنة
وهى التى اطمأنت الى مكارم الاخلاق والراضية وهى التى رضيت بالله ربا

من الرجيم ثم نفسى والهوى
ومن يمل لهن لا يقوى

من غير منازعة باطنية بسبب المجاهدة. المرضية وهي التي تجلى الله عليها بالرضى
والعفو عما مضى والكاملة وهي التي صارت الكمال لها طبعا وسجية ومع ذلك
تترقى في الكمال ثم بعد كمال النفس لا يجوز للشخص ان يتصدى للارشاد الا
باذن صريح لكن الوقت قد تأخر فقل من ينتبه من غفلته ويصدق في رغبته
فعلى العاقل بالجد والاجتهاد حتى يسير في طريق الرشاد والهوى اي وارجو
الله في الخلاص من الهوى وهو بالقصر ميل النفس الى مرغوبها ولو كان فيه
هلاكها واذا اطلق انصرف الى الميل الى خلاف الحق غالبا نحو ولا تتبع الهوى
وقد يستعمل في الميل للحق كما في قول السيدة عائشة رضي الله عنها لا ارى ربك
الا يسارع في هواك تخاطبه صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى ترجي من
تشاء الآية وسمي الاول هوى لانه يهوي بصاحبه الى النار واما الهواء بالمد
فهو ما بين السماء والارض من الريح الذي تسير به السفن قال الشاعر
جمع الهواء مع الهوى في اضلعي فتكاملت في مهجتي ناران فقصرت بالممدود عن نيل المنى
ودرجت بالمقصور في اكفاني ومعنى كلامه انه اجتمع فيه الممدود والمقصور فبالممدود
قصر عن نيل مناه لكونه الف الريح اللينة واحب الراحة ففاته خير كثير وبالمقصور
مات ودرج في اكفانه لانه تبع هوى نفسه فتمكن منه العشق فقتله فمن يمل
لهؤلاء قد غوى اي لان كل مكلف يميل لاحد هذه الثلاثة التي هي منشأ كل
فتنة فقد فارق الرشد وخرج عن الاستقامة فهذا تعليل لقوله ثم في الخلاص
الخ هذا مبتدا والخبر محذوف او بالعكس اي هذا مطلوبي او المطلوب هذا
او مفعول لمحذوف اي اسأل هذا او نحو ذلك وهذا من باب التخلص كما مر في نظيره
وارجو الله لا يخفى ان التعبير بالمضارع يشعر بالتجدد فالمعنى وارجو الله
رجاء متجددا بتجدد الاحوال والازمنة والامكنة وقوله ان يمنحنا
اي يعطينا يقال منحه اذا اعطاه والمنحة العطية ونا هو المفعول الاول
وحجتنا هو الثاني لان هذا الفعل يتعدى لمفعولين والاولى بمقام الدعاء
ان يكون المراد بالضمير الذي هو المفعول الاول معاشر المسلمين او اهل العلم
لحديث اذا دعوتم الله فاجمعوا فلعل في من تجمعون من تنالوا ببركته ويحتمل
ان المراد خصوص الناظم ويكون تعبيره بضمير العظمة حيث قال يمنحنا ولم يقل
يمنحني لاظهار سبب العظمة وهو تأهيل الله اياه لطلب الدعاء او لطلب العلم
تحدثا بالنعمة قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث وهذا لا ينافي انه متذلل
متخاضع لمولاه فلا يرد ان مقام الدعاء مقام ذلة وخضوع والعظمة تنافي

ذلك

هذا وارجو الله في السؤال ان يمنحنا عند السؤال مطلقا حجتنا

ذلك وقوله عند السؤال مطلقا اي عند ورود السؤال علينا من الغير حال كون
السؤال مطلقا اي في الدنيا وفي القبر وفي القيامة كما يفهم ذلك من المقام
وان لم يفسر الاطلاق هنا سابق او لاحق وقول العلماء الاطلاق يفسره
سابق او لاحق امر اغلبي كما قاله بعض المحققين وقوله حجتنا اي ما نحتج به
على جواب ذلك السؤال احتجاجا صحيحا شرعيا بحيث لا طعن فيه ولا امتناع
من قبوله قال بعض العارفين من لطف منح الله الحجة للانسان عند السؤال
قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فانه الهمه الحجة بان يقول
غرني كرمك يا رب ثم الصلاة والسلام ثم للاستئناف لا للعطف
وقد تقدمت مباحث الصلاة والسلام في اول الكتاب وانما اتى المص بهما في اول
كتابه وفي آخره رجاء لقبول ما بينهما لان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
مقبولة لا مردودة والله اكرم من ان يقبل الصلاتين ويرد ما بينهما وقد
ورد في الحديث الدعاء بين الصلاتين على لا يرد ويقاس على الدعاء نحو التأليف
واعلم انه اذا اورد الانسان الصلاة والسلام في آخر عمله لا ينبغي ان يريد
بهما الاعلام باتمامه بل ينبغي له ان لا يقصد الا تحصيل فضيلتهما والا وقع
في الكراهة وكذا قولهم والله اعلم عند التمام فينبغي ان لا يقصدوا بذلك
الاعلام بالانتهاء بل ينبغي ان يقصدوا به تفويض العلم اليه تعالى الدائم
اي كل منهما ويحتمل ان يكون صفة للسلام ويكون المص حذف من الصلاة
نظيره والتقدير ثم الصلاة الدائمة والسلام الدائم فيكون في كلامه
الحذف من الاول لدلالة الثاني وان كان خلاف الغالب وهو الحذف من الثاني
لدلالة الاول ولا يخفى ان الدوام باعتبار فضلهما وثمرتهما لا باعتبار لفظهما
لانهما عرضان ينقضيان بمجرد النطق بهما على نبي اي كائنان على نبي
وقوله دأبه المراحم جملة من مبتدا وخبر صفة لنبي اي على نبي موصوف بان
دأبه المراحم ومعنى الدأب العادة والمراحم جمع مرحمة بمعنى الرحمة فالمعنى عادته
المستمرة الرحمة للعالمين ففيه تلميح لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين وقوله محمد بدل من نبي او عطف بيان عليه زاده الله تشريفا وتكريما
لديه وانما ترك الناظم وصفه صلى الله عليه وسلم بالسيادة لضرورة النظم
والا فيستحب وصفه بالسيادة استعمالا للادب كما قاله الجلال المحلي في
الصلاة وغيرها واما حديث لا تسودوني في صلاتكم فقال السيوطي لا اصل
له وآله اي والصلاة والسلام الدائم على آله وقد تقدم الكلام على الآل

ثم الصلاة والسلام الدائم على نبي دأبه المراحم

في اول هذه الكتابة وقوله وعترته بالمثناة الفوقية وهم اهل بيته وقيل
زوجاته وقيل نسله ورهطه الادنون وقوله وتابع لنهجه اي وكل متبع
لطريقته صلى الله عليه وسلم ولو في الايمان فقط فدخل عصاة المؤمنين
والقصد بهذا التعميم في الدعاء لانه افضل وقوله من امته اي امة اجابته
صلى الله عليه وسلم وهذا القيد لبيان الواقع لا للاحتراز عن المتبع لطريقته صلى
الله عليه وسلم وليس من امته لان المتبع لشريعته لا يكون الا من امته لعموم بعثته لا يقال
قد يكون المتبع لشريعته صلى الله عليه وسلم من غير امته كما في سيدنا سيدنا عيسى حين ينزل آخر الزمان
لانا نقول هو ح من امته صلى الله عليه وسلم وفائدة القيد المذكور التنصيص على العموم لئلا يتوهم
ارادة خصوص القرون الثلاثة نظير ما قالوه في قوله تعالى وما من دابة في
الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء
كما افاده السعد والله اعلم وهذا آخر ما يسره الله تعالى من غير حشو ولا
تعقيد على جوهرة التوحيد والله اسأل وبنبيه اتوسل ان يجعل هذه
الكتابة خالصة لوجهه الكريم وان ينفع بها النفع العميم والمرجو من
صاحب العقل السليم والخلق القويم ان يقيل عثراتي ويستر هفواتي
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله وسلم وشرف وكرم
على النبي الرؤوف الرحيم وعلى آله وصحبه اجمعين وسلام على المرسلين والحمد
لله رب العالمين وقد وافق الكمال ليلة الخميس المبارك في اوائل شهر صفر المبارك
من شهور سنة الف ومائتين واربعة وثلاثين سنة من الهجرة النبوية على صاحبها
افضل الصلاة وازكى التحية على يد جامعها ابراهيم الباجوري ذي التقصير
غفر له ولوالديه وللمسلمين الخبير البصير
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم كلما ذكره
الذاكرون وغفل عن ذكره
الغافلون والحمد لله
رب العالمين
م

هذه حاشية على متن الهمزية مسماة
بالفتوحات الاحمدية بالمنح المحمدية
تاليف العالم العلامة الحبر البحر
الفهامة الشيخ سليمان
الجمل نفعنا الله بعلومه
والمسلمين اجمعين
آمين
م

الفتوحات الاحمدية بالمنح المحمدية على متن الهمزية للبوصيري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى فضل سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء والمرسلين واختصه بشمائل ومعجزات لم تجتمع لغيره من سائر المخلوقين واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة انتظم بها فى سلك اهل عناياته واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المحبو منه بخواص هباته صلى الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه حماة الدين القويم عن زيغ كل زائغ وتحريفاته وهداة الخلق الى الصراط المستقيم بايضاح كلياته وجزئياته صلاة وسلاما دائمين بدوام نعم الله تعالى على خواصه واهل طاعاته اما بعد فمما يتعين على كل مكلف ان يعتقد ان كمالات نبينا صلى الله عليه وسلم لا تحصى واحواله وصفاته وشمائله لا تستقصى وان المادحين لجنابه العلى والواصفين لكماله الجلى لم يصلوا الا الى قل من كل لا احد لنهايته فهم مقصرون عما هنالك قاصرون عن اداء كل ما يتعين من ذلك كيف وآى الكتاب مفصحة عن علاه بما يبهر العقول ومصرحة من صفاته بما لا يستطاع اليه الوصول وانه لو بالغ الاولون والآخرون فى احصاء مناقبه لعجزوا عن احصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه قال الزركشى ولهذا لم يتعاط فحول الشعر المتقدمين مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم من اصعب ما يحاولونه فان المعانى وان جلت دون مرتبته والاوصاف وان كملت دون وصفه وكل غلو فى حقه تقصير فيضيق على البليغ النطاق فلا يبلغ الا قليلا من كثير لكن المتأخرون رأوا ان مدحه عليه الصلاة والسلام من اعظم القرب

وان كان الوصول الى الكنه لا يستطاع لاجل التعلق بجنابه الشريف والتبرك بخدمة قدره المنيف فاكثروا من مدحه وتفننوا فيه ومن ابلغ ما مدح به صلى الله عليه وسلم من النظم الرائق البديع واحسن ما كشف عن كثير من شمائله من الوزن الفائق المنيع ما صاغه صوغ التبر الاحمر ونظمه نظم الدر والجوهر الشيخ الامام العارف الكامل الهمام المحقق البليغ الاديب المدقق امام الشعراء واشعر العلماء وبليغ الفصحاء وافصح الحكماء الشيخ شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد البوصيرى من قصيدته الهمزية المشهورة العذبة الالفاظ الجزلة المعانى النجيبة الاوضاع القليلة النظير البديعة التحرير اذ لم ينسج على منوالها ولا وصل الى على حسنها وكمالها احد وقد شرحت شروحا كثيرة فقد شرحها الامام الجوجرى بشرحين وشرحها ابن قطيع المالكى والشمس الدلجى والشيخ ابو الفضل المالكى والشيخ احمد بن عبد الحق السنباطى والعارف بالله تعالى السيد مصطفى البكرى الصديقى والشيخ الفاضل فريد عصره الامام ابن حجر الهيتمى المكى وشرحه احسن شروحها وانفعها لكن رايت فيه طولا تتقاصر عنه الهمم القاصره فاحببت ان التقط منه بعض عبارات تتعلق بحل المتن وتقربه للكسالى وربما زدت على عباراته بعض عبارات من تقرير شيخنا الحفنى وسميتها الفتوحات الاحمديه بالمنح المحمديه فاقول وبالله التوفيق قد راعى المص رحمه الله تعالى امرين مهمين احدهما البداءة بالبسملة للحديث المشهور واقتداء بالكتاب العزيز فقال بسم الله الرحمن الرحيم ولم ينظر الى ما قيل ان الشعر لا يبتدأ بالبسملة لان محله على ما فيه فيما ليس كهذه القصيدة لانها اشتملت على افضل العلوم والمعلومات فهى احق بالبداءة بالبسملة من كثير من التصانيف وثانيهما ما هو الاحق بالرعاية على كل بليغ من براعة المطلع وهو سهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى ورقة التشبيب وتجنب الحشو وتناسب المعانى وعدم تعلق البيت بما بعده ويسمى ايضا حسن الابتداء وقد انتزعوا من هذا براعة الاستهلال فى النظم والنثر بان يكون مبدأ الافتتاح دالا على ما بنى ذلك النظم او النثر عليه من الغرض المسوق له وما افتتح به الناظم هذه القصيدة فيه جميع تلك الشروط وزيادة كما لا يخفى على المتامل لغرضه وهو ذكر اوصافه صلى الله عليه وسلم التى ارتقى فيها الى غاية

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف ترقى رقيك الانبياء

لم يبلغها غيره فهذا البيت الاول الذى افتتح به ابلغها وما بعده من بقية
القصيدة كالشرح والبيان لما تضمنه هذا البيت ووجه الانتزاع المذكور
ان براعة الاستهلال مشتملة على جميع ما فى براعة المطلع اى يعتبر فيها ما
يعتبر فى براعة المطلع من الامور السبعة المقررة عندهم التى من جملتها صحة
السبك ووضوح المعنى وغير ذلك وتزيد براعة الاستهلال على براعة المطلع
بكون براعة الاستهلال فيها اشارة الى المقصود كيف هى فى الاصل
اسم مبنى لتضمنه معنى حرف الشرط او الاستفهام على حركة لالتقاء الساكنين
وكانت فتحة لخفتها وهى هنا استفهامية والاستفهام غير حقيقى اذ القصد به
الانكار والاستبعاد والتعجب فالمراد منه نفى رقيهم كرقيه والتعجب ممن
يتشكك فى ذلك وهى فى محل نصب على الحال من فاعل ترقى اى على اى حالة
ترقى الانبياء رقيك اى لا يكون ذلك ولا كان وقوله ترقى يقال رقى بكسر
القاف يرقى بفتحها فى المحسوسات كالسطح ويقال رقى يرقى بفتح القاف فيهما
فى المعانى وهو التنقل من صفات الكمال الى الاكمل ومصدر هذين رقى على فعول
وفى المصباح رقيته ارقيه من باب رمى رقيا عوذته بالله والاسم الرقيا على
فعلى اهـ والمراد هنا الاولان فالحسى رقيه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء
من بيت المقدس الى السموات السبع الى حيث شاء الله لكنه لم يجاوز العرش
على الراجح والمعنوى تنقله صلى الله عليه وسلم من كل صفة كمال الى اكمل منها
وهو صلى الله عليه وسلم يترقى دائما وابدا حيا وميتا كل لحظة الى مراتب يعلمها
الله تعالى وكون المراد بالرقى هنا ما يشمل المعنيين المذكورين من قبيل استعمال
المشترك فى معنييه ان قلنا انه حقيقة فيهما او من قبيل الجمع بين الحقيقة
والمجاز ان قلنا انه حقيقة فى الحسى مجاز فى المعنوى عند من اجازه واما
عند المانع له فيكون من عموم المجاز بان يقال المراد بالرقى مطلق العلو
وكل من المعنيين فرد من افراده تامل وقوله الانبياء جمع نبى فعيل بمعنى
فاعل او مفعول من النبأ يهمز وقد لا يهمز تخفيفا وهو الخبر لانه مخبر ومخبر
عن الله تعالى او من النبوة فلا يهمز لانه مرتفع او مرفوع الرتبة على غيره من الخلق
ونهيه صلى الله عليه وسلم عن المهموز بقوله لا تقولوا يا نبىء الله بالهمز بل قولوا
يا نبى الله اى بلا همز لانه قد يرد بمعنى الطريد فخشى صلى الله عليه وسلم فى الابتداء
سبق هذا المعنى الى بعض الاذهان فنهاهم عنه فلما قوى اسلامهم وتواترت
به القراءة نسخ النهى عنه لزوال سببه فان قيل نفى رقى الانبياء رقيه

يا سماء ما طاولتها سماء

لا يستلزم نفى رقى الرسل رقيه لتصريحهم بان الاعم لا دلالة له على الاخص
والمراد انما هو نفى رقى كل منهما رقيه ولم تف به عبارته قلنا ممنوع بل هى
وافية بل مصرحة به لان قوله ما طاولتها سماء صريح فى نفى رقى الكل رقيه
كما يعلم مما يأتى فى شرحه لان النكرة فى حيز النفى للعموم وفى انه اراد بالانبياء هنا
ما يشمل الرسل على ان المحقق الكمال بن الهمام نقل فى مسايرته ان المحققين
على ترادف النبى والرسول فلعل الناظم ممن يرى ذلك وعلى هذا القول
يشترط فى النبى ان يكون مبلغا فان لم يبلغ ما امر به لم يكن نبيا ولا رسولا
والرقى بمعنييه المذكورين خاص به صلى الله عليه وسلم اما الاول فواضح
وكذا الثانى عند من تامل اى القرآن والاحاديث الدالة على ترفعه صلى الله
عليه وسلم على سائر الانبياء والمرسلين فمن تلك الاحاديث حديث الترمذى
انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من بنى آدم
فمن سواه الا تحت لوائى وفى شرح الشفاء للشهاب ما نصه ثم ان البرهان
ذكر عن ابن مسعود ان عبد الله بن سلام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن صفة لواء الحمد فقال طوله الف سنة وستمائة سنة من ياقوتة حمراء
وقضيبه من فضة بيضاء وزجه من زمردة خضراء له ثلاث ذوائب ذوابة
بالمشرق وذوابة بالمغرب وذوابة فى وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة اسطر
الاول بسم الله الرحمن الرحيم والثانى الحمد لله رب العالمين والثالث لا اله الا
الله محمد رسول الله طول كل سطر مسيرة الف عام قال صدقت يا محمد انتهى
وما افاده كلامه من جواز التفضيل بين الانبياء هو ما عليه عامة العلماء
للادلة الصريحة فيه واما قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم فهو باعتبار
الايمان بهم وبما انزل اليهم واما الاحاديث الصحيحة لا تفضلوا بين الانبياء
لا تفضلونى على الانبياء لا تخيروا بين الانبياء فهى اما قبل علمه بالتفضيل
وانه افضلهم واما محمولة على التواضع لتصريحه بالتفضيل او على تفضيل يؤدى
الى تنقيص من مقام احدهم وعليهما يدل سياق الحديث او على التفضيل
فى ذات النبوة او الرسالة فانهم كلهم مشتركون فى ذلك لا يتفاوتون فيه
وانما يتفاوتون فى زيادة الاحوال والمعارف والخصوصيات والكرامات
وقوله يا سماء يا حرف نداء للبعيد او للقريب المنزل منزلته وهو هنا
اشارة الى بعد مرتبته صلى الله عليه وسلم عن ان تلحق او تسامى والمراد
بالسماء محمد صلى الله عليه وسلم كما سيأتى فهى نكرة مقصودة وما اشتهر من وجوب بنائها على الضم

قبل النحاة بما اذا لم توصف بمفرد او ظرف او جملة والا وجب نصبها وكانت
من قبيل الشبيه بالمضاف فقد قال الوافي ضابطه هو ما تعلق به شئ من تمام
معناه والصفة من تمام معنى الموصوف والنكرة هنا قد وصفت بجملة
ما طاولتها سماء وقوله ما طاولتها سماء ما نافية اى غالبتها فى الطول والارتفا ع
وقد استفيد من الشطر الاول نفى مساواة احدهم له ومن الثانى نفى زيادة
احدهم عليه قال فى القاموس طاولنى فطلته اى كنت اطول منه فالمراد
من المفاعلة اصل الفعل بان يراد بقوله ما طاولتها ما طالت اى ارتفعت
عليها سماء وفيه استعارة لفظ السماء الاولى لنبينا صلى الله عليه وسلم والثانية
لبقية الانبياء لان السماء اعلى ما يرى من الاجرام الحسية كما انهم اعلى الخلق
ورشح لذلك بذكر الارتقاء الملايم للمستعار منه   لم يساووك
حال من فاعل ترقى او مستانف وقوله فى علاك اسم مفرد بمعنى الشرف اى
لم يساووك فى شرفك ويصح ان يكون جمع عليا ككبرى تانيث الاعلى من
على بالفتح يعلو علوا فى المكان وعلى بالكسر يعلا وعلى بالفتح يعلا علاء فى
الشرف فيهما اى فى مراتبك العالية وهذا الشطر الاول من هذا البيت تاكيد
للشطر الاول من البيت قبله اذ مفادهما نفى المساواة ومع كونه ذكره للتاكيد
ذكره لنكتة اخرى وهى التوطئة للشطر الثانى الذى هو بمنزلة التعليل له
فما سلكه من ذكر الجملة الاولى فى شطر البيت الاول والبرهان عليها بما فى
الشطر الثانى ثم اعادتها بمعناها فى اول البيت الثانى والبرهان عليها بما فى
بقيته من بديع تحقيقه وكمال بلاغته وقوله وقد حال اى حجز ومنع جملة مستانفة
او حالية من الفاعل او المفعول وقوله سنا بالقصر وهو فى الاصل الضوء
الحسى استعير هنا لعلومه صلى الله عليه وسلم التى اختصه الله بها وامن
ان ينال الزيادة منها ولما اختصه الله به من جماله الظاهر فى خلقه وفى
خلقه فالسنا هنا عبارة عن مجموع الامور الثلاثة هكذا قال الشارح والاولى
ابقاؤه على ظاهره وان المراد بالسنا الضوء الحسى وهو صلى الله عليه وسلم
كان نورانيا بدليل ما ذكره هو انه لم يكن له ظل يظهر فى شمس ولا قمر تامل وقوله
منك فيه شبه تجريد اى ان هذا السنا بمعانيه المذكورة ناشئ منك وقوله
وسناء اى شرف ورفعة ومعنى البيت انتفت مساواتهم له لمانع منعهم
عن اللحوق به هو ما اختص به من ذلك النور وتلك الرفعة اللذين لم يصل
احد الى ادنى كمالهما فضلا عن كماله   انما هى للحصر عند الجمهور وقيل بالمنطوق

لم يساووك فى علاك وقد حا
ل سنا منك دونهم وسناء
انما مثلوا صفاتك للنا
س كما مثل النجوم الماء

وقيل بالمفهوم ويقال له الاختصاص والقصر خلافا لمن فرق وهو تخصيص
امر بآخر بطريق مخصوص ويعبر ايضا عنه بانه اثبات الحكم للمذكور ونفيه عمن سواه
وينقسم الى قصر الموصوف على الصفة وعكسه وكل اما حقيقى او مجازى
وقوله مثلوا اى صوروا او قرروا وذكروا اى الواصفون والمتصدون لضبط
صفاتك وشمائلك كعلى وهند بن ابى هالة وهذا المرجع اى تفسير الضمير
بالواصفين دل عليه السياق وان لم يتقدم لهم ذكر ويصح ان يرجع الضمير
للانبياء والمعنى عليه انما مثل الانبياء اى ذكروا لاممهم صفاتك وقرروها
لهم الا كما مثل النجوم الماء او المعنى عليه انما ظهور صفاتك فيهم كظهور النجم فى
الماء فصفاتك الظاهرة والباطنة كانت موجودة فى الانبياء فى الجملة على
سبيل التقريب كما مثل النجوم الماء وعلى هذا فاسناد التمثيل والتصوير للانبيا
مجاز كما فى انبت الربيع البقل والا فالمعنى الحقيقى عليه انما اظهر الله صفاتك
فى الانبياء السابقين كاظهار صورة النجم فى الماء وقوله صفاتك جمع صفة
وهى المعنى القائم بالذات وقوله للناس من الانس فيختص ببنى آدم واصله
الاناس حذفت همزته تخفيفا او من نوس اذا تحرك فيعم الجن والذى فى
القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع انس اصله اناس جمع عزيز
ادخل عليه ال وقوله كما نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اى تمثيلا وتصو
مثل تمثيل الماء النجوم وقوله الماء اصله موه بالتحريك فهمزته بدل من الهاء وهو جوهر
قيل لا لون له وانما يتكيف بلون مقابله والحق خلافه فقيل ابيض وقيل
اسود ومعنى البيت ان الصفات التى ذكرها الواصفون لك وحكوها
عنك ليست هى حقيقة صفاتك فى نفس الامر لان حقيقة صفاتك لم
يعلمها الا الله خالقك كحقيقة ذاتك وهذا كالماء يحكى صورة النجم وتظهر فيه
وترى والمرئى فيه ليس حقيقة النجم وانما هى صورة تحاكى صورته تقريبا وقد
اشار لهذا المعنى فى بردة المديح بقوله اعيى الورى فهم معناه البيتين
انت مصباح كل فضل ظاهر التركيب تشبيه النبى صلى الله عليه وسلم نفسه
بالمصباح تشبيها بليغا اى انت كالمصباح وهو صحيح من حيث انه صلى الله
عليه وسلم مستمد من الكمالات كما تستمد المصابيح من المصباح والمراد بالفضل
الكمال والشرف الذى وجد فى غيره وآثر التشبيه بالسراج على القمر لانه
يقتبس منه الانوار بسهولة وتخلفه فروعه فتبقى بعده ففيه اشارة بليغة الى
ان خلفاءه صلى الله عليه وسلم المقتبسين من نوره باقية بعده عليه السلام

انت مصباح كل فضل فما تصـ
در الا عن ضوئك الاضواء

كما ان السراج الحقيقي قد يؤخذ منه سراج غيره ثم ان السراج الاول يذهب
ويبقى المصباح الذى سرج منه باقيا بعده وينتفع به وان ذهب المصباح
الذى اوقدمنه فكذلك صلى الله عليه وسلم فان خلفاءه الذين استمدوا
الانوار والمعارف منه بقوا بعده وحصل لهم الانتفاع الكلى بعد ذهابه
صلى الله عليه وسلم الى ربه ويصح ان يكون المشبه بالمصباح نوره المعنوى
ويكون فى الكلام تقدير اى نورك المعنوى كالمصباح ووجه
التشبيه ان نوره صلى الله عليه وسلم يظهر الاشياء المعنوية كنور البصائر
ونور السراج يظهر المحسوسة كنور البصر ولاريب ان المحسوس اظهر
من المعقول من حيث هو معقول فلذا اشبه نوره صلى الله عليه وسلم
لكونه معقولا بنور السراج لكونه محسوسا فلاينافى ذلك ان السراج دون
نوره صلى الله عليه وسلم بل لانسبة واذا تقرر ان كمالات غيره المشبهة بالاضواء
مستمدة من كماله الذى هو الضوء الاعلى فبسبب ذلك مايصدر الخ فقوله
فما يصدر الفاء سببية وما نافية اى ما يبرز فى الوجود ضوء اى كمال
وشرف الا ان يكون ناشئا وصادرا عن ضوئك اى شرفك وكمالك
فانت المخصوص بالملك الذى يبرز عن ضوئك الذى اكرمك الله به الاضواء
كلها من الايات والمعجزات وسائر المزايا والكرامات وان تاخر وجودك
عن جميع الانبياء لان نور نبوتك متقدم عليهم بل وعلى جميع المخلوقات
وشاهده حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر رضى الله عنه يا رسول الله
اخبرنى عن اول شئ خلقه الله قبل الاشياء قال يا جابر ان الله
تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور
بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة
ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا انس
فلما اراد الله ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اقسام الحديث فقد
علم ان المراد بضوئه كمالاته وصفاته وبالاضواء كمالات غيره واطلاق
الضوء على صفات الكمال المعنوية استعارة تصريحية بجامع ان كلا من
الضوئين المعنوى والحسى يهدى الى المقصود وايضا الكمالات
الدينية تنور الظاهر والباطن او بجامع الانتفاع فى كل من المشبه
والمشبه به اذ كل فضيلة كالعلم ما له ضياء واشراق يوصل الى الحق ويفرق
بينه وبين الباطل كما ان بالضياء يدرك المطلوب ويفصل بين الاشياء

قوله

لك ذات العلوم اى نفس العلوم والمراد بها المعلومات اى المدلولات
والدوال او يقال المسميات والاسماء والمراد بالاسماء الالفاظ الدالة
على المعانى ولو افعالا او حروفا ومعنى كونها له ان الله علمه اياها على
لسان الملك او بالالقاء فى الروع اى القلب او بخلق العلم الضرورى او بسماع
الكلام النفسى وقوله من عالم الغيب حال والعالم بفتح اللام والغيب بمعنى
الغائب اى حالة كون العلوم من جملة العالم الذى غاب عن المشاهدة فالغيب
مصدر بمعنى اسم الفاعل اى الغائب وهو ما لم يشاهد لكن بالنسبة الينا واما
بالنسبة اليه تعالى فالكل من عالم الشهادة لا المفعول اى المغيب خلافا
لمن زعمه لان غاب لازم وخص بالذكر على حد قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه احدا لان العلم به افخم واظهر ولان اكثر علوم نبينا صلى الله عليه
وسلم تتعلق بالمغيبات بدليل فعلمت علم الاولين والآخرين فى الحديث المشهور
ولانه اختص به صلى الله عليه وسلم من حيث الاحاطة والشمول لعلمه بالكليات
والجزئيات فلاينافى ذلك اطلاع الله تعالى لبعض خواصه على كثير من المغيبات
وقوله ومنها اى العلوم المذكورة التى هى بمعنى المعلومات فلا استخدام فى
العبارة خلافا لمن قاله وهو خبر مقدم ولآدم حال والاسماء مبتدا مؤخر
اى ان آدم علم باحدى الطرق الاربعة المتقدمة اسماء الاشياء اى الالفاظ
الدالة عليها ولو افعالا وحروفا دون المسميات اى المعانى المدلولة لتلك
الالفاظ فحاصل الفرق بين نبينا وبينه ان نبينا علم الاسماء والمسميات
وآدم علم الاسماء فقط وما درج عليه الناظم هو المتبادر من الاية وهو
قول من اقوال ثلاثة ووراءه قولان آخران احدهما انه علم الاسماء والمسميات
كنبينا لكن علم نبينا بهما اتم واجلى ثانيهما انه علم المسميات دون الاسماء
لان المزية فى العلم انما تحصل بمعرفة مقاصد المخلوقات ومنافعها لا بمعرفة
ان اسماءها كذا وكذا قاله بعض المحققين وهذا وان قرب من المعنى
فهو بعيد من اللفظ اى لان قوله باسماء هؤلاء وما بعده ظاهر او صريح فى الاسماء
فقط فى ضمائر الكون حال وجملة تختار خبر تزل والكون الوجود اى
الموجودات وضمائره مستوراته اى المستورات منه الخفية والمراد بها هنا اصلاب
الاباء وارحام الامهات وقوله تختار اى تصطفى لك اى لاجلك الامهات
جمع ام وهى الوالدة مباشرة او بواسطة من قبل الام او من قبل الاب
وقوله والآباء جمع اب وهو الوالد مباشرة او بواسطة من قبل الاب او الام

لك ذات العلوم من عالم الغيب
ومنها لآدم الاسماء
لم تزل فى ضمائر الكون تختا
ر لك الامهات والآباء

والمعنى كما طابت ذاتك بما اوتيته من الكمال الاعلى كذلك طاب نسبك
فلم يكن فى امهاتك من لدن حواء الى امك امنة ولا فى ابائك من لدن آدم
الى ابيك عبد الله الا من هو مصطفى مختار وقد كان نوره صلى الله عليه وسلم
فى آدم وظاهرا يلمع فى جبهته ثم انتقل ذلك النور لولده شيث فلما قربت
وفاة آدم وصى شيثا ان لا يضع هذا النور الا فى المطهرات من النساء
وكذلك وصى شيث بنيه وهكذا لم تزل تلك الوصية معمولا بها حتى وصل
ذلك النور الى عبد المطلب ثم الى ولده عبد الله وطهر الله هذا النسب الشريف
من سفاح الجاهلية بكسر السين اى زناهم كما ورد فى الاحاديث كحديث
البيهقى فى سننه ما ولدنى من سفاح الجاهلية شئ ما ولدنى الا نكاح الاسلام
ويؤخذ من كلامه ما صرحت به الاحاديث ان اباء النبى وامهاته الى آدم
وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يقال فى حقه انه مختار ولا كريم ولا طاهر
بل نجس وهذا صريح فى ان ابوى النبى صلى الله عليه وسلم آمنة وعبد الله من
اهل الجنة لانهما اقرب المختارين له صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق بل فى
حديث صححه غير واحد من الحفاظ ان الله احياهما له فامنا به خصوصية لهما
وكرامة له صلى الله عليه وسلم وكون الايمان به لا ينفع بعد الموت محله فى غير
الخصوصية والكرامة فان قلت اذا قررتم انهما من اهل الفترة وانهم
لا يعذبون فما فائدة الاحياء قلت فائدته اتحافهما بكمال لم يحصل
لاهل الفترة لان غاية امرهم انهم لحقوا بالمسلمين فى مجرد السلامة من
العذاب واما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فاتحفا بمزيد الايمان زيادة
فى شرف كمالهما بحصول تلك المراتب لهما ولا يرد على الناظم آزر فانه كافر مع ان
الله تعالى ذكر فى كتابه العزيز انه ابو ابرهيم وذلك لان اهل الكتابين اجمعوا على
انه لم يكن اباه حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمى العم ابا ما مضت
فترة بفتح الفاء وهى ما بين موت الرسول وبعثة الرسول الذى يليه كما بين
عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم واختلفوا فى قدر ما بينهما والمشهور انه
ستمائة سنة وهذه فترة فى حق العرب وغيرهم اذ لم يكن فى هذا الزمن رسول
اصلا وتزيد العرب على غيرهم بان الفترة فى حقهم ما بين اسمعيل ومحمد وهو
الوف من السنين اذ لم يرسل للعرب بعد اسمعيل الا محمد اى ما مضى زمن
خال من الرسل تنسى فيه ذكرك الا جددته الانبياء وقوله بشرت من البشارة
وهى الخبر السار بخلاف النذارة فانها الخبر الضار المسئ وقوله قومها الضمير

ما مضت فترة من الرسل الا
بشرت قومها بك الانبياء

عائد على الانبياء وان تاخر لفظا لتقدمه رتبة لكونه فاعلا ويصح ان
يعود على الفترة اى الا بشرت قوم الفترة اى الاقوام الكائنين فيها ببعثتك
وباهر رسالتك وعظمتك الانبياء اى الرسل الذين اتوا بعد تلك الفترة
وفى هذا استدلال واضح على كمال شرفه صلى الله عليه وسلم ورفعته على سائر
الرسل وانه نبى الانبياء المقدم عليهم التابعون له هم واممهم وشاهد ذلك
قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الآية وقد اختلف المفسرون
فيها والذى قاله على وابن عباس وطاوس والحسن انه تعالى اخذ على كل
نبى بعثه من لدن آدم ان من ادرك محمدا صلى الله عليه وسلم وهو حى ليؤمنن
به ولينصرنه ويلزم من هذا ان الانبياء كانوا ياخذون الميثاق على اممهم بانهم
ان ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم امنوا به ونصروه فان قلت قد علم الله انه
لا يظهر فى زمنهم فما فائدة اخذ ذلك الميثاق واجيب بانه تشريف وتعظيم
له وانه لو قدر انه وجد فى زمنهم لوجب عليهم الايمان به قال السبكى
دلت الآية على انهم لو ادركوا زمنه كان مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته
عامة لجميع الخلق الانبياء واممهم من لدن آدم الى قيام الساعة وح يدخلون
فى قوله وارسلت للناس كافة وحكمة اخذ الميثاق على الانبياء اعلامهم واممهم
بانه المتقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وقد ظهر ذلك فى الدنيا بكونه امهم ليلة
الاسرا ويظهر فى الآخرة بانهم كلهم تحت لوائه بل وفى آخر الزمان بكون عيسى
ينزل حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم دون شريعة نفسه تتباهى
بك العصور اى تتفاخر بوجودك العصور اى الازمنة الطويلة من لدن
آدم الى يوم القيمة وما بعده فكل عصر يفتخر على العصر الذى قبله لوجودك
فيه بكمال اعلى مما قبله ولو فى ضمن آبائك لكن اعظمها افتخارا عصر بروزك
الى هذا العالم ثم عصر نشائك ثم عصر رضاعك ثم عصر شق بطنك ثم
عصر تعبدك بحراء وهكذا فالعصور من لدن آدم الى عصر وفاته يفتخر كل
متاخر منها على سابقه اذ المتاخر افضل مما قبله وكذلك عصور امته من
الصحابة الى آخر الزمان تتباهى وتتفاخر لكن السابق يفتخر على اللاحق لقرب
السابق من عهده صلى الله عليه وسلم فكل سابق افضل من المتاخر عنه
وقوله وتسمو اى تعلو وترتفع وقوله بك الباء سببية اى بسبب تلبسها
بك وقربها منك وقوله علياء فاعل تسمو وهو نعت لمحذوف اى مرتبة علياء
وقوله بعدها علياء جملة اسمية مستقلة نعت لعلياء الاولى اى لك فى كل

تتباهى بك العصور وتسمو
بك علياء بعدها علياء

عصر من العصور المذكورة رتبة اعلى مما قبلها واعلى منها ما بعدها وهكذا الى
ما لا نهاية له ودليل تفاوت مراتبه كما ذكر قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على
قلبى فاستغفر الله قال العارف القطب ابو الحسن الشاذلى هذا غين انوار
لا غين اغيار لانه صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقى فكان كلما توالت انوار العلوم
والمعارف على قلبه ارتقى الى مرتبة اعلى مما هو فيها ورأى ان ما قبلها دونها فيستغفر
الله تعالى من تلبسه بذلك الدون تواضعا وطلبا لتزايد كماله وقد جعل الناظم
تلك المراتب هى التى تسمو وترتفع به ولم يجر على ما هو المتبادر انه الذى يسمو ويرتفع
بها لما هو الحق انه تعالى خلقه فى عالم الغيب على اكمل كمال يمكن ان يوجد لمخلوق ثم
ابرزه فى عالم الشهادة مندرجا فى تلك المراتب لتتشرف به لا ليتشرف هو بها لما
علمت انه كامل قبلها وبدا اى ظهر للوجود اى لهذا العالم وقوله منك كريم اى
سالم من كل صفة نقص جامع لكل صفة كمال وهذا احد انواع التجريد الذى هو
من ادق انواع البديع وهو اعنى التجريد ان ينتزع من امر ذى صفة امر آخر مماثل
لذلك الامر فى تلك الصفة مبالغة لكمالها فى ذلك الامر حتى كانه بلغ من الاتصاف
بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة وهو
انواع منها ما يكون بمن التجريدية كما هنا ونحو قولهم لى من فلان صديق حميم اى
قريب يهتم لامره اى بلغ فلان من الصداقة حدا يصح معه ان يستخلص منه
فلان آخر مثله ونحو قوله تعالى لهم فيها اى فى جهنم دار الخلد بالغ لكمال شدتها
فيها تهويلا لامرها حتى انتزع منها دارا وجعلها فيها معدة للكفار فهو صلى الله عليه
وسلم لكماله فى صفة الكرم صح ان ينتزع منه شخص كريم مبالغة فى صفة كرمه
وكماله فيه وقوله من كريم اى ان هذا الكريم الذى وجد منه صلى الله عليه وسلم وهو
نفسه وجد من كريم آخر اى سالم من نقص الجاهلية والمراد بالكريم الآخر ابوه وامه
عبد الله وآمنة وقوله آباؤه اى اباء ذلك الكريم الثانى كرما وهذا ظاهر فى اسلام
ابويه صلى الله عليه وسلم وقدم ما فيه نسب التنوين فيه للتعظيم اى نسب عظيم
بل لا اظهر ولا اجل منه فى الانساب وهو اسم لعمود القرابة الذى يجمع متفرقها وقوله تحسب بفتح
السين وكسرها اى تظن انت ايها المخاطب وقوله العلا جمع عليا تانيث الاعلى كما مر وقوله
بحلاه بضم اوله وكسره وهو افصح جمع حلية بكسر اوله وهى ما يتزين به وتسمى
حليا ايضا اى بسبب حلا ذلك النسب وزينته وقوله قلدتها اى العلا فى محل
مفعول تحسب الثانى والاول العلا وقوله نجومها منصوب على نزع الخافض
اى بنجومها وقوله الجوزاء اسم لبرج فى السماء كما فى القاموس وعليه فنجومها ما حوله

وبدا للوجود منك كريم
من كريم آباؤه كرماء
نسب تحسب العلا بحلاه
قلدتها نجومها الجوزاء

من النجوم التى تسمى نطاق الجوزاء وقبة الجوزاء وتطلق عرفا على النجوم المجتمعة
المعروفة قبل وهى تشبه المرأة فلذا نسب التقليد اليها لكن على الاطلاق الثانى
يكون فى التركيب شئ لانه اذا كان المراد بالجوزاء نفس النجوم لا يظهر قوله قلدتها
نجومها اذ النجوم نفس الجوزاء الا ان يقال ان الجوزاء اسم لمجموع النجوم والمراد
بنجومها كل فرد على حدته فيكون المراد ان المجموع قلد بكل فرد من افراده علا
النسب اى مراتبه العالية وح لا بدع ان ينسب الى الشئ من حيث هو مجموع انه
قلد غيره كلا من تلك الافراد التى اشتمل عليها ومعنى البيت ان من كمال هذا
النسب وشرفه ان من تامل فيه حسب بسبب ما تحلى به من الكمالات ان معاليه
قلدتها الجوزاء بنجومها اى جعلت قلادة لها فافاد كلامه ان كل واحد من اولئك
الاباء الكرام قد ارتفع فى زمنه حتى صار كانه النجم فى الشرف وعلو المرتبة والاضاءة
والاهتداء به فى ظلمات البر والبحر حتى يظن الظان انه نجم من نجوم الجوزاء وان
ذلك النسب متناسب كتناسب العقد وكاستدارة نجوم الجوزاء وان مجموع
هذا النسب كالعقد الثمين جدا الذى تقلد عنق تلك المراتب العلية اهـ ش
ببعض تصرف وبعبارة اخرى لشيخنا الحفنى نصها قوله تحسب العلا بحلاه
الباء سببية كما نص عليه الش والحلا جمع حلية وهى ما يتحلى به من الكمالات كما
ذكره الش ايضا فهى بمعنى العلا فيصير التركيب هكذا تحسب العلا بسبب العلا
وهذا لا يصح فينبغى ان يراد بالحلا نفس الزينة القائمة بالاشخاص فكانه قال
تحسب بسبب المحاسن القائمة بهم ان العلا قلدتها الخ فالعلا هى المراتب
الشريفة ويكون الش ناظر البيان الحلا فى الاصل لا للمراد بها هنا ويصح ان يراد
بالحلا الصفات المحسوسة وبالعلا المراتب الناشئة عنها فيكون كلام الش ظاهرا
وقوله قلدتها الخ فيه ثلاث استعارات كلها تصريحية الاولى فى النجوم حيث شبه
افراد ذلك النسب من حيث ارتفاع كل واحد منها فى زمانه حتى صار كانه النجم
فى الشرف وعلو المرتبة والاضاءة والاهتداء به بنجوم الجوزاء واستعار لفظ
النجوم لتلك الافراد والثانية فى الجوزاء حيث شبه مجموع تلك الافراد المسمى بالنسب
فان النسب اسم لمجموع افراد الاصول بالجوزاء من حيث التناسب بين افراد
كل والشهرة الى آخر ما تقدم واستعار لفظ الجوزاء لهذا النسب والثالثة
فى قوله قلدتها حيث شبه اعطاء النسب افراده للمراتب العلية لتتزين تلك
المراتب بالافراد على خلاف المتعارف بالباس القلادة لمن يتزين بها
واستعار الباس القلادة لاعطاء الافراد واشتق منه قلدتها بمعنى اعطتها

فيكون استعارة تصريحية تبعية والمعنى تحسب ايها المتأمل فيه بسبب الزينة
القائمة به ان مراتبه العالية القائمة بافراده قد تقلدت بتلك الافراد لتتزين بها
فيكون فى هذا البيت قد جرى على اسلوب ما سبق فى قوله وتسموبك عليا حيث
جعل هناك المرتبة العالية هى التى تعلو به على خلاف المعتاد من ان الشخص
يعلو ويرتقى بالمرتبة العالية فيكون قد جعل هنا مراتب النسب هى التى تتزين
وتتقلد بالافراد فافراد النسب تكسب المراتب العالية الزينة والشرف فكأنه
قال تحسب العلا تقلدت بافراد النسب لكن على هذا فى الكلام اظهار فى
مقام الاضمار حيث قال قلدتها نجوم الجوزاء فان الجوزاء المراد بها هنا النسب
وهو مذكور سابقا وارتكبه للتوصل الى تشبيه بالجوزاء وادعا انه هى وانما
ارتكب الناظم هذا التركيب الصعب للتوصل الى تشبيه الافراد بالنجوم الى آخر
ما تقدم فى الاستعارات وح ينبغى ان يراد بالحسبان هنا الاعتقاد الجازم
لا معناه الاصلى وهو الظن المشتمل على تجويز النقيض لان هذا لا يليق
بالمدح الكامل فيكون فى الكلام اربع مجازات ولعل الشارح اشار اليها كلها بقوله
كاستعارة نجوم الجوزاء اه فتكون كلها داخلة تحت الكاف ولا يصح جعل
الجوزاء استعارة بالكناية كما ذكره بعضهم لامرين الاول انه لا يلائم قول الشارح
كاستعارة نجوم الجوزاء فان نجومها اذا كانت مستعارة لافراد النسب
المتتابع لا يصح جعلها استعارة بالكناية والثانى ان البيت ح لا يفيد المعنى
السابق من ان المراتب هى المتقلدة والمتزينة بالافراد وان تلك الافراد
كالعقد الذى يتزين به تأمل اه حبذا صيغة مدح كنعم عملا ومعنى مع
زيادتها عليها باشعارها بان الممدوح بها محبوب للقلب واصلها حبب بضم
الباء الاولى اى صار حبيبا اى محبوبا لا حبب بفتح الباء اذ المعنى عليه احب
صار محبا والغرض انه محبوب ثم ادغمت الباء الاولى بعد سلب ضمتها فى الثانية
فصار حب كرد والاصح ان ذا فاعله وقيل حبذا كله فعل وفاعله المخصوص
وقيل الكل اسم واحد وقوله عقد هو المخصوص بالمدح وهو مبتدا مؤخر والجملة
قبله خبره وقوله سودد بضم السين اى سيادة وقوله وفخار بفتح الفاء اى
افتخار وتمدح بالخصال الجليلة قال بعضهم وقوله عقد سودد من قبيل التشبيه
البليغ للجمع فيه بين الطرفين وهذا مبنى على ان العقد مشبه والسودد مشبه به
وليس كذلك بل هو من قبيل اضافة الموصوف لصفته اى عقد موصوف بالسيادة
والفخار نعم اطلاق العقد على النسب استعارة تصريحية وقوله انت مبتدا

حبذا عقد سؤدد وفخار
انت فيه اليتيمة العصماء

والعصماء

والعصماء خبره وفيه حال من المبتدا والجملة صفة لعقد او حال منه اى فى ذلك
العقد وفى نسخة فيها نظرا الى المعنى لما تقرر ان العقد القلادة وقوله اليتيمة اى
التى لا شبيه لها فى جنسها وقوله العصماء من العصمة اى الحفظ والمنع لان
من شان هذه الدرة ان يبالغ فى حفظها ومنعها عن ان تصل اليها يد الاغيار
وهذا فيه غاية المدح له صلى الله عليه وسلم ولنسبه اى حبذا نسبك الذى اذا
ذكرت وعدت معك اباؤك كانوا قلادة منتظمة من جواهر ثمينة لها السيادة
والفخار على جميع الجواهر وكنت انت اعظمها وانفسها واعلاها بحيث تكون انت
واسطتها العديمة النظير والمخصوصة من الرعاية والحفظ والمنع بما لم يوجد
لغيرها لتميزها ببلوغها من صفات الجمال ونعوت الجلال ما يبهر العقول
ويفوق الوصف ومحيا مقصور كفتى مرفوع بضمة مقدرة على الالف
المحذوفة لالتقاء الساكنين معطوف على عقد سودد الذى هو مخصوص
بالمدح اى وحبذا ايض محيا والمحيا معناه الوجه اى وحبذا وجه وقوله
كالشمس نعت له وقوله منك حال منه وقوله مضى نعت آخر او ان قوله مضى
مبتدا موخر وكالشمس خبر مقدم والجملة نعت لمحيا او حال منه لتخصيصه بمنك
وقوله اسفرت عنه الجملة حال او نعت ايض وقوله اسفرت عنه اى انحسرت
وزالت وانقضت وانكشفت عنه اى عن ذلك المحيا او اضاءت متجاوزة
عنه ليلة عظيمة وقوله غراء اى بيضاء بظهور نوره فيها وبعدها وهذا اولى
من جعل ذلك اى جعل كونها غراء من حيث ظهور القمر فيها بناء على انها ليلة
ثانى عشر من الشهر او من حيث كونها من غرة الشهر اى اوله بناء على انها
الليلة الثانية منه لان كلا من هذين لا مدح فيه له صلى الله عليه وسلم بخلاف
الاول اذ فيه اشارة الى ان تلك الليلة استنارت بنوره فكانت غرة فى وجه
الدهر ليلة المولد بدل من ليلة غراء والمولد بكسر اللام مصدر ميمى بمعنى
الولادة وقوله الذى نعت للمولد وكان ناقصة وسرور اسمها وخبرها للدين
او بيومه او كل منهما والدين الشرع المبعوث به النبى الكريم صلى الله عليه وسلم
وقوله سرور اى فرح عظيم وقوله بيومه اى فى يومه او كان السرور بسبب
اليوم من حيث الولادة فيه واضاف ذلك ليوم المولد دون ذاته مبالغة
فى زيادة عظمته لان ذلك اذا وقع لظرفه التابع له فكيف بذاته وقوله
ازدهاء اى افتخار اى هذه الليلة الغراء هى ليلة ولادتك وانت اشرف
مولود فلاجل ذلك سر الدين واهله باليوم الذى برزت فيه الى هذا الوجود

ومحيا كالشمس منك مضىء
اسفرت عنه ليلة غراء
ليلة المولد الذى كان للدين
سرور بيومه وازدهاء

على الوجه الاكمل وافتخرا به على سائر الاديان والايام وازدهاء اصله ازتهاء
من الزهو وهو التكبر والفخر وقعت تاء الافتعال وهي من الحروف الرخوة بعد
الزاء التي هي من الشديدة فتنافرتا فابدلت دالا وابقيت بلا ادغام ويجوز
تعد قلبها زايا او الزاي دالا الادغام احداهما في الاخرى واختلفوا هل ولد
ليلا او نهارا وظاهر كلام المتن الاول والراجح الثاني لكن بعيد الفجر وعلى
انه ولد نهارا فهو يوم الاثنين اتفاقا ثم قيل انه في شهر غير معين والمشهور
انه معين وهو صفر او ربيع الاول او ربيع الآخر او رجب او رمضان او يوم
عاشوراء اقوال ستة والاصح انه في شهر ربيع الاول فقيل ان اليوم فيه
غير معين والاصح انه معين فقيل لليلتين منه وقيل لثمان وقيل لعشر
وقيل لثنتي عشرة وهو المشهور وعليه العمل وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان
بقين منه اقوال ستة وانما لم يكن في يوم الجمعة ولا في الاشهر الحرم ورمضان
لئلا يتوهم انه صلى الله عليه وسلم شرف بذلك الزمن الفاضل فجعل في المفضول
لتظهر مزيته به على الفاضل ونظير ذلك دفنه بالمدينة دون مكة لانه لو
دفن بها لكان يقصد تبعا لها فافرد بموضع مفضول عند اكثر العلماء لتتشرف
به بل ليفوق به الفاضل عند كثيرين منهم وليقصد قبره ومسجده بطريق
الاستقلال لا التبعية اظهارا لمزية كرامته على ربه واختلفوا في عام ولادته
والاكثرون على انه عام الفيل والمشهور انه ولد بعده بخمسين يوما ووراء
ذلك اقوال أخر فقيل ولد بعد الفيل بخمسة وخمسين شهرا وقيل باربعين
شهرا وقيل بعشر سنين وقيل بخمسة عشر سنة واختلفوا في مكان ولادته
والصواب انه مكة قيل بالشعب وقيل بالردم والمشهور انه بالمسجد المشهور
الآن بالمولد وزعم انه ولد بعسفان شاذ لا يعول عليه تامل وتوالت
اي تتابعت والظ انه معطوف على كان الواقعة صلة للموصول الذي هو لفظ
الذي الواقع صفة للولد الذي هو بمعنى الولادة لكن هذا المعطوف خال عن
العائد للموصول فلعله اكتفى بالعائد في المعطوف عليه او يقال العائد اعاد
موصوف الموصول بلفظه لان قوله ان قد ولد على تقدير الجار فيؤول بمصدر
اي بان قد ولد اي بالولادة ولعل هذا القدر كاف في العائد وقوله بشرى
بمعنى البشارة وقوله الهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يرى
شخصه وقد هتفت الجن كثيرا ليلة مولده اي اخبرت بولادته بعضها
على الحجون بفتح الحاء جبل مطل على معلاة مكة اي مقبرتها وبعضها

وتوالت بشرى الهواتف ان قد ولد المصطفى وحق الهناء

على ابي قبيس وقوله وحق بفتح الحاء اي ثبت يقال حق الشيء بفتح الحاء
يحق بكسرها وضمها اذا ثبت ومن هذا المعنى اسمه تعالى فمن اسمائه تعالى الحق
اي الثابت وجوده ازلا وابدا وقوله الهناء اي الفرح والسرور لكل الخلائق به
عليه الصلاة والسلام وتداعى معطوف على الصلة ايضا او مستانف
اي تهادم اي اشرف على السقوط لانه انشق شقا بينا افضى الى خرابه وسقط
منه اربعة عشر شرافة وفسرت باربعة عشر ملكا من ملوك فارس تملك فهلك
عشرة في زمن عمر واربعة في زمن عثمان وقوله ايوان بكسر الهمزة اصله اوان
بتشديد الواو فقلبت احدى الواوين ياء لانكسار ما قبلها وقد تحذف
الياء ويقال اوان كخوان ويقال فيه ليوان ويجمع على اواوين كدواوين
وهو بيت الملك المعد لجلوسه مع ارباب مملكته لتدبير ملكه وكان محكما
يظن انه لا تهدمه الا النفخة وكان طوله مائة ذراع وسمكه كذلك وعرضه خمسون
ذراعا وقرر شيخنا العمادي انه بلغه ان مسجدا للسلطان حسن بني على
شكل وقدر وصورة ايوان كسرى وقوله كسرى بفتح الكاف وكسرها
لقب لكل من ملك الفرس وكان اسمه انوشروان وقوله ولولا حرف
امتناع لوجود وقوله آية اصلها اوية قلبت الواو الفا وقوله منك متعلق
بمحذوف اي صادرة منك اي علامة عظيمة على نبوتك ورسالتك
العامة وان كل من عاندك لا يرتفع له راس وفيه التفات من الغيبة
الى الخطاب وقوله ما تداعى البناء اي هذا المبنى المذكور مع ما هو عليه
من العظم والاحكام ولما تحرك وانشق وسقطت شرافاته علم ان ذلك
ليس الا محض آية وعلامة دالة على نبوته وانه لا ملك ولا عز يبقى لاحد
مع ملكه وعزه فقد اهين كسرى بجيوش عمر غاية الهوان وطرد الى اقصى
مملكته ثم قتل في زمن عثمان بجيوشه وزال ملكه بالكلية وغدا
معطوف على الصلة ايضا او مستانف اي صار في تلك الليلة كل بيت نار
اي كل واحد من بيوت نار الفرس التي كانوا يعبدونها ويحكمون ايقادها
حتى انه كان لها الف سنة لم تخمد ونار اصله نور قلبت الواو الفا وكانت
هذه الصيرورة من العجائب التي ظهرت ليلة ولادته ليتنبهوا ويسألوا
عن سبب ذلك وقوله وفيه الواو للحال وقوله كربة بضم اوله اي غم ياخذ النفس
ويتمنا اهلها وقوله من خمودها من تعليلية والخمود بضم الخاء من باب دخل
سكون لهب النار من غير انطفاء جمرها فان انطفى ايضا قيل له همود وهو

وتداعى ايوان كسرى ولولا آية منك ما تداعى البناء
وغدا كل بيت نار وفيه كربة من خمودها وبلاء

من باب دخل ابن وقوله وبلاء اى عظيم صبه الله عليهم ازالة لما يعتقدونه آلهتهم ومتعبدهم فلما انطفأت تلك النيران العظيمة فى ساعة واحدة من تلك الليلة علموا ان ذلك لامر عظيم حدث فى العالم وكان كذلك وعيون معطوف او مستانف كما تقدم اى ومن تلك العجائب التى ظهرت فى تلك الليلة عيون وهو مبتدا وسوغه وصفه بقوله للفرس وجملة غارت هو الخبر والفرس بالضم ويقال لهم فارس امة عظيمة كان مسكنهم فى شمال العراق من الفراسة بالفتح اى الشجاعة وكسرى من اعظم ملوكهم وقوله غارت اى فى الارض حتى لم يبق منها قطرة ومن جملتها بحيرة طبرية كانت تسير فيها السفن وكان طولها ستة اميال وعرضها كذلك وتسمى عين ساوة وقوله فهل الخ استفهام تعجبى توبيخى تقريعى اى يتعجب من غورها مع كثرتها ومن انطفاء النار مع قوتها فهل طفئت النار بالماء لا بل لم يطفها الا سر وجوده وظهوره الذى اضمحل به كل باطل ولذا قال مولد الخ وقد اشار لهذا فى بردة المديح بقوله كأن بالنار ما بالماء من بلل حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم مولد بالجر بدل من المولد وبالرفع خبر مبتدا محذوف وقوله كان اى صار على الدوام وقوله منه اى من اجله او هى ابتدائية وقوله فى طالع الكفر اى فى النوم او الالهام الذى يطلع به على عواقب الكفر ونهايات اهله المترتبة عليه فهذا هو المراد بالطالع وقال بعضهم الطالع فى الاصل اسم لنجم يستدل به الكهنة والمنجمون من الكفرة على امور تحدث فى العالم فيقولون اذا طلع النجم الفلانى يحصل كذا وكذا واضيف للكفر من حيث اعتماد اهله عليه وتعويلهم عليه واستعير هنا للامور التى دلت على وقوع الوبال بهم كرؤيا الموبذان واخبار سطيح ووجه الشبه المبنية عليه الاستعارة دلالة كل على امر خفى وان كانت دلالة النجم بحسب زعمهم ودلالة الامور المذكورة على سبيل التحقيق فى الظرفية من قبيل ظرفية المدلول فى الدال فان الوبال مدلول كما علمت والطالع باعتبار المراد منه دال عليه وقوله وبال اى هم وغم عليهم اى الكفار المعلومين من السياق وقوله ووباء بالقصر وبالمد لغة وهو المرض العام الذى لا يختص بطائفة ويقال هو كثرة الموت من غير سبب بخلاف الطاعون فانه الموت بسبب طعن كفار الجن لمسلم الانس فهنيئا اى فبسبب ما حصل بوجوده فى هذا الكون لهذه الامة من المزايا وله من العطايا ولآبائه وامهاته من الشرف الاكبر حق ان يقال فى شان امه هنيئا لآمنة وقوله

ش

العفنر

وعيون للفرس غارت فهل كا
ن لنيرانهم بها اطفاء

مولد كان منه فى طالع الكفر
وبال عليهم ووباء

فهنيئا به لآمنة الفضـ
ـل الذى شرفت به حواء

الفضل فاعل فعل محذوف وهنيئا حال منه اى من الفاعل المذكور والتقدير ثبت لها الفضل اى الكمال والشرف حال كونه هنيئا اى لا آفة فيه ولا نكد وقوله الذى شرفت به حواء اى ومن بعدها من امهاته الى آمنة فان الولادة منسوبة الى كل منهن لكنها لآمنة بدون واسطة ولغيرها بواسطة فمن ثم خصها من بينهن بذلك الشرف حيث قال فهنيئا لآمنة فذكرها لهذا وللجمع بين طرفى الولادة الاول والآخر ولينبه على ان حواء امتازت بابرازه صلى الله عليه وسلم الى وجود عالم الاستقلال مع عدم الواسطة ومن ثم قال مبينا تميزها على حواء بذلك من لحواء الخ من لحواء الخ لما قرر اشتراك آمنة وحواء فى الولادة وتشرفهما بها اشار الى الفرق بينهما وان آمنة اشرف فقال من لحواء بالمد وهو استفهام استبعادى بمعنى النفى اى من يفرح لها ويثبت لها انها حملت احمد وهو اسم منقول من الصفة التى معناها التفضيل فمعناه احمد الحامدين اى اكثرهم حمدا لربه ولذا يفتح عليه فى القيامة عند الشفاعة بمحامد لم يفتح بها على غيره فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد ويكون تحته آدم فمن دونه وقوله حملت من باب ضرب سواء كان فى البطن او على الظهر او على الرأس ومنه حملت الشجرة ثمرها اذا اطلعته واخرجته وقوله او انها به نفساء اى اصابها نفاس وهو الدم الخارج عقب الولد اى او انها ولدته بلا واسطة اى لو قدر لها انها تحمله وتلده بلا واسطة لكان لها به غاية الفخر لكن لم يقدر ذلك لها بل لآمنة لما سبق فى علمه تعالى انها الفائزة بشرف الانتهاء وهو افضل مما فازت به حواء من شرف الابتداء ولهذا قال يوم نالت الخ يوم بدل من مولد فيما سبق فهو مرفوع او مجرور ويبنى على الفتح لاضافته للمبنى والظاهر انه بدل اشتمال لان المولد المراد به الولادة وقوله نالت اى ظفرت واخذت واعطيت بوضعه اى بسببه وقوله ابنة وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة فهى تلتقى مع النبى من جهة ابائها فى كلاب وامها برة بنت عبد العزى بن قصى بن عبد الدار بن قصى بن كلاب وقوله من فخار من بيانية لما التى بعدها والفخار التمدح بالخصال العلية والشيم الطاهرة المرضية وقوله ما لم تنله النساء اى حتى حواء كما مر وهذا لا يقتضى افضليتها على حواء مطلقا لانه انما فضلت من وجه واحد وهو ولادتها له بلا واسطة والتفضيل من حيث مزية واحدة او مزايا لا يقتضى الافضلية على الاطلاق فلا ينافى هذا ما انعقد عليه الاجماع من ان حواء

من لحواء انها حملت احمـ
ـد او انها به نفساء

يوم نالت بوضعه ابنة وهب
من فخار ما لم تنله النساء

افضل منها بدليل الاختلاف فى نبوتها وذكروا انه لما استقرت تلك النطفة
الكريمة فيها اصبحت اصنام الدنيا منكوسة واخضرت الارض وحملت الاشجار
وكانت قريش فى جدب شديد فسميت تلك السنة سنة الفتح ونودى فى
الملكوت ان النور المكنون قد انتقل الى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفضل
الظاهر قد خصها الله تعالى بهذا الحبيب واخرج ابو نعيم عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما انه قال ليلة حمل امنة برسول الله صلى الله عليه وسلم نطقت
كل دابة كانت لقريش وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو
امام الدنيا وسراج العلماء ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا
ومرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك اهل البحار بشر
بعضهم بعضا وله صلى الله عليه وسلم فى كل شهر من شهور حمله نداء فى الارض
ونداء فى السماء ان ابشروا فقد آن ان يظهر ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ميمونا
مباركا   واتت معطوف على نالت اى ويوم اتت وقوله قومها اسم جمع
للذكور وقد تدخل فيه النساء تبعا كما هنا وقوله بافضل اى بمولود افضل بالا
وقوله مما حملت اى به وهو عيسى وقوله قبل اى قبل امنة وعمران بينهما ستمائة
سنة وقوله مريم بنت عمران الصديقية قيل هى من ذرية سليمان وبينها وبينه
اربعة وعشرون ابا وهى افضل النساء على الاطلاق للخلاف فى نبوتها والقول
بها فيها اقوى من القول بها فى غيرها من النساء ورفع عيسى وعمرها ثلاث
وخمسون سنة وبقيت بعد ذلك خمس سنين او ستا كما قال السيوطى
قال ولما رفع الى السماء تعلقت به وبكت فقال لها القيمة تجمعنا وقوله العذرا
اى البكر لانها لم تتزوج والعذرة البكارة وحملها بعيسى انما هو من نفخ جبريل
فى طرف قميصها فحملت به ووضعته فى وقتها على الفور وهذا هو الاشهر كرامة
لها ومعجزة له واذا نزل الى الارض يصلى وراء المهدى اول مرة ثم يتقدم عليه
بعد ذلك وصلاته وراءه اولا اعلاما بانه لم ينزل مستقلا بل تابع ومؤيد
وحاكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وتقدمه على المهدى بعد ذلك لانه افضل
منه   شمتنه من التشميت بالمعجمة والمهملة وهو ان يقال للعاطس
يرحمك الله وهذا دعاء له بالسلامة من الشوامت او ببقاء سمته بحاله لان
العطاس ربما كان سببا لانحراف بعض الاعضاء كتعويج العنق لكن
لا يسن تشميت العاطس الا اذا حمد الله بعد عطاسه ويسن للحاضر ان يذكره
الحمد بان يقول هو اى الحاضر الحمد لله رب العالمين فيقوله العاطس فيقول له الحاضر

يرحمك

يرحمك الله ولشيخنا الحفنى رحمه الله تعالى

من يبتدى عاطسا بالحمد يامن من … شوص ولوص وعلوص كذا وردا
عنيت بالشوص داء الضرس ثم بما … يليه بطنا فاذنا فاستمع رشدا

وهذا النظم جاء به الحديث وقوله الاملاك بوزن افعال جمع ملك وهذا هو
القياس فى جمعه كجمل واجمال ولفظ الملك مشتق من الالوكة وهى الرسالة
فهمزته اصلية وميمه زائدة واصله مالك بتقديم الهمزة على اللام بوزن مفعل
ثم نقلت الهمزة الى ما بعد اللام فصار ملاك على وزن مفعل ثم خفف بعد
النقل ونقلت حركة الهمزة الى اللام فصار ملك على وزن معل وح فقياس
هذا جمعه على افعال كما جرى عليه الناظم وانما جمعوه على ملائكة لانهم راعوا
ملاك بعد القلب وقبل التخفيف وقولهم من الالوكة مصرح بان ميمه زائدة
وهو راى الجمهور وذهبت طائفة الى انها اصلية ثم اختلفوا هل هو من
الملك بفتح الميم اى القوة لقوتهم او بكسرها بمعنى مملوك قولان قيل واحسن
من الجميع قول النضر بن شميل انه غير ماخوذ من شئ وهو التحقيق الذى
دلت عليه الآثار وقوله اذ وضعته اى وقت وضع امه له وقوله وشفتنا
اى افرحتنا وسرتنا او من الشفاء لانها رقية والرقيا كثيرا ما يحصل منها الشفا
لان قولها الآتى يشفى العليل ويبرد الغليل وقوله بقولها الشفاء بالفاء
المشددة وهى ام عبد الرحمن بن عوف احد العشرة رضى الله عنهم بنت عمرو
ابن عوف وقولها هو ما اخرجه ابو نعيم عن ولدها عبد الرحمن عنها قالت لما
ولدت امنة رسول الله وقع على يدى فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمك
الله ورحم بك قالت الشفاء واضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت
الى قصور الروم قالت ثم البسته واضجعته فلم البث اذ غشيتنى ظلمة ورعب
وقشعريرة ثم غيب عنى فسمعت قائلا يقول اين ذهبت به قال الى المشرق
قالت فلم يزل الحديث منى على بال حتى ان بعثه الله تعالى فكنت فى اول الناس
اسلاما وقولها فاستهل اى رفع صوته بالعطاس بشهادة قولها فسمعت
قائلا الخ اى سمعت ملكا يقول الخ وتعبير الناظم بصيغة الجمع فى قوله الاملاك
مبالغة واشارة الى ان عصمة الملائكة توجب ان الفعل المسند الى احدهم
كانه مسند الى الجميع وتشميت الملائكة له بالقول المذكور يقتضى انه حمد
الله بعد عطاسه لان التشميت انما يسن بعد حمد العاطس فعلى هذا
يكون صلى الله عليه وسلم من جملة من تكلم فى المهد   رافعا حال من مفعول

وصنعته وقوله رأسه اى الى السماء كما رواه ابو سعيد
ان آمنة قالت لما فصل منى تعنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج منى نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم
وقع على الارض معتمدا على يديه ثم اخذ قبضة من التراب فقبضها
ورفع راسه الى السماء وقوله وفى ذلك الرفع اى الذى هو اول فعل
وقع منه بعد بروزه الى هذا العالم وهو خبر مقدم وقوله الى كل سودد
اى رفعة وسيادة على الخلق وهو متعلق بالمبتدا الذى هو ايما وقوله ايماء
اى اشارة الى ان شانه وقدره يرتفع ويعلو فى الدنيا والآخرة الى مراتب
لا يصلها غيره من ملك ولا جن ولا انس   رامقا حال من مفعول
وضعته ايضا فتكون من الاحوال المترادفة او من ضمير رافعا فتكون
من المتداخلة وقوله طرفه فاعل رامقا اى بصره وهو مفرد لا جمع له
وقوله السماء مفعول به اى ناظرا الى جهتها نظرا خفيفا اذ الرمق بسكون
الميم النظر الخفى لا مطلق النظر وقوله ومرمى هو فى الاصل غرض الرامى مى
الذى يصيبه سهمه وهو هنا ما انتهى اليه البصر وهو مبتدا خبره العلاء
وعين مضاف اليه ومن موصولة صلتها جملة شانه العلو والمراد بشانه
قصده وقوله العلو اى ارتفاع مكانه وقوله العلاء بالفتح والمد اى
الرفعة والشرف ويجوز ضم عينه مع القصر اى الرتب العالية اى كما ان
رفع راسه ايماء الى ما مر كذلك رمق بصره الى جهة العلو ايماء الى انه لا يقصد
الا اعلى المراتب اذ من شان العلو لا يقصد الا جهاته وما يوصل اليها
دون غيرها مما لا يناسب فضله   وتدلت معطوف على نالت اى
ويوم تدلت اى دنت وقربت وقوله زهر النجوم جمع ازهر اى نجم ازهر
اى مضئ مشرق فهو من اضافة الصفة للموصوف اى الكواكب المضيئة
وقوله اليه اى تعظيما وتكريما له لم يقع نظيره لغيره وقوله فاضاءت
اى فبسبب هذا التدلى اضاءت وقوله بضوئها اى بضوء تلك الكواكب كب
المضيئة وقوله الارجاء اى نواحى البيت الذى ولد فيه او نواحى السماء
او نواحى الوجود وروى البيهقى عن فاطمة الثقفية انها قالت لما حضرت
ولادة النبى صلى الله عليه وسلم رايت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورايت
النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع على   وتراءت اى ويوم تراءت من
راى بمعنى ابصر وليس المراد هنا حقيقة التفاعل بل اصل الفعل اى رايت

قصور قيصر وهو لقب لكل من ملك الروم وقوله بالروم هو فى الاصل
اسم شخص هو ابن عيصو اخى يعقوب والمراد هنا نفس الاقليم وقوله
يراها الح حال وقوله من داره اى الذى داره البطحاء اى مكة والابطح
والبطحاء مسيل الماء الواسع الذى فيه دقاق الحصى واصل ذلك
ما روى عن امه عليه السلام قالت لما ولدته خرج من فرجى نور اضاء
له قصور الشام فولدته نظيفا ما به من قذر وفى رواية عنها لما فصل
منى خرج معه نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض
قصور الروم وصح انه ولد مختونا مقطوع السرة لكن المشهور ان عبد المطلب ختنه
يوم سابع ولادته وجعل له وليمة   وبدت لما تم الكلام على عجائب
ولادته شرع فى ذكر عجائب الرضاع ومعجزاته مستانفا او عاطفا عطف
الجمل فقال وبدت اى ظهرت لمن فى عصره بطريق العيان ولمن بعدهم
بطريق البرهان وقوله فى رضاعه اى فى زمانه او فيه نفسه وقوله
معجزات اى امور خارقة للعادة وتسميتها معجزات على راى السلف كالامام
احمد فانهم يطلقون المعجزة على كل خارق ليس بسحر وان تقدم على البعثة
والمشهور مذهب الخلف وهو ان المعجزة يشترط فيها ان تكون بعد
البعثة اما ما قبلها فيقال له ارهاص وتاسيس للنبوة فعليه تكون
تسمية عجائب الرضاع معجزات مجازا من حيث مشابهتها للمعجزات الحقيقة
وقوله ليس فيها متعلق بخفاء اى ليس خفاء كائن فيها لوضوحها
وهو اسم مصدر لا خفيته لانه بمعنى كتمته لا مصدر لخفيته لانه بمعنى
اظهرته   اذ ابته تعليل او ظرف لقوله وبدت فى رضاعه وقوله
ليتمه بضم الياء وفتحها ويقال يتم من باب علم وتعب وقرب اى لاجل
موت ابيه وقد مضى له وهو حمل شهران وقيل سبعة اشهر وكان موته
بطيبة المنورة وهو راجع من الشام للتجارة ومات عند اخوال ابيه عبد المطلب
ودفن بها وقيل دفن بالابواء محل قريب من رابغ قيل انما يتم صلى الله عليه وسلم
لئلا يكون لمخلوق فى عنقه حق وقيل فى الحكمة لئلا يجب عليه طاعة لغير
الله وقيل لئلا يكون عليه ولاية لغير الله وقوله مرضعات اى كن يأتين
مكة يطلبن الرضعاء لان ارضاع المراة ولدها كان عارا عندهم ولان
هواء البادية اطيب وقوله قلن ما فى اليتيم اى ما فى هذا اليتيم عنا
متعلق بقوله غناء اى ليس فيه نفع يغنى عنا شيئا ليتمه وفقره اى انما تركنا

فاتته من آل سعد فتاة
قد ابتها لفقرها الرضعاء

لانا انما نبغى الرضعاء رجاء المعروف من ابائهم واما الام والجد فليسا بذلك
فاتته اى فبعد ان تركته لذلك اتته من آل سعد بن بكر ونسبت
اليه مع انه الجد التاسع لها لانه اشهر وبه عرفت القبيلة وزوجها من هذه
القبيلة ايضا وقوله فتاة اى شابة كريمة وفى كونها حليمة السعدية من
الفال الحسن والبشارة العظيمة بحصول غاية الحلم والسعد لهذا الرضيع
ما لا يخفى عظيم وقعه وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن
وقوله قد ابتها اى امتنعت من اعطائها رضيعا الرضعاء اى اهلهم لان
الفقر يستلزم قلة الاكل المستلزمة لقلة اللبن المضرة بالرضيع عادة وما
تعطاه من الاجرة ربما تصرفه فى حوائجها غير الاكل فلا يفيدها فى دفع
الجوع الذى هو المحذور واصل ذلك ما رواه ابن اسحق عن حليمة انها قدمت
مكة فى نسوة من قومها يلتمسن الرضعاء فى سنة مجدبة ومعها ابن لها
صغير رضيع اسمه ضمرة ومعها ناقة ما فيها قطرة لبن فكان صبيها لا ينام
من الجوع قالت وما علمت امرأة منا الا وقد عرض عليها رسول الله فتأباه
اذا قيل يتيم وما بقى من صواحبى امرأة الا اخذت رضيعا غيرى فلما لم اجد غيره
قلت لزوجى والله انى اكره ان ارجع بدون رضيع فانطلقت الى ذلك اليتيم
فاذا هو مدرج فى ثوب من صوف ابيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته
حريرة خضراء وهو راقد على قفاه يغط والغطيط صوت النائم فكرهت
ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه فوضعت يدى على صدره
فتبسم ضاحكا فقبلته بين عينيه واعطيته ثديى الايمن فدر لبنه فشرب
منه ما شاء ثم اخذته فجئت به رحلى اى المكان الذى هم نازلون به وكان فى
جهة شبيكة فقام زوجى الى ناقتنا فاذا هى حافل اى ممتلئ ضرعها لبنا
فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فلم يزل الله يزيدنا خيرا

ارضعته لبانها فسقتهم
وبنيها البانهن الشاء
اصبحت شولا عجافا وامست
ما بها شائل ولا عجفاء

ارضعته بدل من اتته وقوله لبانها بكسر اوله مفعول به واللبان
مختص بلبن الرضاع وقوله فسقتهم اى فبسبب هذا الارضاع لهذا المولود
السعيد سقتها اى حليمة وبنيها وكانوا قد اشرفوا على الهلاك من الجوع لما
مر ان ارضهم كانت فى غاية الجدب وقوله لبانها فيه استعمال اللبان فى غير
لبن الرضاع مجازا والضمير راجع على الشاء وهو جمع شاة واسقاء الشاء
لبانها لحليمة وبنيها فى هذا الوقت المجدب كرامة لذلك المولود وببركته ايضا
اصبحت شولا اه   اصبحت اى الشاء وقوله شولا كركع فهو بالتشديد

اخصب العيش عندها بعد محل
اذ غدا للنبى منها غذاء

يالها منة لقد ضوعف الاجـ
ـر عليها من جنسها والجزاء

جمع شائل وهى فى الاصل الناقة التى تشول بذنبها للقاح ولا لبن بها
اصلا فاستعمالها فى الشاة مجاز علاقته المشابهة وقوله عجافا اى هزيلات
وقوله وامست لم يرد بامس واصبح معناهما وهو الاتصاف بالخبر فى
الصباح او المساء بل انها كانت فى حال فاعتراها نقيضه فى اقرب زمن
واسرعه وقوله ما بها اى ما فيها شائل مبتدا وخبر او شائل فاعل الظرف
وقوله ولا عجفاء اى هزيلة   اخصب من الخصب بكسر اوله وهو
ضد الجدب وقوله العيش اى ما يتعيش به سواء كان للادميين
او للدواب اى كثر قوت الادميين والدواب وقوله عندها اى حليمة
او الشاة وقوله بعد محل بسكون الحاء المهملة اى شدة جدب وهو انقطاع
المطر ويبس الارض من الكلأ والزرع وقوله اذا اى ذاك الخصب كان
وقت ان غدا منها او لاجل ان غدا منها اى صار وقوله منها اى من حليمة
او من الشاة والاول اظهر لان غذاءه من حليمة من غير واسطة ومن
الشاة بالواسطة وقوله غذاء بكسر الغين والذال المعجمة اى لبن تغذى
به   يالها كلمة تعجب من هذه الفعلة الجميلة من حليمة وهى ارضاعها له
من غير مقابل دنيوى ترجوه والغرض من هذا النداء التعجب لان العرب
اذا استعظمت شيئا تناديه على سبيل التعجب فليس النداء هنا على حقيقته
اذ النداء الحقيقى لا يخاطب به الا العاقل او المنزل منزلته والارضاع
ليس كذلك وقوله منة تمييز اى نعمة منها عليه وقوله لقد اللام
للقسم او للتاكيد وقوله ضوعف الاجر اى كرر الثواب اذ تضعيف الشئ
ان يزاد عليه مثله او اكثر وقوله عليها اى توالى الاجر وتتابع حال كونه
مستوليا على حليمة فعلى على بابها من الاستعلاء المجازى او الضمير فى عليها
لتلك المنة وتكون على تعليلية اى ضوعف الاجر لاجلها وقوله من جنسها اى حالة كونه من جنسها
اى من جنس تلك المنة وهى ارضاعها له والاجر الذى توالى عليها لبن
ماشيتها المذكور فى قوله سابقا فسقتها وبنيها اه وقوله والجزاء من
عطف الرديف اذ هو بمعنى الاجر وانما ضوعف عليها هذا الجزاء لان الجزاء
من جنس العمل فلما سقته لبنها سقتها وبنيها شياهها مع انها كانت وقت
اخذه من امه على غاية من الهزال وعدم اللبن فلاجل ان غذاه كان من
البانها ازال الله عنها المحل والجدب وابدلها منهما الخصب والخير الكثير جزاء
وفاقا واعلم ان ما حصل لحليمة من هذه المزية الجليلة انما نشأ من

تسخير الله لها لهذا الفعل الجميل الصادر منها المسبب عن سبق سعادتها
ولذا قال واذا سخر الاله الخ وادا سخر الاله اى ذلل ووفق وقوله
اناسا لغة فى الناس وقوله لسعيد اى لخدمته ومحبته والقيام بشانه
كحليمة وزوجها وبقية مرضعاته وكلهن اسلمن وهن اربع امه وحليمة
وثويبة جارية ابى لهب وام ايمن واول من ارضعه منهن ثويبة فاول
لبن نزل جوفه صلى الله عليه وسلم لبنها وقوله فانهم سعداء اى بسبب ذلك
جمع سعيد لان بركة ذلك السعيد تعود عليهم حتى يكونوا من سعداء الدنيا
والاخرة ولان المرء مع من احب من الاكابر وان لم يعمل بعملهم كما فى الحديث
وفيه ايضا الارواح جنود مجندة فما تعارف منها فى عالم الارواح ائتلف
فى عالم الاجساد ومعنى قوله فما تعارف منها اى ما توافقت طباعه منها اى
اذا كانت طباع الارواح متوافقة تكون عند الدخول فى عالم الاشباح
مؤتلفة واما اذا كانت غير متوافقة فتكون عند الدخول فى عالم الاشباح
كذلك وما يرى فى الخارج على خلاف ذلك كمحبة صالح لطالح او بالعكس
فلابد له من جامعة بينهما بان يكون فى الطالح المحبوب للصالح صفة
جميلة موافقة لما عليه الصالح او يكون فى الصالح المحبوب للطالح صفة خبيثة
موافقة لصفات الطالح الخبيثة ولذا قيل ان رجلا صالحا احب رجلا
من الملحدين فخاف الصالح ان يكون فيه صفة موافقة لصفات الملحد
فاطلعه الله على صفة جميلة فى ذلك الملحد وهى حبه لآل البيت وكانت
موافقة لحال ذلك الصالح ومن اعظم ما سعدت به حليمة توفيقها للاسلام
هى وزوجها وبنوها بل رد رسول الله سبى هوازن عليهم بواسطة كونها منهم
وكانت تقدم عليه فيكرم مثواها ولذلك زاد فى اكرام بنتها الشيماء لما اعتقها
من جملة من اعتق من سبيهم كما سيأتى وهذا من البديع المسمى بالكلام
الجامع وهو ان يأتى الشاعر ببيت تكون جملته حكمة او موعظة او تنبيها
او نحو ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال وهو كثير فى كلام الناظم
حبة الخ لما قرر ما حصل لها من الخصب بعد الجدب ببركة ارضاعها
له صلى الله عليه وسلم ومن انها جوزيت من جنس عملها بكثرة لبن شياهها
عقبه بما يبين ان تلك المضاعفة فى قوله لقد ضوعفت لاجر عليها بلغت
مراتب كثيرة فقال حبة اى هذه الفعلة الصادرة من حليمة حكمة الخ وليس
هذا من الاستعارة بل هو من التشبيه البليغ لكن بحذف المبتدا الذى

واذا سخر الاله اناسا لسعيد فانهم سعداء

حبة انبتت سنابل والعصف لديه يستشرف الضعفاء

هو المشبه واشار الى وجه الشبه الذى هو تضاعف الجزاء بقوله انبتت
سنابل جمع سنبلة وهى مجتمع الحب وهذا اقتباس من قوله تعالى كمثل حبة
انبتت سبع سنابل الآية وحذف الناظم لفظ سبع تنبيها على ان خصوص
هذا العدد ليس مرادا بل المراد مطلق الكثرة وقوله والعصف الخ جملة
حالية وهو ورق النبات اليابس كالتبن وقوله لديه اى عنده وقوله
يستشرف اى تنتظر وتتطلع وقوله الضعفاء اى الفقراء اى جعلت
تلك المضاعفة الكثيرة فى تلك السنابل والحال ان الوقت وقت عدم
النبات بالكلية بحيث ان الفقراء يتطلعون الى ورق النبات فضلا عن النبات
فضلا عن الحب كما ان حليمة حصل لها ذلك الخصب واللبن والحال ان
قومها يتطلعون الى ورقة حبة او قطرة لبن فلا يجدونه وأتت جده
الخ اى وبعد ان انتهت مدة رضاعه لبلوغه سنتين اتت به جده عبد المطلب
وقوله وقد فصلته جملة حالية اى فطمته وقوله وبها اى والحال انه
قد لحق بها من فصاله اى فطمه اى من اجله وقوله البرحاء اى التألم
الكثير لما شاهدت من توالى الخيرات وتتابع البركات بسبب رضاعه
واقامته عندها اذ احاطت به اذ ظرفية او تعليلية اى اتت به
وقت او لاجل انه احاطت اى احدقت به ملائكة الله لاجل شق قلبه والتعبير
بالجمع ظاهر على الرواية الآتية انهم ثلاثة وكذا على رواية انهم اثنان لانهما
اقل الجمع عند جماعة وقوله فظنت اى حليمة بانهم الباء زائدة وقوله
قرناء جمع قرين اى شياطين يريدون ايذاءه فخافت عليه واسرعت به
الى جده لتسلم من علقته ورأى اى جده حيث ردته اليه وجدها
اى شدة محبتها له وتعلقها به فيه متعلق بوجدها لما فيه من معنى التعلق
كما علمت فرده معها لذلك وليسلم من الوباء الذى كان بمكة وحذف هذا
البيت الثانى لكن سياقه يدل عليه وقوله ومن الوجد الخ الجملة حالية مبينة
لعظمة ذلك الوجد الذى رآه بها ومن تعليلية اى ومن اجل الوجد الذى بها
لهيب اى نار تصلى اى تحرق به الاحشاء جمع حشا وهو ما انطوت عليه
الضلوع ويحتمل ان الجملة استئنافية وعليه فمن ابتدائية وح فهذا من ارسال
المثل وهو حكمة مفيدة ان شأن الوجد انه ينشأ عنه ذلك اللهيب الذى يحرق
الاحشاء وان وجدها من هذا القبيل فمن ثم رثا لحالها واطفأ نار وجدها
برده اليها فارقته بدل من اتت وقوله كرها بالضم والفتح حال

واتت جده وقد فصلته وبها من فصاله البرحاء
اذ احاطت به ملائكة الله فظنت بانهم قرناء
ورأى وجدها به ومن الوجد لهيب تصلى به الاحشاء
فارقته كرها وكان لديها ثاويا لا يمل منه الثواء

اى حال كونها ذات كراهية او كارهة لفراقه لما شاهدت فى اقامته عندها
من الخيرات وقوله وكان اى والحال انه كان لديها اى عندها وقوله
ثاويا اى مقيما وقوله لا يمل بالبناء للمفعول وقوله منه متعلق بقوله الثواء
اى الاقامة اى لا تمل اقامته بل تحب ويرغب فيها لما يترتب عليها من الاحسان
الواسع المجبولة على حبه النفوس هكذا قرر الش هذا المقام واعلم ان اتيانها
به لجده وقع مرتين الاولى عند استكمال سنتين فقط وسببه جريها فيه على
عادة المرضعات من رد الرضيع لاهله عند استكمال مدة الرضاع فلما ردته
هذه المرة لجده رده وارجعه عليها ليكون عندها لامرين الاول شفقته
عليها لما رأى بها من المشقة على فراقه صلى الله عليه وسلم والثانى خوفه عليه من
الوباء الذى كان بمكة اذ ذاك والمرة الثانية عند استكمال سنتين وشهرين
او ثلاثة اشهر وسبب ردها له هذه المرة خوفها عليه من الجن بحسب ظنها
لما جاءته الملائكة لشق صدره فردته على جده فابقاه عنده ولم يرده عليها
ففارقته كرها هذا هو الحق فى تقرير المقام اذا علمت ذلك علمت ما فى كلام
المتن من التدافع لان قوله وقد فصلته ظاهر فى الرد الاول فتدافع هذه
العبارة ما بعدها من قوله اذا احاطت به الخ ومن قوله فارقته الخ لما علمت
من ان احاطة الملائكة انما هى سببه فى الرد الثانى ومن ان الفراق كرها
انما كان فى الثانى ايضا لانها فى الاول قد رجعت به فرحا فينبغى ان ينزل كلامه على
الرد الثانى ويقدر فى قوله وقد فصلته شئ يلتئم به مع ما بعده الصريح فى ان
الكلام فى الرد الثانى والتقدير وقد فصلته اى ومضى بعد فصاله شهران
او ثلاثة تامل شق عن قلبه لما فرغ من قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم
ذكر قصة شق صدره لانه السبب فى احضاره لجده المذكور آنفا فقوله شق
بدل من قوله اذا احاطت به بدل اشتمال ويحتمل انه استئناف لبيان مطلق
الشق الشامل للواقع فى زمن الرضاع مما يأتى وحاصل ما وقع له من الشق
اربع مرات وتكريره من خصوصياته واما اصل الشق فوقع لكمل الانبياء
الاولى من الاربعة عند مضى سنتين وشهرين الثانية عند استكماله عشر
سنين الثالثة عند مجئ الوحى له بالنبوة وهو فى غار حرا الرابعة عند الاسراء به
من مكة الى بيت المقدس هذا هو التحقيق وما قيل من ان الشق خمس مرات
فضعيف لعدم ثبوت الخامسة عند المحدثين ويؤيد الاحتمال الثانى
انه اى الناظم ذكر فى قصة الشق اشياء ككون الخاتم جبريل لم ترد فى قصة

شقه

شقه عقب الرضاع بل فى شقه الذى بعد ذلك والقلب مضغة فى
الفؤاد معلقة بالنياط وهو عرق يسمى بالوتين اذا قطع مات صاحبه سريعا
فهو اخص من الفؤاد وقيل هما مترادفان وقيل الفؤاد غشاء القلب والقلب
حبته وسويداه وفرق الزمخشرى بان الفؤاد وسط القلب ومثل هذا القلب
كمثل ريشة ملقاة بفلاة يقلبها الريح بطنا لظهر وقوله واخرج منه اى من
القلب مضغة اى قطعة لحم بقدر ما يمضغ وقوله عند غسله متعلق باخرج
وانما خلقت هذه المضغة فيه ثم اخرجت لانها من جملة الاجزاء الانسانية
فعدمها نقص فى البدن وجاء فى رواية انه اخرج منه علقتان سوداوان
ولا ينافيه تفسير الناظم لان المراد بالعلقة فيه الجنس ختمته اى ختمت
ذلك الشق المفهوم من شق وهذا استئناف او معطوف على شق بحذف
العاطف اى ثم بعد شقه لامته واعادته الى ما كان عليه فالمراد بالختم هنا
اعادته الى ما كان عليه بامرار جبريل يده على محل الشق هذا هو المراد بالختم
فى المرة الاولى من مرات الشق واما ما ورد فى بعض الروايات من ان
جبريل ختمه بخاتم من نور يحار الناظر دونه فهو فى غير المرة الاولى وقوله
الامين اى على كتب الله ووحيه وهو جبريل وقوله وقد اودع اى ذلك
القلب جملة حالية اى اودع حال الشق من الايمان والحكمة والعلوم
والاسرار ما اى الذى او شيئا لم تذع بضم التاء وكسر الذال المعجمة وقوله
له اللام زائدة اى ما لم تنشره اى ما لم تحط به انباء اى اخبار لانه لا يعلمه
الا الله تعالى المولى له والمتفضل به فالمراد انها لم تشعه من حيث تفصيله
والاحاطة الحقيقية والا فقد اشاعته اجمالا والنبأ الخبر الصادق فهو
اخص من مطلق الخبر صان اى حفظ اسراره اى اسرار ذلك القلب
التى اودعت فيه الختام اى الواقع من جبريل وهو كالخاتم ما يختم به الكتاب
من طين ونحوه وقوله فلا الفض اى فبسبب هذه الصيانة لا الفض
اى الكسر مع ابانة وقوله ملم اى واقع بذلك الختم راجع للختام وقوله
ولا الافضاء اى الاشاعة واقعة بذلك السر فهو راجع للاسرار المصونة
بالختم ففيه لف ونشر غير مرتب والمراد بكون الاشاعة غير واقعة بالاسرار
عدم الاحاطة بها والا فبعضها قد اشيع وعن حليمة لم نزل نتعرف من الله
الزيادة والخير حتى مضت له سنتان وفطمته وكان يشب شبابا لا يشبه
الغلمان فقدمنا به على امه ونحن احرص شئ على بقائه عندنا وقلنا لامه لو تركته

عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه من وباء مكة فردته معنا فرجعنا به فبعد
مقدمنا بشهرين او ثلاثة فاذا هو مع اخيه من الرضاع خلف بيوتنا فجاء اخوه
يعدو فقال ذاك اخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا
بطنه فخرجت انا وابوه نشتد نحوه فوجدناه قائما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه
وقال له ما شانك يا بنى قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعانى فشقا
بطنى ثم اخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه
يا حليمة لقد خشيت ان يكون ابنى هذا قد اصيب فانطلقى نرده الى اهله
قبل ان يظهر به ما نتخوف قالت فاحتملناه الى امه فقالت ما ردكما به فاصدقا
شانكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره فقالت اخشيتما عليه من الشيطان
لا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابنى هذا شان عظيم فدعاه
عنكما الف النسك لما فرغ من ذكر رضاعه وما وقع عقبه من شق
صدره ذكر حكم نشأته فى حال طفوليته وما بعدها مبينا ان الفه الآتى
نتيجة ما اودعه فى قلبه من الاسرار فقال الف النسك والعبادة عطف
تفسير اى اعتادهما واستمر عليهما وقوله والخلوة اى عن الناس وقوله
طفلا حال اى حال كونه طفلا فما بعده كما فهم بالاولى وكان تعبده انه يخرج
الى حراء شهرا فى كل عام يتنسك فيه حتى اذا انصرف من مجاورته فى حراء لم
يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة وكان يعبد الله فى حراء بالذكر والفكر وكان
يكثر الخلوة فى غير حراء ايض وقوله وهكذا النجباء اى الكرام اى ومثل
هذا الشان العلى شان الكرام فما بالك باكملهم وسيدهم على الاطلاق
وقوله وهكذا الخ تذييل وهو تعقيب الجملة باخرى تشتمل عليها للتاكيد
واذا حلت الهداية اى وانما كان هذا شان النجباء من الانبياء واممهم لما هو المستقر
المعلوم انه اذا حلت الهداية وهى هنا بمعنى الوصول الى الحق لا الدلالة فقط
وقوله نشطت فى العبادة الاعضاء نشط كسمع وذلك لان القلب رئيس
البدن المعول عليه فى صلاحه وفساده ومن ثم جاء فى الحديث ان فى الجسد مضغة
اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب وهذا
من الكلام الجامع الذى مرت نظائره واعلم ان بين انتهاء رضاعه وبين
مبعثه وقائع وقعت له لا باس بالاشارة الى بعضها وذلك ان حليمة لما ردته
الى امه وجده كان فى حفظ الله تعالى ينبته نباتا حسنا ويوفقه لافضل الاعمال
والاحوال كما اشار اليه الناظم بقوله الف النسك الخ ولما بلغ اربع سنين وقيل

الف النسك والعبادة والخلوة طفلا وهكذا النجباء

واذا حلت الهداية قلبا نشطت فى العبادة الاعضاء

ثنتا

ثنتا عشرة وبين ذلك اقوال اخر ماتت امه وكانت قد قدمت به طيبة تزور
اخوال ابيه فاقامت بها شهرا ومعها مملوكته ام ايمن وتعلم العوم فى بئر بنى
النجار ولما رجعت به امه ماتت بالابواء وفى رواية انها دفنت بالحجون وفى
اخرى فى بعض دور مكة وحضنته بعدها ام ايمن ثم مات جده كافله وعمره
ثمان سنين وقيل اكثر وقيل اقل فكفله عمه ابو طالب شقيق والده ولما بلغ
ثنتى عشرة سنة خرج به ابو طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الراهب
فعرفه بصفته ثم سال عمه ان يرده خوفا عليه من اليهود وثبت ان الغمامة ظللته
فى ذلك السفر وثبت انها ظللته ايض وهو عند حليمة فى بنى سعد ولما بلغ ثمان
عشرة سنة سافر الى الشام مرة اخرى للتجارة وكان ابو بكر معه فعرفه بحيرا ايض
ثم خرج وله خمس وعشرون سنة مرة ثالثة الى الشام فى تجارة لخديجة ومعه غلامها
ميسرة وفى هذه السنة تزوجها ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة بنت قريش الكعبة
وكان ينقل الحجارة معهم ثم لما تقارب بعثه تحدث بذلك احبار اليهود ورهبان
النصارى لما فى كتبهم من صفته وصفة زمانه وكهان العرب لان شياطين الجن
كانت لا تحجب عن خبر السماء فتسترق السمع وتخبر الكهنة فيعلمون بعض خبر
السماء فلما دنى مبعثه حجبت الشياطين عن السمع فلذا قال بعث الله الشهب الخ
بعث الله اى ارسل وسلط وقوله عند مثلث الاول ظرف زمان
او مكان كما فى القاموس والمراد هنا الزمان وقوله مبعثه اى عند بعثه وارساله
اى قرب زمن بعثه الى الخلق كلهم وقوله الشهب جمع شهاب وهو شعلة نار تنفصل
من الكوكب تحرق الشيطان المسترق للسمع فالكوكب نفسه لا ينفصل عن
محله وقيل ينفصل ثم يرجع واذا انفصلت الشعلة تسقط على المسترقين منهم
فلا تخطى ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من تخبله فيصير
غولا يضل الناس فى البرارى وقوله حراسا جمع حارس على غير قياس فهو حال
او مصدر اى لاجل الحراسة لشريعته التى سياتى بها من الشياطين ان يخلطوا
بها ما ليس منها وقوله الفضاء اى الخلاء والجهات والمفازات الواسعة
فلم يبق لهم محل يسترقون السمع منه وحاصل هذا ان الجن كانت تصعد السموات
حتى السابعة فتسمع الاقضية والاحكام والمغيبات التى تكتبها الملائكة وتتكلم بها وتنزل
بها الى الارض فتخبر بها الكهان وتزيد على الكلمة الحقة مائة كذبة فلما ولد عيسى
منعوا من ثلاث سموات بلا شهب اى اعجزهم الله عن صعودها فلما ولد محمد
صلى الله عليه وسلم منعوا من البقية بالشهب لكن صاروا يصعدون ويصلون

بعث الله عند مبعثه الشهب حراسا وضاق عنها الفضاء

الى مقاعد واماكن قريبة من ابواب السماء فيستمعون منها فلما بعث زيد
فى المنع والطرد والحراسة وكثرة الشهب فصاروا لا يصعدون اصلاً ولا يرجم
بالشهب اصلاً وما يرى الآن من صورة نجم يسقط فى الجو ثم يعود فليس
من هذا القبيل بل هو شئ يعلمه الله تعالى   تطرد حال من الشهب وقوله
الجن هم اجسام نارية تقدر على التشكل فى الصور المختلفة بان يعلمهم الله قولاً
او فعلاً اذا نوابه نقلهم من صورة الى اخرى واما تصوير الجنى لنفسه فمحال وكذا
يقال فى تصور الملئكة وقوله عن مقاعد اى امكنة قريبة من السماء كانوا يقعدون
فيها يستمعون شيئاً من الملئكة المتكلمين بما سيقع فى الارض من الاقضية
والمغيبات واصل هذا قوله تعالى قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن الى قوله
فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدًا فلما سمع الجن ذلك عرفوا الحق فآمنوا ثم ولوا
الى قومهم منذرين قائلين يا قومنا انا سمعنا كتابا الى آخر ما قصه الله عنهم فى سورة
الاحقاف وعن ابن عباس ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا
يدخلونها ويأتون باخبارها ويلقونها الى الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث
سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم من احد
يريد استراق السمع الا رمى بشهاب الى آخر ما تقدم وقوله كما تطرد ما موصولة
او مصدرية والذئاب جمع ذئب بالهمز وقد يخفف بابداله يا، وقوله الرعاء
بضم اوله وكسره والمراد رعاة الغنم هكذا اطلق الش وظاهره ان كلا من الضم
والكسر مع الهمز وقال بعضهم اذا كسر اوله همز آخره واذا ضم اوله انث بالتاء
فى آخره   محت اى فبسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السماء محت
وازالت وقوله آية الكهانة مفعول مقدم وقوله آيات من الوحى فاعله
والكهانة بالفتح مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا اى مخبرا بالامور الخفية
والمغيبات البعيدة فالكاهن هو المخبر بالمغيبات كعلماء اليهود ورهبان النصارى
وهذه الكهانة كانت فى العرب وكان سببها ما تلقيه الشياطين اليهم من اخبار
السماء الصادقة التى يسترقونها قبل رجمهم ومنعهم مما يضمونه اليها من الكذب
وقوله من الوحى اى حالة كون الآيات من جملة الوحى اى الموحى به وهو اقسام تارة
يكون بالكتابة كما فى التورية وغيرها من الكتب القديمة وتارة بالالهام وتارة
بالكلام الخفى وهذا فى مطلق الوحى واما الوحى له عليه الصلاة والسلام
فاقسامه الرؤيا الصادقة وما يلقيه الملك فى روعه بضم الراء اى فى قلبه من
غير ان يراه ومنها تمثل الملك له رجلاً فيخاطبه ومنها رؤيته على صورته الاصلية

ومنها سماع صوته مثل صلصلة الجرس الى غير ذلك وتصوره المذكور على
صورة رجل مع ان صورته الاصلية كبيرة جدا غير بعيد لان الاجسام النورانية نية
تقبل الانضمام كما ان القطن يقبل الانكباس وهذا اولى من قول بعضهم
ان صورة الملك الاصلية باقية بحالها وصورة الرجل صورة اخرى له وروحه
متعلقة بهما كما فى الابدال الذين تتعدد صورهم وروحهم واحدة والتكليف
مناط بأى صورة ارادها الانسان قال عليه الصلاة والسلام الابدال
فى هذه الامة ثلاثون رجلاً قلوبهم على قلب ابرهيم خليل الرحمن كلما مات رجل
ابدل الله مكانه رجلاً اه وورد انهم بالشام وورد انهم اربعون رجلاً واربعون
امرأة وجمع بان الحديث الذى فيه انهم ثلاثون اى ممن كانت قلوبهم على
قلب ابرهيم الخليل كما ذكر فيه فالعشرة الزائدة مع الاربعين امرأة قلوبهم على
قلب غيره من الانبياء ومعنى كونهم على قلب ابرهيم انهم يتقلبون فى المعارف
الالهية التى يتقلبه اذ واردات العلوم الالهية انما ترد على القلوب فكل علم
يرد على قلب كبير من ملك او رسول يرد على هذه القلوب التى هى على قلبه
وربما يقولون فلان على قدم فلان ومعناه ما ذكر وانما سموا ابدالاً لان
كل من مات منهم ابدل الله مكانه غيره روى الحكيم الترمذى ان الارض
شكت الى ربها انقطاع النبوة فقال تعالى سوف اجعل على ظهرك اربعين
صديقا كلما مات منهم رجل ابدلت مكانه رجلاً ومن علامة البدل انه
لا يولد له واذا رحل البدل عن موضعه جعل موضعه حقيقة روحانية فاذا
جاء موضعه احد تجسمت له تلك الحقيقة الروحانية التى تركها بدله تكلمه
ويكلمها وهو غائب عنهم انتهى   ورأيته اى علمته بمعنى
عرفته او ابصرته وكان الاولى تقديم هذه القصة على قصة
ارسال الشهب ليوافق الواقع لان قصة تزوجه بها كانت فى خمس وعشرين سنة
وارسال الشهب عند المبعث كان على راس الاربعين وقوله خديجة بالتنوين
بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصى فتلتقى مع النبى فى قصى وهو رابع
اب لها وخامس له وكانت ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر
وهى افضل نسائه على التحقيق وقوله والتقى الواو للحال وهو البراءة من كل
شئ سوى الله تعالى وهذا غايته ومبدأه اتقاء الشرك واوسطه اتقاء المحارم
وكذا يقال فى التقوى وقوله والزهد هو الاقتصار على قدر الكفاية مما تيقن
حله وترك الزائد على ذلك لله تعالى وقوله فيه اى كل منهما وقوله سجية

بالسين المهملة اى خلق غريزى وملكة نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل
والاختلاف فى كون حسن الخلق غريزيا او مكتسبا محله فى غيره صلى الله عليه
وسلم وقوله والحياء اى سجيته فيه ايضا وهو بالمد تغير وانكسار يعترى
الانسان من خوف ما يعاب به ماخوذ من الحياة ولذا سمى المطر حيا ايضا
لكنه مقصور وقال بعضهم الحياء شرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح
ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق ويطلق الحياء بالمد على فرج ذى الظلف والخف
واتاها ان الغمامة الخ اى اخبرها بذلك ميسرة عندها حين رجوعه
من الشام مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عام زواجه بها والغمامة سحابة كان
طولها عشرة اذرع وعرضها كذلك وارتفاعها عند راسه كذلك وتظليلها له
كان قبل البعثة تاسيسا للنبوة واما بعدها فلم تظله وثبت تظليلها له فى
صغره فراتها امه واخوه من الرضاع وفى سفره الى الشام رآها من كان معه
ورآها بحيرا الراهب وغيره بل وراتها خديجة حين اقباله على مكة وهو راجع
من سفره وقوله والسرح جمع سرحة كتمر وتمرة والمراد به الشجر وثبت تظليله
له فى سفره الى الشام حين وصلوا الى بحيرا وجلسوا تحت ظل شجرة ولم يبق منه
موضع خال وهو صلى الله عليه وسلم يرعى الابل فامرهم بحيرا ان يدعوه فدعوه
فجاء فجلس فى الشمس فمالت الشجرة وانحنت اغصانها عليه فظللته وهم ينظرون
وقوله افياء جمع فئ وهو ما نسخ الشمس فهو ما بعد الزوال بخلاف الظل
فانه ما نسخته الشمس فهو ما قبل الزوال   واحاديث اى واتاها ايضا
احاديث اى اخبار اخبرتها بها الاحبار والرهبان والكهان لكن الاحبار والرهبان
اخذوا ذلك من كتبهم والكهان اخذوه من الشياطين المسترقين للسمع وقوله
ان وعد اى بان وعد وهو مصدر مضاف لمفعوله اى بان وعد رسوله والوعد
عند الاطلاق لا يستعمل الا فى الخير وقوله بالبعث اى الارسال وقوله
حان اى قرب وقوله منه متعلق بحان لانه بمعنى قرب كما علمت وقوله الوفاء
اى بذلك الوعد فصلته محذوفة   فدعته اى فبسبب ما راته منه وما
بلغها عنه مما يحمل من له عقل على خدمته والتعلق به وقوله دعته اى خطبته
وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عمى انى قد رغبت فى نكاحك لما رايته
وعرفته منك وسنها اذ ذاك اربعون سنة وسنه خمس وعشرون سنة وتزوجت
قبله برجلين تزوجت اولا عتيقا المخزومى وولدت منه ذكرا وانثى ثم تزوجت
هند ابى هالة فولدت منه ذكرين هند وهالة ثم ولدت من النبى سبعة

واتاها ان الغمامة والسرح اظلته منها افياء

واحاديث ان وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء

فدعته الى الزواج وما احسن ما يبلغ المنى الاذكياء

ثلاثة ذكور واربع اناث وقوله وما احسن صيغة تعجب وقوله ما يبلغ
ما مصدرية فتؤول مع ما بعدها بمصدر وقوله المنى جمع منية كمدية ومدى
وهى الامانى جمع امنية وهى ما يتمناه الانسان وقوله الاذكياء جمع ذكى
والذكاء بالمد حدة القلب ومزيد تيقظه اى شئ عظيم حسن بلوغ الاذكياء
كل ما يتمنونه ومن اكملهم خديجة فانها ادركت بقوة ذكائها وتفرسها فيه صلى
الله عليه وسلم منه وبه كل ما تمنته واملته ما لم تبلغه امراة غيرها من هذه الامة
ولما عرضت نفسها عليه ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على
ابيها خويلد فخطبها اليه فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصدقها عشرين
ناقة وحضر ابو بكر ورؤساء قريش فخطب ابو طالب فقال الحمد لله الذى جعلنا
من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة
بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على
الناس ثم ان ابن اخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به فان كان
فى المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل ومحمد ممن قد عرفتم قرابته وقد خطب
خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى كذا وهو
والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجها ابوها منه اه وقوله ضئضئ
بمعجمتين او مهملتين معناه الاصل وقوله حضنة بيته اى الكافلين له وقوله
وسواس حرمه اى حراسه المتولين لامره   واتاه اى ومما يدل على عظيم
ذكائها وفرط معرفتها انه اتاه بعد النبوة والرسالة فى بيتها وقوله جبريل
كقنديل لغة فى جبريل ليلقى اليه الوحى وكان عندها من الايمان به علم اليقين
فاحبت ان تنتقل منه الى عين اليقين وعلم اليقين هو العلم الحاصل من الدليل
النقلى وعين اليقين هو العلم الحاصل بالمشاهدة وحق اليقين هو فناء
صفات العبد فى صفات الرب وبقاؤه به علما وشهودا وحالا لا علما فقط
فالذى يفنى انما هو صفات العبد لا ذاته هذا هو التحقيق خلافا لمن غلط
فيه وقوله ولذى اللب اى ولصاحب اللب اى العقل الكامل وخديجة من
اكمل العقلاء وقوله فى الامور اى الاحوال التى تشتبه وقوله ارتياء اى
استبصار من ارتأى اى نظر فيه بالعين او القلب كما فى القاموس   فاماطت
اى فبسبب تلك المحبة اى محبة انتقالها من علم اليقين الى عين اليقين
مع ما عندها من كمال العقل اماطت اى ازالت عنها اى عن راسها الخمار
وهو ما يخمر اى يغطى به الراس لتدرى اى لكى تعلم عين اليقين اهو اى الذى

واتاه فى بيتها جبريل ولذى اللب فى الامور ارتياء

فاماطت عنها الخمار لتدرى اهو الوحى ام هو الاغماء

عرض له حتى اخرجه عن حالته المعروفة منه وقوله الوحى اى حامله الذى
يأتى به وقوله الاغماء اى الذى هو بعض الامراض البشرية العادية ومن ثم
جاز على الانبياء دون الجنون فاختفى اى فبسبب ازالتها الخمار عن رأ
اختفى عند كشفها الراس مفعول كشف المضاف لفاعله وقوله او اعيد
الغطاء اى الى ان اعادت غطاء راسها فاعيد فعل ماض مبنى للمفعول والغطا
نائب الفاعل وانما اختفى عند كشف رأسها لانه لا يحل فى مكان فيه امراة مكشوفة
الراس وروى اصحاب السير انه لما اخبر خديجة بالوحى الذى يأتيه قالت له
اتستطيع ان تخبرنى بهذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل
اخبرها به فقالت له اجلس على فخذى الايسر ففعل فقالت له اتراه قال نعم
فقالت فعلى الايمن ففعل فقالت اتراه قال نعم فقالت فاجلس فى حجرى
ففعل فقالت اتراه قال نعم فالقت خمارها ثم قالت اتراه قال لا قالت اثبت
وابشر فوالله انه لملك وما هو شيطان فاستبانت خديجة بالصرف
للضرورة والفاء للسببية اى فبسبب ما ترتب على اختبارها ظهر لها اتم
الظهور وعلمت عين اليقين انه اى النبى صلى الله عليه وسلم الكنز اى الشىء
النفيس بل الذى لا انفس منه وقوله حاولته اى ارادت حيازته والظفر به
وحازته وظفرت به بالفعل وقوله والكيمياء يطلق الكيمياء على الاكسير
المعلوم وعلى العلم البديع الذى يقلب الاعيان الرديئة الى الاعيان النفيسة
واقتصر فى القاموس على انها الاكسير ولم يذكر اطلاقها على العلم المعروف
والكلام من قبيل التشبيه البليغ اى انه كالكنز وكالكيمياء لانه بهما تحصل
الذخائر النفيسة المنتفع بها حالا ومآلا كما ان النبى كذلك ويصح ان يكون
الكلام من قبيل الاستعارة فاستعير الكنز وهو المال المدفون والكيمياء
وهو الاكسير المعروف للنبى لانه بهما تحصل الذخائر الى آخر ما تقدم ويصح ان
يكون الضمير فى انه لما يعرض للنبى صلى الله عليه وسلم وهو الوحى والكلام من
قبيل التشبيه او الاستعارة كما تقدم ثم قام النبى اى ثم بعد ما نبئ
على راس الاربعين بقوله تعالى اقرأ باسم ربك الآيات الخمس وفتر عنه الوحى ثلاث
سنين ونزل قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر بادر الى امتثال ذلك فقام
اى جد واجتهد وقوله يدعو حال وقوله الى الله اى لعبادته والايمان به وبرسله
وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام فاول ما وجب عليه الانذار والدعاء الى
التوحيد ثم فرض عليه قيام الليل قال فى فتح البارى كان صلى الله عليه وسلم

قبل

فاختفى عند كشفها الرأس جبريل فما عاد او اعيد الغطاء

فاستبانت خديجة انه الكنز الذى حاولته والكيمياء

ثم قام النبى يدعو الى الله وفى الكفر نجدة واباء

قبل الاسراء يصلى قطعا لكن اختلف هل فرض عليه قبل الخمس صلاة ام لا
فقيل فرض صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وثبت ان جبريل نزل عليه فى
اول البعثة وهو فى بطحاء مكة فضرب الارض برجله فنبعت عين ماء فغسل
فرجه ونضح على ازاره مما يلى فرجه ثم توضأ ثم امره ان يفعل مثل فعله ثم صلى وامره
ان يصلى معه فعلمه الوضوء والصلاة ورجع النبى لا يمر بحجر ولا شجر ولا مدر الا
وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة فاخبرها ثم امرها فتوضأ
وصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك اول فرضها وذكر السيوطى فى الاتقان
انه لم يحفظ صلاة فى الاسلام بغير الفاتحة وهذا يدل على ان الفاتحة من
اول ما نزل وقوله وفى الكفر اى فى اهله نجدة بكسر النون اى قوة تامة وتحزب
عليه وقوله واباء اى امتناع عن اتباعه والايمان به امما مفعول يدعو
اى جماعات وقوله اشربت قلوبهم الكفر بالبناء للمفعول اى اختلطت به بتقدير
تجسيمه وتمكن فيها حبه حتى صارت لا تقبل غيره وفى الكلام استعارة اما تصريحية
فى الفعل بان شبه مخالطة الكفر لقلوبهم وشدة امتزاجه بها باشراب الماء ونحوه
واستعير الاشراب للمخالطة واشتق منه اشربت او مكنية فى الكفر بان شبه
بمشروب كالماء بجامع قوة السريان واشربت تخييل وقوله فداء الضلال
اى مرضه او الاضافة بيانية وقوله فيهم صفة الداء الذى استقر فيهم اى فالداء
الذى استقر فيهم وهو الكفر عياء بمهملة مفتوحة فتحتية اى داء عضال لا يرجى به
برؤه اعيى الاطباء مداواته ولما قام يدعو الى الله دخل فى الاسلام رجال ونساء
واولهم على الاطلاق خديجة من النساء ثم ابو بكر من الرجال ثم على من الصبيان
ثم زيد من الموالى ثم بلال من الارقاء وكان مخفيا امره ثم امره الله باظهاره
بقوله فاصدع بما تؤمر بعد ثلاث سنين من الرسالة وتحزب عليه قومه سنة اربع
فاجمعوا على عداوته الا من عصمه الله بالاسلام او صدق المحبة كابى طالب فانه
تصدى لمنعهم عنه وفى سنة خمس اذن لاصحابه فى الهجرة الى الحبشة فكان اولهم
عثمان مع زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اسلم حمزة عمه سنة
ست فعز به وكفت عنه قريش قليلا ثم اسلم عمر بعده بثلاثة ايام فعز به كثيرا
ورأينا اى معشر امة الاجابة وهى علمية عرفانية فى حق الصحابة وغيرهم
ويصح ان تكون بصرية فى الكل لكن فى الصحابة ظاهر وفيمن بعدهم بالنسبة الى
نقوش القرآن ويصح ان تكون مستعملة فى المعنيين فتكون بصرية بالنسبة للصحابة
وعلمية عرفانية بالنسبة لمن بعدهم وقوله آياته اى معجزاته وقوله فاهتدينا اى وصلنا

امما اشربت قلوبهم الكفر فداء الضلال فيهم عياء

ورأينا آياته فاهتدينا واذا الحق جاء زال المراء

الى المطلوب منّا من كمال الايمان وقوله واذ الحق جاء اى تقرر وثبت وقوله
زال المراء اى العناد والجدال وهذا تلميح لقوله تعالى وقل جاء الحق وزهق
الباطل رب اى يا رب ان الهدى اى اتباع الحق هداك اى ليس الا بتوفيقك
وهدايتك كما قلت فمن يرد الله ان يهديه الآية وقوله وآياتك معطوف
على اسم انّ اى وانّ اياتك او مرفوع اى وآياتك التى اقمتها آلة على صدق
انبيائك نور كما قلت قد جاءكم من الله نور وقوله من تشاء اى من تشاء
هدايته اى وتضل عنها من تشاء غوايته فهذا اشارة الى ان الآيات لا تنفع
مع سبق الشقاوة كم رأينا انجلت قرآن الهدى هدى الله وان الآيات
وحدها لا تغنى شيئا ذكر ما يستغرب من ذلك ويقرب به وهو ان غير العاقل
قد يلهم كثيرا مما يحرمه العاقل فقال كم رأينا كم خبرية ويجوز حذف مميزها كما
فعل الناظم اى كم مرة اى مرارا كثيرة فان ذكر المميز جرّ بإضافتها اليه عند البصر
وجوّز بنو تميم نصبه وافراده اكثر وافصح من جمعه وقوله رأينا اى علمنا
وابصرنا نظير ما مرّ وقوله ما ليس يعقل اى شخصا ليس يعقل اصلا كالفيل
وبعض الاحجار وقوله قد الهم هذه الجملة فى محل نصب ثانى مفعولى رأى وقوله
ما ليس يلهم اى اشياء كثيرة حرمها العقلاء اذ ابى الفيل علة لرأى
اى امتنع الفيل ان يفعل ما اتى اى عزم عليه صاحب الفيل وهو ابرهة ملك
صنعاء وكان من عمال النجاشى ملك الحبشة ومن امرائه وقد قيل انه جد النجا
الذى كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والذى اتاه وعزم عليه صاحب
الفيل هو هدم الكعبة وقوله ولم ينفع الحجا بالقصر اى العقل الوافر ولا
الذكاء اللذان اتصف بهما فلم يوفق كما وفق له الفيل وعلم ان الهداية ليست
الا بتوفيق الله تعالى وسبب هذا ان ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى
ومن عماله وجنده بنى كنيسة بصنعاء وجعل ينقل اليها من قصر بلقيس
رخاما واحجارا وامتعة عظيمة وركب فيها صلبانا من ذهب وفضة وجعل
فيها منابر من عاج وآبنوس وجعل ارتفاعها عظيما جدا واتساعها باهرا واستذ
اهل اليمن فى بنائها فكان من تاخر منهم عن العمل حتى تطلع الشمس قطع يده وكتب
الى النجاشى ملك الحبشة انى قد بنيت لك كنيسة واريد ان اصرف حج العرب
اليها فجاء رجل من بنى كنانة فتغوط فيها ولطخ قبلتها بالغائط فغضب ابرهة
وحلف ليسيرن الى كعبة العرب ويهدمها فامر الحبشة فتهيأت ثم سار ومعه
الفيلة وعظيمها يسمى محمودا وكان ابيض وهو الذى ابى وامتنع من السير

الى

ربّ ان الهدى هداك وآيا تك نور تهدى بها من تشاء

كم رأينا ما ليس يعقل قد الـ ـهم ما ليس يلهم العقلاء

اذ ابى الفيل ما اتى صاحب الفيـ ـل ولم ينفع الحجا والذكاء

يين

شى

ل

الى تخريب الكعبة وهو المراد فى القرآن وفى النظم فخرج عليه فى الطريق ملوك
من اليمن يمنعونه فهزمهم واسرهم وسار الى ان نزل عند عرفة فلم يدخل الحرم
على الراجح وقيل دخله ونزل عليهم العذاب فى وادى محسّر وهو بين منى والمزدلفة
فبلغ ذلك عبد المطلب وكان النبى حملا فى بطن امه فقال يا معشر قريش
لا يصل هذا لهدم البيت ان له ربا يحميه ثم وقع بينه وبينه وقائع كثيرة ثم
وجّه ابرهة الفيل لجهة الكعبة فبرك لان فى الفيلة نوعا يبرك كالبعير
فضربوه كثيرا وكانوا اذا وجهوه الى الكعبة برك واذا وجهوه لغيرها اسرع
وهرول ثم ارسل الله عليهم طيرا ابابيل اى جماعات كامثال الخطاطيف
خرجت من البحر مع كل طائر منها ثلاثة احجار حجر فى منقاره وحجران بين رجليه
كامثال العدس وكان يرمى الواحد على الرجل منهم فيسقط على رأسه ويخرج
من دبره فيموت لوقته فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق واصيب ابرهة
فى جسده بداء فتساقطت منه اعضاؤه وبقى حتى وصل الى صنعاء وسال
منه الصديد والقيح والدم ومات وكانت هذه القصة ارهاصا وتاسيسا للنبوة
عليه السلام ولما هلك ابرهة وتمزقت الحبشة بقيت تلك الكنيسة خربة
وسكنها الجن فكان كل من تعرض لاخذ شئ من بنائها وامتعتها اصابته الجن بسوء
لانه كان بناها على اسم صنمين واستمرت هكذا الى زمن السفاح اول خلفاء بنى
العباس فبعث اليها جماعة من اهل الحزم والعزم والعلم فنقضوها حجرا حجرا
واندرست فلله الحمد والمنة والجمادات لما ذكر ما يتعلق بالهام الحيوان بذكر
قصة الفيل ذكر ما يتعلق بالهام الجمادات فقال والجمادات وهى ما لا روح له افصحت
اى اظهرت ونطقت بكلام بيّن فصيح قيل يخلقه الله فيها من غير حياة وان
من شئ الا يسبح بحمده وقيل بل يخلق فيها حياة ولسانا وادراكا فتنطق مختارة
عارفة بما تنطق به ويدل لهذا ما يأتى فى حنين الجذع وانينه فان ذلك يدل
على ان الله خلق فيه الحياة والعقل والشوق حتى حنّ وانّ ولذا عامله صلى الله
عليه وسلم معاملة الحى فضمه الى صدره حتى سكن وقوله بالذى اى بالشهادة
بالانباء والارسال والتسبيح الذى اخرس عنه الفصحاء وقوله لاحمد متعلق
بافصحت اى ان العرب قريشا وغيرهم مع كونهم ارباب الفصاحة امتنعت
السنتهم من النطق بالايمان به بارساله اليهم وشهد له بذلك الجمادات الصم
بافصح لسان وابلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصى فى يده ثم فى يد ابى بكر
ثم فى يد عمر يسمع تسبيحه كل من كان فى المجلس وصح ايضا انى لاعرف حجرا بمكة

لفة

والجمادات افصحت بالذى اخـ ـرس عنه لاحمد الفصحاء

كان يسلم على قبل ان ابعث انى اعرفه الآن وهو الموجود الآن فى زقاق
الحجر عند بيت خديجة وصح من على كنت امشى مع النبى صلى الله عليه وسلم
بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبلنا حجر ولا شجر الا قال السلام
عليك يا رسول الله وروى ابو نعيم لما استقبلنى جبريل بالرسالة
جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وصح انه
طلب من رجل الايمان فقال له هل من شاهد فقال هذه الشجرة فدعاها
فاقبلت تخد الارض خدا اى تشقها شقا فقامت بين يديه فاستشهدها
فشهدت ثلاث مرات ثم رجعت الى منبتها ومعجزاته من هذا القبيل كثيرة
وويح قوم منصوب بفعل محذوف على انه مفعول مطلق تقديره
اهلكم الله هلاكا فمعناها الهلاك وهى فى الاصل كلمة ترحم تقال لمن وقع
فى مهلكة لا يستحقها وهؤلاء المحاربون له والجافون له وقعوا فى مهلكة وهى
العذاب الدائم اى فى سببها وهو جفاؤهم للنبى والترحم من حيث النظر
الى قرابتهم له فهم لا يستحقون الهلاك من تلك الحيثية فالترحم باعتبارها
وقوله جفوا نبيا اى بغضوه وآذوه الاذى البالغ بل قصدوا قتله فحماه
الله منهم وقوله ضبابها جمع ضب وحديثه مشهور على الالسنة لكنه
غريب ضعيف بل قال بعضهم لا يصح اسنادا ولا متنا وهو ان اعرابيا
اصطاد ضبا فلما رأى النبى طرحه بين يديه وقال لا او من بك حتى يؤمن بك
هذا الضب فقال يا ضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد قال الذى فى
السماء عرشه وكلمات اخر قال من انا قال انت رسول رب العالمين فاسلم
الاعرابى وقوله والظباء جمع ظبى روى حديثه البيهقى وابو نعيم والطبرانى
قال الحافظ ابن كثير لا اصل له ومن نسبه الى النبى فقد كذب وهو بينما
رسول الله فى صحراء اذ هتف هاتف وقال يا رسول الله ثلاث مرات
فالتفت فاذا ظبية مشدودة فى وثاق واعرابى نائم عندها فقال ما حاجتك
فقالت صادنى هذا الاعرابى ولى فى هذا الجبل ولدان فاطلقنى اذهب
فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت عذبنى الله عذاب العشار اى المكاس
ان لم افعل فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابى فقال
يا رسول الله الك حاجة قال نعم تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو
فى الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ولم يرد المصنف
الحصر فى هذين بل صح ان الحمار كلمه وكذلك الذئب الفه واخبر بنبوته

ويح قوم جفوا نبيا بارض
الفته ضبابها والظباء

فقد

فقد ورد انه اخذ شاة فانتزعها الراعى منه فقال الا تتقى الله تنزع منى رزقا
رزقه الله الى فتعجب الراعى من كلامه فقال له الذئب الا اخبرك باعجب من
ذلك محمد بيثرب يخبر الناس باخبار ما قد سبق وهو آت فاتى الراعى النبى
فاخبره بذلك فجاء الذئب فقال صلى الله عليه وسلم هذا وافد الذئاب جاء
يسألكم ان تجعلوا له شيئا من اموالكم قالوا والله لا نفعل واخذ رجل من القوم
حجرا فرماه به فادبر وله عواء وفى رواية ان الذئب قال للراعى انت اعجب
فقال له لم فقال لان النبى بعث بيثرب وانت مع غنمك تارك له وبينك
وبينه هذا الجبل فقال للذئب اذا مضيت اليه فمن يحرس غنمى قال الذئب انا
احرسها لك فذهب والذئب يحرسها الى ان وصل اليه صلى الله عليه وسلم فاسلم
ورجع فوجدها بحالها والذئب يحرسها فذبح له شاة منها واطعمها له وثبت
ايضا ان الجمل كلمه وذلك ان جماعة من الانصار شكوا اليه جملهم وانه امتنع
من العمل حتى عطشت النخل والزرع فقال لاصحابه قوموا فقاموا ودخل
الحائط فمشى اليه فقالوا يا رسول الله انه صار كالكلب الكلب فقال انه ليس
على منه باس فاقبل نحوه الجمل حتى خر ساجدا بين يديه فاخذ بناصيته حتى
ادخله فى العمل وسلوه اى نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشأته فيهم
وعلمهم بغاية نزاهته ونهاية كماله وقوله وحن جذع اليه الجملة حالية وقد جاء
حديثه من طرق كثيرة وحاصل قصته انه قيل ان النبى قبل ان يعمل له المنبر
كان يخطب وهو واقف على الارض مستند الى جذع نخلة وكان عمودا من
عمد ان المسجد اذ كانت عمدانه خشب نخل كسقفه فلما صنع له المنبر ثلاث درجات
وضعه موضع المنبر الذى بمسجده الآن ثم جاء يوم الجمعة فوقف على المنبر
فصاح الجذع حتى سمعه كل من فى المسجد حتى ارتج المسجد من صياحه وحتى
تصدع اى الجذع وانشق فنزل صلى الله عليه وسلم وضمه اليه حتى سكن وقال
والذى نفسى بيده لو لم التزمه لم يزل يصوت هكذا الى يوم القيمة وخيره بين
ان يعيده الى مغرسه فيثمر كما كان وبين ان يغرسه فى الجنة يأكل اهلها من ثمره
فقال اختار دار البقاء على دار الفناء وامر به فدفن وقد احترق فى حريق المسجد
الذى وقع فى القرن السادس وقوله وقلوه اى ابغضوه ووده اى والحال
انه قد وده اى احبه الغرباء الذين ليسوا من عشيرته ولا عرفوا ما عرفته قريش
من كماله الاعظم وهؤلاء الغرباء كالانصار الاوس والخزرج وذلك انه
صلى الله عليه وسلم من حين ارسل مكث عشر سنين يخرج فى كل موسم لعرفة وغيرها

وسلوه وحن جذع اليه
وقلوه ووده الغرباء

يعرض نفسه على قبائل العرب ويقول من يحمي ظهري حتى ابلغ رسالة ربي فلم يجبه
احد من العرب خوفا من قريش فقبل الهجرة بثلاث سنين لقي في منى بعض الخزرج
عند العقبة التي هي بجنب منى فقال من انتم قالوا من الخزرج قال افلا تجلسون
اكلمكم فجلسوا فدعاهم الى الاسلام وتلى عليهم القرآن وكان عندهم علم منه فعرفوا
نعته لان يهود المدينة كانوا يقولون لهم ان نبيا يبعث الآن نتبعه ونقتلكم
معه فاجابوه لئلا تسبقهم اليهود اليه واسلم منهم ستة فقال لهم تمنعون ظهري
حتى ابلغ رسالة ربي فقالوا ندعوا قومنا الى ما دعوتنا اليه فان اجابوا فلا احد
اعز منك وموعدك الموسم في العام القابل وامرهم بالكتمان عن اهل مكة فلما
وصلوا المدينة لم يبق فيها دار الا وفيها ذكره ثم في العام الثاني لقيه اثنى عشر
خمسة من الستة الاول والبقية من الخزرج ايضا الا رجلين فمن الاوس وهذه
هي العقبة الثانية فاسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم ثم رجعوا واظهر الله
الاسلام فيهم وكان اسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن اسلم ثم ارسلوا
يطلبون من يعلمهم القرآن فارسل اليهم مصعب بن عمير فاسلم على يده جمع
كثير منهم سيد الاوس سعد بن معاذ واسيد بن حضير واسلم بنو عبد الا شهل
كلهم في يوم واحد رجالا ونساء ثم قدم في العام الثاني في موسم منى نحو سبعين
رجلا وهي العقبة الثالثة فبايعهم على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم
وابناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وحضر العباس هذه الثالثة واكد
عليهم صدق الحديث ثم امر صلى الله عليه وسلم من بقي معه في مكة بالهجرة
الى المدينة فخرجوا ارسالا اولا وامر منتظر الاذن في الهجرة واستاذنه ابو بكر
فقال لا تفعل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فطمع ابو بكر في ان يهاجر معه
فاجتمعت قريش على تدبير امر يضرونه به كما في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا
الآية فاتاه جبريل فقال له لا تبت في هذه الليلة على فراشك فاجتمعوا في الليل
ببابه يرصدونه لينام فيثبوا عليه فخرج عليهم فاعماهم الله عن رؤيته واخذ كف
تراب فرماهم به فكان على رؤسهم وهو يتلو يس الى يبصرون فلما اصبح النهار
مر عليهم رجل فقال ما شانكم قالوا ننتظر محمدا فقال انظروا الى رؤسكم فنظروا
فراوا التراب عليها فعرفوا انه قد خرج من بينهم واعماهم الله عنه ثم اذن الله له
في الهجرة كما قال اخرجوه منها اخرجوه منها بدل من جفوه اي كانوا السبب
في خروجه منها اي من تلك الارض التي هي مولده ومرباه ووطنه ووطن آبائه
واحب ارض الله الى الله والى رسوله وبقولنا كانوا السبب الخ اندفع ما يقال

اخرجوه منها وآواه غار
وحمته حمامة ورقاء

هو لم يخرج منها الا باذن من الله فهو السبب فقط ووجه الاندفاع ان تسببهم
في خروجه بمبالغتهم في ايذائه وايذاء اصحابه هو الحامل على انتظار الاذن له
من الله في الخروج فتسببهم سبب لاستيذانه ووقوع الاذن له فاسناد الاخراج
اليهم بهذا الاعتبار ابلغ من اسناده لاذن الله تعويلا على اسبق السببين
مع كونه سببا في الثاني وكان هذا الخروج بعد العقبة الثالثة بنحو ثلاثة اشهر
يوم الخميس وجاء بيت ابي بكر وقت الظهيرة فقال له قد اذن لي في الخروج
فقال ابو بكر الصحبة يا رسول الله قال نعم قال فخذ احدى راحلتي وكان قد
اشترى راحلتين اي ناقتين قبل ذلك بستة اشهر فعلفهما منتظر الخروج
عليهما فقال له النبي اخذها بالثمن فاخذها منه باربعمائة درهم كما اشتراها
ابو بكر وقيل انه ابراه منها فيما بعد وبقيت هذه الناقة عند النبي مدة حياته
حتى ماتت في خلافة ابي بكر وتزودا اي اخذا الزاد من بيت ابي بكر وخرجا منه
ليلة الجمعة فوصلا الى غار ثور ليلا فاقاما فيه بقية ليلتهما وليلة السبت
وليلة الاحد وخرجا منه ليلة الاثنين ودخلا المدينة يوم الاثنين فكانت مدة
سفرهما ثمانية ايام وقوله وآواه غار وهو نقب في جبل ثور ولما فقدته
قريش طلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة اثره في كل وجه فوجد الذي
ذهب قبل ثور اثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع ذلك الاثر عند ثور
وشق عليهم خروجه وجزعوا منه وجعلوا لمن رده مائة ناقة ولما دخل الغار
انبت الله على بابه شجرة ام غيلان فحجبت عن الغار اعين الناس وارسل الله
حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار كما قال وحمته حمامة ورقاء وهي
ما في لونها بياض يخالطه سواد قيل وحمام الحرم من نسلهما والمراد بها
الجنس لانهما كانتا ثنتين ومعنى حمايتهما له ان فتيان قريش من كل بطن لما
اقبلوا باسيافهم جعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين
بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له ما رأيت قال رأيت حمامتين وحشيتين
فعرفت انه ليس فيه احد وقال آخر ادخلوا الغار فقال اللعين امية بن خلف وما ارَبكم في الغار
ان فيه عنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وفي مسند البزار ان الله امر العنكبوت
فنسجت على وجه الغار ولذا قال وكفته بنسجها الخ وكفته بنسجها
عنكبوت يطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى قال في حياة الحيوان
نسج العنكبوت يخرج من خارج جلدها لا من جوفها وعن علي طهروا بيوتكم
من نسج العنكبوت فان تركه فيها يورث الفقر وتركه في الاصطبل يضعف الدواب

وكفته بنسجها عنكبوت
ما كفته الحمامة الحصداء

واصله امراة ساحرة مسخها الله تعالى ويستحب قتله وقال صلى الله عليه وسلم
اقتلوا العنكبوت فانه شيطان ومع ذلك نسجه طاهر وكما نسج على المصطفى
نسج على عبد الله بن انيس لما ارسله النبى لقتل كافر فقتله ودخل غارا فنسج
عليه فجاؤا فى طلبه فلم يروه ونسج ايض على زين العابدين بن الحسين رضى الله عنه
لما صلبوه مجردا من ثيابه ونسج ايض على داود عليه السلام لما طلبه جالوت قاله
القرطبى اه من شرح المنهاج لابن الملقن وقوله ما كفته اى الاعداء الذين كفته
اياهم الحمامة الحصداء اى الكثيرة الريش ماخوذ من قولهم شجرة حصداء اى كثيرة
الورق فوصفها اولا بورقاء وثانيا بحصداء لاجتماع المعنيين فيها وروى
ان الحمامتين باضتا فى اسفل النقب ونسج العنكبوت فى اعلاه وقال لو دخلا
لتكسر البيض وتقطع وزال نسج العنكبوت وروى انه قال اللهم اعم ابصارهم
فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حوله ولا يرون ما فيه
واختفى معطوف على وآواه غار اى استتر وقوله على قرب اى مع قرب
وقوله مرآه اى محل رؤيته وقوله ومن شدة الظهور بيان لحكمة اختفائه
واستتاره منهم مع ظهوره لهم وقربه منهم بحيث لو نظر احدهم الى ما تحت قدميه
لرآه فهو بمنزلة التعليل لما قبله والمراد بالظهور غلبته عليهم والمعونة الالهية
التى امده الله بها وقوله الخفاء اى عنهم اى الخفاء الذى حصل له خرقا للعادة
وهو عدم رؤيتهم له واستتاره عنهم اى وكان خفاؤه عنهم وحجبهم عن رؤيته
من اجل شدة الظهور الذى امده الله به وهو المعونة الالهية كما تقدم وروى
ان ابا بكر دخل قبله ليقيه بنفسه وانه نظر الى قدميه صلى الله عليه وسلم فى الغار
يقطران دما لانه لم يتعود الحفا فبكى وانه رأى فى الغار اجحارا متعددة
فصار يقطع ثوبه ويسد به الاجحار فبقى جحر لم يفضل له شئ من الثوب
فجلس قريبا منه ووضع عقبه عليه وسده به فجعلت الحيات والافاعى تضربه
وتلسعه فصارت دموعه تنحدر وكان النبى قد نام وجعل راسه فى حجره فما
يتجلد ولا يوقظه فسقطت دموعه على وجه النبى فتنبه فقال ما لك قال
لدغت فتفل عليه فذهب ما يجده فلما اصبح ساله النبى عن ثوبه فاخبره الخبر
فتوجه ودعا له وقال اللهم اجعل ابا بكر معى فى درجتى فى الجنة فنودى
انه قد استجيب لك وقد جوزى ابو بكر بان جعلت البركة فى عقبه اى نسله
الى يوم القيمة وان ذريته يموتون بتحرك السم فى اعقابهم لينالوا مرتبة الشهادة
كما مات جدهم ابو بكر بتحرك السم عليه شهيدا وروى ان ابا بكر لما رأى القافة

واختفى منهم على قرب مرآه
ومن شدة الظهور الخفاء

اشتد حزنه وقال ان قتلت فانما انا رجل واحد وان قتلت هلكت الامة فقال
له لا تحزن ان الله معنا اى باللطف والمعونة والنصر وانزل الله سكينته
عليه اى على ابى بكر لانه هو الذى انزعج وهى امنة تسكن لها القلوب وايده
اى رسول الله بجنود لم تروها اى ملائكة يصرفون ابصار الكفار عنه
والمشهور انه صلى الله عليه وسلم مكث فى الغار ثلاث ليال وكان عبد الله بن
ابى بكر مع صغر سنه ياتيهما ليلا بخبر قريش ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح
كبائت بمكة وكان عامر بن فهيرة مولى ابى بكر ياتيهما كل ليلة بما يغذيهما
من لبن واستاجرا عبد الله بن الاريقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف له اسلام
فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما وسار معهم
عامر بن فهيرة فاخذ بهم طريق البحر   ونحا اى قصد المصطفى على الخلق
كلهم المدينة المسماة بطيبة لان الله طيبها بهجرته اليها ووقعت له فى طريق الهجرة
عجائب منها انهم مروا بقديد على ام معبد الخزاعية وكانت تطعم وتسقى
من يمر بها وكانت السنة مجدبة فطلبوا منها لبنا او لحما يشترونه فلم يجدوا فنظر
الى شاة خلفها الجهد والضعف عن ان تسرح مع صواحبها فسالها
هل بها لبن فقالت هى اجهد من ذلك فقال اتاذنين لى ان احلبها قالت نعم
فدعا بها وباناء فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فدرت فحلب وسقى
القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب ثانيا وتركوه وذهبوا فجاء زوجها
فاخبرته الخبر فقال هذا والله صاحب قريش ولو رايته لاتبعته وفى سيرة
الحلبى ان ام معبد هاجرت واسلمت وكذا زوجها واسلم اخوها ايض وكان
اهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك وبقيت تلك الشاة عندهم يحلبونها
ليلا ونهارا الى ان ماتت فى خلافة عمر ولما سمع المسلمون بالمدينة بمقدمه
صاروا يخرجون كل يوم الى الحرة ينتظرونه الى الظهيرة فانتظروه يوما وعادوا
الى بيوتهم واذا يهودى ارتقى مكانا عاليا فرآه مقبلا فصاح فقال هذا جدكم
اى حظكم يا بنى قيلة اى الاوس والخزرج وقيلة جدتهم القديمة فخرجوا اليه
سراعا بسلاحهم فنزل بقباء وكان يوم الاثنين قيل اول ربيع وقيل ثانى
عشره وادركه على كرم الله وجهه بقباء ولم يقم بعده بمكة الا ثلاثة ايام
ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة وكانوا
قبل ذلك يؤرخون بعام الفيل واقام بقباء اربعة عشر ليلة واسس المسجد
المشهور بقباء وهو اول مسجد اسس فى الاسلام ولذا كان الاصح انه الذى

ونحا المصطفى المدينة واشتا
قت اليه من مكة الانحاء

استس على التقوى من اول يوم ثم ركب من قباء يوم الجمعة وصلاها
بمسجد الجمعة المشهور فى طريق قباء ثم ركب فكان كلما مر بدار من دور الانصار
سالوه النزول عندهم فيقول خلوا سبيلها اى ناقته فانها مامورة وارخى
زمامها فاستمرت الى ان بركت بموضع باب المسجد ثم ثارت وهو عليها حتى بركت
بباب ابى ايوب رئيس بنى النجار اخوال عبد المطلب ثم ثارت وبركت فى مبركها
الاول ثم تصوتت فنزل عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى وقوله
واشتاقت من الشوق وهو تحرك النفس وهو هنا مجاز نحو واسأل القرية
بل حقيقة اذ لا بدع فى ميل وحب الجمادات له بان يخلق الله تعالى فيها ادراكا
حقيقيا والاصح فى مثل هذا من كل ما لا يحيله العقل ولا الشرع حمله على حقيقته
وقوله من مكة اى التى هى مولده وام القرى وقوله الانحاء اى الجهات
والنواحى لانها كانت معمورة بانفاسه واستوحشت بفقده وتغنت

وتغنت بمدحه الجن حتى / اطرب الانس منه ذاك الغناء

بمدحه اى اظهرت اوصافه الجميلة فى صورة الغناء الذى تولع به النفس ولا يصير
فيها متسع لغيره وقوله الجن اى المؤمنون منهم وقوله حتى اطرب الانس
اى المؤمنين وغيرهم لان حسن الصوت لا تختلف فيه الطباع وقوله منه
اى من الجن اى من ذلك النوع وقوله ذاك الغناء اى الذى سمعوه
والطرب خفة تعترى الانسان عند شدة حزن او سرور والغناء فى البيت
بكسر الغين والمد وهو ما علمت واما بفتحها والمد فمعناه النفع وبكسرها
والقصر ضد الفقر وذكر اهل السير ان اسماء بنت ابى بكر قالت لما خفى علينا
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل فقال اين
ابوك فقلت والله لا ادرى فلطم خدى لطمة حتى خرج منها قرطى ولما لم ندر
اين توجه سمعنا صوت جنى ولم نر شخصه ينشد ابياتا فقال

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتى ام معبد

الى آخر الابيات فلما سمعنا قوله علمنا اين توجه النبى فلما وصل فى سفره الى
قرب رابغ اقتفى اثره سراقة الخ واقتفى اى اتبع اثره اى فى اثره وقوله

واقتفى اثره سراقة فاستهـ / ـوته فى الارض صافن جرداء

سراقة بن مالك المدلجى اسلم عام الفتح وهو الذى البسه عمر سوارى كسرى
والحامل له على اتباع النبى ان قريشا جعلت مائة بعير لمن يقتلهما او ياسرهما
فركب سراقة مستخفيا خوفا ان يسبقه غيره على هذه الفائدة فى زعمه
فلما دنى منهما عثرت به فرسه فنزل عنها فقام فركبها حتى سمع قراءة رسول
الله وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت فبكى خوفا على النبى وقال يا رسول الله اوتينا

ثم ناداه بعدما سيمت الخسـ / ـف وقد ينجد الغريق النداء

فقال كلا ودعا بدعوات فاستهوته اى هوت وسقطت به فى الارض صافن
اى غاصت قوائمها فى الارض حتى بلغت الركبتين فنزل عنها فزجرها فقامت
فالسين والتاء هنا للتاكيد لا للطلب والصافن من الخيل الذى يقوم على
ثلاثة قوائم ويرفع الرابعة عن الارض فيقف على طرف حافرها وقوله
جرداء اى قليلة الشعر قصيرته وهذه الصفة وما قبلها ممدوحتان فى الخيل
واصل الجرداء الشجرة التى قل ورقها فاستعيرت للفرس القليل الشعر
ثم ناداه اى نادى سراقة النبى بعدما وصل اليه وقال الامان يا محمد وقوله
بعدما سيمت ما مصدرية اى بعدما قاربت الفرس الخسف اى ان يخسف
بها اى بكلها بعدما قاربت ان تغوص كلها فى الارض والا فقد خسف بقوائمها الى
الركب كما تقدم والخسف بضم اوله وفتحه يقال سمته خسفا اولته ذلا اى اوقعته به
وقوله وقد ينجد الغريق النداء هذا من الحكم المناسبة هنا فهو كالعلة لما قبله وقوله النداء
اى الدعاء لله انكسارا وتذللا كما وقع ليونس عليه السلام ولما طلب الامان قال اعلم انكما
قد دعوتما على فادعوا لى ولكما على ان ارد الناس عنكما ولا اضركما فوقفا له
فركب حتى اتاهما قال ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت ان سيظهر امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد بهما الناس وعرضت عليهما
الزاد والمتاع فلم يأخذا منى شيئا وقال لا اخف عنا الخبر اى لا تخبر قريشا بنا
فسالت النبى كتابا آمن به منه اذا ظفر بى مرة اخرى فامر عامر بن فهيرة فكتب
لى فى رقعة من ادم فكانت معى فلما اسرت يوم حنين اخرجتها له فانفذ الامان
ولم ينقضه وامننى ومن يلوذ بى تنبيه ذكر الناظم الهجرة وبعض
ما وقع فيها من المعجزات مع انه سيذكر وقائع وقعت له قبل الهجرة بمكة كالاسراء
وكان مقتضى الواقع ان يذكر هذه كلها قبل ذكر الهجرة ليوافق الترتيب فى الواقع
ولعله اهتم بشان الهجرة فقدمها لتنبه النفس الى حكمة ذلك وهى انه انقطع
بها عنه صلى الله عليه وسلم كل ايذاء كان يصل اليه من قريش وترتب عليها الظفر
بهم حتى استاصلهم وقطع دابرهم فطوى الارض اى فطويت له الارض

فطوى الارض سائرا والسمو / ات العلى فوقها له اسراء

وقوله سائرا حال اى سائرا عليها فى هجرته وقوله والسموات معطوف على الارض
فهو منصوب بالكسرة وقوله فوقها له اسراء جملة حالية وغرضه تنظير طى
الارض له فى سفر الهجرة بطى السموات له ليلة المعراج لكن تعبيره بالطى فى
الارض يقتضى انه قطع المسافة على خلاف العادة والمنقول فى كتب السير
انه قطعها فى ثمانية ايام وهذا هو المعتاد فيها بخلاف التعبير بالطى فى جانب السموات

فهو مسلم لانه ليلة المعراج جاوزها جميعها فى اسرع وقت فى نحو ثلاث ساعات
قطع فيها نحو ثمانية آلاف سنة اذ بين الارض والسما خمسمائة عام وكذا سمك
كل سماء وما بين كل سماءين واما ما بعد السماء السابعة فلا يعلمه الا الله
عز وجل فيا لهما من مسيرين مسير فى الارض ومسير فى السماء اظهر الله بهما
عظيم قدره وتقدمه على جميع خلقه فى ارضه وسمائه والمعاريج ليلة الاسراء
عشرة سبعة فى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى اى
المكان العالى الذى سمع فيه صريف الاقلام فى تصاريف الاقدار والعاشر
الى العرش والرفرف وسماع الخطاب والكشف الحقيقى لكن لم يجاوز العرش
كما هو التحقيق عند اهل المعاريج   فصف ايها الناظر فى شمائله
وخصوصياته وما اكرمه الله به وقوله الليلة وكانت ليلة الاثنين او الجمعة
او السبت اقوال وكانت من رمضان او شوال او رجب او ذى الحجة او ربيع
الاول او الثانى اقوال وكانت بعد المبعث بخمس سنين او بعشر او احدى
عشرة او ثنتى عشرة اقوال وقد وقع الاسراء فيها من مكة الى بيت المقدس
ثم العروج منه الى السماء ثم الى حيث شاء الله والمعنى اذكر صفاته الجليلة
بما يمكنك والا فمحال ان تستوعبها وهذه الليلة افضل من ليلة القدر فى حقه
لانه اعطى فيها من الكرامات ما لا يحيط به الحد وكان الاسراء والمعراج بجسمه
وروحه فى اليقظة وهو على هذا الوجه من خصائصه وزعم تعدده مردود
اذ الاصح انه اسراء واحد بالجسم والروح فى اليقظة وقوله كان للمختار صلى
الله عليه وسلم استواء اى استقرار وتمكن مع انه لم يركبه قبل ذلك ولا هو من
جنس ما يركبه الآدميون اذ هو دابة اى يشبه الدابة والا فهو ليس بذكر ولا انثى
دون البغل وفوق الحمار يضع رجله عند منتهى بصره وذكره الناظم باعتبار
كونه مركوبا وسمى بذلك من البرق لشدة سيره وتلخيص قصته انه اتاه جبريل
وميكائيل وملك ثالث بالحطيم او شعب ابى طالب او بيته او بيت ام هانئ
روايات جمع بينها بانهم اتوه فى بيت ام هانئ وبيتها عند شعب ابى طالب
واضيف اليه لانه كان يسكنه فاخرجه الملك منه الى المسجد فاضجعه فى الحطيم
لاثر نعاس كان به ثم اخذ واخرجه من المسجد بعد تمام تيقظه وبعد شق
صدره وقلبه وغسلهما فاركبه البراق وسار به حتى انتهى الى بيت المقدس
ووقع له فى الطريق عجائب كثيرة وجاء فى رواية ان جبريل ركب معه على البراق
وصح انه مر بيثرب فامره ان ينزل ويصلى هناك وبمدين فامره بذلك وببيت لحم

الذى

فصف الليلة التى يكون للنبى تان فيها على البراق اتسع اوه

الذى ولد فيه عيسى فامره بذلك فلما وصل الى بيت المقدس دخل المسجد فرأى
فيه جميع الانبياء قيل حضروا بارواحهم واجسادهم وقيل بارواحهم فقط
تشكلت فى صور اجسادهم وقيل رفع الله الحجب بينه وبينهم فى قبورهم فصلى
بهم فى المسجد وهم فى قبورهم وتلك الصلاة قبل الصبح وهذا مبنى على انه
صلى فيه بعد العود والرجوع وقيل العشاء وهذا مبنى على انه صلى بهم فيه قبله
ولما فرغ من امامتهم نصب له المعراج مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وعن يمينه ملائكة
وعن يساره ملائكة ثم صعد فيه هو وجبريل حتى انتهيا الى باب سماء الدنيا
فاستفتحاه ففتح لهما وهكذا الى السابعة ورأى فى الاول آدم ورأى النيل
والفرات ورأى فى الثانية يحيى وعيسى وحكمة كونهما فى سماء مع ان كل واحدة
غير الثانية فيها نبى واحد ان عيسى ينزل آخر الزمان فيبقى فيها يحيى فلا تخلو
سماء من نبى وفى الثالثة يوسف وفى الرابعة ادريس وفى الخامسة هرون
وفى السادسة موسى وفى السابعة ابرهيم وروى ان ادريس فى الثانية
وهرون فى الرابعة وابرهيم فى السادسة وموسى فى السابعة والرواية الاولى
اصح او يجمع بينهما بانه رآهم فى الصعود على كيفيات وفى الهبوط على كيفيات
اخر وحكمة تخصيص هؤلاء باللقاء الاشارة بكل الى ما سيقع له صلى
الله عليه وسلم مما يناسب ما وقع لكل منهم كالاخراج من مكة فريدا والعود
اليها بجنود كثيرة كما وقع لآدم حيث اخرج من الجنة وحيدا وسيعود لها
بجنود لا تحصى وكمعادات اليهود اوائل الهجرة كما عادت عيسى وارادت
قتله وكما عادت يحيى وقتلوه وكمعادات اهله له ورجوعهم الى محبته كما رجع
قوم هرون الى محبته وكمعالجة قومه كما عالج موسى قومه وكتمكنه من مكة
والكعبة كما وقع لابرهيم واختلف فى رؤيته لهؤلاء الانبياء فى السموات
فقيل لارواحهم الا عيسى فانه رفع بجسده وكذا ادريس على قول وقيل لارواحهم
واجسادهم فرفعوا تلك الليلة الى تلك المواضع اكراما له وبعد ان جاوز
السماء السابعة رفعت له سدرة المنتهى اى كشف له عنها فرآها ورأى
النيل والفرات وسيحان وجيحان تخرج من اصلها ثم جاوزها الى مستوى
بفتح الواو وهو المكان العالى المتسع ثم زج به فى النور فخرق سبعين الف
حجاب من نور مسيرة كل حجاب خمسمائة عام ثم دلى له رفرف اخضر فارتقى
به حتى وصل الى العرش ولم يجاوزه فكان من ربه قاب قوسين او ادنى
وترقى اى صعد البراق به اى بالمصطفى او ترقى المصطفى به

ونعم به الذاب نعم
نحو تلك السادة النعسا

اى بالبراق فافهم كلامه ان البراق مقدمعه الى قاب قوسين وهذا ما دلت
عليه رواية البخارى لكن المشهور عند اهل السير والمعاريج انه لم يصعد
بالبراق ولم يعطا بالسموات بل استمر مربوطا بحلقة الباب حتى عاد ونزل من
السموات فركبه الى مكة ثم رده جبريل الى الجنة وقوله الى قاب قوسين قاب
القوس ما بين مقبضه اى محل مسكه باليد عند الرمى وهو وسطه وبين
آخره اعا المحل الذى يربط فيه الوتر فلكل قوس قابان ففى الكلام قلب كما فى
الآية اى تبديل المثنى بالمفرد وعكسه واصل التركيب الى قابى قوس فالكلام
من قبيل الاستعارة التمثيلية فشبه حاله فى قربه من ربه قربا معنويا بحال
احد الحبيبين فى قربه من الآخر اذا انضما ولم يبق بينهما من المسافة الا قدر
قاب القوس واستعير اللفظ الدال على المشبه به واستعمل فى المشبه وقوله
وتلك اى المرتبة التى وصل اليها ليلة المعراج وقوله السيادة اى هى السيادة
وقوله القعساء اى الثابتة الدائمة التى لا يطرقها تغيير ولا زوال وقد
اختلف العلماء فى ان نبينا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فى هذا المقام بعينى
راسه او بعينى قلبه فقط والذى صح عن ابن عباس فى رواية الاول وفى
اخرى الثانى وقال بعضهم انه رآه مرتين واحدة بالعين واخرى بالقلب
وهذا مبنى على تعدد المعراج ومعنى رؤية القلب على القول بها ان الله
خلق فى قلبه عينين كعينى الراس فرأى بهما ولم يحجبهما قفص البدن ولا
الثياب وليس المراد برؤية القلب على هذا القول الحضور والشهود مع ربه
واشتغال البال به دون غيره لان هذا الحال والمقام لا ينفك عنه صلى الله
عليه وسلم بل قد يصل اليه بعض الاولياء واذا تاملت ما وقع له ليلة الاسراء
من الكرامات التى تميز بها على سائر الخلق علمت انها رتب الخ
رتب تنوينه للتعظيم اى عظيمة جليلة اى ما ناله تلك الليلة من انواع القرب
المعنوى والكرامات رتب تسقط الامانى جمع امنية وهى ما يطلب ويطمع
فى حصوله وقوله حسرى جمع حسير من حسر بمعنى اعيى اى حالة كونها حسرى
اى ضعيفة عن تلك المراتب وقوله دونها ظرف لتسقط اى لجلالة هذه
المراتب وعزتها على الخلق سقطت امانيهم وطلبهم واما لهم عن نيل هذه
المراتب فلم يستطيعوا التوجه اليها وطلبها حالة كونهم عاجزين عن التاهل لها
وكيف لا وهى ما وراءهن وراء اى ما قدامهن قدام فوراء بمعنى قدام والمعنى
انه ليس قدامهن مرتبة اخرى يطمع مخلوق فى نيلها ثم وافى اى وصل الى مكة

رتب تسقط الامانى حسرى
دونها ما وراءهن وراء

ثم وافى يحدث الناس شكرا
اذ اتته من ربه النعماء

قبل الصبح وكان مقدار غيبته عنها ثلاث ساعات وقوله يحدث الناس
جملة حالية اى يحدثهم بما رآى من تلك العجائب والكرامات لكن لم يحدث
ولم يخبر صبيحة الاسراء بالعروج الى السماء بل اقتصر على الاخبار بالذهاب
الى بيت المقدس وقوله شكرا مفعول لاجله او حال وقوله اذا اتته اذ تعليلية
او ظرفية اى اتته فى تلك الليلة وقوله النعماء جمع انعم جمع نعم ولما تحدث
بالاسراء واخبر به ارتد ناس كانوا اسلموا فذهب المشركون الى ابى بكر وذكروا
له انه يخبر انه ذهب الى بيت المقدس قال نعم فانكروا عليه فقال انى لاصدقه
فيما هو ابعد من ذلك فى خبر السماء وروى ان ابا بكر جاءه فقال يقولون
انك الليلة اتيت بيت المقدس قال نعم قال صفه لى فانى جئته ولم يكن صلى
الله عليه وسلم قد تثبت اوصافه فى الليل فرفعه الله اليه ونقله الى مكة عند
دار عقيل فجعل صلى الله عليه وسلم ينظر اليه وغيره لا يراه ويخبر بجميع صفاته
تفصيلا وهذا كما حمل عرش بلقيس وجئ به الى سليمان فى طرفة عين وقول
ابى بكر له صفه لى ليس امتحانا وانما هو ليظهر صدقه لهم ويرد عليهم فى تكذيبه
وقيل ان المسجد لم ينتقل وانما ازيلت الحجب بينه وبينه وخلق الله فيه قوة رؤيته
وهو فى محله وبهذا ظهرت الحكمة فى الاسراء الى بيت المقدس ثم العروج منه
الى السماء لما تقرر ان فيهم من رآه وعرفه فوصفه لهم كما هو مع علمهم بانه لم يذهب
اليه قط ومما اخبرهم به انه قال لهم ان من آية ما اقول لكم انى مررت بعيركم
بالروحا موضع على اربعين ميلا من المدينة وقد اضلوا بعيرا فجمعه فلان ومع
تاتيكم يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرف الناس ينتظرون حتى كادت
الشمس ان تغرب ولم تات العير فكرب صلى الله عليه وسلم كربا شديدا فحبس الله
له الشمس حتى اتت العير قبل الغروب وتحدى معطوف على وافى اى
تحدى كفار مكة وغيرهم بما وقع له ليلة الاسراء وما تقدمه من المعجزات اى طلب
منهم ان يعارضوه ما جاء به شاهدا على نبوته وصدقه بابداء نظيره وانهم كانوا
كاذبين مدحوضين وقوله فارتاب اى شك اى انقطع وخرس وعجز
عن المعارضة فالارتياب مستعمل فى لازمه وهو الانقطاع وقوله كل مريب
اى مرتاب فمريب اسم فاعل من اراب زيد بمعنى ارتاب فهو اسم فاعل من
اللازم وليس من اراب المتعدى كما هو ظاهر ويلزم من انقطاعهم عن معارضته
اتضاح امره وانه لم يبق فيه شك ولا ريب ومن ثم قال منكرا على من بقى عنده
شئ من ذلك او يبقى والهمزة داخلة على مقدر والواو عاطفة على ذلك المقدر

وتحدى فارتاب كل مريب
او يبقى مع السيول الغثاء

والتقدير ايتضح ذلك الامر ويبقى معه ريب لا بل اتضح وما بقى معه شك
اصلاً وكيف يبقى مع السيول الخ وما تقرر من التقدير بعد همزة الاستفهام
هو راى الزمخشرى ومن تبعه وهو التحقيق وان كان خلاف مذهب الجمهور
وهو ان لا تقدير فى الكلام بل فيه تقديم وتاخير فالهمزة مقدمة على الواو واصل
الكلام وابتقى الخ وقوله مع السيول حال من الغثاء الذى هو فاعل وهو بضم
المعجمة وبالمثلثة ما يحمله السيل مما يخف من النبات فكما ان الغثاء لا يبقى مع
السيل بل يذهب به ويزيله فكذلك ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من الايات
البينات والبراهين الواضحات لا يبقى معه شك بل يذهب ويضمحل فالسيول
استعارة تصريحية لما اتى به ووجه الشبه ان بكل الحياة وان كانت فى
السيول حسية وفى الايات والبراهين معنوية والغثاء استعارة تصريحية
ايضاً لما يتخيلونه لانه امر حقير لا بقاء له كما ان الغثاء كذلك وهو يدعو
حال من فاعل تحدى اى تحدى الناس والحال انه مع انكارهم وارتيابهم لا يفتر عما امر به
من التبليغ والدعاء وقوله الى الاله اى المعبود بحق الذى لا يعبد غيره
وقوله كفر به اى به نفسه او بالاله وقوله وازدراء اى احتقار وانتقاص
له فهو مديم لذلك الدعاء متحمل المشقة انكارهم وقبيح كفرهم وازدرائهم به فكان
يدور عليهم فى منازلهم ويخاطبهم بما يكرهون ولا يبالى بقوتهم وشوكتهم ويقول
اعبدوا الله وحده واتركوا ما انتم عليه من عبادة الاصنام وروى احمد
فى مسنده اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمنعه الله من القتل بعمه ابى طالب واما ابو بكر فمنعه الله بقومه
لانهم كانوا اصحاب قوة وشوكة واما بقية السبعة فاخذهم المشركون
فالبسوهم ادراع الحديد والقوهم فى الشمس وان بلالاً هانت عليه
نفسه فى الله وهان على قومه فاخذوه واعطوه للولدان فجعلوا يطوفون
به فى شعاب مكة وهو يقول احد احد اى يمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان
ومر اللعين ابو جهل بسمية ام عمار بن ياسر وهى تعذب فطعنها بحربة
فى فرجها فماتت وهى اول شهيد فى الاسلام وجاء ان ابا بكر اعتق ممن
كان يعذب فى الله سبعة وبدا للورى اى الخلق ففيه اشارة الى انه
ارسل الى الخلق كافة اما الانس والجن فبالاجماع المعلوم بالضرورة يكفر
منكره واما الملائكة فعلى الاصح واما الجمادات فعلى ما ذهب اليه بعض

وهو يدعو الى الاله وان شق عليه كفر به وازدراء [illegible]

وبدا للورى على الله بالنور [illegible] وهو الحجة البيضاء

محققى المتاخرين ومعنى ارساله للملائكة انهم مكلفون بتعظيمه والايمان به
واشاعة ذكره ومعنى ارساله للجمادات انه ان ركب فيها ادراكات لتؤمن به
وتخضع له وقوله على الله اى على العلم بذاته واسمائه وصفاته وافعاله وما
يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز فى حقه وقوله بالتوحيد اى بطلبه منهم
ان يوحدوه بان يقروا بانه واحد فى ذاته وفى صفاته وافعاله وظاهر المتن
ان الباء فى بالتوحيد باء الالة ككتبت بالقلم ويوجه بان العلم بالتوحيد
كما ذكر ينشأ عنه العلم بما يليق بذات الله وصفاته وافعاله وقوله وهو اى العلم
المذكور والدلالة عليه وقوله المحجة اى كالمحجة ففيه تشبيه بحذف الاداة
اى الطريق الى رضى الله التى امر بها وحث عليها وقوله البيضاء اى النيرة المضيئة
الواضحة التى لا يضل سالكها ولا ينقطع ولا يخشى فيها من آفة فبما رحمة
ما فائدة اى فلما صبر على تبليغهم مع ما حصل له منهم مما اشار اليه بقوله
وان شق عليه اذا اطاع الله له اكثرهم حتى صاروا من اكابر اتباعه فالمراد رحمة
من الله واصلة اليه ويحتمل ان المراد انها واصلة اليهم من الله اى فبسبب
رحمة الله لهم وعطفه عليهم ببركة لين رسول الله وصبره عليهم كما يشير لذلك
قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الذى اقتبس الناظم منه ما ذكره ايقظ
قلوبهم وازال ما فيها من كبر وغى فلانت صخرة هى الحجر العظيم وقوله من
ابائهم بيان للصخرة اى امتناعهم وقوله صماء اى صلبة لا تؤثر فيها المعاول
على خلاف العادة ففى الكلام تشبيه بليغ حيث شبه اباءهم اى امتناعهم
بالصخرة التى هى فى غاية الصلابة كما انهم كانوا اولاً فى غاية النفرة والبغض
وفى لانت استعارة تصريحية تبعية حيث شبه اتباعهم له وانقيادهم لاوامره
ونواهيه بزوال صلابة الصخرة واستعار اسمه وهو اللين واشتق منه لانت
واستجابت له اى وبعد ان لانوا له ببركة لينه لهم لم يزل لينهم يتزايد
حتى استجابت له اى اجابت دعوته وقوله بنصر وفتح الباء سببية او بمعنى
مع اى مع او بسبب ما اعطاه الله من النصر على الاعداء والقاء الرعب فى
قلوبهم والفتح لبلادهم باخماد شوكتهم وقوله بعد ذاك اى الضعف الذى
كان به وباتباعه لقلتهم ولتحريم قتال الاعداء وقوله الخضراء اى السماء سميت
بذلك لانها ترى كذلك وبين النووى سبب ذلك فقال تلقفا خبر ان
صخرة تحت الارض خضراء منها ترى خضرة السماء وليست فى الحقيقة كذلك
ولا يمنع جرم الارض من ظهور خضرة الصخرة التى تحتها فى السماء خرقاً للعادة

فبما رحمة من الله لانت صخرة من ابائهم صماء

واستجابت له بنصر وفتح بعد ذاك الخضراء والغبراء

وقال الربيع بن انس السماء الدنيا موج مكفوف اى ممنوع من السيلان
بقدرة الله تعالى والثانية من مرمرة بيضاء والمرمر الرخام والثالثة من حديد
والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة
من ياقوتة حمراء وقوله والغبراء اى الارض سميت بذلك لان جميع طبقاتها
من الطين ومعنى استجابة السماء والارض له استجابة اهلهما ويحتمل انه
استعمل السماء للرفيع من الناس والارض للوضيع اى اجابه الرفيع والوضيع
اذ لم يبق الا مسلم او مسالم وعلى الاحتمال الاول فتقييد الناظم استجابة
اهل الارض بالنصر والفتح بتلك البعدية ظاهر واما تقييد استجابة اهل
السماء بها فهو بمعنى انه لم تنزل الملائكة لنصرته الا ببدر وما بعدها وذلك
انما هو بعد قوته والقاء الرعب فى قلوبهم والاذن فى الجهاد والفتح عليه
واطاعت اى ومن جملة استجابة اهل الارض له انه اطاعت لامره اى ونهيه
ففيه اكتفاء وقوله العرب بفتحتين وان كان يجوز فيه ايضا الضم فالسكون
وقوله العرباء ويقال العاربة وهم الخلص من العرب ويقال لغير الخلص
العرب المستعربة وقوله والجاهلية الجهلاء بضم الجيم وفتح الهاء المبالغون
فى الجهل الكثير جهلهم كرجل ضحكة اى كثير الضحك وخص هذين بالذكر
لان تصميمهما على الكفر بلغ من القوة والشدة ما لم يبلغه تصميم غيرهما
وتوالت اى تتابعت وقوله للمصطفى حال من الآية الذى هو الفاعل اى حال
كونها مضافة اليه لا لمن قبله من الانبياء وقوله الآية ال فيه جنسية فهو
فى معنى الايات وانما فالتوالى انما يكون فى متعدد اى العلامات الدالة على
نبوته وقوله الكبرى كالقرآن وانشقاق القمر وقوله عليهم متعلق بتوالت
وقوله والغارة اى وتوالت عليهم ايضا الغارة على بلادهم واموالهم ونفوسهم
وهى اسم مصدر لاغار وهى الاخذ على غفلة وقوله الشعواء اى الفاشية المنتشرة
المحيطة بهم من سائر الجوانب   واذا ما تلى ما زائدة اى وبعد ان استجا[ب]
له اهل السماء والارض ودخل الناس فى دين الله افواجا وكثرت اتباعه جدا
حتى صار اذا اتلى كتابا من الله اى انزل عليه من الله تعالى وهو القرآن وقوله
تلته اى تبعته لاجل القراءة معه او استماع قراءته الكتائب مزدحمين عليه وقوله
كتيبة فاعل بتلته لكن النظم اخرجه عن هذا وقال لا سيما كتيبة بالفوقية اى
جيش وقوله خضراء اى يعلوها سواد السلاح والحديد وعكس هذا سواد
العراق لانه لكثرة اشجاره يرى من البعد سوادا وهى كتيبته التى دخل مكة

واطاعت لامره العرب العرباء والجاهلية الجهلاء
وتوالت للمصطفى الآية الكبرى عليهم والغارة الشعواء
واذا ما تلا كتابا من الله تلته كتيبة خضراء

وهو فيها على ناقته القصوى بين ابى بكر واسيد بن حضير وهو يقرأ سورة الفتح
وكفاه ربه فضلا منه وكرما وقوله المستهزئين اى الجماعة الاشقياء
الذين زادوا فى ايذائه والعتو عليه كما قال تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم
جماعة من قومه كانوا يسخرون منه ويبالغون فى ايذائه والسخرية به اى تولى
الله اهلاكهم قال الحافظ ابن حجر لم يسلم منهم سوى الحكم بن العاص
وكان اسلامه مع ذلك مدخولا ومع تولى الله تعالى اهلاك المستهزئين به
سلاه فاعلمه ان هذا ليس خاصا به بل وقع للانبياء قبله مثله بقوله فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل فاقتبس المص هذه العبارة من هذه الاية كاية
ولقد استهزئ برسل من قبلك وقوله وكم اى مرات كثيرة فكم خبرية وقوله
ساء اى احزن وقوله من قومه متعلق بقوله استهزاء اى سخرية وايذاء
ورماهم اى اصابهم بدعوة منه عليهم وصلت اليهم فاهلكتهم كما يصل السهم
القاتل الى من يرمى به فيهلكه وقوله من فناء البيت بكسر الفاء والمد وهو
المكان المتسع امام الدار ومن بمعنى فى صفة لدعوة اى فى حوالى الكعبة
وجهاتها وقوله فيها اى تلك الدعوة للظالمين متعلق بما بعده والاصل لهم وعدل
عنه ليبين ان سبب هلاكهم ظلمهم وبغيهم عليه وقوله فناء بفتح الفاء اى
استئصال لهم حتى لم يبق منهم احد   خمسة بدل من المستهزئين او من
الظالمين ويصح رفعه على انه خبر مبتدأ محذوف وخص الخمسة بالذكر مع ان
المستهزئين اكثر من هؤلاء الخمسة اذ منهم ابو لهب وزوجته وعقبة بن
ابى معيط والحكم بن العاص لان هؤلاء الخمسة كانوا اشد من غيرهم فى ايذائه
ولذا عجلت عقوبتهم وقوله بداء اى عظيم وقوله والردى اى الهلاك وقوله
من جنده اى من جملة جنده المعينة عليه وقوله الادواء جمع داء وهو المرض
وهذا كالتعليل لما قبله اى انما اصيبوا بذلك الداء لانهم سعوا فى تحصيل
اسباب الردى حتى وقعوا فيه ولم يجدوا منه مخلصا   فدهى الاسود بن
شروع فى تفصيل ذلك الداء الذى اهلكهم الله به وفى بيان اسماء الخمسة المصابين
به وقوله فدهى من الداهية وهى الامر العظيم المهلك وقوله اى عمى فاعل
اى عمى عظيم لانه كما طمس بصره طمس بصيرته وليس العمى الا عمى البصيرة وقوله
ميت به اى بسبب ذلك العمى وقوله الاحياء اى صار بسببه الاحياء فى حكم
الاموات الذين لا ينظر اليهم ولا يعول عليهم ويحتمل ان المراد ان عماه كان
سببا لموته بالفعل على خلاف العادة مبالغة فى هلاك ذلك اللعين وميت مشدد

وكفاه المستهزئين وكم ساء نبيا من قومه استهزاء
ورماهم بدعوة من فناء البيت فيها للظالمين فناء
خمسة كلهم اصيبوا بداء والردى من جنوده الادواء
فدهى الاسود بن مطلب اى عمى ميت به الاحياء

والاحياء فاعل اغنى عن الخبر اى من شأن هذا العمى انه لو وقع للاحياء صاروا
به فى حكم الموتى لا بصر لهم ولا بصيرة والجملة مؤكدة لما افاده تنوين عمى اى
هو عمى بصيرة وبصر وكون ميت مبتدأ مع عدم اعتماده انما هو على رأى الكوفيين
وقد قال ابن مالك الاعتماد حسن لا واجب   ودهى الاسود اى
اصابه داهية وقوله الردا اى الموت وقوله استسقاء اى اصابه هذا المرض
المشهور واستمر به حتى اهلكه وهو داء خبيث على انواع المراد منها هاهنا
الزقى وهو امتلاء الامعاء بالماء الفاسد المبطل للحرارة الغريزية المفضى الى
الهلاك على قرب وتشبيه الرداء بالمشروب استعارة بالكناية واثبات الكاس
والسقى الذين هما من لوازم المشبه به استعارة تخييلية   واصاب الوليد
اى ابن المغيرة وقوله خدشة سهم اى اثر جرحه باسفل رجله من شخص فى يده
نبل وقيل اصابت ذيله شوكة فمنعه الكبر ان ينحنى لقلعها فضربت بها بالسوط
فاصابت رجله فتاكلت ومات منها وكان ذلك قبل وقعة بدر وكان سم ذلك
اسرع الى هلاكه واشنع من سم الافاعى فلذلك قال قصرت عنها اى عن تلك
الخدشة الحية الرقطاء اى التى يخالط سوادها نقط بيض وهى اعظم الحيات
اذى واسرعها اهلاكا ووجه قصورها عنها فى الافضاء الى القتل ان الحية
قد يقع البرء من لسعتها بخلاف تلك الخدشة فانها كانت قاتلة له حتما لاسيما
وهى من آثار تلك الدعوة المقبولة التى رماهم بها من قنا البيت   وقضت
شوكة اى دخلت فى اخمص رجله وقوله العاص بن وائل اى قتلته قتلا
عجيبا وقوله فلله صيغة تعجب من تاثير هذه الشوكة وقوله النقعة من قولهم
الناس نقائع الموت اى انه يجزرهم كما يجزر الجزار النقيعة اى البهيمة التى تذبح
فى الموت وقوله الشوكاء من قولهم بردة شوكاء اى خشنة الملمس اى ما اعجب هذه
القتلة الشديدة التى حصلت من تلك الشوكة القليلة التاثير عادة فلله
درها من شوكة نخرته فى اسرع وقت   وعلى الحارث معطوف على مهجة العاص
اى وقضت على مهجة الحارث القيوح جمع قيح وهو المدة البيضاء التى
لا يخالطها دم وقوله وقد سال جملة حالية وقوله وساء الوعاء اى قبح
ذلك الراس الذى هو الوعاء لتلك القيوح القاتلة لصاحبه   خمسة
اى هؤلاء الملاعين خمسة طهرت بقطعهم اى هلاكهم الارض اى مكة
ونواحيها او مطلقا لان ضررهم سرى الى جميع الجهات وقوله فكف الاذى
اى الذى حصل للناس منهم لاسيما نبينا وقوله بهم على حذف مضاف

والباء

ودهى الاسود بن عبد يغوث ان سقاه كاس الردا استسقاء
واصاب الوليد خدشة سهم قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العا ص فلله النقعة الشوكاء
وعلى الحارث القيوح وقد سا ل بها راسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الار ض فكف الاذى بهم شلاء

والباء سببية او بمعنى مع اى بسبب فقدهم وقطعهم او معهم وقوله شلاء
اى فاقدة الحركة فعلم انه شبه الاذى بانسان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس
لافادة ان الاذى لو تجسم لكان انسانا يقدر على ايصال ما يريد باى وجه كان
ثم اثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو الكف التى يتناول بها سائر المضار
التى يريدها ووصفها بالشلل لبيان ان الاذى صار بفقدهم معطلا لا حركة
فيه ولا تاثير ففى الكلام استعارة مكنية يتبعها استعارة تخييلية وذكر
الشلل الملائم للمشبه به ترشيح   فديت بالبناء للمفعول يقال فداك
بفتح اوله فيقصر وبكسره فيمد وهذه الجملة دعاء متضمن للتعظيم فهى خبر
لفظا انشاء معنى فالمعنى اللهم اجعلهم فداء هم من المؤذيات وقوله خمسة
الصحيفة الآتى بيانهم وكانوا وقت نقضها كفارا واسلم منهم بعد ذلك اثنان
هشام وزهير وبقيتهم ماتوا كفارا وقوله بالخمسة اى الملاعين السابق ذكرهم
اى جعلت جملة الخمسة فداء لكل واحد من اولئك من كل مكروه فليست المقابلة
هنا من قبيل ركب القوم دوابهم وقوله ان كان ان شرطية جزاؤها محذوف
يدل عليه ما قبلها تقديره فاسأل الله فداءهم والمراد الفداء من عذاب
النار بالنسبة لمن مات منهم كافرا لكنه لا فداء للكفار منهم فلا اسأله واما
بالنسبة لمن اسلم منهم فلا يظهر فيه كلام الناظم لانه لا يحتاج الى فداء لموته
سعيدا ولا يصح ان المراد الفداء من الموت لانهم ماتوا قبل الناظم بزمان
طويل فلا يصح ان يسأل فداءهم من الموت وقوله للكرام فداء اى واولئك
الخمسة الذين سعوا فى نقض الصحيفة من جملة الكرام الذين يتعين
فداؤهم عند الحاجات والشدائد ان نفع الفداء لانهم بذلوا انفسهم فى امر
عظيم جدا كما يعلم من القصة وحاصلها ان قريشا لما رأت عزة النبى صلى
الله عليه وسلم بفشو الاسلام فى القبائل وبأمره بضعة عشر من اصحابه
بالهجرة الى الحبشة واستمرارهم فيها منهم عثمان وزوجته رقية بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك فى سنة خمس من النبوة اجمعوا على ان
يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب فاتوا اليه بعمارة بن الوليد
وكان اعز فتى فيهم وطلبوا منه ان ياخذه بدل ابن اخيه فابى حمية وغيرة على
عادة الاقارب وجمع بنى هاشم وبنى المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم شعبهم وهو المكان الضيق بين الجبلين ونسب اليهم لانه كان
مسكنهم ومنعوه ممن اراد قتله فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا واشتوروا

بلة

فديت خمسة الصحيفة بالخمسة ان كان للكرام فداء

ان يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه ويتعاهدون على بنى هاشم وبنى المطلب ان
لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يقبلوا منهم صلحًا حتى يسلموا رسول الله صلى الله
عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك فى صحيفة بخط بعضهم وهو منصور بن عكرمة
فشلت يده وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة تاكيدًا فى حفظها وبقائها
وكان ذلك فى هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنوا هاشم وبنو المطلب
الى ابى طالب فدخلوا معه فى شعبه الا ابا لهب فكان مع قريش فاقاموا على
ذلك سنتين او ثلاثا حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شئ الا سرًّا حتى ان
حكيم بن حزام بن اخت خديجة عاش مائة وعشرين سنة نصفها فى الجاهلية
ونصفها فى الاسلام حمل غلامه حبًّا يريد به عمته خديجة فلقيه ابو جهل فمنعه
فلما مضت تلك المدة قام اولئك الخمسة فى نقضها وكان رئيسهم هشام
ابن الحارث اول من مشى فى نقضها العربى نسبة لامه الذى هو اخو عبد المطلب ومن
ثم كان يواصل بنى هاشم فيأتيهم ليلًا بالبعير وعليه الطعام فمشى الى زهير
ابن عاتكة بنت عبد المطلب فقال ارضيت ان تاكل الطعام وتلبس الثياب
وتنكح النساء واخوالك حيث علمت وشدد عليه حتى قال لو وجدت معى رجلا
لنقضتها فقال انا معك فقال ابغ اى اطلب لنا ثالثًا فذهب الى المطعم
واستنخاه اى عظمه بالمدح يقال استنخاه اذا عظمه بالمدح حتى قال لو وجدت
رجلًا قال انا معك وزهير بن امية قال ابغ لنا رابعًا فذهب الى ابى البخترى
فاستنخاه ايضا فقال وهل من معين فذكر له اولئك فقال ابغ لنا خامسًا
فذهب الى زمعة واستنخاه فقال هل من احد فذكر له القوم فاجتمعوا بالحجون
واجمعوا على نقضها فقال لهم زهير وانا اول من يتكلم فلما اصبحوا غدوا الى
انديتهم وغدا زهير فى حلة جميلة فطاف سبعًا ثم اقبل على الناس فقال
يا اهل مكة انا ناكل الطعام ونلبس الثياب وبنوا هاشم كما ترون والله
لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة قال ابو جهل كذبت
والله لا تشق قال زمعة انت والله اكذب اى من كل كاذب لا من زهير ما رضينا
كتابتها حين كتبت وقال ابو البخترى صدق زمعة ما نرضى ما كتب منها ولا
نقره وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرا الى الله منها ومما كتب
فيها قال ابو جهل هذا امر قد قضى بليل اشتورتم فيه بغير هذا المكان
وابو طالب جالس فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجدا الارضة قد اكلتها
الا ما كان من اسم الله ولا يعارض ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قبل ذلك قال لابى طالب يا عم ان ربى سلط الارضة على صحيفة قريش فلم
تدع فيها اسما هو لله الا اثبتته ومحت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال
اربك اخبرك بهذا قال نعم فاخبرهم ابو طالب بذلك وقال انزلوها فان صدق
فانتهوا عن قطيعتنا والا دفعته اليكم فنظروها فاذا هى كما قال صلى الله عليه
وسلم وذلك لانه لا مانع انهم لما نظروا ذلك صمموا وازدادوا شرا فقام اولئك
الخمسة فى اذهابها من اصلها فسعوا فى نقضها وبذلوا جهدهم فيه
فتية اى اذا تقرر ذلك علم انهم فتية اى كرام جمع فتى وهو السخى الكريم
وقوله بيتوا اى دبروا واشتوروا بالحجون ليلًا وقوله على فعل خير هو نقضها
والمخاطرة بالنفوس دونه لشدة قريش فى بقائها مع كثرتهم وعتوهم وقوله
حمد الصبح بكسر الميم اى الفجر الى الزوال ويدل على الثانى المقابلة بالمساء
الذى هو من الزوال الى الغروب وقوله امر اى شانه وغايته واسناد الحمد
الى هذين الزمانين مجاز دال على شدة المبالغة فى وقوع الحمد وطلبه على ذلك
الخير لان الزمان اذا احمد على ذلك فسائر العقلاء اولى واحق بالامر
بفتح اللام هو نقضها وناداه على طريق الاستغاثة تنزيلًا له منزلة العاقل
مبالغة فى تعظيمه ولذا كان مفيدًا للتعجب وقوله بعد هشام اى ابن الحارث
وقدمه لما مر من انه اول الخمسة والسبب فى اجتماعهم وقوله زمعة بفتح
الزاى وسكون الميم ابن الاسود وقوله انه بالكسر استئناف فيه معنى
التعليل وقوله الفتى اى الكريم فى قومه وقوله الاتاء صيغة مبالغة من
اتى ياتى ووصفه بذلك لكونه بادر بتكذيب ابى جهل وزهير اى ابن
ابى امية وامه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله وابو البخترى بفتح الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وضم التاء
الفوقية وقوله من حيث شاءوا ظرف مكان حقيقة او مجازا اى من المكان
الذى قصدوه لتدبير امرهم ولتشاورهم عليه فلذلك وقع فعلم الموقع الذى
قصدوه لتدبير امرهم ولتشاورهم عليه فلذلك وقع فعلم الموقع الذى
قصدوه ونتج الانتاج الذى دبروه فالمعنى واتى هؤلاء الخمسة النقض لا عن
غير ميعاد واتفاق ومواطاة بل انما اتوه اتيانا كائنا من حيث شاءوا
نقضوا بدل من فعل خير من نقض العهد اى ابطله وقوله مبرم اى محكم
واصله كالبريم الحبل الذى جمع من مفتولين وفتلا حبلا واحدا وقوله
الصحيفة اى التى توافقت قريش على ابقائها على الدوام الا ان يسلم بنو هاشم

وفتية بيتوا على فعل خير
حمد الصبح امرهم والمساء

يا لامر اتاه بعد هشام
زمعة انه الفتى الاتاء

وزهير والمطعم بن عدى
وابو البخترى من حيث شاءوا

نقضوا مبرم الصحيفة اذ شد
دت عليهم من العدا الانداء

والمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وقوله اذ شدت اى وقت او لاجل
اذ شدت اى صممت عليه اى على ذلك الامر المبرم وهو عدم نقضها وقوله من
العدا بيان لقوله الاندا جمع ناد وهو العشيرة فالمراد بالانداء هنا القبائل
والعشائر وان كان اصل النادى المكان الذى يجلس فيه للتحدث والسمر فسمى من
فيه باسمه اطلاقا لاسم المحل على الحال فيه اى نقضوا هذا الامر المبرم الذى نواه
عشائرهم وصمموا عليه   اذكرتنا اى بعد نسياننا هذا هو الذى يقتضيه
التعبير بالاذكار لكن لا يظهر فى مثل المص ممن يخالط القرآن اذ هذه القصة
منصوصة فيه لا تغيب عنه فيحمل الاذكار بالنسبة لمثله على التنبيه والايقاظ
فى بعض الاوقات وهذه الجملة استئنافية قصد بها بيان ان لا كل الارضة
الصحيفة نظيرا هو اكلها العصى سليمان وقوله باكلها اى لتلك الصحيفة
والضمير للارضة الآتية التى هى الفاعل فهو عائد على متقدم رتبة وقوله
اكل مفعول ثان لاذكرت وقوله منساة سليمان اى عصاه وهو ابن داود
عليهما الصلاة والسلام وقوله الارضة بفتح الراء وقد تسكن كما هنا وهى
دويبة تاكل حتى الخشب اكلا ذريعا فاذا تم لها سنة خلق لها جناحان فتطير
بهما وقوله الخرساء فيه تعجيب من شانها اذ ليس من شان الاخرس التذكير
واثبات الخرس لها مجاز اذ حقيقته فقد النطق عما من شانه النطق وحاصل
قصتها ان داود عليه السلام شرع فى بناء بيت المقدس اى فى اعادته بعد
انهدامه والا فاول من بناه آدم عليه السلام بعد بناء الكعبة باربعين سنة
فمات داود قبل اكماله واوصى ابنه سليمان بان يتمه فسخر سليمان الجن للبناء
فيه والاعمال الشاقة فصاروا يعملون فيه الى ان علم سليمان ان اجله قد قرب
فامرهم ببناء قصر من زجاج ففعلوا فدخل فيه واغلق بابه واستند على العصا
فمات واستمر سنة وهو واقف مستند ميت وهم دائبون فيما سخرهم فيه من
الاعمال الشاقة لاعتقادهم حياته ثم خر ساقطا فراوه من خارج القصر ففتحوا
عليه فراوه ميتا فاختبروا امد موته فوضعوا ارضة على العصا فاكلت منها
يوما وليلة فعرفوا مقدار ما اكلته وعرفوا به انه ميت من سنة وتبين لهم كذبهم
فى ادعائهم علم الغيب كما قال تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية   وبها
اى وباكلها للصحيفة فالضمير عائد على الاكل وانثه لاكتسابه التانيث من
المضاف اليه وهو المنساة وقوله اخبر النبى اى عمه ابا طالب وهو اخبر قريشا
كما مر وقوله وكم اى مرات كثيرة اخرج صلى الله عليه وسلم خبأ بفتح الخاء اى شيئا

اذكرتنا باكلها اكل منساة سليمان الارضة الخرساء

وبها انبأ النبى وكم ابرز خبأ له الغيوب خباء

مخبأ

مخبأ اى مغيبا ومعنى اخراجه له اظهاره ونصه عليه وقوله له الغيوب خباء
الجملة نعت لخباء اى ساترة اى كانت مستورة ومغيبة قبل اخباره عنها واعلم
ان الله تعالى هو المختص بعلم الغيب وان ما يحصل لانبيائه واوليائه منه فهو
اما بوحى من الله او الهام واعلم ايضا ان المغيبات التى اخبر عنها لا تنحصر
ومن جملتها ما فى القرآن مع كثرته وخبر الطبرانى ان الله قد رفع لى الدنيا
وانا انظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيمة كانما انظر الى كفى هذا وخبر
ابى داود قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا الى قيام
الساعة الا حدثنا به واخباره بامارات الساعة الكثيرة جدا فوقع منها كثير
وينتظر وقوع الباقى ومما وقع منها النار التى قال عنها كما رواه الشيخان لا تقوم
الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز فتضئ لها اعناق الابل ببصرى فخرجت
نار عظيمة على نحو مرحلة من المدينة وتقدمها زلزلة عظيمة وكان ذلك بعد
عشاء الاربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين وستمائة ولم تزل تشتد
وتغلى كغليان البحر الى ان ارتجت منها الارض ومن عليها حتى ايقن اهل
المدينة بالهلاك وكثرت الزلازل حتى وقع منها فى يوم ثمانية عشر زلزلة لكن
ببركته صلى الله عليه وسلم كان يغشى المدينة نسيم بارد ورؤيت منها مكة
وجبال بصرى وانطفأت ليلة سبع وعشرين من رجب فتكون مدتها
اربعة وخمسين يوما وقد اوسع المؤرخون فى اخبارها بما يطول استقصاوه
لا تخل بفتح التاء الفوقية من خلت الشئ ظننته وهذا فى المعنى متفرع
على ما قبله فكانه قال واذا تاملت ما اطلعه الله عليه من الغيوب لا سيما
ما يتعلق بامر الصحيفة علمت ان ذلك من تمام عناية ربه به وانه لا يضيعه
ولا يهمله ولا يضيمه قط فلا تخل جانب النبى هو فى الاصل شق الانسان
واريد به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل فالاضافة بيانية وقوله مضاما
اى مضيعا وقوله حين مسته ظرف لمضاما وقوله منهم متعلق بقوله
الاسواء اى الاذيات الكثيرة حال كونها صادرة منهم كضربه وخنقه وشج
وجهه وغير ذلك   كل امر اى من الامور العظيمة الخ نبه بهذا على ان
ما اصابه من الاذيات له فيه اسوة بالانبياء قبله اذ اصابهم من اممهم مثل ذلك
بل اكثر لكن كل امر ناب اى اصاب النبيين فالشدة فيه اى التى تحصل
لهم منه وقوله محمودة اى لانها ترفع درجاتهم العلية لانهم اكثر الناس شهودا
لفعل الله تعالى سواء وقع على يد مسلم او كافر فلا ينظرون الى الاسباب الظاهرة

لا تخل جانب النبى مضاما حين مسته منهم الاسواء

كل امر ناب النبيين فالشدة فيه محمودة والرخاء

وانما يشهدون الحق تعالى فى كل شئ وقوله والرخاء اى السعة محمود ايضا لانهم لا يشهدون الا الحق دائما وابدا لو يمس الخ بمنزلة التعليل لما قبله والنضار الذهب وهو بضم النون وقوله هون بضم الهاء اى هوان وعيب وقوله من النار اى من ادخاله فيها لاختبار خلوصه من الغش والنقص وقوله الصلاء بكسر الصاد المهملة المشددة اى العرض على النار وذلك لعزته على النفوس فالانبياء كالذهب والشدائد التى تصيبهم كاصابة النار للذهب فكما ان النار لا تزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد لا تزيد الانبياء الا رفعة كم يد اى جارحة وكم خبرية تكثيرية وهذا كالدليل لقوله لا تحل جانب النبى وقوله كفها الله اى منعها وخذلها وقوله وفى الخلق جملة حالية وقوله واجتراء اى شجاعة واقدام على كل فعل خطر لهم من غير نظر فى عاقبته وصح انه مر ذات يوم على كفار قريش وهم عند الكعبة فآذوه ثم مر عليهم ثانيا فاساؤه ثم ثالثا كذلك فوقف على رؤسهم ولم يكن معه احد من اصحابه وقال يا كفار قريش اتدرون ما جئتكم به والله لقد جئتكم بالذبح فوقعت هذه الكلمة فى قلوبهم موقعا عظيما وخافوا منه والانوا له القول وقالوا اذهب يا ابا القاسم فوالله ما عهدت جهولا وان جهلنا عليك اذ دعا ظرف لقوله كفها اى طلب حال كونه وحده العباد اى كلهم الى عبادة الله وترك ما هم عليه من الجهالات والاباطيل والضلالات وقوله وامست معطوف على دعا اى حصلت فان امسى تستعمل كثيرا بمعنى الحصول وقوله فى كل مقلة اى منهم وهى شحمة العين التى تجمع السواد والبياض وقوله اقذاء جمع قذاء وهو ما يسقط فى العين مما يولمها ويكدرها وهذا معنى المقلة والقذاء فى الاصل لكن المراد بالمقلة هنا عين بصيرتهم وبالقذاء ما حصل لهم فيها من الران والصداء الحاجب عن الايمان ويصح بقاء المقلة والقذا على معناهما الاصلى الذى عرفته ويكون الكلام على سبيل المبالغة اى فكأن اعينهم مرضت بالفعل واصابها الرمد من حيث انها لا تطيق مقابلته ولا النظر اليه فكانها تضعف ويصيبها القذا اذا توجه اليهم وشافههم بالامر بالتوحيد والنهى عن غيره هم قوم اراد بهم هنا ما يشمل النساء وهذا دليل آخر على قوله كم يد كفها الله عن نبيه وقوله بقتله اى بالسيف وقوله فابى السيف اى امتنع من الوصول اليه والتأثير فيه وقوله وفاء اى لاجل وفائه بما اخذ عليه كبقية الخلق من الايمان بمحمد واجلاله وتوقيره وتعظيمه

لو يمس النضار هون من النا ر لما اختير للنضار الصلاء

كم يد عن نبيه كفها الله وفى الخلق كثرة واجتراء

اذ دعا وحده العباد وامست منه فى كل مقلة اقذاء

هم قوم بقتله فابى السيف وفاء وفاءت الصفواء

وذلك الامتناع وقع له غير مرة فقد جاء انه كان ذات يوم نائما تحت شجرة وقد علق سيفه بها فجاء اعرابى فاخذ السيف واستله من غمده وهم بقتله صلى الله عليه وسلم فتيقظ فقال الاعرابى من يمنعك منى قال الله فارتعد الاعرابى وسقط السيف من يده فاخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال الاعرابى كن خير آخذ بالمعروف فعفى عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس فاسلموا وقوله وفاءت اى رجعت على رأسها وقوله الصفواء اى الحجارة وهى جمع صفاة اى رجعت عن اصابته بل جمدت فى يد راميها الذى هم ايضا بقتله وابو جهل معطوف على قوم اى وهم ابو جهل عمرو بن هشام بقتله وذلك انه اجتمع مع قريش يوما فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالغ فى انذارهم وسب الهتهم ثم انصرف عنهم فقال ابو جهل يا معشر قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون منه وانى اعاهد الله ان اجئ له غدا بحجر لا يطيق حمله فاذا سجد رضخت به راسه فلما اصبح كما وصف فلما سجد صلى الله عليه وسلم وقريش ينظرون احتمل اللعين الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنى منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره فقالوا له ما شأنك يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الابل ما رايت مثل هامته ولا مثل صورته وانيابه فهم بى ان ياكلنى وقد قال صلى الله عليه وسلم فى تفسير ذلك الفحل انه جبريل ولو دنى ابو جهل منى لاخذه وقوله اذ راى ظرف لهم المقدر كما علمت اى وهم ايضا بقتله بالحجر ابو جهل وقت ان راى عنق الفحل بسكون النون وضمها لغة والضم هنا متعين لاجل النظم وقوله اليه متعلق بمحذوف اى بارزا او ممتدا اليه وقوله كانه العنقاء اى الداهية العظيمة او الطائر العظيم المعروف فقد قيل ان العنقاء كانت طيرا عظيما فى قطر الحجاز وجدت بعد عيسى عليه السلام وفرخت وكانت تختطف الصبيان فشكوا ذلك لخالد بن سنان قيل بنبوته وانه كان بين عيسى ونبينا والاصح خلافه فدعى الله تعالى فهلكت هى وفروخها ولم توجد بعد اصلا فصارت العنقاء بعد ذلك اسما دون مسمى ومما تقرر من ان ابا جهل معطوف على قوم وان اذ ظرف لهم المقدر فيه بعد من حيث انه يلزم عليه ان يكون المعنى انه وقت رؤية الفحل هم بقتله وذلك خلاف الواقع لانه حصل له من الهيبة والخوف ما اذهله فالحق انه معطوف على الصفواء اى رجعت الصفواء عن الوصول

وابو جهل اذ راى عنق الفحل اليه كانه العنقاء

فلما اهدتها اليه اكل منها واكل بعض اصحابه فاخبرته الذراع بانها مسمومة
فقال لاصحابه ارفعوا ايديكم وارسل الى اليهود فجمعهم فقال لهم هل جعلتم
فى هذه الشاة سما قالوا نعم قال ما حملكم على هذا قالوا قلنا ان كنت كذابا
استرحنا منك او نبيا لم يضرك السم   فاذاع اى اظهر له صلى الله عليه
وسلم الذراع مؤنث وقد يذكر كما هنا باعتبار كونه عضوا وقوله من سم
اى سم وقوله بنطق اى معجزة له كما يصرح بذلك اعنى انه اخبره بالنطق
قوله صلى الله عليه وسلم اخبرتنى هذه الذراع وقوله اخفاء اى
عند الحاضرين وقوله ابداء اى له صلى الله عليه وسلم اى هو وان
خفى عليهم فقد ظهر له كل الظهور ولما قال لها ذلك اى اخبرتنى
هذه الذراع صدقته فقال لها ما حملك على هذا قالت قلت ان كان
نبيا فلن يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه ولم يعاقبها وتوفى من
اصحابه الذين اكلوا بشر بن البراء واحتجم هو صلى الله عليه وسلم على
كاهله من اجل الذى اكل منها وكان هذا السم يتحرك عليه كل عام حتى انه
قال فى مرض موته مازالت اكلة خيبر تعاودنى حتى قطعت ابهرى فكان
لها دخل فى موته لينال رتبة الشهادة حتى لا تفوته رتبة من رتب الكمال
وجاء فى رواية انها جعلت تسأل اى الشاة احب اليه فقيل لها الذراع
فعمدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها اى شوتها ثم عمدت الى سم موح بالحاء
المهملة اى مسرع لوقته فسمتها به واكثرت منه فى الذراع والكتف ثم
وضعتها بين يديه ومن حضر من اصحابه وفيهم بشر بن البراء فتناول
صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منها وتناول بشر عظما آخر فازدردا
لقمتيهما واكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان هذه
الذراع تخبرنى بانها مسمومة ومات بشر فدفعها لاوليائه فقتلوها
قصاصا   ويخلق من النبى كريم بل لا اكرم منه اى بسبب ما تحلى به من
كمال الحلم والعفو والصفح لم تقاصص بجرحها اى لبواطنهم بذلك السم
اذ هو يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر وقوله العجماء اى المراة الشبيهة
بالعجماء اى البهيمة سميت بذلك لعدم نطقها فاطلاق العجماء على تلك المراة
استعارة تصريحية وما جرى عليه الناظم من انها لم تقاصص بجنايتها اى لم تقتل
قصاصا هو احدى طريقتين لاهل السير والاخرى انه دفعها لاولياء
بشر فقتلوها وان كانت اسلمت على القول باسلامها

فاذاع الذراع ما فيه من سم
بنطق اخفاؤه ابداء

وتخلق من النبى كريم
لم تقاصص بجرحها العجماء

مَنّ فضلا معطوف بعاطف محذوف على لم تقاصص اى ويخلق
من النبى كريم مَنّ فضلا اى انعم نعمة عظيمة وقوله فضلا مفعول مطلق
او لاجله اى مَنّ عليهم لاجل تفضله وكرمه الذى جبل عليه وفسر الشارح المن
برفع الرق عنهم لانهم كانوا نساء وصغارا فرقوا بمجرد السبى فرفع الرق عنهم
لاجل فضله اى احسانه العام عليهم وعلى غيرهم بلا عوض هكذا قال الشارح
وهذا مشكل لان رفع الرق بعد حصوله لا يكون الا بالعتق ولم ينقل فى
القصة عتق من الصحابة لسبى هوازن فلعل هذا من قبيل الخصوصية
حيث صح رفع الرق من غير صيغة اعتاق او كان الحكم اذ ذاك ان الاسير
من النساء والصبيان لا يرق بمجرد السبى وقوله على هوازن اى على نسائهم
وصبيانهم او على رجالهم برد نسائهم وصبيانهم عليهم وهوازن قبيلة حليمة
السعدية وهم اهل حنين المذكور فى القرآن غزاهم عقب فتح مكة لما بلغه انه
انفقت اشراف هوازن وثقيف على حربه فخرج اليهم سادس شوال سنة
ثمان فى اثنى عشر الفا عشرة جاء بهم من المدينة والفان من طلقاء مكة
فلما غلبهم اسر نساءهم وصبيانهم وكانوا ستة آلاف واخذ ابلهم اربعة
وعشرين الفا وغنمهم فوق اربعين الفا وحليهم اربعة آلاف اوقية وهرب
رجالهم فجعل الغنيمة فى الجعرانة وجعل عليها حرسا وتوجه لحرب الطائف
فلما فتحه ورجع الى الجعرانة قسم هذه الغنيمة على المسلمين فبعد ذلك جاءت
رجالهم طائعين مسلمين فقالوا يا رسول الله انا اهل وعشيرة وقد
اصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك وقام
رجل من اقارب حليمة فقال يا رسول الله انما فى الحظائر عماتك وخالاتك
اى من الرضاع لانهن قريبات حليمة وحاضناتك اللاتى كن يكفلنك والحظائر
جمع حظيرة وهى فى الاصل ما يجعل للابل ويحوط عليها من عيدان الشجر
ليقيها البرد والشمس فقال صلى الله عليه وسلم ان احسن الحديث اصدقه
ابناؤكم ونساؤكم احب اليكم ام اموالكم فقالوا ابناؤنا ونساؤنا فرد عليهم
ما كان له وسأل فضل المسلمين فيما لهم وما خصهم فردوا ايضا وقوله
اذ كان اذ تعليلية لقوله فضلا فهو علة للعلة او لقوله من فهو علة ثانية فيكون
حرف العطف مقدرا اى ولاجل انه كان له قبل ذلك اى قبل المن والمراد بالقبل
حالة رضاعه وقوله رباء بفتح الراء والمد اى تربية من ربوت فى بنى فلان
وربيت فيهم اذا انشأت بينهم   واتى السبى اصله الاسر اى اخذ الكافر

مَنّ فضلا على هوازن اذ كا
ن له قبل ذا الوقت رباء

واتى السبى فيه اخت رضاع
وضع الكفر قدرها والسباء

والاستيلاء عليه والمراد هنا المسبى وقد تقدم انه كان ستة آلاف رأس
والمراد انه اتى من حنين الى الجعرانة اى امر صلى الله عليه وسلم بنقله ووضعه
فيها ليقسمه هناك وقوله فيه اخت رضاع جملة حالية اى اخت النبى صلى الله
عليه وسلم من الرضاع واسمها الشيما او الشما ولما اسروها قالت والله انى
اخت صاحبكم فاتوا بها اليه فقالت يا رسول الله انى اختك قال وما علامة
ذلك قالت عضة منك فى ظهرى فعرفها وقوله وضع الكفر صفة لاخت
اى خفض الكفر القائم بها قدرها وكذلك وضع قدرها السباء بكسر السين
اى الاسر القائم بها فاضمحل فى جنب هذين النقصين ما فيها من اخوته كما
اضمحل فى جنب الكفر ما فى نحو ابى طالب من العمومة والتربية ومنع الاعداء
ثم من الله عليها بالاسلام فارتفع قدرها غاية الرفعة   نحباها اى
اعطاها ما لم يكن فى حسابها ولا ظنها وجاد على قومها لاجلها وقوله برا
مفعول لاجله اى لاجل بر لها اذ رحم الرضاع كرحم النسب ويجوز ان يكون
برا هو المفعول الثانى ويؤيده انه ابدل منه قوله بسط الخ كما يأتى ولما
بسط لها رداءه واجلسها عليه خيرها فقال ان احببت فعندى محببة مكرمة
وان احببت ان امتعك وترجعى الى قومك فعلت فاختارت قومها فمتعها
وزاد فى الاحسان اليها واعطاها نعما وشاء وثلاثة اعبد وجارية ومن
جملة الثلاثة غلام يقال له مكحول فزوجته بالجارية ولم يزل فيهم بقية
من نسلهما وقوله توهمت الناس اى الذين راوا ذلك البر اى وقع فى
اذهانهم واسناد ذلك اليهم باعتبار ما من شانه وقوله به اى بسبب
ذلك البر الذى وصل اليها منه وقوله انما بفتح الهمزة اداة حصر كمكسورة
عند الزمخشرى وجماعة وقوله السباء بالسين المكسورة المشددة
ثم الباء الموحدة اى المسبيات او النساء وان لم يكن مسبيات لانهن
يسمين سباء لانهن يسبين القلوب والسباء جمع واحده سبى وقوله هداء
بكسر الهاء مصدر هديت المراة الى زوجها لكنه هنا بمعنى اسم الفاعل
اى مهديات لعروس وجملة انما السباء فى محل مفعول توهمت الثانى اى
توهم الناس ان النسوة اللواتى معها فى السبى غير مسبيات لعظيم ما لهن
من الاكرام وانما جئن لاهداء عروس وجلائها عليه صلى الله عليه وسلم لان
ذلك الاكرام انما يفعل مثله عادة لنساء يهدين عروسا لا لنساء مسبيات
بسط المصطفى بدل من برا اى ومن جملة ذلك البر انه بسط الخ

ويصح

ويصح كونه بدلا من حبا وقوله من رداء من زائدة اى نشره وجعله فراشا
لها لتجلس عليه فهنيئا لها ذلك الاكرام وقوله اى فضل الخ نعت لرداء اى شرف
عظيم لا غاية له وقوله حواه اى جمعه ذلك الرداء لمماسته لجسده الشريف لانه كان
ملبوسا له   فغدت فيه اى صارت وقوله فيه خبر غدت اى صارت متدرجة
فيه اى فى ذلك الفضل وقوله وهى سيدة النسوة جملة حالية من اسم غدت
المستكن فيها والمراد النسوة اللواتى كن معها من سبى هوازن وهذه السيادة
ثبتت لها عليهن لما حصل لها من التمييز الباهر عليهن لثبوت اخوتها له ومزيد اكرامه
لها وقوله والسيدات الخ جملة حالية مؤكدة للتى قبلها اى والحال ان اولئك
النسوة السيدات قبل اسرهن وقوله فيه اى فى ذلك الفضل اى بسببه صارت
كانها سيدتهن وكانهن اماء لها مع كونهن سيدات قبل ذلك   فنزه لما ذكر
ما اختص به صلى الله عليه وسلم من جميل صفاته طلب من كل عاقل فاته مشاهدة
هذه الصفات التى لم توجد فى غيره ان ينزه سمعه بالاصغاء الى سماعها عوضا
عما فاته من رؤيتها فقال فنزه اى نزه نفسك وفرجها وازل عنها الكدورات
والغمومات فهو ماخوذ من قولهم خرجنا نتنزه فى الرياض وقوله فى ذاته اى فى
اوصافها القائمة بها كالبياض والدعج وقوله ومعانيه اى صفاته الغير القائمة
بذاته كصفة نومه وجلوسه ومشيه وقوله استماعا تمييز اى من جهة اصغائك
الى اوصاف ذاته وجميل صفاته الاتية فى هذا النظم الجامع البديع فشبه الذات
الشريفة وصفاتها بروضة نزيهة على سبيل الاستعارة بالكناية والتنزه تخييل
وقوله ان عز اى ان فقد وفاتك منها متعلق باجتلاء اى اجتلاء منها اى
اجتلاؤها فمن زائدة اى مشاهدتها ورؤيتها بالعين ماخوذ من جلوت العروس
واجتليتها اذا نظرت اليها مجلية اى مكشوفة مزينة والمعنى ان فاتك رؤية
ذاته الكريمة ومشاهدة هذه الصفات العلية فلا يفتك تفريغ سمعك لكل ما يلقى
عليك من اوصاف ذاته وعلى صفاته.   واملا السمع اى لا تقتصر على سماعك
القليل من ذلك بل املا السمع بان تكثر من ذلك حتى لو فرض ان ما تسمعه شى محسوس
وان سمعك اناء واسع لملاته من ذلك المسموع وقوله من محاسن اى محاسنه
التى لا توجد فى غيره وهذا جمع على غير قياس لان مفرده حسن لا محسن وقوله
يمليها من امليت الكتاب ويجوز املته وقوله الانشاد اى لهذه القصيدة وغيرها
والنشد رفع الصوت ومنه انشاد الشعر اى رفع الصوت به وقوله نشدتك الله اى سألتك
برفع نشيدى اى صوتى اى الانشاد من شخص شجى الصوت معرب لكلامه فقد قالوا

من اقوى الاسباب الباعثة على حبه صلى الله عليه وسلم الاصوات المطربة
بالانشادات بالصفات النبوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا فانها تحدث
للسامع سكرا وخفة وراحة وطربا وذلك يحدث عندها بسببين احدهما
انها في نفسها توجب لذة قوية الثاني انها تحرك النفس الى جهة محبوبها فيحصل
المثل للمحبوب واحضاره في الذهن وقرب صورته من القلب واستيلاؤها
على الفكر فيحصل للروح ما هو اعجب من سكر الشراب واقوى من لذة عناق الشوق
وقوله والانشاء اى نظم الشعر وتأليفه واسناد الاملاء الى الانشاد والانشاد مجاز لان
المملي حقيقة انما هو المنشي والناشد كل وصف له اى ومما يحملك على استفراغ وسعك
في ذلك التنزه وامتلاء السمع من تلك المحاسن انه يجب عليك ان تعتقد ان محاسن ذاته وكمال
صفاته لا يمكنك ان تحيط بها وكيف وكل وصف له من صفاته الذاتية والمعنوية ابتدأت
او ابتدأت انا فالتاء مضمومة او مفتوحة والمراد ابتدأت به في الذكر اى ذكرته اولا
وقوله استوعب اخبار الفضل اى الاخبار الدالة على فضله وشرفه اى جمع
اخبار الفضائل والكمال وقوله منه متعلق بابتداء الذى هو فاعل استوعب
واخبار مفعول مقدم اى كل ما ابتدأت بوصف له لو تأملت ما اشتمل عليه صريحا
وايما وجدت ذلك الوصف المبتدأ به جمع انواع الفضل وغايات الكمال ولا
يستبعد ذلك فان كل وصف من اوصافه آخذ بحجز بقية تلك الاوصاف
والحجز بضم الحاء وفتح الجيم وآخره زاى معجمة هى الازار والعراء اذ لا يتحقق كمال
وصف من اوصاف الانسان كالحلم مثلا اذا كمل في بقية اوصافه كالعلم والكرم
والشجاعة والخلق الحسن وح فكل من صفاته يدل على ما وضع له مطابقة وعلى
ما عداه منها ايماء والتزاما وهذا التحقيق الذى تنبه له الناظم يعلم انه ثابت
النظر كامل المعرفة متضلع من العلوم والمعارف ويجب على كل مكلف ان
يعتقد ان من تمام الايمان به الايمان بان الله خلق بدنه الشريف على وجه
لم يظهر قبله ولا بعده في آدمي ومن ثم قال الناظم في بردة المديح
فهو الذى تم معناه وصورته البيتين فتبين ان حقيقة الحسن الكامل تمكنت
فيه وحده ولم تنقسم بينه وبين غيره لانه هو الذى تم معناه دون غيره ولو
مشورك لم يتم معناه واعلم ان الناظم شرح تمام معناه بتمامه ويأتى ولم
يشرح تمام حسن ذاته وانما اشار الى ذلك بقوله ليته خصنى برؤية وجه
وبقوله سيد ضحكه التبسم الخ وبقوله او بتقبيل راحة الخ وقد تكفل
بذلك الترمذى في شمائله وغيره فليراجع سيدا في للعالمين الاولين والآخرين

وقوله ضحكه اى الذى يظهر سروره به وقوله التبسم هو مبادى الضحك
من غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان مع صوت خفي
فان كان معه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة وما ذكره الناظم من ان
ضحكه كان تبسما اى من غير صوت اصلا فهو في غالب احواله فلا ينافى ان
الضحك الذى تقدم تعريفه وقع منه في بعض الاحيان لحديث فضحك
حتى بدت نواجذه وهى الاضراس وهى لا تظهر الا عند المبالغة في الضحك
واما بكاؤه فكان من جنس ضحكه فلم يكن بشهيق ولا برفع صوت ولكن
تدمع عيناه وجاء ان الله حفظه من التثاؤب وكذا بقية الانبياء والتثا
بالهمز بعد الالف واما بالواو بعد الالف فغلط اه قسطلانى على البخارى
ثم قال وهو تنفس ينفتح منه الفم من الامتلاء وثقل النفس وكدورة الحواس
وقوله والمشى اى الكائن منه الهوينا تصغير الهون وهو السكينة والوقا
والتعظيم قال ابن الانبارى العرب تمدح بالهين اللين مخففا وتذم
بالهين اللين مشددا وقال غيره انهما بمعنى والاصل التثقيل فخفف
وفى البيضاوى عند قوله تعالى يمشون على الارض هونا هينين او مشيا
هونا مصدر وصف به والمعنى يمشون بسكينة وتواضع وكون مشيه الهوينا لا ينافيه
ما ورد انه واسع ذريع المشى لان معناه انه الخطا وقوله ونومه الا غفاء اى الخفيف
بحيث لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد من نوم القلب وغفلة المتولد
عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء تنام اعينهم ولا تنام
قلوبهم ومن ثم كان من خصائصه انه لا ينتقض وضوءه بالنوم
لكمال حياة قلبه وتيقظه ودوام شهوده لربه ومن ثم كان اذا نام
لا يوقظ لانه لا يدرى ما هو فيه ومن ثم ايضا كان من خصائصه
انه لا يحتلم ولا ينزل منه منى في النوم اصلا ولو بغير احتلام وغيره رؤيا
كما هو رأى الجمهور ما سوى خلقه النسيم الخ انتهى الكلام على
شئ من محاسن ذاته الشريفة شرع يذكر شيئا مما يتعلق بمحاسن اخلاقه
فقال ما سوى خلقه اى ليس غير خلقه النسيم وظاهر العبارة ان النسيم
عين خلقه وليس مرادا بل المعنى على التشبيه اى لا يشبهه خلق احد
الا خلقه الكريم والنسيم الريح التى في غاية اللطافة واللين والطيب
وتشبيه خلقه بالنسيم انما هو باعتبار ما فيه مما يقيت الروح ويحيى القلب
ويجلى صداء النفس وغير ذلك مما لا قيام لحقيقة الحيوان الا به

وما اشتهر من ان المشبه به يكون اقوى من المشبه امر اغلبي والا فقد يشبه
الافضل بالمفضول لنكتة كما في صيغة التشهد والخلق بضمتين او بضم
فسكون والمراد هنا الثاني لاجل النظم وقد عرف الخلق الحسن بانه ملكة
تسهل على من قامت به فعل الجميل وتجنب القبيح وقوله ولا غير محياه
اي وجهه الروضة الغناء بالغين المعجمة اي الكثيرة النبات والازهار والثمار
اي ليست الروضة الغناء الا وجهه والمعنى على التشبيه كما تقدم
اي لا يشبهها وجه احد غير وجهه صلى الله عليه وسلم رحمة خبر مقدم
وقوله كله مبتدا مؤخر وقوله وعزم وحزم وعصمة ووقار وحياء
الخمسة معطوفة على الخبر المقدم فيكون قد اخبر عن المبتدا بستة اخبار
وقدم واحدا منها عليه والرحمة عطف وميل نفساني غايته التفضل
والانعام اي هو عين الرحمة وما عطف عليها مبالغة واشارة
الى ان هذه المصادر الستة التي اخبر بها قد امتزجت بذاته
واستحال انفكاكه عنها حتى كأنها هو وكأنه هي فهو رحمة للمؤمنين
بالهداية والامان من القتل وللكافرين بتاخير العذاب عنهم ولسائر
الحيوانات لانه ببركته ينزل المطر فينبت النبات ويكون لها قوتا
وقال بعضهم الانبياء كلهم خلقوا من الرحمة ونبينا عين
الرحمة لا يقال كيف هو عين الرحمة وقد جاء بالسيف واستباحة
الاموال لانا نقول انما ذلك لمن ادبر واستكبر ولم ينفع فيه وعظ
ولا ارشاد وقوله وحزم اي كله حزم اي جميع احواله التي تصدر
عنه انما تصدر على غاية من الضبط والقوة والشدة الباطنة
والظاهرة وقوله وعزم اي كله عزم من عزم على الشيء قطع به اي
جميع ما يفعله بوحي او اجتهاد انما يفعله مع امضائه والقطع به من
غير اعراض عنه وقوله ووقار اي كله وقار لان الله القى عليه من المهابة
ما لا غاية له وروي عن عمرو بن العاص قال صحبت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فما ملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيما له ولو
قيل لي صفه لما قدرت واذا كان هذا وهو من اجلاء الصحابة كذلك
فما بالك بغيره فعلم انه لولا انه كان يباسطهم ويمزح معهم ويتواضع
لهم لما قدر واحد منهم ان يجالسه ولا يحادثه لما القى الله عليه من المهابة
والجلالة وقوله وعصمة اي كله عصمة اي حفظ يستحيل شرعا

وقوع

رحمة كله عزم وحزم وحياء ووقار وعصمة

وقوع خلافه من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة
وبعدها في سائر حركاته وسكناته في باطنه وظاهره سره وعلانيته جده
ومزحه رضاه وغضبه ومثله في ذلك الانبياء كلهم فهم معصومون
وقوله وحياء اي كله حياء والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعتري
الانسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح
ويمنع من التقصير في حق ذي الحق واما الحيا بالقصر فهو المطر
وقوته وضعفه بقوة حياة القلب وضعفه وهو اقسام ثمانية يطول
استقصاؤها منها حياء الكرم كحيائه ممن دعاهم الى وليمة زينب فطولوا
عنده المقام فاستحيى ان يقول لهم انصرفوا ومنها حياء المحبة وهو
ما يخطر بقلب المحب في غيبة محبوبه فيهيجه اليه ومنها حياء العبودية
وهو ممتزج بين محبة وخوف وغايته شهود عدم صلاح عبوديته لمعبوده
فيستحيي منه لا محالة ومنها حياء المرء من نفسه ان رضيت بالنقص
حتى كان له نفسين يستحيي باحدهما من الاخرى وهذا اكمل ما يكون
من الحياء وهو حياء النفوس الشريفة وهو الذي قال فيه صلى الله عليه
وسلم الحياء لا ياتي الا بخير والحياء من الايمان رواهما البخاري قال
ابن قتيبة معنى هذا الحديث ان الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي
كما يمنع الايمان فجاز ان يسمى ايمانا لان العرب تسمي الشيء باسم ما قام
مقامه او هو من التشبيه البليغ لا تحل بضم الحاء البا مبناه اي
الشدة وان افرطت وهذا كالمتفرع على ما قبله وقوله منه متعلق
بالصبر الذي بعده وقوله عرى الصبر الصبر حبس النفس على ما تكره
وعراه اسبابه من الحلم والعفو والصفح والشجاعة واقسام الصبر
ثلاثة اعلاها صبر الصديقين وهو التلذذ بما يصيبهم من المكاره
ويليه صبر الزاهدين وهو الرضا بما قدر الله واراده ويليه صبر
المتوكلين وربما اقترن بالشكوى وفي الكلام استعارة بالكناية
حيث شبه الصبر بالثوب السابغ ذي الازرار والعرى المحكمة وذكر
العرى تخييل ولا تحل ترشيح وحسبك صبره على من حاربوه يوم احد
ووقع منهم ما وقع فقال اصحابه لو دعوت عليهم فقال اللهم
اغفر لقومي او اهد قومي فانهم لا يعلمون اي لا تعاجلهم بالعقوبة من
اجلي فانهم لا يعلمون تفاصيل ما يترتب عليهم في ذلك من انواع العذاب

ولا تحل ان اتيانه منه صح على الصبر لا تستحقه السير

واصناف العقاب قال القاضى انظر ما فى هذا القول من جماع
الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر
والحلم اذ لم يقتصر على السكوت عنهم بل عفى عنهم ثم اشفق عليهم ورحمهم
ودعى وشفع لهم فقال اللهم اهدا واغفر ثم اظهر الشفقة والرحمة بقوله
لقومى ثم اعتذر عنهم فقال فانهم لا يعلمون وقد صح عن زيد بن سعنة
بسين مهملة وعين كذلك فنون مفتوحات وهو من اجل احبار
اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شئ الا وقد
عرفته فى وجه محمد حين نظرت اليه الا شيئين لم اخبرهما منه يسبق حلمه
غضبه ولا تزيد شدة الجهل عليه الا حلما فابتعت منه تمرا الى اجل
فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل اجل التمر بيومين او ثلاثة اتيته فاخذت
بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تعطينى يا محمد
حقى فوالله انكم يا بنى عبد المطلب مطل فقال عمر اى عدو الله اتقول
لرسول الله ما اسمع فوالله لولا ما احاذر فوته لضربت بسيفى راسك
ورسول الله ينظر الى عمر فى سكون وتؤدة وتبسم ثم قال انا وهو كنا
احوج الى غير هذا منك يا عمر تأمرنى بحسن الاداء وتأمره بحسن التقاضى
اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل
فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا شيئين وذكرهما ما مر وقد عرفتهما فاشهدك انى قد اسلمت وقد
قال الصحابة كنا اذا احمى البأس اى الحرب اتقينا برسول الله صلى
الله عليه وسلم اى جعلناه بيننا وبين العدو وقمنا خلفه محتمين به وقد
قاتل فى ثمان غزوات ولم يقتل احدا بيده الشريفة الا اشقى الاشقياء
اللعين ابى بن خلف حين قال يوم احد اين محمد لا نجوت ان نجا فتناول
صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة وقال لاصحابه خلوا سبيله
فطعنه فى عنقه طعنة كان فيها اتلاف نفسه الخبيثة ولم يخرج منها دم
ورجع بها الى قومه وقال لهم قد كان قال لى بمكة انا اقتلك فوالله لو بصق
على لقتلنى وقال لاصحابه لو كان هذا الذى بى باهل ذى المجاز لماتوا جميعا
والمجاز موضع بمنى كان به سوق فى الجاهلية وورد ان اشقى الاشقياء
من قتل نبيا او قتله نبى وقوله ولا استخفه اى لا اخرجه عن ثباته ووقاره
وتواضعه وقوله السراء اى الرخاء والسعة فى الجيوش والفتوح التى فتحها

كرمت نفسه فما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء

عظمت نعمة الاله عليه فاستقلت لذكره العظماء

فى آخر حياته بل هو معها كهو قبلها لم يزدد الا تواضعا وحلما وعفوا وصبرا
ومن ثم لما دخل مكة يوم الفتح فى تلك الجيوش الهائلة وهو على
ناقته القصواء فى كتيبته الخضراء دخل وهو خافض راسه تواضعا لما
راى من اكرام الله له بهذا الفتح فازداد شكره وخضوعه لعظمة الله تعالى
حيث احل له بلده ولم يحلها لاحد قبله كرمت نفسه الخ هذا فى
المعنى كالتعليل لما قبله اى وانما اتصف بهذه الكمالات التى لم توجد
فى غيره لانه كرمت نفسه اى طهرت من كل نقص واتصفت بكل كمال
لانه تعالى لما اراد ايجاد خلقه ابرز الحقيقة المحمدية من انواره الصمدية
فى حضرته الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على ما اقتضاه
كمال حكمه وسبق فى ارادته وعلمه ثم اعلمه تعالى بكماله ونبوته وبشره
بعموم دعوته ورسالته وبانه نبى الانبياء وواسطة عقد الاصفياء
وابوه آدم بين الروح والجسد بل ولا روح ولا جسد ثم انبجست منه
عيون الارواح وظهر محمد الها فى عالمها المتقدم على عالم الاشباح وكان
هو الجنس العالى على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس
فهو وان تاخر وجود جسمه متميز على العوالم كلها برفعته وتقدمه
وقوله فما يخطر اى فبسبب كرامة نفسه وتنزيهها عن كل رذيلة ونقص
لا يخطر السوء على قلبه وقوله ولا الفحشاء هى السوء الذى جاوز حده
وذكرها مع السوء لان المقام مقام اطناب وكيف يخطر السوء على قلبه
وقد طهر بشقه وغسله المرات المتعددة واخرج ما فيه مما جبل عليه النوع
الانسانى ثم ملئ من الحلم والعلوم ما لا يحيط به الا الله تعالى
عظمت نعمة الاله عليه اى واذا تاملت ما اتاه الله من تلك الكمالات التى
لا تحد ولا تعد علمت انه قد عظمت نعمة الاله عليه عظمة قطعت سائر الخلق
عن ان يصل احد منهم الى مبادى غاياتها ومقاصد نهاياتها وقوله
فاستقلت اى فبسبب هذه العظمة المذكورة استقلت لذكره اى
عنده او وقت ذكره والضمير راجع لنعمة الاله وذكره لاكتساب النعمة
التذكير من المضاف اليه او باعتبار كونها شيئا منعما به وقوله العظماء فاعل
استقلت وهم الانبياء والصلحاء ومفعول استقلت محذوف اى جميع ما انعم الله
به عليهم ومعنى استقلالهم له انهم راوه وعدوه قليلا فى جانب ما انعم الله به عليه
فجميع ما اعطى لغيره انفرادا واجتماعا قليل فى جنب ما اعطيه هو فليس

المراد بالاستقلال الاحتقار كما قد يتوهم لان احتقار النعمة ربما ادى الى
الكفر   جهلت قومه اى قريش وغيرهم والمراد بالجهل لازمه من ايذائهم
له اى آذوه اذى لا يطاق تحمله عادة فضربوه وخنقوه واغروا به سفهاءهم وصغارهم
فضربوه ورجموه بالحجارة الى ان ادموا رجليه فسالى منهما الدم على نعليه وشجوا
وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالسحر والكهانة والجنون وتواعدوا على قتله
مرات وحصروا لاجله بنى هاشم وبنى المطلب فى شعبهم سنتين حتى
كادوا ان يهلكوا كما مر جميع ذلك ان قلت ما حملهم على وصفه بالجنون
وما شبهتهم فى ذلك مع انه كان مشهورا بينهم بالامين ولم يجربوا عليه خللا
ولا نقصا فالجواب ان شبهتهم فى ذلك ما راوه منه عند نزول الملئكة
من الاستغراق لتلقى الوحى ومن حمرة الوجه وكثرة غطيطه وعميت
قلوبهم عن الفرق بين هذه الحالة وحالة الجنون التى لا تخفى على ادنى عاقل
وقوله فاغضى الاغضاء فى الاصل اطباق العين عن رؤية المكروه فاستعير
للتغافل وعدم الالتفات الى انه اوذى فضلا عن ان ينتقم ممن اذاه اى
فاعرض عنهم حلما وكرما وقوله واخو الحلم اى التأنى فى الامور وعدم الا
ممن اتى بمكروه وان عظم والمراد باخيه الملازم له والمصاحب اى الذى
طبعه الله عليه حتى صار غريزة له وقوله دابه اى شانه وعادته المستمر هو
عليها وقوله الاغضاء اى التغافل عن ان يلتفت الى الخلق واذا كان
اخو الحلم دابه ذلك فكيف بنبينا وهو الذى وصل من الحلم الى غاية لم
يصل اليها مخلوق لان الله تعالى تولى تاديبه بنفسه وافاض عليه من حقائق
حلمه وكل من عرف له حلم عرفت له زلة تنافى الحلم او هفوة الا نبينا صلى
الله عليه وسلم فانه لا يزيد على كثرة الاذى الا صبرا ولا على جهل الجاهلين
الا حلما ولما دخل فى غزوة فتح مكة على قريش وقد جلسوا فى المسجد الحرام
واصحابه ينتظرون امره فيهم من قتل او غيره قال لهم ما تظنون انى فاعل
بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول لكم كما قال اخى يوسف لا تثريب
عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء   وسع بكسر السين العالمين جمع عالم
وللمحققين فيه فى الآية كلام منتشر لا باس بتلخيصه وتحريره هنا وهو
مع اشتقاقه من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم اسم لما يختم به مع كونه مشتقا
من الختم ثم غلب فيما يعلم به الخالق فصار اسما لكل ما سواه تعالى من الجواهر
والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده

جهلت قومه عليه فاغضى
واخو الحلم دابه الاغضاء

وسع العالمين علما وحلما
فهو بحر لم تعيه الاعباء

وجمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة ولا يعارضه ان المفرد وهو
العالم ادل على الشمول والاستغراق اذ الجمع قد يحتمل غير الشمول لان الغرض
هنا افادة ان له اجناسا مختلفة كالجن والانس والملك والافلاك
والدواب والجماد وغير ذلك واستغراق جميعها بطريق المطابقة ولو
قيل العالم بالافراد لاوهم استغراق بعض افراد الاجناس فقط وغلب
فى جمعه بالواو والياء والنون العقلاء لشرفهم وجمع جمع قلة مع ان
الظاهر مستدع للاتيان بجمع الكثرة تنبيها على ان العوالم وان كثرت
فهى قليلة فى جنب عظمة الله وكبريائه وقيل العالم اسم وضع لذوى العلم
فقط وهم الانس والجن والملائكة وتناوله لغيرهم انما هو على سبيل الاستتباع
وعلى هذا فهو مشتق من العلم وينقسم العالم ثلاثة اقسام عالم الملك
وهو الظاهر للحواس وعالم الملكوت وهو المدرك بالعقل وعالم الجبروت
وهو المتوسط الذى اخذ بطرف كل منهما وقد اجتمعت الثلاثة فى الانسان
فهو من الاول باعتبار اجزاء بدنه ومن الثانى باعتبار روحه وعقله وارا
ومن الثالث باعتبار الادراكات بالحواس والقوى الموجودة باجزاء البدن
وقوله علما تمييز محول عن الفاعل اى وسع علمه علوم العالمين الانس
والجن والملئكة لان الله اطلعه على العالم كله فعلم علم الاولين والاخرين
ما كان وما يكون وحسبك علمه بعلوم القرآن وقد قال تعالى ما فرطنا
فى الكتاب من شئ وقوله وحلما تمييز كما مر اى وسع حلمه حلم العالمين باسرهم
كما عرف مما سبق وقوله فهو بحر اى فهو بسبب جمعه لتلك المعالى التى
لم تجتمع لغيره بحر اى واسع العلم والحلم وغيرهما من اخلاق نفسه الزكية
وصفاته العلية فهو تشبيه بليغ وقوله لم تعيه من اعيى فلان فى مشيه
اى تعب او وقف اى لم تتعبه الاعباء قال الجوهرى واعيى الرجل فى
مشيه فهو معيى ولا يقال عيان واعياه الله فيستعمل لازما ومتعديا
وكلاهما بالالف وقوله الاعباء جمع عبئ الحمل وثقل وزنا ومعنى فهو
بكسر اوله والموحدة الساكنة والهمزة اى لم تعيه الاثقال من اى شئ كان اى
لم يكدر بحر علمه شك ولا شبهة ولا بحر حلمه ايذاء ولا جهالة فاستعار الاعباء
للكدورة والاعباء للشبه والجهالات اى لم تكدر بحر علمه الشبه ولا بحر حلمه
الجهالات   مستقل اى واذا تاملت ما تقدم من اوصافه الكاملة
الباهرة وعصمته ونزاهته علمت انه لعصمته عن التلفت لما سوى الله مستقل

مستقل دنياك ان ينسب الامسـ
ـاك منها اليه والاعطاء

اى محتقر هذا هو المراد بالاستقلال هنا بخلافه فيما مر فى قوله فاستقلت
لذكره اى عدته ورأته قليلاً كما تقدم وقوله دنياك المراد بها ما فى قوله تعالى
زين للناس حب الشهوات الآية وهى مأخوذة من الدنو اى القرب لقربها
من الزوال وقوله ان ينسب الخ بدل من دنياك اى محتقر امساكها واعطاها
وعبارة ابن عبد الحق ان ينسب الامساك منها عن غير المستحق والاعطاء
منها للمستحق اى يعد ذلك قليلاً بالنسبة لما يمسكه عن غير المستحق ويعطيه
للمستحق من العلوم والمعارف والارشاد والدلالة وانما احتقرها لانها لفنا
وكثرة الاشتغال بها عن الله حقيقة بمزيد الاعراض عنها وعدم الالتفات
الى امساكها واخراجها ولو لمستحقها احتقارا لشأنها وتعليما للامة عدم الاعتداد
بها وقد اشار الناظم لهذا المعنى بقوله فى بردة المديح وراودته الجبال الشم من ذهب
الابيات الثلاثة ومعنى البيت الثالث كيف تدعو ضرورة سيد المعصومين
الى زخرف الدنيا وزينتها وهى انما خلقت لاجله وقوله هنا مستقل دنياك
الخ احسن من قوله واكدت زهده فيها ضرورته لان بعض العلماء انكر وصفه
بالزهد فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها وذكر الزركشى عن بعض
الفقهاء المتاخرين انه كان يقول لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فقيراً من المال
بل كان اغنى الناس بالله قد كفى امر دنياه فى نفسه وعياله وكان يقول فى
قوله صلى الله عليه وسلم اللهم احينى مسكينا ان المراد استكانة القلب
لا المسكنة المرادفة للفقر واما خبر الفقر فخرى وبه افتخر فموضوع
وقد صح انه استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ من فتنة الغنا وعن
السبكى ان فقهاء الاندلس افتوا باراقة دم من وصفه بالفقر وقد
تعارضت الاحاديث فى ذم المال وفى مدحه ويجمع بينها بان المال ليس خيرا
محضا من كل وجه ولا شرا محضا من كل وجه وانما هو كالسيف فى يد المقاتل
يقتل به معصوما تارة ومهدرا اخرى او كحية فى يد انسان فيها سم وترياق لكن
سمها اكثر واغلب وفى هذا ايماء الى ترجيح القول بتفضيل الفقير الصابر
على الغنى الشاكر سيما ما ورد من اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها كل الاعراض
مع انه سيد الشاكرين ولا يخشى عليه منها ضرر اصلا   شمس فضل اى
واذا تاملت ما تقرر من كمالاته العلية علمت انه شمس فضل اى شمس مشرقة
على كل فضل اى شرف وكمال وجد فى غيره فكل كمال تحلى به غيره فهو مستفيض
ومستمد من تلك الشمس التى هى ذاته والمراد بالنور تلك الشمس فكانه قال

شمس فضل تحقق الظن فيه ... انه الشمس رفعة والضياء

كل فضل وكمال تحلى به كامل فانما هو بواسطة استمداده من فضله وكماله
وقوله تحقق الظن الخ جملة حالية او نعت لفضل وتحقق من حق بمعنى
ثبت والمراد بالظن هنا الاعتقاد الجازم المطابق للواقع وقوله فيه اى
فى ذاته وصفاته وقوله انه اى بالنسبة لبقية الكمل فى اشراقه ورفعته
عليهم كالشمس المشرقة على هذا العالم وقوله رفعة اى فلا يصل اليها احد
وقوله والضياء اى وانه الضياء المفيض عليهم اضواء الكمالات وخوارق
الامدادات وتقدم ان كون المشبه به اعلى من المشبه ليس امرا مطردا
بل قد ينعكس الحال كما فى صلاة التشهد كما صليت على ابرهيم على احد الاجو
به فيه وما هنا من ذلك كما تنبه الناظم له حيث بين انه صلى الله عليه وسلم اعلا
شانا فى الضياء من الشمس فقال عاطفا بفاء السببية اشعارا بالنكتة
التى ذكرنا انه تنبه لها فاذا ما ضحى   فاذا ما ضحى اى فبسبب ان المشبه
قد يكون اعلى من المشبه به كان شانه انه اذا ما ضحى ما زائدة واذا هذه
قيل انها حرف وقيل ظرف كما قيل بهما فى اذ ما والاصح انها ظرف للمستقبل
مضمنة معنى الشرط وتختص بالجمل الفعلية وتحتاج لجواب وجوابها اما
فعل كما هنا او جملة اسمية وقوله ضحى اى مشى عقب طلوع الشمس اذ
هذا الوقت هو الضحى بضم الضاد وهذا الشرط لتقييد الجزاء اذ محو نوره
الظل كان فى هذا الوقت وغيره لكنه فى هذا الوقت اظهر لقوة ضياء
الشمس وقوله محى نوره الظل اى ظل ذاته الكريمة او مطلق الظل مبالغة
بل حقيقة لان نوره اضل كل نور وهو لا يبقى معه ظلمة ومنها الظل والمراد
بالظل كل ضلالة ونقص وبنوره ما جاء به من الكتاب والسنة والعلوم
والآداب وعلى هذا فالمراد بضحى مطلق ظهوره فى هذا الكون باوصافه
الكاملة لا خصوص وقت الضحى هكذا قال الشارح وفى الاحتمال الثانى
وهو قوله او مطلق الظل نظر لما ثبت انه اذا كان هو واصحابه فى سفر
ينظرون للشجرة الظليلة فيتركونها له فيستظل بها ويتفرقون فى الاشجار
فلو كان ظله يزيل ظلها لم يكن لاستظلاله بها فائدة فالاولى الاحتمال
الاول وهو ان نوره يمحو ظل ذاته فقط او يقال ان نوره يمحو ظل الشجر
من حيث ما فيه من الظلمة واما من حيث كونه مانعا لحر الشمس فلا
يزيله فيكون نظير من اوقد مصباحا فى بيت مظلم فى وقت الحر فظلمة
البيت قد زالت بالمصباح ووقايته لحر الشمس باقية وقوله وقد اثبت

فاذا ما ضحى محى نوره الظل ... وقد اثبت الظلال الضحاء

اى والحال انه قد اثبت الظلال جمع ظل الضحا بالضم اى ارتفاع الشمس
وهو بالضم مقصور ومده هنا لضرورة النظم فنبينا اكمل من الشمس رفعة
وضوا لان نورها يثبت الظل ونور نبينا يمحوه ومن خصائصه انه اذا
مشى فى الشمس لا يظهر له ظل لان الله استجاب دعاءه ان يجعله نورا فكان
بدنه فى غاية الاضاءة وفى القاموس ان الضحاء بالفتح والمد ما قرب من
انتصاف النهار وتصح ارادة هذا هنا ايض فتصح قراءة المتن بالضم
والفتح فالضحى بالضم والقصر اسم لما بعد ارتفاع الشمس الى نحو ربع النهار
والضحاء بالفتح والمد ما بعده الى الزوال فكأن الغمامة هى سحابة كان
طولها عشرة اذرع وعرضها كذلك وارتفاعها عن راسه كذلك وتقدم انها
ظللته وهو فى بنى سعد وظللته ايض فى سفره الى الشام وعوده منه عند اقباله
على مكة وتقدم ان تظليلها له انما كان قبل النبوة ارهاصا وتاسيسا
لها ولم يثبت انها اظلته بعدها وقوله استودعته فاعل استودعت ضمير
مستكن فى الفعل وهذا الضمير البارز مفعول اول عائد على النبى صلى الله
عليه وسلم وقوله من اظلت هو المفعول الثانى ومن عبارة عن الامة باسرها
غير الصحابة وقوله من ظله من فيه تبعيضية وقوله الدفناء فاعل
باظلت ومفعوله ضمير محذوف يعود على من التى هى عبارة عن التابعين
فمن بعدهم والدفناء جمع دافف كعلماء جمع عالم وهم جيوشه واصحابه
الذين قاتلوا معه سموا بذلك لانهم يدفون نحو العدو اى يسيرون اليه
لدفعه او استئصاله وهذا البيت اشارة الى جواب ايراد على البيت الذى
قبله لكن على الاحتمال الثانى هناك وهو ان نوره يمحو كل ظل تقرير
الايراد ان يقال كيف يمحو نوره الظل وقد ثبت ان الغمامة اظلته فلم لم
يمح نوره ظلها وتقرير الجواب ان يقال ان محو نوره صلى الله عليه وسلم
للظلال هو الاصل المستمر واما بقاء ظل الغمامة مع نوره فهو على خلاف
الاصل خرقا للعادة التى كان عليها وذلك لحكمتين احداهما الارهاص
والتاسيس لنبوته كما تقرر الثانية الاشارة الى ان نوره المعنوى لم
يزل بموته بل يبقى مشرقا على امته الى يوم القيمة يتلقاه كل قرن من القرن
الذى قبله فكأن حال الغمامة يقول للنبى بقاء ظلى مع نورك المنافى له
فيه اشارة الى ان ظلك يبقى مع ما ينافى بقاءه وهو موتك خرقا للعادة
فى كل فاشار الناظم لذلك بعبارة تقصر عنه فى بادئ الرأى فقال فكأن

فكأن الغمامة استودعته
من اظلت من ظله الدفناء

الغمامة الخ اى فبسبب محو نوره الظل الحسى صار هو الظل المعنوى على جميع
اتباعه الى يوم القيمة حتى كأن الغمامة لما اظلته اعلمته بانها استودعته اى استودعت النبى
من اظلتهم الدفناء اى اصحابه ومن اظلتهم اصحابه بظله هم جميع الامة الى يوم القيمة لكون
التابعون اظلتهم الصحابة بظل النبى من غير واسطة واتباع التابعين
اظلتهم الصحابة بواسطة التابعين وهكذا ومعنى هذا الايداع والاستحفاظ
ان بقاء ظلها يشير الى ان امته فى ظله اى فى رعايته وحفظه من حيث ان ظله
المعنوى سار فيهم وعام لهم لكن الصحابة بلا واسطة ومن بعدهم بواسطة
الصحابة لكن الذى افادته عبارة النظم ان الغمامة استودعته التابعين
فمن بعدهم ولم تفد انها استودعته الصحابة لما عرفت ان المفعول الثانى
لقوله استودعته هو من اظلتهم الدفناء اى الصحابة ومن اظلتهم الصحابة
بواسطة وبدونها هم التابعون فمن بعدهم وكان قصورها عن الصحابة لان
امرهم ظاهر لانهم باشروا الاخذ عنه فى حياته بخلاف من بعدهم لانه هو الذى
يحتاج الى استيداع واستحفاظ لانه انما جاء بعد موته فربما يقال لم يدرك
نور النبى صلى الله عليه وسلم وعبارة شارحها ابن قطيع المالكى نصها ولما
كان نوره صلى الله عليه وسلم اصل الانوار ولا يبقى مع النور ظلمة فلا ثبوت
للظل مع نوره ونور الشمس من جملة فروع نوره فلما اشتدت عند الظهيرة
خجلت ان تظهر مع الاصل الذى هو نوره فاسدلت حجابا بينها وبينه
حياء منه وذلك الحجاب هو الغمامة التى كانت تظله اذا سار فان قلت
قول الناظم فى بردة المديح مثل الغمامة انى سار سائرة تقيه حر وطيس للهجير حمى
يفهم منه ان حر الشمس كان يؤثر فيه وان الغمامة تقيه منه بظلها فينافى ما مر
ان تظليلها انما كان للحكمتين السابقتين قلت ما فهمه كلامه فى البردة
يعارضه ان تظليلها لم يكن الا قبل النبوة ارهاصا كما مر ولو كان لوقاية حر
الشمس كما فهمه كلامه لكان بعد النبوة ايض فان قلت يساعد ما فهمه
كلامه فى البردة ما ثبت انه قد ظلل عليه عند رميه الجمرة بثوب وهذا يشعر
بالاحتياج قلت هذا من ضرورة الخلقة والجبلة البشرية وما نحن
فيه من حيث الحقيقة والامور الاصلية فتامل خفيت الخ اى واذا
تقرر ان كل فضل مستمد من فضله وان نوره يمحو الظل على ما سبق فى معناه
علم انه قد خفيت عنده اى فى جنب ما اعطيه من الكمالات والفضائل
وقوله الفضائل اى التى اوتيها غيره من الانس والجن والملائكة وقوله

خفيت عنده الفضائل وانجابت
به عن عقولنا الاهواء

وانجابت اى انكشفت وقوله به اى بسببه اى النبى اى بسبب ما بثه الينا
من علومه وآدابه واخلاقه وقوله عن عقولنا اى معشر امة الاجابة
والعقل لغة المنع واصطلاحا غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة
الآلات وقيل فى تعريفه شرعا هو نور روحانى به تدرك النفوس العلوم
الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو
الى ان يكمل عند البلوغ وقوله الاهواء اى الضلالات والنقائص فلم
تقع عقولنا فى ورطة شئ منها كما وقع فيها من اعرض عن الهدى وسلك
سبيل الردى امّ مع الصبح اى ايوجد مع الصبح للنجوم تجل اى اشراق
وظهور نور وقوله او مع الشمس اى ايوجد مع الشمس للظلام بقاء وهذا
كالدليل لما قبله فالمصراع الاول دليل للمصراع الاول من البيت قبله والثانى
للثانى فهو لف ونشر مرتب اى انما خفيت عنده الفضائل لانه الفجر الصادق
وغيره من سائر الكمل كالنجوم فكما ان النجوم لا يبقى لها نور مع الفجر فكذلك
سائر الكمل وكذلك انما انكشفت به الاهواء عن عقولنا لانه الشمس كما مر
والاهوية اى الضلالات كالظلام فكما ان الظلام لا يبقى مع الشمس فكذلك
الاهوية والضلالات لا تبقى مع اشراق الشمس من غير حائل بينها وبين
ما اشرقت عليه معجز القول عطف على قوله شمس وفصل بحذف حرف
العطف او مستأنف وانما كان معجز القول لان الله امتن عليه بجوامع الكلم
التى اوتيها دون غيره ومن ثم قال بعض العلماء ان كلامه معجز كالقرآن
وكأن الناظم جرى على هذا القول وان احتمل ان ينزل كلامه على مذهب
الجمهور من ان الحديث غير معجز بان يؤول ويقال مراده بكونه معجز القول
ان كلامه فيه الاخبار بالمغيبات وهو من هذه الحيثية معجز باتفاق
وقوله والفعال اى ومعجز الفعال فلا يقدر مخلوق على ان يوجد فعلا
مطابقا لسائر المصالح الظاهرة والباطنة فى ذلك الوقت الذى اوجد فيه
ذلك الفعل غيره صلى الله عليه وسلم وهذه هى مرتبة وارث الحضرة الالهية
التى لا يدخل فيها احد الا باذنه وقوله كريم الخلق بفتح الخاء وقد تقدم الكلام
عليه عند قوله فتنزه فى ذاته الخ وقوله والخلق بضم الخاء وسكون اللام كما
مر بسطه عند قوله ما سوى خلقه النسيم الخ وقوله مقسط اى عادل فى
احكامه واقواله وافعاله فلا يصدر منه شئ الا على غاية العدل باطنا
وظاهرا باتفاق كل من رآه او علم احواله حتى اعدائه وكان صلى الله عليه وسلم

امّ مع الصبح للنجوم تجلٍّ
ام مع الشمس للظلام بقاء

معجز القول والفعال كريم الـ
خلق والخلق مقسط معطاء

يقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغها فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع
ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وقوله معطاء اى كثير العطاء الذى يعجز
عن ادناه الملوك وعن انس ما سئل صلى الله عليه وسلم شيئا الا اعطاه
وجاءه رجل فاعطاه غنما كثيرة كانها تملأ ما بين الجبلين فرجع الى قومه
فقال اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخاف الفقر واعطى صفوان
ابن امية يوم حنين حين اسلم مائة ثم مائة ثم مائة وعن جابر ما سئل
صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لا اى لا ينطق بالرد بل ان كان عنده المسؤل
وساغ الاعطاء بان لم يرصد ما عنده لما هو اهم اعطاه والا سكت
وقال صلى الله عليه وسلم لسائل ما عندى شئ ولكن ابتع علىّ اى اشتر
فى الذمة وانا ادفع عنك الثمن اذا جاءنا شئ فقال له عمر ما كلفك الله
ما لا تقدر عليه فكره منه ذلك فقال سعد بن معاذ انفق يا رسول الله
ولا تخش من ذى العرش اقلالا فتبسم وقال بهذا امرت وقوم ما اعطى
يوم حنين فكان خمسمائة الف الف قيل وهذا نهاية الجود وصح انه اتى بمال
من البحرين فامر بصبه فى المسجد فكان اكثر مال اتى به فكان مائة الف
فخرج للصلاة ولم يلتفت اليه ثم بعدها جلس ففرقه ومع هذا الجود الواسع
كان يعيش عيش الفقراء وكان يأتى عليه الشهران لا يوقد فى بيته نار
وربما ربط الحجر على بطنه من شدة الجوع وجاءه سبى فسألته فاطمة فى خادم
يكفيها مؤنة بيتها فامرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد وقال
لا اعطيك وادع اهل الصفة يطوون بطونهم من الجوع لا تقس
اى اذا علمت اتصافه بهذه الاوصاف الجليلة التى لم يوجد مثلها ولا
يقاربها فى مخلوق غيره علمت ان الواجب على كل من عرف ذلك ان يقول
لمن لم يعرفه حق معرفته لا تقس من قست الشئ بغيره قدرته على مثاله
اى لا تشبه بالنبى الموصوف بما ذكر وهو نبينا صلى الله عليه وسلم فى الفضل
الجامع لتلك الصفات بل ولا فى كل وصف منها على حدته لان كل وصف
من اوصافه وصل فيه الى غاية لم يلحقه فيها مخلوق وقوله خلقا اى نبيا
او ملكا او غيرهما اى لا تعتقد ان مخلوقا يساويه او يقاربه فى وصف
من اوصاف كماله كما مر عند قوله لم يساووك فى علاك الخ وقوله فهو البحر
اى هو لا غيره البحر الجامع لكل وصف من اوصاف الكمال البالغ الغاية
وقوله والانام هو كما فى القاموس كسحاب الخلق او الجن والانس او جميع

لا تقس بالنبى فى الفضل خلقا
فهو البحر والانام اضاء

ما على وجه الارض ومثله انيم كأمير وآنام بالمد كآثام اهو والمراد هنا
الاول اى الخلق مطلقا لكن المراد من هذا الاول بعض ما صدقاته وهو
الانس والجن والملك بدليل قوله الآتى كل فضل فى العالمين وقوله اضاء
بالكسر والمد جمع اضاة كقناة وهو الغدير وشتان ما بين البحر والغدير وفى
المختار والغدير القطعة من الماء يغادرها السيل وفى نسخة والانام ركاء
جمع ركوة وهو الدلو الصغير   كل فضل فى العالمين اى وجد فى العالمين
وقوله فمن فضل خبر مبتدا محذوف اى فهو كائن من فضل ذلك النبى الآتى
على ربه من سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين وقوله استعاره
جملة حالية من الضمير المستكن فى الجار والمجرور وانما استعاروه منه لانه
الممد لهم اذ هو الوارث للحضرة الالهية والمستمد منها بلا واسطة دون
غيره فانه لا يستمد منها الا بواسطته فلا يصل لكامل منها شئ الا وهو من
بعض مدده وعلى يديه فآيات كل نبى انما هى مقتبسة من نوره لانه
كالشمس وهم كالكواكب فهى غير مضيئة بذاتها وانما هى مستمدة من نور
الشمس فاذا غابت اظهرت انوارها فهم قبل وجوده انما كانوا يظهرون
فضله وانوارهم مستمدة من نوره الفائض ومدده الواسع وقد
اشار لهذا فى بردة المديح بقوله وكل آى اتى الرسل الكرام بها الابيات الثلاث
الاترى ان ظهور خلافة آدم واحاطته بالاسماء كلها انما هو مستمد من جوامع
الكلم المخصوص به ثم توالت الخلائق الى زمن بروز جسمه فلما برز كان
كالشمس اندرج فى نوره كل نور وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من
الانبياء فلم يعط احد منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطى مثلها او اعظم منها
كما ستره الائمة ووضحوه وقد قال الفخر الرازى لم يكن سجود الملائكة
الا لنور محمد صلى الله عليه وسلم الذى فى جبهة آدم ووقع فى تفسير الرازى
انه اعطى مكان سفينة نوح انه دعى حجرا وهو على شط ماء فانقلع وسبح
الى ان جاء اليه وشهد له بالرسالة وذلك لما قال له عكرمة بن ابى جهل ان
كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذى فى الجانب الاخر فليسبح ولا يغرق فدعاه
الى آخر ما تقدم فقال له النبى ايكفيك هذا فقال حتى يرجع الى مكانه
وقد اعطى نبينا مكان انفلاق البحر لموسى انشقاق القمر الذى هو ابهر
لانه تصرف فى العالم العلوى على انه نقل ان بين السماء والارض بحرا يسمى
المكفوف بحور الارض بالنسبة اليه كالقطرة من البحر المحيط فعليه يكون

انفلق

كل فضل فى العالمين من فضـ
ـل النبى استمداد الفضلاء

انفلق لنبينا ليلة الاسراء وعن سلمان الفارسى قال تحت هذه السماء
بحر ماء تطلع فيه الدواب مثل ما فى بحركم هذا ومن ذلك البحر اغرق الله قوم
نوح وينزله الله الارض قبل يوم القيمة فيغرق به من يشاء ويعذب به من
يشاء ذكره السيوطى   شق عن صدره وفى نسخة عن قلبه وكل منهما صحيح
لانه شق صدره اولا ثم قلبه المرة بعد المرة الى ان تكرر ذلك اربع مرات او خمسا
مبالغة فى التطهير ولم يحصل لاحد من الكمل نظير ذلك وقوله وشق له
اى لاجله البدر اى القمر بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين لما كذبته قريش
وبالغوا فى عناده وطلبوا منه آية يريها اياهم تدل على صدقه وهى ان يشق
لهم القمر نصفين فانشق له كذلك ولم يقع هذا لغيره وهو من امهات معجزاته
لا يكاد يعدله شئ من آيات الانبياء لظهوره لملكوت السماء خارجا عن جملة
طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبايع فلم يطمع احد فى الوصول اليه وجاء
ان فرقة منه كانت فوق جبل حراء واخرى كانت اسفله وفى رواية لاحمد
فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل وانه قال لهم اشهدوا
فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا على ان يسالوا المسافرين فجاؤا من كل ناحية واخبروا
بانهم رأوه منشقا فقال بعض الكفار لبعض لا يستطيع محمد ان يسحر الناس
كلهم وما قيل ان القمر قد دخل فى جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه باطل
لا اصل له واعلم ان البدر اسم للقمر ليلة اربعة عشر وظاهر تعبير النظم به
دون القمر ان الشق كان ليلة اربعة عشر ولم ار له فى ذلك سلفا ولعله اراد
بالبدر مطلق القمر وقوله ومن شرط اى وانما شق له القمر لانه شق عن
صدره حتى اخرج قلبه ثم شق وطهر فجوزى على ذلك بجزاء من جنسه اذ من
شرط كل شرط وقع فى البدن لغرض مقصود ان يكون له جزاء وفائدة
وثمرة كبرء من مرض فهكذا هنا لما وقع واقع صلى الله عليه وسلم فى شق قلبه
المرة بعد المرة جوزى على ذلك بجزاء عظيم مشابه له فى الصورة وهو شق القمر
الذى هو اظهر معجزاته وابهرها بعد القرآن فتبين من هذا ان الشرط الاول
ما علق بحصوله حصول شئ آخر يسمى جزاء وان الثانى شق الجلد واللحم
وفى ذكر الجزاء تورية اذ يطلق على الجزاء النحوى والجزاء العرفى وهو المجازات
على صنيع وقع   ورمى بالحصى اى ومن معجزاته ايضا انه فى غزوة بدر
وغزوة حنين رمى اعداءه بالحصى فاقصد اى اصاب فاهلك ففى القاموس
اقصد السهم اصاب فقتل مكانه وقوله جيشا اى عظيما كانوا تحزبوا عليه

شق عن صدره وشق له البد
ر ومن شرط كل شرط جزاء

قوله يريها اياهم كان حق
العبارة ان يقول
يريهم اياها كما لا يخفى
اه شيخنا البجاوى

ورمى بالحصى فاقصد جيشا
ما العصى عنده وما الالقاء

حتى ظن انهم لا يبقون احدًا من المسلمين وبيان ذلك انه لما التقى الجمعان
يوم بدر تناول كفا من الحصى فرمى به فى وجوههم وقال شاهت الوجوه اى
قبحت وانهزمت فلم يبق مشرك مع كثرتهم وقلة ذلك الحصى الا دخل فى
عينيه ومنخريه منها شئ فانهزموا فقتل من قتل من صناديد قريش واسر
من اسر من اشرافهم ونزل فى هذه الرمية التى فى بدر قوله تعالى وما رميت
اذ رميت وقال الجبرية فى هذه الآية سلب فعل النبى عنه واضافته
الى ربه وهو يعين الجبر ويبطل نسبة افعال العباد اليهم ورد بان هذا
غلط وليس كما زعموا والا لزمهم ان لا تكليف ولا عقاب والمراد من
الآية عند اهل السنة ان تلك الرمية من البشر لما لم تبلغ هذا المبلغ عادة
كان منه صلى الله عليه وسلم مبدؤها وهو الحذف والالقاء ومن الرب نهايتها
وهو الايصال فاضاف تعالى الى نبيه رمى الحذف وهو مبدؤه بقوله اذ رميت
ونفى عنه رمى الايصال الذى هو نهايته بقوله وما رميت ونظير هذه الآية
نفسها فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاخبر تعالى بانه المنفرد بالتأثير وان
غيره ليس منه الا اسباب تظهر للناس ولما التقى الجمعان يوم حنين
استقبل المسلمون من هوازن ما لم يروا مثله فى السواد والكثرة فحملوا
حملة واحدة ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا اناس قليلون من اهل بيته
العباس وعلى وابو سفيان بن الحارث ومن اصحابه ابو بكر وعمر والفضل
وآخرون فتناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه
ورمى بها فى وجوه المشركين فما بقى منهم احد الا ملئت عيناه من تلك القبضة
وقوله ما العصى عنده اى واذ قد علمت ما ترتب على رميه بالحصى من تشتيت
جمعهم وافتراق شملهم وهزيمتهم آن لك ان تقول لمن قال لك ان القاء
موسى لعصاه والقاء السحرة لحبالهم وعصيهم يعادل الرمى بالحصى لا تقل
ذلك ما العصى ما استفهام انكارى والمراد عصى موسى التى القاها على
حبال سحرة فرعون وعصيهم حتى ابتلعت ذلك وقوله عنده اى الحصى المرمى
اى بالنسبة اليه وفى جنبه وقوله وما الالقاء اى لتلك العصى على تلك
الحبال اى لا تقاس معجزة نبينا فى القاء ذلك الحصى بمعجزة موسى فى القاء
عصاه على ما ذكر فان القاء الحصى القليل على هذا الجيش الكثير حتى هزمهم
عن آخرهم وشتت شملهم ابهر من قلب العصى ثعبانا وابتلاعها لتلك
الحبال فانها لم تقهر العدو بل زاد بعدها طغيانه وعتوه على موسى وقومه

تنبيه

تنبيه اكثر معجزات بنى اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وعمى بصيرتهم
واكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال افهامهم ولان هذه
الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيمة خصت بالمعجزة
العقلية الباقية ليراها ذو البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث البخارى
ما من الانبياء نبى الا اعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى اوتيته
وحيا اوحاه الله الى وانا ارجو ان اكون اكثرهم تابعا وفى معناه قولات
غير متنافيين اذ يرجع حاصلها الى ان المراد ان معجزات الانبياء انقرضت
بانقراض اعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصى موسى وناقة
صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزات القرآن تشاهد بالبصيرة
وتستمر الى يوم القيمة لا يمر عصر الا وفيه يظهر شئ اخبر بانه سيكون
فكان من يتبعه لاجلها اكثر اذ ما يدرك بالعقل يشاهده كل من جاء
بعد الاول ودعى للانام اى ومن معجزاته ايضا انه دعى للانام والمراد
بهم هنا اهل المدينة ومن داناهم وقوله اذ دهمتهم اى وقت او لاجل ان
دهمتهم اى غشيتهم سنة من محولها اى من اجل محولها بضم الميم والحاء
اى شدة جدبها وقحطها وهو متعلق بقوله شهباء الواقع نعتا لسنة والشهباء
التى لا خضرة فيها ولا مطر واما السنة فزمن الجدب والمحل وان لم تكن سنة
بالمعنى المشهور او المراد بها الزمن المخصوص الذى هو اثنا عشر شهرا فعلى
الاول يكون قوله شهباء تاكيدا وعلى الثانى يكون تاسيسا وسبب هذا الدعاء
ان الناس اصابتهم سنة على عهده صلى الله عليه وسلم فقام اعرابى وهو
يخطب يوم الجمعة فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع
الله لنا فرفع يديه وليس فى السماء شئ من السحاب فما وضعهما حتى صار السحاب
امثال الجبال فلم ينزل من على المنبر حتى اصابه المطر واستمر الى الجمعة الاخرى
فقام ذلك الاعرابى او غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال
فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانقطع المطر وخرجوا
يمشون فى الشمس وسال الوادى شهرا ولم يجئ احد من ناحية الا حدث
بالجود وهو بفتح الجيم المطر الواسع الغزير فاستهلت اى فبسبب
دعائه استهلت بالغيث اى صبت المطر بشدة وقوله سبعة اياما اى كوامل
لما علمت انه استمر من خطبة الجمعة الى خطبة الجمعة الاخرى وقوله سحابة
فاعل استهلت وقوله وطفاء اى مسترخية الجوانب لكثرة ما حملت من الماء

ودعى للانام اذ دهمتهم
سنة من محولها شهباء

فاستهلت بالغيث سبعة ايا
م عليهم بسحابة وطفاء

تخرى مواضع الرعى والسقى وحيث العطاش توهى السقاء

واتى الناس يشتكون اذاها ورخاء يؤدى الانام غلاء

فدعى فانجلى الغمام فقل فى وصف غيث اقلاعه استسقاء

ثم اثرى الثرى فقرت عيون بقراها واحييت احياء

تخرى نعت لسحابة او حال منها اى تقصد تلك السحابة بمائها واسناد القصد اليها مجاز وقوله مواضع الرعى اى الكلأ الذى يرعى وقوله والسقى اى ومواضع السقى التى يجتمع فيها الماء ليشرب منها البهائم وقوله وحيث العطاش اى وتخرى ايضا مواضع العطاش فحيث بمعنى الاماكن والمواضع وقوله توهى السقاء صلة لموصول محذوف نعت لحيث اى التى يوهى بالبناء للمفعول اى تخرق السقاء منهم فيها اى فى حيث فالعائد مقدر اى ان تلك السحابة عمت جميع الاماكن بمائها حتى انها تخرى الامكنة المعطشة التى تخرق اسقية العطاش فيها ليبسها وجفافها من عدم الماء والسقاء الظرف للماء واللبن واما المختص باللبن فيقال له وطب واما النحى والعكة فهما وعاآن من جلد يوضع فيهما السمن فقط واما القربة فهى وعاء الماء خاصة وقوله واتى الناس اى ولما استمر عليهم الايام السبعة وكاد الناس يهلكون اتى الناس اليه صلى الله عليه وسلم وهو يخطب يوم الجمعة وسألوه ان يدعو لهم وقوله يشتكون اذاها اى تلك السحابة وهذه الجملة حالية من الناس وانما اشتكوا منها لقطع المطر السبل وتعطيله المعاش وتخريبه البيوت وذكر الناس مع ان الشاكى واحد لان ما به من الضرر لحق بقية الناس فكان الكل شاكين بلسان الحال فلذا اسنده الى كلهم وقوله ورخاء اى سعة من المطر وقوله غلاء اى شدة عظيمة واصله ارتفاع السعر المؤدى الى الشدة فاستعمل اسم السبب فى المسبب

فدعى اى فبسبب ان هذا الرخاء الذى المقصود منه حياة النفوس انتقل الى ضده وهو اهلاكها دعى ربه ان يكشف عنهم وقوله فانجلى الغمام اى السحاب عقب دعائه وخرجوا يمشون فى الشمس كما مر وقوله فقل اى فاذا تقرر هذا فقل ايها العالم بهذه الواقعة ما شئت من الكلام الدال على التعجب ومعنى فقل فتعجب وقوله اقلاعه اى انكشافه استسقاء اى ذو استسقاء على خلاف المتعارف اذ الاستسقاء يكون عادة لطلب حصول الماء وهذا الطلب لرفعه او يقال فى معنى قوله اقلاعه استسقاء اى اقلاعه على حذف مضاف اى طلب اقلاعه وقوله استسقاء على حذف كاف التشبيه اى طلب اقلاعه كالاستسقاء بجامع ترتب دفع الضرر على كل ثم اثرى الثرى اى ثم بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة دعائه اثرى الثرى الثرى فاعل اثرى مأخوذ من قولهم اثرى الرجل اذا اكثر ماله والثرى اسم للتراب فالمعنى هنا ثم اثرى التراب اى كثر خيره اى كثر الخير بسببه اى كثر المطر الواقع عليه فكثرة فوائده لكثرة

فترى الارض غبه كسماء اشرقت من نجومها الظلماء

تخجل الدر واليواقيت من نو ر رباها البيضاء والحمراء

لكثرة انباته الزرع والثمار المؤدية الى كثرة الاموال وقوله فقرت اى فبسبب هذه الكثرة قرت اى فرحت واطمأنت من قولهم اقر الله عينه اى اعطاه حتى لا تطمح عينه الى من فوقه وقوله عيون اى عيون اهل المدينة وقوله بقراها اى بسبب عمارة قراها اى العيون او المدينة وبلادها بتلك الفوائد الكثيرة من الخصب بعد ما زال عنهم الكرب وقوله واحييت اى بعد ما حصل لها من الجدب والشدة ما يصيرها كالموتى من احياه الله فحيى بالفك وحى بالادغام وهو الاكثر وقوله احياء جمع حى اى قبائل العرب بواسطة احياء نفوسها ومواشيها فشبه انقاذهم من الهلاك باحياء الموتى بجامع النفع فى كل واستعير الاحياء للانقاذ واشتق منه احييت اى انقذت من الهلاك

فترى ايها المخاطب لو شاهدت تلك الواقعة الارض غبه اى ذلك المطر اى عقبه من حيث انه تولد عنه ما يدهش الابصار من الزروع والنبات والازهار وقوله كسماء حال ان جعلت رأى بصرية وهو الظاهر او مفعول ثان ان جعلت علمية وقوله اشرقت اى زالت عنها وقوله من نجومها اى من اجل نجومها وقوله الظلماء فيه تجوز اذ الاشراق انما يستعمل للنور ووجه الشبه ما حصل للارض باصابة الغيث وللسماء من النجوم من زوال ظلمتهما الحقيقية فى السماء والمجازية فى الارض تخجل اى تحير وتدهش وقوله الدر اى اللؤلؤ واسناد الخجل اليهما مجاز وهو على حذف مضاف اى اهلهما بمعنى ان من بايديهم تلك الجواهر يشاهدونها ليلا ونهارا لا يملكون نفوسهم عند رؤية تلك الازهار الغريبة والاعشاب العجيبة وقوله من نور بفتح النون اى زهر وهو بيان لفاعل تخجل الآتى وهو البيضاء والحمراء قدم عليه لاجل النظم وقوله رباها بضم الراء اى المحال المرتفعة منها وخصت بالذكر لان الذى بها من النبات يكون انضر وابهى من بقية الارض وقوله البيضاء راجع للدر وقوله الحمراء راجع لليواقيت اى يخجل نورها الابيض الدر ونورها الاحمر اليواقيت ففيه لف ونشر مرتب وما تقرر من ان الناظم اراد القصة المذكورة التى كانت بالمدينة وصحت بها الاحاديث هو الظاهر ويجوز ان يريد ايضا القصة التى وقعت بمكة فقد ورد ان قريشا لما ابطؤا عن الاسلام دعى عليهم صلى الله عليه وسلم بالقحط فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام فجاءه ابو سفيان فقال يا محمد قد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله لهم فدعى فسقوا الغيث واستمر عليهم سبعة ايام فشكى الناس كثرة

ليته خصني برؤية وجه زال عن كل من رآه الشقاء

فسأل الله رفعه فارتفع ليته خصني لما ذكر من صفاته الباهرة ما يشوق
كل سامع لشئ منها الى رؤية وجهه الكريم تمنى ذلك فقال ليته هي لتمني ما لا
طمع في حصوله او ما فيه عسر خصني برؤية وجه اى ليتني ادركت زمنه فرايته
لاكون من اصحابه اذ هم افضل من جميع من جاء بعدهم عند الاكثرين وذهب
ابن عبد البر الى انه يمكن ان يكون في زمن من بعدهم من هو افضل من بعضهم
واشار بعضهم الى ان محل الخلاف في صحابي لم يحصل له الا مجرد الرؤية واما
من زاد على ذلك برواية عنه او غزو معه فلا نزاع فيه او ليتني اراه في الموقف
وعلى الحوض في الجنة شافعا لي او ليتني اراه في النوم رؤية تدل على اعتنائه بي
لاخباره صلى الله عليه وسلم بان من رآه في النوم فقد رآه حقا لان الشيطان
لا يتمثل بصورته وبان من رآه فيه فقد رآه في اليقظة اى كانه رآه فيها لما
تقرر ان الشيطان لا يتمثل به مطلقا اى في اى صورة كانت وقال
بعضهم محله ان راى بصورته التي كان عليها في الدنيا وصح عن ابن سيرين
وعن ابن عباس ما يفيد هذا التقييد ومقتضاه ان الشيطان يتمثل به
اذا رؤى على صورة غير صورته التي كان عليها في الدنيا او على صفة غير صفته
وجاء في حديث ضعيف اني ارى في كل صورة وصحح النووي وغيره انه يرى
حقيقة ولو على غير صفته وقال عياض في رواية مسلم من رآني في النوم
فسيراني في اليقظة يحتمل ان المراد ان رؤيته على صفته موجبة لرؤيته في
الآخرة على انواع مخصوصة من قربه او شفاعته له وقال الغزالي في
رؤيته على صفته ليس المراد رؤية ذاته حقيقة بل مثال يحكيها على التحقيق كما
في رؤية الله تعالى اذ لا صورة له ترى بل تمثال بحسب خيال الرائي معرف لها
اى لذاته تعالى من نور او غيره او ليتني اراه في يقظتي بناء على امكان ذلك
وهو ما حكاه ابن ابي جمرة وكثيرون عن جماعة من التابعين ومن بعدهم
انهم راوه في اليقظة وسالوه عن اشياء قال ابن ابي جمرة وهذه من جملة
كرامات الاولياء وعن الغزالي ان ارباب القلوب في يقظتهم قد يشاهدون
الملائكة وارواح الانبياء ويسمعون منهم اصواتا ويستفيدون منهم
فوائد ومما يؤيد هذا انه لا يبعد ان من اكرم برؤيته يزيل الله له الحجب
بينه وبينه وهو بحاله في قبره ويخلق الله في الرائي قوة في بصره فيراه ولو مع
بعد المسافة ويحادثه ويسمع كل كلام الآخر فتلخص ان الاحتمالات اربعة
ليتني رايته في حياته ليتني اراه في القيامة ليتني اراه في النوم ليتني اراه

في

في اليقظة والظاهر ان مراد الناظم هذا الرابع وقرينة ذلك انه تلميذ القطب
ابي العباس المرسي فهو الذي حلت عليه بركته حتى وصل الى هذا المقام والقطب
المذكور وارث القطب الاكبر ابي الحسن الشاذلي وكل منهما حفظت عنه
رؤية النبي يقظة بل قال الشاذلي لو حجب عني رسول الله طرفة
عين ما عددت نفسي مسلما وممن حفظت عنه رؤية رسول الله يقظة
مرارا العارف بالله تعالى سيدي علي وفا بن القطب الكامل سيدي محمد وفا
وهما من جملة المنتسبين الى القطب الشاذلي ومن ثم قالوا طريقة الوفائية
خلاصة طريقة الشاذلية وكان سيدي علي يرى رسول الله كثيرا عند
قبر والده بالقرافة فكون الناظم منسوبا لهؤلاء يقرب انه سالها يقظة كما وقع
لهم ولقد كان شيخي وشيخ والدي الشمس محمد بن ابي الحمائل يرى النبي يقظة
كثيرا حتى يقع له انه يسئل في الشئ فيقول حتى اعرضه على رسول الله ثم
يدخل راسه في جيب قميصه ثم يقول قال رسول الله فيه كذا فيكون كما اخبر
لا يتخلف ذلك ابدا وقوله زال اى تحول فزال هنا تامة وقوله من راه اى
مؤمنا به في حياته او بعد موته في يقظة الرائي او في النوم على صفته التي كان
عليها في الدنيا او في الآخرة على وجه مخصوص وقوله الشقاء اى جميع انواعه

مسفر يلتقي الكتيبة بساما اذا اسهم الوجوه اللقاء

مسفر بالجر نعت وبالرفع خبر لمبتدا محذوف وكذا يقال فيما بعده فلما
ذكر الوجه الكريم ذكر بعض صفاته فقال مسفر اى مشرق مضئ يكاد نوره ان
يخطف الابصار وقوله يلتقي اى ذلك الوجه وقوله الكتيبة اى الجيش
العظيم وقوله بساما حال اى مبتسما وقوله اذا اسهم اى غير من سهم
بفتح الهاء وضمها اذا احمر وتغير وقوله اللقاء اى لقاء العدو اى فهو في
الحالات التي ينزع غيره فيها ويضطرب ويتغير وجهه على غاية من الطمانينة
والثبات والتبسم لعظم ما اتاه الله من الشجاعة التي لم يصل غيره الى ادناها
وذهب بعض المالكية الى ان من قال ان النبي هزم انه يستتاب فان تاب والا
قتل لانه ينقصه واعترضه بعض اخر منهم بما حاصله انه حيث كان
ذلك تنقيصا لم يستتب ولم تقبل له توبة وقياس مذهبنا خلافا لمن اخطا
فيه انه ان نوى بذلك تنقيصه كفر والا فلا واذا قلنا بكفره فذهب بعض
ائمتنا الى انه لا تقبل توبته والمعتمد قبولها منه جعلت مسجدا له اى
لذلك الوجه المكرم ولامته بطريق التبع له وقوله الارض اى كلها وتصح
الصلاة في سائر بقاعها كما في الحديث اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي

جعلت مسجدا له الارض فاهتز به للصلاة فيها حراء

نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من
امتى ادركته الصلاة فليصل واحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى واعطيت
الشفاعة وكل نبى بعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة رواه الشيخان
والنسائى عن جابر والمراد بقوله مسجدا اى موضع سجود اى ان السجود
لايختص بموضع منها دون غيره ومعناه ان الصلاة لم تبح لمن قبلنا الا فى
محل يهيئونه للصلاة كالبيع والكنائس والصوامع للخبر المصرح بذلك ولفظه
وكان من قبلى انما يصلون فى كنائسهم وهذا ظاهر فى حال اقامتهم اما فى
حال سفرهم فيحتمل ان صلاتهم كانت تسقط عنهم فيه ويحتمل انهم
كانوا يؤخرونها الى ان يجدوا كنيسة او نحوها ويحتمل انه كانت تجوز
صلاتهم فى اى بقعة كانت فتكون الخصوصية لنا عليهم بالنسبة لحالة
الاقامة وقوله فاهتزاى فبسبب هذا الجعل اهتز اى تحرك طربا وفرحا به
صلى الله عليه وسلم للصلاة اى لاجلها فيها اى الارض اى وذلك الجبل من
جملة بقاعها فلابد من هذه الضميمة ليظهر التعليل ومحصله ان فرحه
المذكور وتحركه لاجل جواز الصلاة وحلها فيه من حيث انه من جملة اجزاء
الارض وفى الحديث ما يقتضى ان تحركه وسروره من حيث مشى النبى
عليه وصعوده عليه ولا منافاة اذ يمكن ان يكون فرحه بكل من الامرين وقوله
حراء بالكسر والمد ويجوز قصره وصرفه باعتبار المكان والبقعة كسائر
اسماء الامكنة وهو الجبل الذى كان يتعبد فيه قبل النبوة ودليل ذلك
انه صلى الله عليه وسلم كان على حراء ذات يوم هو وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة
والزبير فتحرك الجبل فقال اسكن حرا ما عليك الا نبى او صديق او شهيد
وجاء فى رواية انه كان معه العشرة الا ابا عبيدة وجاء ان هذا وقع
له فى احد ايضا وكان معه فيه ابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه
برجله وقال اثبت احد فانما عليك نبى وصديق وشهيد وجاء هذا فى ثبير ايضا
وهو جبل مقابل لحراء قاله الطبرى وغيره واختلاف الروايات يحمل على
انها قصص قد تكررت وهو واضح مظهر اى ذلك الوجه الكريم
وقوله شجة الجبين اى جرح جبينه وهو المنحرف عن الجبهة فوق الصدغ وفى
التعبير به مسامحة وتجوز لما يأتى ان الذى شج اى جرح جبهته وفى رواية
وجنته والوجنة ما ارتفع من الخدين والجبين غيرهما فالتعبير به من مجاز
المجاورة وقوله على البر اى معه فعلى بمعنى مع من برء من المرض

بكسر

شجة الحسين بمعنى البر ... الهلال البر

بكسر الراء برءا بضم الباء وبراء بفتحها مع سكون الراء فيهما وهذه الشجة كانت
يوم احد فعن ابى سعيد الخدرى ان عتبة بن ابى وقاص الذى مات شقيا
وهو اخو سعد بن ابى وقاص اول من رمى بسهم فى سبيل الله وكان النبى
يفتخر به ويقول هذا سعد خالى اى لانه زهرى فليرنى امرؤ خاله فشتان ما بين
هذين الاخوين رمى ذلك الشقى رسول الله يوم احد فشج وجهه وكسر رباعيته
اليمنى السفلى وعن ابى سعيد ايضا ان عبد الله بن هشام الزهرى شج رسول الله
فى جبهته وان عمر بن قميئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فيها ووقع فى
حفرة وهشموا البيضة على راسه ورموه بالحجارة حتى وقع على شقه فى حفرة
وجاء فى خبر مرسل ان وجهه صلى الله عليه وسلم ضرب يومئذ بالسيف سبعين
ضربة ووقاه الله شرها كلها وقوله كما ما مصدرية وقوله البراء بفتح الموحدة
وهو يطلق على اول ليلة من الشهر وعلى آخر ليلة منه وعلى آخر ليلة من النصف
الاول والمراد هنا الاول لاجل ذكر الهلال اذ هو اسم للقمر اول ليلة وقيل
والثانية والثالثة اى ان وجهه المكرم اظهر آثار تلك الشجة مع برئها ظهورا
واضحا ليس فيه ادنى شين بل كان فى غاية الجمال كظهور الهلال ليلة استهلاله وذلك
لحكمتين ليتذكر الراؤن بذلك والراوون عنهم ما وقع له من المحنة وعظيم الصبر
عليها حتى يقتدى به فى ذلك وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه بل زادته جمالا
على جماله لانها صارت بعد البرء فى وجهه كالهلال فى السماء ستر اى ذلك
الوجه الحسن اى الاصلى وقوله منه اى من ذلك الوجه وقوله بالحسن اى العارض
من الشجة وقوله لجمال اى اصلى وقوله الجمال اى العارض وقوله وقاء
اى وقاية وسبب ذلك ان الله اعطاه غاية الجمال فى باطنه وظاهره ويكفيك
شاهدا على ذلك ما مر ان الله جعله كله نورا حتى لم يظهر له ظل فكان جلده
ساترا لجماله الباطن فاذا ازالته الشجة ظهر من انواره الباطنة ما صيرها كالهلال
فى وجهه وصار حسن ظاهره مستورا بما ظهر من حسن باطنه فهما جمالان
عظيمان صار باطنهما وقاية لظاهرهما وهذا مما يستغرب ويتعجب منه
ولذلك شبهه بتشبيهات توضح ذلك وتكشفه فقال فهو كالزهر
فهو اى ما ظهر بالشجة من باطن بدنه كالزهر اى نور النبات وقوله لاح اى
ظهر وقوله من سجف الاكمام السجف بفتح اوله وكسره الستر والاكمام جمع كم
بكسر الكاف وهو غطاء النور المشبه به هنا ظاهر الجلد فالاضافة فى سجف الاكمام
بيانية وقوله والعود اى وهو ايضا كالعود الذى يتطيب به اذا اشق عنه

ستر للحسن منه بالحسن فاعجب
بجمال له الجمال وقاء

فهو كالزهر لاح من سجف الاكمام والعود شق عنه اللحاء

كادا ان يغشى العيون سنى من
ه لسر فيه حكته ذكاء

صانه الحسن والسكينة ان تظ
هر فيه آثارها البأساء

وتخال الوجوه ان قابلته
البستها الوانها الحرباء

اى ازيل عنه اللحاء وهو قشر الشجر من لحوته الحوه قشرته باللحاء فظاهر الجلد كاللحاء
وباطنه كالعود وفى هذين التشبيهين ما يعلمك ان جمال باطنه وتما فاق جمال
ظاهره ومن ثم قال كادا ان يغشى الخ كاد اى قارب ما ظهر من جماله بالشجة
ان يغشى بالغين المعجمة اى يغطى اظهر من المهملة وقوله سنا بالقصر اى ضوء
عظيم وقوله منه متعلق بمحذوف اى خارج منه وقوله لسر فيه اى فى ذلك الباطن
الذى ظهر وهو مصيره صلى الله عليه وسلم كله ضياء ونورا اعظم من ضياء الشمس
وقوله حكته اى شابهته وقوله ذكاء بضم المعجمة وعدم الصرف اى الشمس
صانه اى صان ذلك الجمال الذى ظهر الحسن اى لو انفرد فكيف وقد
انضم اليه السكينة وهى الوقار مع طمأنينة القلب وعدم تحركه مما يمتحن به
من المؤذيات التى لا يسكن عندها غيره وقوله ان تظهر اى من ان تظهر
فيه آثارها الضمير يعود على البأساء الواقع فاعلا اى الشدائد فلذلك
لم يظهر عليه من تلك الشجة الا غاية الطمأنينة ونهاية الجمال فعلم انه فى حالة البشر
كهو فى حالة البأساء لما اودعه الله من كمال الجمال وتمام البهاء فلا تؤثر فيه البأساء
شيئا وتخال اى تظن انت وقوله ان قابلته اى عاينته وجواب ان
محذوف اى خجلت من فرط جماله وتلونت بالالوان المختلفة ويدل على
هذا المحذوف قوله البستها الخ الذى سد مسد مفعول تخال الثانى وجملة
الشرط وجوابه معترضة بين المفعولين وقوله الوانها ضمير عائد على الحرباء
الواقع فاعلا وهى طائر مشهور من شانها انها تستقبل الشمس وتدور معها
كيف دارت وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة وهى على قدر القطا او قريب
منها قال بعضهم وهذا الطائر الذى هو الحرباء موجود فى بلاد الشام
كثيرا وذكر من رآها انها اذا وقع عليها ثوب ابيض صار لونها ابيض
او اصفر صار لونها اصفر مثله وانها اذا رات ذبابة على الارض وهى على الشجرة
التقطتها بلسانها لطول لسانها اهـ ثم رايت فى حياة الحيوان الكبرى للعلامة
كمال الدين الدميرى ما نصه الحرباء كنيته ابو حجارف وابو الزنديق وابو شقيق
وابو قادم قال الامام القزوينى فى عجائب المخلوقات لما كان الحرباء خلقا
بطىء النهضة وكان لا بد له من القوت خلقه الله على صورة عجيبة فخلق عينيه
تدور الى كل جهة من الجهات حتى يدرك صيده من غير حركة فى بدنه ولا قصد
اليه ويبقى كانه جامد كانه ليس من الحيوان ثم اعطى مع السكون خاصية اخرى
وهى انه يتشكل فى لون الشجرة التى يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها

فاذا شمت بشره ونداه
اذهلتك الانوار والانواء

او بتقبيل راحة كان لله
وبالله اخذها والعطاء

ثم اذا قرب منه ما يصطاده من ذباب وغيره اخرج لسانه ويخطف ذلك
بسرعة كلحوق البرق ثم يعود الى حاله كانه جزء من الشجرة وخلق الله لسانه بخلاف
المعتاد ليلحق ما بعد عنه بثلاثة اشبار ونحوها يصطاد به على هذه المسافة واذا
رأى ما يريبه ويخيفه تشكل ويكون على هيئة شكل ينفر منه كل ما يريد من الجوار ح
ويكرهه بسبب ذلك التلون انتهت والحرباء اكبر من القطاة وهى تستقبل
الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون بحر الشمس كما قال الامام الغزالى
الوانا مختلفة فتتلون الى حمرة وخضرة وصفرة وما شاءت وهو ذكر والجمع
الحرابى والانثى حرباية وهى ابدا تطلب الشمس فحين تبدو تحرف بوجهها اليها
حتى اذا استوت الشمس علت راس شجرة وما يجرى مجراها فاذا صار قرص الشمس
فوق رأسها بحيث لا تراها اصابها مثل الجنون فلا تزال طالبة لها ولا تفتر
الى ان تنصوب الى جهة الغرب فترجع بوجهها اليها مستقبلة لها ولا تنحرف
عنها الى ان تغيب فاذا غابت الشمس طلب هذا الحيوان معاشه ليله كله الى
ان يصبح وهذا الحيوان يشبه راس العجل وعلى هيئة السمكة الصغيرة ولها
اربعة ارجل كسام ابرص وسنام كسنام البعير فاذا شمت اى فبسبب
هذا الجمال الباهر والاحسان الكثير اذا شمت بالمعجمة من شمت البرق نظرت
الى سحابه وقوله بشره اى طلاقة وجهه وقوله ونداه اى جوده اى اذا
تطلعت الى مخايله ببصرك منتظرا اليه اذهلتك اى انستك ما انت بصدده
الانوار الباهرة التى تحصل لك من بشره عند رؤية وجهه وقوله والانواء جمع
نوء وهو ما تضيف العرب الامطار اليه من النجم او وقته نحو مطرنا بنوء الثريا
وهى هنا كناية عن الخيرات الواصلة منه لمن بداه واملّه ففيه لف ونشر مرتب
لرجوع الانوار للبشر والانواء للنداء او بتقبيل راحة لما نهى رؤية الوجه
الكريم واتبعه باوصافه العلية اخذ فى تمنى تقبيل راحته الكريمة ووصفها باوصافها
العلية فقال او بتقبيل اى اولته خصنى بتقبيل راحة واو بمعنى الواو والراحة
بطن الكف لكن المراد بها هنا الكف بتمامها اى بتقبيلها فى اليقظة او فى
النوم على ما مر من الوجوه الاربعة فى رؤية الوجه وقد وقع تقبيلها فى اليقظة
لكثير كالقطب الرفاعى لما حج ووقف على القبر الشريف وانشد

في حالة البعد روحى كنت ارسلها تقبل الارض عنى وهى نائبتى
وهذه دولة الاشباح قد حضرت فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فخرجت له اليد الشريفة من القبر فقبلها بحضرة الناس ووقع ذلك ايضا

لشيخ الناظم القطب المرسى فانه قال صافحت بكفى هذه كف النبى مرارا انتهى
ومن لازم هذا تقبيلها وقوله كان لله اى لاجل ابتغاء وجهه دون غرض
آخر وقوله وبالله اى بسبب شهود اعانته واقداره وقوله والعطاء اسم مصدر
بمعنى الاعطاء وذلك ببراءتها عن كل غرض ينافى الكمال الاعظم   تتقى بفتح
التائين اى تخاف وتحذر وقوله باسها اى شدتها فى الحرب وقوله الملوك
كقيصر وكسرى والمقوقس وقوله وتحظى بفتح التاء اى تفوز وتظفر
بالغنا الحسى والمعنوى وقوله من نوالها اى اعطائها وذلك لانه كان اجود
الناس ومع ذلك يعيش عيش الفقراء بايثاره على نفسه وعياله وكان جوده
كله لله وفى ابتغاء مرضاته ببذل المال تارة للفقراء وتارة ينفقه فى سبيل الله
وتارة يتالف به من يقوى اسلامه او من يسلم باسلامه نظراؤه   لا تسل
اصله تسأل بالهمز ثم خفف لحذفه كما قرئ به فى سأل سائل وقوله سيل هو
الماء الكثير الجارى وقوله جودها بفتح الجيم وهو المطر الغزير اى لا تسأل
هذا الامر المكنى به عن سعة عطائه وجوده فان هذا شئ لا يقدر احد من
البشر قدره وقوله انما اى ان الذى يليق بك ان تسأل ما يكفيك وهو
ان يصل اليك من وكف اى قطر سحبها جمع سحاب والانداء جمع نداء وهو البلل
على ان بلل هذا القطر فيه الغنا الكلى   درت الشاة اى ارسلت لبنها الغزير
وقوله فلها اى فبسبب ذلك صار لها بعد فقد اللبن منها بالكلية اذ لم يكن
طرقها فحل قط وقوله ثروة اى كثرة لبن وقوله بها اى بسبب تلك الراحة
الكريمة وقوله ونماء اى زيادة فى تلك الثروة وهذه القصة وقعت له
لما خرج من غار ثور مهاجرا الى المدينة ومعه ابو بكر ومولاه عامر بن فهيرة فاخذ
بهم الدليل طريق الساحل فمروا بقديد قرب رابغ على ام معبد عاتكة بنت خالد
الخزاعية وكانت برزة اى كثيرة البروز للرجال مع عفتها وصيانتها وانما
تبرز لهم لتسقى العطاش وتطعم الجائعين وكان الوقت وقت قحط فطلبوا
منها لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوا عندها شيئا فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة
فى جنب الخيمة تخلفت عن صواحبها ان تسرح معها لضعفها من شدة الجوع
فسألها هل بها لبن فقالت هى اجهد من ذلك وما ضربها فحل قط فقال اتاذن
لى ان احلبها قالت نعم ان رايت بها حلبا فاحلبها فدعى بالشاة فاعتقلها اى جعل
رجلها بين ساقه وفخذه على عادة حلب الشياه ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت
اى فرقت بين رجليها ليسهل حلبها ودعا باناء يشبع الجماعة فحلبه من حلبها

بين

ومنى

تتقى باسها الملوك وتحظى
بالغنا من نوالها الفقراء

لا تسل سيل جودها انما يك
فيك من وكف سحبها الانداء

درت الشاة حين مرت عليها
فلها ثروة بها ونماء

وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة بعد اخرى فتركه عندها
وذهبوا   نبع الماء اى ومن اوصاف تلك الراحة ايضا انه نبع الماء اى
بها اذ قول الناظم فيما ياتى بها راجع لكل من الامرين نبع الماء واثمار النخل
ولم يقل منها مع انه المتبادر ليفيد ان نبع الماء وقع تارة منها نفسها وتارة
من غيرها ببركتها اما الاول فقد وقع مرات كثيرة فمنها ما فى الصحيحين
عن انس ان الناس احتاجوا لصلاة العصر فلم يجدوا ماء فاتى النبى
بوضوء فوضع يده فى ذلك الاناء فنبع الماء من بين اصابعه حتى توضؤا
وكانوا ثمانين وفى رواية البخارى ان الماء نبع من بين اصابعه ومن اطراف
اصابعه ووقع نظير ذلك فى غزوة تبوك وكانوا الفا وخمسمائة وظاهر
الروايات ان الماء نبع من نفس اللحم الكائن فى الاصابع وصححه النووى
وجزم به غيره وانما استدعى قليل ماء تادبا مع ربه فانه المنفرد بايجاد
المعدومات من غير مادة واما الثانى فمنه ما وقع فى الحديبية انهم
اتوا على بئرها وكان ماؤها قليلا فنزحوه ثم عطشوا فاخذ صلى الله عليه
وسلم سهما من كنانته فغرزه فى قعر البئر ففارت البئر ومكثوا عليها اياما
عديدة يستقون لانفسهم ومواشيهم وكانوا الفا واربعمائة وماؤها
كثير الى الآن وقوله اثمر النخل اى فى عامه اى فى سنة غرسه وقوله
بها اى بسبب تلك الراحة الكريمة وذلك فى قصة سلمان الفارسى وحاصلها
انه لما قدم المدينة اتاه سلمان فآمن به وكان مسترقا فامر ان يكاتب
سيده فكاتبه على غرس ثلثمائة ودية وتعهدها حتى تثمر وعلى اربعين اوقية
ذهبا فاخبر سلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فامر اصحابه ان
يعينوه بالودى فاعانوه به ثم غرسه صلى الله عليه وسلم بيده فما مات منها
واحدة بل اثمرت كلها فى عامها وبقى عليه الذهب فجاء رسول الله بمثل بيضة
دجاجة من ذهب فاعطاها له فقال واين تقع هذه مما على فقال خذها
فان الله سيؤدى بها عنك فوزن لهم منها اربعين اوقية قال سلمان
والذى نفسى بيده انه قد فضل منها قدر ما وزنت لهم وقوله
سبحت بها اى فيها الحصباء لغة فى الحصى وحاصل قصته انه كان عنده
ابو بكر وعمر وعثمان فقبض حصيات فسبحن فى كفه حتى سمع لهن
حس كحس النحل فسكتن ثم وضعهن فى كف ابى بكر فسبحن فى كفه كذلك ثم عمر
كذلك ثم عثمان كذلك ثم اخذها الحاضرون فلم تسبح مع احد منهم

نبع الماء واثمر النخل فى عا
مه بها سبحت بها الحصباء

وسعنى تسبيح الحصى وغيره من الجمادات ان الله خلق فيه اللفظ الدال
على التنزيه حقيقة خرقا للعادة احيت المرملين اى ومن اوصافها ايضا
انها احيت المرملين الذين نفدت ازوادهم من القحط حتى اشرفوا على الموت
فشبه انقاذهم من الهلاك باحياء الموتى على سبيل الاستعارة التصريحية
التبعية وقوله من موت جهد اى قحط شديد والاضافة بيانية مبالغة
بادعاء ان ذلك الجهد لما كان قريبا من الموت اطلق عليه اسمه وقوله اعوز
القوم يقال اعوزه الشئ اذا احتاج اليه فلم يقدر عليه اى عز وتعذر عليهم
وقوله فيه اى فى ذلك الجهد وقوله زاد عبر به مع انه يقال لطعام المسافر
خاصة وذلك للاشارة الى انهم لما حصلت لهم تلك الشدة صاروا كالمسافرين
المشرفين على الهلاك فتغدى الغدا بفتح الغين المعجمة والدال المهملة
يقال لما يؤكل من اول النهار الى الزوال والعشاء بفتح العين ما يؤكل بعد
الزوال الى الفجر كما فى القاموس واما الغذاء بكسر الغين المعجمة والذال
المعجمة فهو اسم لما يؤكل على سبيل التقوت فى اى وقت كان فقول الناظم
فتغدى بالغين المعجمة والدال المهملة وذلك لان قصة جابر كانت فى اول
النهار وقوله ظماء جمع ظامئ اى عاطش اما تروى الالف الظماء بالماء
القليل النابع من بين اصابعه تارة وببركته اخرى فقد مر الكلام عليه
والتعبير فيه بالصاع للاشارة الى تقليله لا لخصوص هذا المقدار وانما
ذكره للمشاكلة لما قبله وكذلك التعبير بالالف المراد به العدد الكثير
ففى بعض المواطن كالحديبية كانوا الفا واربعمائة او خمسمائة خصوصا
وقد مكثوا اياما عديدة على ما مر وفى بعضها كغزوة تبوك كانوا الوفا مؤلفة
واما تغدى الالف الجياع بالصاع فهو ما فى الصحيحين عن جابر انه راى
بالنبى فى حفر الخندق جوعا شديدا فذهب لامرأته واخبرها فاخرجت
صاعا من شعير وشاة فذبحها وطحنت الشعير ثم ذهب للنبى فاخبره وطلب
ان يأتى بنفر قليل معه فصاح النبى يا اهل الخندق ان جابرا قد صنع لكم
سورا فحيهلا بكم والسور بالفارسية هو الطعام وقد كان النبى يتكلم
تارة بغير العربية ثم امره ان لا ينزل البرمة ولا يخبز العجين حتى يجى فلما جاء
بصق فى العجين وفى البرمة وبارك فيهما ثم امرها ان تدعو خابزة تخبز
معها وان تغرف من برمتها ولا تنزلها فاكلوا وهم الف حتى تركوه وان عجينهم
وبرمتهم كما هما ووفى بالتخفيف قد زبيضة اى بيضة دجاجة من نضار

بعم

ضم النون اى ذهب وقوله دين سلمان اى الفارسى اى الدين الذى كان
عليه من جملة ما كاتبه عليه سيده وهو اربعون اوقية من الذهب كما مر
مع صغر تلك البيضة وعظم ذلك الدين وقوله حين حان اى قرب
الوفاء اى حلول الاجل كان يدعى قنا اى ارق بالباطل وملخص
قصته كما حكاه هو عن نفسه انه كان من اصبهان واجتهد فى المجوسية
حتى صار رئيسا فمر بكنيسة للنصارى فاعجبوه لانهم كانوا حوارى عيسى
وكانوا يتعبدون على ذلك الدين حين كان حقا فذكر ذلك لابيه فقيده
وقال له دينك ودين ابائك خير من دينهم وكان سلمان قد سالهم عن اصل
دينهم اى عن العلماء الكبار فيهم فقالوا له بالشام فلما حبسه ابوه ارسل
اليهم اذا جاءكم احد من الشام فاخبرونى ففعلوا فحل القيد وسافر الى
الشام فاجتمع بالنصارى هناك فسالهم عن اعلمهم فدلوه عليه فخدمه الى
ان مات ثم خدم من اقيم مقامه فلما احتضر قال له بمن توصينى قال بفلان
بالموصل فسافر اليه واخبره بقصته ثم خدمه فلما احتضر قال له بمن توصينى
قال بفلان بنصيبين بلدة من بلاد اليمن فسافر اليه واخبره خبره ثم خدمه
فلما احتضر قال بمن توصينى قال بفلان بعمورية من ارض الروم وكانت
محل قيصر وهى مدينة كبيرة فسافر اليه واخبره خبره ثم خدمه فلما احتضر
قال له بمن توصينى قال يا بنى ما اعلم احدا على ما كنا عليه حتى آمرك ان تاتيه
وانه قد اظل زمان نبى هو مبعوث بدين ابرهيم يخرج من ارض العرب
مهاجرا الى ارض بين حرتين به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة
بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بارضه فافعل ثم مات
فمر بى نفر من كليب فقلت لهم تحملونى الى ارض العرب واعطيكم ما عندى
فحملونى فلما بلغوا وادى القرى مكان قريب من المدينة ظلموه فادعوا انه
فباعوه من يهودى فباعه لابن عم له من بنى قريظة بالمدينة قال فحملنى اليها
فعرفتها فبعث صلى الله عليه وسلم بمكة فلم اسمع له ذكرا ثم هاجر الى المدينة
فبينا انا ذات يوم على راس نخلة اجنى لسيدى رطبا اذ جاءه ابن عم له
فقال له قاتل الله بنى قيلة وهى ام الاوس والخزرج انهم الان مجتمعون
بقباء على رجل قدم اليهم من مكة يزعمون انه نبى فاخذتنى رعدة وشدة
حتى ظننت انى ساقط فنزلت فقلت لسيدى ماذا قال لك هذا فغضب
ولطمنى لطمة شديدة وقال ما لك ولهذا اقبل على عملك فلما امسى اخذ طبقا

من رطب وذهب به الى رسول الله وهو بقباء ووضعه بين يديه فقال
ما هذا يا سلمان فقال له هذا صدقة فامر اصحابه باكله ولم ياكل منه فلما
قدم المدينة اتاه بطبق آخر من رطب فقال له ما هذا فقال هدية لك
فاكل منه ثم ذهب النبي الى البقيع وقد تبع جنازة فجاء سلمان فجعل ينظر
الى ظهره فعرف النبي انه يتامله لشئ وصف له فالقى رداءه عن ظهره
فراى خاتم النبوة فقص عليه حديثه واسلم فامره ان يكاتب سيده نظرا
لظاهر حاله والا فهو من جملة الاحرار اذ هو من اتباع حوارى عيسى
فكاتبه سيده على غرس ثلثمائة نخلة وتعهدها حتى تثمر وعلى اربعين اوقية
ذهبا فغرس له النخل فاثمرت من عامها واعطاه مثل بيضة من ذهب
فوفت الاربعين فاعتق باداء النجوم وعاش سلمان من العمر مائتين وخمسين
سنة وقيل اكثر وقوله لما اى حيث اينعت اى نضجت من نخيله حال
من قوله الاقناء جمع قنو وهو العذق بكسر العين اى العرجون واما
بفتحها فهو النخلة   افلا تعذرون الهمزة داخلة على محذوف اى
اتظلمون سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد فلا تعذرون سلمان بضم
الذال المعجمة اى ترون له عذرا يمنعكم من ايذائه ومنعه وقد وضح الدليل
عندكم على نبوته وقوله لما ان عرته اى حين عرته اى اعترته وغشيته
وقوله من ذكره اى من اجل ذكره اى ذكر اليهودى لقربه النبى واجتماع
الناس به فى قباء وقوله العرواء بضم العين وفتح الراء والمد اى
قوة الحمى فى اول اخذها الانسان بالشدة والرعدة   وازالت اى ومن
اوصاف تلك الراحة ايضا انها ازالت بلمسها لمن به امراض كل داء وقوله
اكبرته اى استعظمته وعجزت عن مداواته وقوله اطبة جمع طبيب
وهو العالم بعلم الطب الذى حفظ صحة الانسان وقوله واساء
بكسر الهمزة اى مرضى جمع آس كرعى وراع روى الدارمى ان امراة جاءت
الى النبى فقالت يا رسول الله ان ابنى به جنون وانه لياخذه عند غدائنا
وعشائنا فمسح صدره فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى والجرو ولد
الكلب والسباع   وعيون اى ومن اوصافها ايضا انه برئ بها عيون
باصرة مرت اى تلك الراحة وهى رمد جمع رمداء تانيث ارمد اى معطلة
الابصار وقوله فاريتها اى ارت تلك الراحة العيون ما لم تر اى الشئ
البعيد الذى لم تره الزرقاء المشهورة بزرقاء اليمامة التى كانت ترى

من مسيرة ثلاثة ايام روى البخارى فى غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال
اين على اى ليعطيه الراية ليكون الفتح على يديه فقالوا يشتكى عينيه قال
ارسلوا اليه فاتى به فبصق فى عينيه ودعا فبرئ حتى كان لم يكن به وجع وفى
رواية عن على قال فوضع راسى فى حجره ثم بصق فى راحته فدلك بها عينى
فما اشتكيتهما قط   واعادت على قتادة بن النعمان عينا له قد ذهبت
وقوله حتى اى الى حماليق النجلاء اى الواسعة والمراد واسعة النظر وقصته
ان عينه اصيبت يوم احد فوقعت على وجنته وفى رواية على كفه فاتى بها
النبى وقال يا رسول الله ان لى امراة احبها واخشى ان ترانى اعور فتكرهنى
فقال صلى الله عليه وسلم اختر اما ان اردها لك او اضمن لك على الله الجنة
فقال اختار الاول يا رسول الله فاخذها بيده وردها الى موضعها وقال
اللهم اكسها جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وقد وفد على عمر
ابن عبد العزيز رجل من ذرية قتادة فقال له عمر من انت فقال

ابونا الذى سالت على الخد عينه   فردت بكف المصطفى ايما رد
فعادت كما كانت لاول امرها   فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فوصله عمر واحسن جائزته قال السهيلى وفى رواية عن قتادة فاصيبت
عيناى يوم احد فسقطتا على وجنتى فاتيت بهما النبى فاعادهما مكانهما
وبصق فيهما فعادتا تبرقان واخرج الطبرانى عنه قال كنت يوم احد اتقى
السهام بوجهى دون وجه رسول الله فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فاخذ
بيدى وسعيت الى رسول الله فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال اللهم ق
قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا ويجمع
بين رواية الواحدة ورواية الثنتين بان احد الرواة ظن ان الساقط واحدة
وبعضهم علم انه ثنتان فاخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم ان زيادة الثقة مقبولة
وبها ترجح رواية الثنتين   او بلثم الترب او بمعنى الواو اى وليته حظى
فى اليقظة او النوم نظير ما مر بلثم اى تقبيل التراب وقوله من قدم متعلق
بمحذوف اى المنفصل من قدم اى قدمه عليه الصلاة والسلام وقوله
حياء اى لاجل الحياء فهو مفعول لاجله او تمييز اى من جهة الحياء
وقوله من مشيها اى من اجل مشيها اى تلك القدم وقوله
الصفواء جمع صفاة وهى الحجر الصلد اى شديد الصلابة وفى هذا تنبيه للعاقل
على انه ينبغى له ان يكون على غاية من الحياء من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

لانه اذا علم ان الحجر استحيا منه ان يبقى على صلابته فيشق عليه مشيه عليه فلان له
حتى يسهل عليه مشيه عليه فالعاقل اولى بالاستحياء من ان يبقى على مخالفته
مع علمه بجليل اوصافه وما ذكره الناظم ذكره غير واحد ممن تكلم على الخصائص
وقال بعضهم واعجب من هذا انه كان اذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه
خرقا للعادة في كل منهما وقال بعضهم لم يثبت كل من الامرين فقد قال
السيوطي لا اعلم ذلك ولم احفظه واذا سئل الحافظ عن شيء وقال لا اعلمه
يكون في الغالب موضوعا   موطئ بدل من التراب وقوله الاخمص
بضم الميم والمراد به الجنس اي الاخمصين وهو من التعبير بالبعض عن الكل
اذ الاخمص من القدم الموضع المرتفع من باطنها الذي لا يلصق بالارض
ولا يصلها عند المشي وكان خمصه اي ارتفاع وسط باطن قدمه معتدلا
وهو الممدوح بخلاف البالغ في الارتفاع فهو مذموم وبخلاف القدم التي
لا اخمص لها اي لا ارتفاع فيها بل هي مستوية فهي مذمومة ايضا وتسمى رحاء
واما التي فيها الخمص فتسمى خمصاء والارتفاع فيها يسمى خمصا والموضع المرتفع
يسمى اخمصا بوزن افلس وقوله الذي نعت للموطئ وقوله منه حال من
المبتدأ المؤخر وهو وطاء وقوله للقلب خبر مقدم والجملة صلة الموصول
والقلب الفؤاد وقوله اذا مضجعي بفتح الجيم اي جنبي الذي اضطجع عليه
وقوله اقض بالقاف والمعجمة اي اصابه القضض وهو التراب الذي
يعلو الفراش كما في القاموس والمراد تراب مسته القدمان الشريفان وقوله
وطاء اي فراش فقد وصف ذلك التراب الذي هو موطئ القدمين الشريفين
بانه لو فرض ان مضجعه اصابه منه شيء يكون ذلك الشيء الذي اصاب المضجع
الذي هو الجنب فراشا لقلبه فالمعنى انه اذا رقد على تراب مسته القدمان
الشريفان صار القلب ايضا راقدا عليه وصار فراشا له كما هو فراش للجنب
ومعنى كونه فراشا للقلب ان سره يسري من جنبه الى قلبه فيه فاذا سرى اليه
اناره وازاحه من الاغيار وصيره على اكمل الاحوال وصانه من قبائح الخطرات
والاهوال كما ان الفراش للبدن يقيه ويصونه ويريحه من المؤذيات فالجامع
ترتب الراحة على كل   حظي اي ومن اوصافها ايضا انه حظي كرضي المسجد
الحرام المراد به جميع الحرم كما في غالب آياته في القرآن وقوله بممشاها اي بمشي
تلك القدم فيه اي فضل حرم مكة سائر البقاع حتى المدينة ما عدا القبر المكرم
بواسطة ولادة النبي وتربيته ونشأته فيه وهذا ما عليه اكثر العلماء والحديث

الدال

موطئ الاخمص الذي منه للقلب اذا مضجعي اقض وطاء

حظي المسجد الحرام بممشاها ولم ينس حظه ايلياء

الدال على افضلية المدينة موضوع كما اعترف به امام المالكية ابو عمر بن عبد البر
وصرح بان افضلية مكة هي الحق عند من الهم رشده وبرئ من التعصب
وقوله ولم ينس حظه اي شرفه ايلياء اي بيت المقدس اي بل شرفه بمشيه
فيه ايضا وصلاته بالانبياء ليلة الاسراء ولم يذكر الناظم المدينة لان شرفها
عارض بحلوله صلى الله عليه وسلم فيها بخلاف شرف المسجد الاقصى والمسجد
الحرام فهو قديم   ورمت اي ومن اوصافها ايضا انها ورمت بكسر الراء
والمضارع كذلك فيقال ورمت القدم ترم اي اصابها الورم وهذا من
الشواذ اي كون الماضي على فعل والمضارع على يفعل بكسر العين فيهما شاذ
والقياس ان يكون المضارع على يفعل بفتح العين وهذا كما في الحديث انه صلى
الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا
والفاء للسببية اي أأترك تهجدي فلا اكون عبدا شكورا قال ابن بطال
في هذا الحديث اخذ الانسان على نفسه بالشدة في العبادة وان اضر ذلك
ببدنه لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بان الله قد غفر له ما تقدم
وما تاخر فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلا عن من لم يامن انه استحق النار
قال بعض المفسرين قام صلى الله عليه وسلم ليله على قدميه الا قليلا
فلما تورمت قدماه كان يقف على اطراف اصابعه فانزل الله طه اي طأ
الارض بكل قدمك واسترح مما انت فيه من التعب فانا ما انزلنا عليك
القرآن لتشقى وقوله اذ رمى بها اي وقت او لاجل ان رمى بها ظلم الليل
فيه استعارة بالكناية حيث شبه القدم الشريفة بسهم صائب من حيث
ان قيام القدم في طاعة الله اوجب زوال ظلمة الليل ووحشته كما ان رمي
السهم في طاعة الله يزيل صولة العدو ووطأته واثبات الرمي لها استعارة
تخييلية وقوله الى الله اي لما كان قيام الليل كذلك ينشأ اما عن مزيد خوف
من العذاب او سعة رجاء للثواب بين الناظم ان قيامه لم يكن لاجل ذلك
وانما كان لمحض الشكر مع التلذذ بمناجاة الله والقيام بين يديه وان خوفه
ورجاءه اللذين وصل فيهما الغاية انما كانا لمحض التقرب بهما الى الله فقال
الى الله خبر مقدم وقوله خوفه مبتدأ مؤخر وقوله والرجاء معطوف على
المبتدأ اي سعة امله فيما عنده تعالى لا الى غرض بل لوجه الله تعالى وقال
القرطبي ظن من سأله صلى الله عليه وسلم عن سبب تحمله المشقة في العبادة

ورمت اذ رمى بها ظلم الليل الى الله خوفه والرجاء

دميت في الوغى لتكسب طيبا ما اراقت من الدم الشهداء

انه انما يعبد العبد ربه خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة فمن تحقق انه
غفر له لا يحتاج الى ذلك فافاده صلى الله عليه وسلم ان لتكلف العبادة
طريقا آخر وهو الشكر اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن
كثر ذلك منه يسمى شكورا لكنه قليل وكان قيام الليل في اول الاسلام
واجبا عليه وعلى امته ثم نسخ عن الامة بالصلوات الخمس وكذا عنه على
الاصح   دميت اى ومن اوصافها ايضا انها دميت اى خرج منها
الدم في الوغى هو الصوت ويقال للحرب لما فيها من كثرة اختلاط
الاصوات والثانى هو المراد هنا وقوله لتكسب اى تلك القدم
وقوله طيبا مفعول ثان مقدم وقوله ما اراقت مفعول اول
مؤخر اى الذى اراقته وقوله من الدم بيان لما وقوله الشهداء
فاعل باراقت وهو جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل او مفعول اى من حكمة
خروج الدم من قدمه المشرفة ان يعود طيب ذلك الدم وبركته على
جميع دم الشهداء في سائر الاوقات فطيب ريح دم الشهداء الذى
اخبر صلى الله عليه وسلم عنه بانه كريح المسك انما هو مكتسب من
دم قدمه اى من ريح دمها قيل وكان على الناظم ان يذكر هذا في اليد
لان الذى في البخارى انه دميت اصبعه فقال هل انت الا اصبع
دميت   وفي سبيل الله ما لقيت   وقد يصحح كلام الناظم بحمله على ما وقع
له صلى الله عليه وسلم مع ثقيف حيث خرج لهم فدعاهم الى الله فاغروا
به سفهاءهم فرموه بالحجارة الى ان ادموا رجليه فجلس من شدة الاذى
وزيد بن حارثة مولاه يقيه منهم فان قلت ليس هنا حرب والناظم
قيد ذلك بالوغى قلت قد علمت ان اصل الوغى الصوت والجلبة
وهذا موجود هنا بل نلتزم ان فيه حربا لانه اقام عندهم شهرا يدعوهم
وهم لا يجيبونه بل يغرون به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمونه بالحجارة
حتى اختضبت نعلاه بالدم وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى شج راسه
شجاجا وهذا اى حرب لان من اقام بين ظهرانى العدو يواجههم بما يكرهو
محاربهم فقد وجد من جانبهم ضرب وجرح وغيرهما ومن جانبه غلظة عليهم وسبهم
ولا الهتهم   فهى قطب المحراب الخ اى واذا تقرر انه صلى الله عليه وسلم قام على قدميه حتى تورمتا
وانها دميت في الحرب لتكسب طيب دمها دم الشهداء طيبا فهى قطب المحراب وهذا راجع
للاول وقوله والحرب راجع فيه للثانى فهو لف ونشر مرتب اى فهى اى قطب المحراب اى محل الصلاة

فهى قطب المحراب والحرب كم دا رت عليها فى طاعة الله ارحاء

وقطب الحرب اى انتهى اليها الثبات في الصلاة والحرب الى حالة لم توجد
في غيرها فهى قطب العبادات والجهاد في سبيل الله لا تتحرك ولا تنتقل
من مكانها فلذا دارت عليها قبائل العرب الذين اكرمهم الله بالاقتداء به
صلى الله عليه وسلم والمجاهدة معه كما قال كم اى مرات كثيرة دارت عليها
في طاعة الله وقوله ارحاء جمع رحى بالقصر والمراد بها هنا قبائل العرب
وقطب الرحا ما تدور عليه ويسمى امير الجيش قطب رحى الحرب لانها انما تدور
عليه واستفيد من ذلك انه صلى الله عليه وسلم مركز دائرة الوجود ونقطة
المخلوق هو لاجلها ففى الارحاء استعارة تصريحية حيث شبه القبائل
التابعين له في العبادة والحرب بالارحاء بجامع اعتماد كل على غيره وعدم
استقلاله بدونه فكما ان الرحاء لا تستغنى عن قطبها ولا تتخلف عنه
كذلك اصحاب رسول الله بالنسبة اليه   واراه اى اعلم انه لو لم
لو شرطية وهى مع شرطها وجوابها سدت مسد المفعول الثانى لاراه
وقوله يسكن بها اى بقدمه الشريفة وقوله قبل بالبناء على الضم
اى عند ابتداء تحركه به وقوله حراء مفعول يسكن وهو هنا بالصرف
لا غير لاجل الوزن وان كان في حد ذاته يجوز فيه الصرف وعدمه كما مر
وقوله ماجت اى تحركت واضطربت وقوله به اى بالنبى وفي
نسخة بها اى القدم وقوله الدأماء بالدال المهملة هو في الاصل اسم
للبحر والمراد به هنا الجبل ففى الكلام استعارة تصريحية حيث شبه
الجبل بالبحر لانه لما تحرك به صلى الله عليه وسلم اشبه تحركه تحرك البحر
براكبه وقوله ماجت ترشيح لانه يناسب المشبه به وهو البحر اذ لا يستعمل
ماج الا في الماء كما يصرح به كلام القاموس وح فالمعنى انه لو لم يسكن
بقدمه حراء قبل اى عند ابتداء تحركه به بقوله له اثبت حراء لماج اى استمر
اضطرابه وتحركه الى آخر الدهر وفي الكلام اظهار في مقام الاضمار لما عرفت
ان المراد بالدأماء الجبل وقد ذكر لكنه اتى بالاسم الظاهر ليتوصل الى
تشبيه الجبل بالبحر الذى بنى عليه الاستعارة لما فيها من البلاغة ويصح
حمل النظم على ان المراد لو لم يسكن حراء قبل اى قبل طلوعه عليه باقامته
فيه للتعبد قبل النبوة لاستمر تموجه واضطرابه حين طلع عليه ثانيا
هو واصحابه ويصح ان يراد بالدأماء الارض فالمعنى لو لم يسكن بقدمه
حراء اى بتعبده فيه قبل النبوة لماجت به الارض بعد النبوة فرحا وطربا

وأراه لو لم يسكن بها قبل حراء ماجت به الدأماء

منطقه وما فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلائل البعث والاخلاق
الكريمة وقوله والجن ذكرهم مع الانس مقتبس من قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن الاية والاقتصار على النوعين لانهم الذين تتاتى منهم المعارضة
والمعاندة لعدم عصمتهم والا فالملائكة عاجزون ايض كعجز الانس والجن
وقوله فهلا هي في الاصل للتحضيض والمراد بها هنا التهكم والتوبيخ
والتنديم لمن زعم امكان المعارضة كبعض اهل الضلال والالحاد وقوله بها
اي الاية وفي نسخة به اي بما ذكر من الاية وفي نسخة ببعضها اي الاية لكن
الثالثة يختل بها النظم وقوله البلغاء جمع بليغ وهو من فيه ملكة يقتدر
بها على ايراد الكلام البليغ اي المطابق لمقتضى الحال بان يدل على ما يقتضيه
حال المتكلم او المخاطب من تنكير او تعريف وتقديم او تاخير واظهار او اضمار
وايجاز او اطناب الى غير ذلك واسباب اعجازه اربعة احدها ما فيه من
الايجاز والبلاغة والتراكيب بحيث وصل في كل منها الى المرتبة العليا لفظا
ومعنى لصدوره ممن احاط علمه بجميع مراتب الالفاظ ومعانيها فلا يضع
لفظة عقب اخرى الا اذا لم يجد غيرها ابلغ ولا انسب منها وغيره ليس كذلك
ومن ثم لما سمع اعرابي قوله تعالى فاصدع بما تؤمر سجد وقال سجدت
لفصاحة هذا الكلام ولما سمع نصراني قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه الاية قال جمعت هذه الاية ما انزل على عيسى من الامر
والنهي ثانيها انه مع كونه من جنس كلام العرب خارج عن سائر فنونه
من النظم والسجع والخطب والشعر ونحوها فحير عقولهم حتى لم يهتدوا
الى مثل شيء منه اذ لا امثال له يهتدى اليه ثالثها تاثيره في النفوس والقلوب
بحيث يوجد من اللذة والحلاوة عند سماعه ما لا يوجد عند سماع غيره
ومن ثم كان قارئه وسامعه لا يمل بل كلما ازداد تكريرا ازدادت حلاوته
بخلاف غيره رابعها ما فيه من الاحاطة بعلوم الاولين والاخرين
ما فرطنا في الكتاب من شيء ومن الاخبار بالمغيبات مما كان ويكون
وقال بعض المحققين اعجازه من وجهين اما الذاتي من حيث لفظه
ومعناه المخصوصان اذ ليس تاليفه على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح
ان يقال له رسالة ولا خطابة ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب
لا تخرج عن ذلك واما الصرف الناس عن معارضته والاعجاز في هذا ظاهر
ايض لانه ما من صناعة محمودة او مذمومة الا وبينها وبين قوم مناسبة

خفية او جلية ولذا تجد هذا يؤثر حرفة لانشراح صدره لها وآخر يكرهها
وينشرح لاخرى فلما دعا الله اهل البلاغة الذين يهيمون في كل واد من
المعاني الى معارضة القرآن فعجزوا عن الاتيان بمثله ولم يتصدوا للمعارضة
لم يخف على ذوي الالباب ان صارفا الهيا صرفهم عن ذلك والوجه الثاني
يعبر عنه بالقول بالصرفة ومعناه انه كان في قدرتهم ان يعارضوه لكن
الله صرفهم عن ذلك بان سلب قدرتهم عليه فلم يكن معجزا لذاته بل للغير وهذا
مع ان الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز للقرآن والقول بالصرفة
يلزمه اضافته الى الله لا الى القرآن وح يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان
التحدي وفيه خرق لاجماع الامة على ان معجزة الرسول باقية ولا معجزة
له باقية اظهر من القرآن ويلزم القول بالصرفة ايض انه لا افضلية للقرآن
على غيره فان قلت القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين الضدين
وهو محال قلت معنى قدرتهم ان هممهم توجهت الى المحاكاة لظنها القدرة
عليها فعجزت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا الى المعارضة اصلا لقطعهم
من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لهم عليها البتة فان قلت توجه الهمم
الى المعارضة مع العجز عنها في نفس الامر لا يسمى قدرة قلت ممنوع
بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولا شك ان اهل
البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة عن المحاكاة ابتداء بل بعد الاختبار
فتامله لتعلم سقوط ما قيل كيف يخاطبون بالتحدي مع القطع بعجزهم عنه
ونظير ذلك خطاب من علم الله منهم عدم الايمان بالايمان كابي جهل
وابي لهب نظرا لقدرتهم عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر للغايات
والعواقب ومن الفاسد ايض قول فريق من اهل الضلال ان الكل قادرون
على الاتيان بمثله وانما تاخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا
اليه به ومنه ايض قول آخرين ان العجز انما وقع من الموجودين واما من بعدهم
ففي قدرتهم الاتيان بمثله ومما يرد عليهم ان جماعة ممن انتهت اليهم
الرياسة في الفصاحة تعرضوا للمعارضة كابن المقنع والمعري والمتنبي
ونظرائهم فلم ياتوا الا بما تمجه الاسماع وتنبو عنه الطباع كل يوم نحو
اي ولاشتمال القرآن على ما لا يحصى من العلوم المغيبات واحوال العالم
الدنيوي والاخروي وغير ذلك من العجايب كان كل نوع اي كل وقت تهدي
فاعله القراء الآتي اي توصل الى من سمعه وافاد التعبير بتهدي تشبيه

المعجزات بالذخائر المهدات فهو استعارة بالكناية والاهداء تخييل وقوله
معجزات المراد بها هنا الامر الغريب وان لم يصدق عليه حد المعجزة السابق
وقوله من لفظة من ابتدائية وذلك لعذوبته وانسجامه وجزالته وغاية
ايجازه مع غاية فصاحته وبلاغته وخروجه عن جنس كلام العرب حتى صار
جنسا آخر متميزا عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة اخباره الصادقة
تارة عن الامم الماضية واخرى عن المغيبات وما فيه من العلوم التى لا يمكن حصرها
وقوله القراء فاعل تهدى كما مر ووجه الاهداء والايصال ان من سمع
الفاظ القرآن وتدبرها حق التدبر علم من كل لفظ باعتبار ما دل عليه امرا
معجزا لا يعارض ولا يناقض تتحلى به اى واذا بلغ القرآن فى الجلالة
التى مرت الاشارة اليها ما لم يبلغه غيره كان حقيقا بانه تتحلى به اى تتسم
المسامع من التحلية بمعنى لبس الحلى وقوله والافواه اى وتتحلى بالفاظه
الافواه من الحلوى اى ذوق الشئ الحلو وقوله فهو الحلى راجع للاول
والحلواء راجع للثانى ففيه لف ونشر مرتب رق لفظا اى حسن من
جهة لفظه فلا تجد لفظة منه فيها ما ينافى كمال الرقة الموجبة للفصاحة من
تنافر او تعقيد وقوله وراق اى تصفى من شوائب النقص فاعجب
كل ناظر فيه وقوله معنى تمييز كسابقه اى من جهة المعنى فلا تجد معنى
من معانيه الا وهو واصل فى الاحكام ووضوح المراد الغاية القصوى
وقوله فجاءت اى فبسبب كونه رق وراق جاءت فاعله الخنساء وقوله
فى حلاها وحليها حال منها اى حال كونها فى حلاها اى صفاتها الجميلة وقوله
وحليها اى زينتها وقوله الخنساء المراد بها هنا بنت عمرو اخت صخر وانما
كان المراد بها هذه مع ان الخنساء كثيرة لانها كانت شاعرة مفلقة واما
الخنساء بنت خويلد وبنت عمرو بن الشديد فصحابيتان وهما خلاف اخت صخر
وشبه سور القرآن فى صفاتها العلية وتزينها بما اودعته من الاسرار الالهية
بامرأة بلغت من الزينة واوصاف الحسن ما لا يمكن التعبير عنه واستعار
اسم تلك المرأة وهو الخنساء لسور القرآن استعارة تصريحية وصح جريانها
فى العلم لانه اشتهر بوصف فصح ان يؤول بمتحلى كما علمت من التقرير
وارتنا اى اوضحت لنا فيه اى القرآن وقوله غوامض فضل اى خفايا
فضل كالعلوم والمعارف المستنبطة منه التى لا حد ولا غاية لها ومن ثم
جاء عن على كرم الله وجهه لو شئت ان اوقر بعيرا من تفسير سورة الضحى لفعلت

تتحلى به المسامع والافـ
واه فهو الحلى والحلواء

رق لفظا وراق معنى فجاءت
فى حلاها وحليها الخنساء

وارتنا فيه غوامض فضل
رقة من زلالها وصفاء

وقوله رقة فاعل ارتنا وقوله من زلاله اى كائنة من زلاله والزلال بضم
الزاى ماء فى غاية الحلاوة والبرودة يوجد فى اجواف صور توجد فى نحو الثلج
تشبه الحيوان وليست فى الحقيقة بحيوان كما قاله بعض الاكابر وقوله
وصفاء اى من ذلك الزلال شبه اى القرآن فى محاسن اساليبها وصفاء
موردها الموجبين لمن حقق النظر فى خفاياها وحقق فكره فى غوامضها
برد اليقين وصفاء القلب حتى اطلع على سائر الغوامض من العلوم
الالهية والمواهب الرحمانية بماء فى غاية العذوبة والبرودة وصفاء الجوهر
ورقتها بحيث لا يمنع من رؤية ما تحته واستعار اسم الماء وهو الزلال
لآيات القرآن فهى استعارة تصريحية انما تجتلى الخ هذا جواب
عن ايراد تقريره كيف تقولون وارتنا فيه غوامض فضل مع ان كثيرا
من الناس لا يرى شيئا من معانى القرآن ولا يفهمه فاجاب بقوله
انما تجتلى الخ اى ان آى القرآن كعروس مزينة فيراها من اهديت له
ومن هو اهل لها واما غيره فبينه وبينها الحجب فاشار لذلك بكلام
جامع بديع على عادته فقال انما تجتلى الوجوه اى تظهر ظهورا واضحا لا اخفاء
معه بوجه اذا قوبلت بالمرآة وقوله اذا ما ما زائدة وقوله جليت
اى ازيلت وقوله عن مرآتها بكسر الميم والمد وقوله الاصداء جمع صدء
وهو وسخ الحديد الذى يركب عليه فكذلك مرآة القلوب لا تجتلى لها العلوم
والمعارف من القرآن الا اذا جليت عنها اصداء الاغيار وجاهدت فى ذلك
اناء الليل واطراف النهار سور بالسين جمع سورة وهى الطائفة
المخصوصة المسماة باسم مخصوص توقيفى وقوله منه من لبيان الجنس
لان المشابهة المذكورة جارية فى جميع سوره وقوله اشبهت صورا
بالصاد جمع صورة وصورة كل شئ شكله ووجه الشبه اشتمال كل
من سور القرآن وصورنا على ما لم يوجد فى غيره فسور القرآن كل منها
يشتمل على علوم مستقلة لا تتوقف على ما فى الاخرى من العلوم وصورنا
ايضا تشتمل كل واحدة منها على عقل وفهم وادراك لا يشاركه فيه غيره
ولا يتوقف عليه فالحاصل ان سور القرآن مشبهة بصورنا من حيث
تميز كل سورة منها عن الاخرى بما اشتملت عليه من الصفات الجميلة
اللفظية والمعنوية كما ان صورنا امتازت كل واحدة منها عن الاخرى
بالصفات الخلقية والخلقية وقوله ومثل النظائر جمع نظير وقوله

انما تجتلى الوجوه اذا ما
جليت عن مرآتها الاصداء

سور منه اشبهت صورا منا
ومثل النظائر النظراء

النظراء جمع نظير ايض وهو المثل والمناظر وتطلق النظائر على الافاضل
والاماثل من الناس اى ومثل النظائر اى الاماثل والافاضل النظراء
اى سور القرآن لان بعضها يناظر بعضا كما سبق فالمعنى ان سور القرآن
تماثل الافاضل منا فما بعد لفظة مثل هو المشبه به كما هو القاعدة كقوله
زيد مثل الاسد وهذا ساقه المتن مساق المثل فهو تاكيد للتشبيه قبله
لكنه على سبيل اللف والنشر المشوش فالنظائر هى الصور بالضاد والنظراء
هى السور بالسين   والاقاويل جمع قول والمراد به هنا اللفظ المفيد
وقوله عندهم اى الكفار حال من المبتدا او ظرف للخبر وهو قوله كالتماثيل
جمع تمثال وهو الصورة يعنى ان تقولهم فى القرآن وافتراءهم عليه بما
يقدح فيه امر مزخرف مموه كما ان التصاوير التى يخترعها المصورون
كذلك فكما ان هذه لا وجود لها فى الحقيقة ولا اعتبار بها فكذلك تقولهم
المذكور وقوله فلا يوهمنك اى واذا تقرر ان جميع ما قالوه فى القرآن
باطل قطعى البطلان فلا يوهمنك الخطباء اى الوعاظ منهم المتكلمون
فى القرآن بما لا يليق اى فاحذر ان يوقع فى وهمك اى ذهنك ادنى ريب
اوشك فى شئ من اوصاف القرآن التى مر بيان بعضها المزخرفون للكلام
الباطل فى القرآن   كم ابانت كم خبرية اى مرات كثيرة ابانت اى اوضحت
وقوله آياته جمع آية وهى لغة العلامة واصطلاحا طائفة من السورة
منقطعة عما قبلها وما بعدها وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال
آيات القرآن ستة آلاف آية وستمائة وستة عشر آية وقوله من علوم
من زائدة فى الاثبات على رأى جماعة اى علوما لا غاية لها قال تعالى
ما فرطنا فى الكتاب من شئ وعن الحسن البصرى انزل الله مائة واربعة
كتب واودع علومها فى اربعة منها التورية والانجيل والزبور والفرقان
ثم اودع علوم الثلاثة غير القرآن فيه مع زيادات لا تنحصر وقال
الشافعى جميع ما تقوله الامة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن
وقال ايض جميع ما حكم به النبى فهو مما فهمه من القرآن وقال بعضهم
لم يحط بعلوم القرآن الا الله ثم نبيه صلى الله عليه وسلم فيما عدا ما استاثر
الله بعلمه ثم ورث عنه معظم ذلك اعلام الصحابة مع تفاوتهم فيه كابى بكر
فانه اعلمهم بنص ابن عمر وغيره وكعلى كرم الله وجهه لقوله صلى الله عليه وسلم
انا مدينة العلم وعلى بابها ومن ثم قال ابن عباس جميع ما ابرزته لكم

والاقاويل عندهم كالتماثيل
فلا يوهمنك الخطباء

كم ابانت آياته من علوم
عن حروف ابان عنها الهجاء

من التفسير فهو من على كرم الله وجهه وكابن عباس حتى قال لو ضاع لى عقال
بعير لوجدته فى كتاب الله ثم ورث عنهم التابعون معظم ذلك ثم تقاصرت الهمم
عن حمل ما حمله اولئك من علومه فنوعوا علومه انواعا ليضبط كل طائفة
علما وفنا ويتوسعوا فيه بحسب مقدرتهم ثم توافر غالب تلك العلوم وتلك
الفنون حتى كادت ان تخرج عن الحصر وقال بعضهم علومه خمسون علما
واربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون الف علم على عدد كلم القرآن مضروبة
فى اربعة اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع ومما قيل فى معنى البطن والظهر
ان ظاهر الكلمة ما ظهر من معانيها لاهل العلم بالظاهر وباطنها ما تضمنته
من الاسرار التى تطلع عليها ارباب الحقائق والمراد بالحد احكام الحلال
والحرام وقوله ومقطع سبق قلم والاولى بدله ومطلع اى اشراف على الوعد
والوعيد كما فى الاتقان وقال بعضهم اصول علومه ثلاثة توحيد ووعظ
وحكم ولذا سميت الفاتحة ام القرآن لاشتمالها على هذه الثلاثة وكانت الاخلاص
ثلثه لاشتمالها على الاول وقوله عن حروف حال من علوم وعن متعلقة بمحذوف
اى حال كونها متولدة وناشئة عن حروف اى قليلة بالنسبة الى تلك العلوم
اذ جميع حروفه ثلثمائة حرف وثلاثة وعشرون الف حرف وستمائة الف حرف
وواحد وسبعون حرفا وهذه الحروف ليس المراد بها حروف الهجاء بل مسمياتها
فحروف التهجى اسماء كاشفة عن تلك المسميات كما قال ابان اى كشف عنها الهجاء
اى التهجى وهو تعداد الحروف بذكر اسمائها فانك اذا قلت ضرب مركب من
ض ر ب فقد عددت الحروف البسيطة التى هى مادة الكلمة قبل ان تحصل
صيغتها والمراد هنا ان يتهجى بالاسماء عن المسميات حتى يتبين موضوع كل
وبيانه ان الحرف الذى هو اول زيد مثلا له مسمى وهو زوالخطا فيه بحذف
هاء السكت لا يؤثر لانه للتعليم وله اسم هو الزاى لانه تعتريه سائر علامات
الاسم   فهى كالحب اى هذه الحروف القرآنية وان عزرت معانيها وكثرت
احكامها لا يستبعد منها ذلك وان كانت قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد
منها لان لها مثلا لا يقربها نوع تقريب وذلك المثال انها كالحب الذى يلقيه
الزراع والنوى الذى يلقيه الغراس بالارض فينشأ عن الاول من السنابل والحبوب
ما يكاد ان لا يحصى ولا يتناهى وعن الثانى من الثمر ما هو كذلك واذا وصل
الى تلك الحالة اعجب الزراع اى والغراس كما يدل عليه ذكر النوى ففى الكلام
اكتفاء ولف ونشر مرتب بعود الزراع للحب والغراس للنوى وعود السنابل للا

فهى كالحب والنوى اعجب الزر
اع منه سنابل وزروع

والزكاة لهما وقوله منها اى من تلك الزروع والاثمار وقوله سنابل
فاعل اعجب وقوله وزكاء بالزاى اى نمو يفوق الحصر بحيث لو اجتمع اهل
الارض على استقصاء عددها لما اطاقوه فوجه الشبه ان المتناهى هنا
كما يحصل منه ما لايتناهى فكذلك حروف القرآن هى متناهية ويحصل
منها من العلوم والمعارف ما لايتناهى وهذا المثال على سبيل التقريب
للعقول والا فشتان ما بين الامرين كما لايخفى فاطالوا فيه معطوف
على قوله زادوا ضلالا اى وعجبا للكفار مع هذه المعجزات والايات البينات
استمروا على ما هم عليه من غاية الاعراض والانكار فاطالوا فيه التردد والريب
اى الشك وهو عطف مرادف وقوله سحرا اى تمويه لاحقيقة له واصل
السحر لغة كل ما لطف مأخذه ودق وقوله افتراء اى كذب وضلوا فيما
قالوا بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ لا ياتيه الباطل الاية وهذا كله ينادى
عليهم بالبوار والعناد وانهم لاعقل لهم ولا رأى ولا استعداد
واذا البينات اى ولكن ليس بكثير على من عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق
لما هو المقرر فى العقول السليمة من الحكم البديعة الجامعة انه اذا كانت البينات
اى الحجج القطعية الواضحة وقوله لم تغن شيئا اى لم تفدهم شيئا من الهدى
وقرائنه فالتماس الهدى اى طلبه منهم وقوله بهن اى بتلك الحجج وقوله
عناء بالعين المهملة والمد اى تعب لايفيد شيئا وفى نسخة لهن باللام
والضمير للكفار ولينظر ما وجه تأنيثه واذا ضلت اى عن
طريق الحق وقوله على علم اى مع علم منها بتلك الطرق اى اضلها خالقها
وقوله فماذا تقوله اى قول تقوله النصحاء من الانبياء والمبلغين
عنهم فقولهم حينئذ لايفيد شيئا والبيت الاول من هذين البيتين
مقتبس من قوله تعالى وما تغنى الايات والنذر الاية والثانى
من قوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه الاية تنبيه لايتوهم
من النظم انه مخالف لقول الائمة اجمعت الامة على التكليف بالمحال الغير
كتكليف ابى جهل مثلا بالايمان مع علم الله بانه لايؤمن وذلك لان
التكليف بذلك انما هو بالنظر للحالة الراهنة المنطوى عنا عاقبتها فهم
بالنسبة اليها مكلفون بالايمان لقدرتهم عليه ظاهرا وان كانوا عاجزين
عنه باطنا لعلم الله بانهم لايؤمنون لان هذا لانظر اليه والا لارتفع
الاختيار وثبت القول بالجبر المنافى لما جاءت به الشرائع فاحذر

فاطالوا فيه التردد والريب فقالوا سحر وقالوا افتراء

واذا البينات لم تغن شيئا فالتماس الهدى بهن عناء

واذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء

آن تميل اليه فتزل قدمك ويحق ندمك واستحضر قوله تعالى لايسئل
عما يفعل وهم يسئلون واعلم ان سائر كتب الله لا اعجاز فيها من حيث النظم
والتاليف لان السنتهم لاتفى بذلك بخلافها من حيث الاخبار بالغيوب
فان الكل جميعا يشترك فيه ولكون السنتهم كذلك كان كل ما فى القرآن
حكاية عنهم انما هو حكاية لمعنى الفاظهم ذكره ابن جنى وغيره اى فهى من
حيث الاخبار بالمغيبات كلها معجزة بخلافها من حيث النظم والتاليف
فلا معجز منها الا القرآن قوم عيسى لما فرغ من الحجاج مع المشركين
وبين ما آل اليه امرهم شرع فى الكلام مع اهل الكتابين ليبين ما آل اليه
امرهم ايضا فقال قوم عيسى اى يا قوم عيسى وهم النصارى وقوله قوم
موسى وهم اليهود وقوله بالذى اى بالتصديق بكتابهم وهو التورية
فان النصارى صدقوا بها وقوله عاملتكم صلته محذوفة اى عاملتكم
بنظيره وهو التصديق بكتابكم وهو الانجيل وقوله الحنفاء اى المسلمون
من هذه الامة جمع حنيف وهو المائل عن كل دين الى الدين الحق
صدقوا شروع فى بيان ما ابهمه بقوله عاملتكم فقال صدقوا
اى قوم عيسى فى هذا التفات من الخطاب الى الغيبة والا فكان
الظاهر ان يقول صدقتم كتبهم وقوله كتبكم هى التورية وما بعدها
كالزبور وفى هذا التفات عن الغيبة فى قوله قوم موسى وقوله وكذبتم
اى ايها اليهود كتبهم اى كتب قوم عيسى وهى الانجيل وجمع للمشاكلة
او لتنزيله منزلة كتب متعددة وهذا اى قوله وكذبتم كلام مستقل
ليس من جملة البيان لما قبله وقوله ان ذا الذى فعلتموه ايها اليهود
من التكذيب بالانجيل مع تصديق النصارى بالتورية لبئس البواء
اى الصنيع الذى رجعتم به القهقرى وهذا مقتبس من قوله تعالى
وباؤا بغضب من الله هكذا قال الشارح ولا يصح لان الاقتباس
ان يؤتى بلفظ القرآن او الحديث مع عدم التنبيه على انه منه والذى
فى النظم هنا لفظ البواء وهو غير لفظ القرآن اذ هذا اسم وذاك فعل
فلو قال وهذا تلميح لقوله تعالى الخ لكان اوضح لو جحدنا من الجحد
وهو الانكار عن علم وقوله جحودكم اى مثله بان انكرنا كتابكم
كما انكرتم كتابنا وكتاب عيسى فالخطاب مع اليهود وقوله
لاستوينا اى معكم فى الجحد وقوله او للحق اى يكون ذلك منا لا

قوم عيسى عاملتم قوم موسى بالذى عاملتكم الحنفاء

صدقوا كتبكم وكذبتم كتبهم ان ذا لبئس البواء

لو جحدنا جحودكم لاستويتم او للحق بالضلال استواء

اذ لا يتصور ذلك كيف وليس للحق وهو ما نحن عليه من التصديق بجميع
كتب الله ورسله وقوله بالضلال اى وهو ما انتم عليه من التصديق
بالبعض والكفر بالبعض وقوله استواء اى مساواة لا بل بينهما غاية
التضاد فالحاصل اننا لم نجحد شيئا من كتاب الله وانما وقع الجحد من
اليهود لكتاب النصارى ومن النصارى لكتاب اليهود خلاف ما يوهمه النظم
قال تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى
ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب اى المكذب لهم فى ذلك وكأن
الشارح اخذ من هذا قوله وانما وقع التجاحد من اهل الكتاب اذ التعبير
بالتفاعل مصرح بما ذكر مما يخالف النظم ويوافق ظاهر الاية اه وقد يقال
لا يلزم من ادعاء كل فرقة فى الاخرى ما ذكر انكار كتابهم اذ لا مانع ان
النصارى قائلون فى اليهود ذلك مع قولهم انهم ليسوا على شئ باعتبار
تبديلهم وتغييرهم فصح ما فى النظم ويحتمل ارجاع ضمير صدقوا وكتبهم
الى الحنفاء وضمير الخطاب فى كتبكم وكذبتم للفريقين اليهود والنصارى
ويكون ذلك تفسيرا لعاملتكم الحنفاء وفى السياق ما يؤيد كلا من الاحتمالين
لكن الاول اقرب ولما كان من المعلوم المستقر ان اليهود اشد الناس
حسدا قال تعالى ام يحسدون الناس على ما آتيهم الله من فضله وانهم
حسدوا عيسى حتى قتلوه فى زعمهم الفاسد واستمر حسدهم للنصارى
من بعدهم حتى قالوا ليست النصارى على شئ الموجب لقول النصارى
فيهم ذلك ايضا وان الطائفتين حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم
وامته حتى وقع منهم من العناد ما لا يصدر عن سخفاء العقول فضلا
عن غيرهم شرع الناظم فى بيان ذلك كله منهم على وجه بديع فقال مالكم
الى آخره   مالكم اى اى شئ حصل لكم معشر الفريقين وقوله اخوة
الكتاب منادى اى يا اخوة الكتاب المراد به الجنس الشامل لكتابيهما
سماهم بذلك اى بالاخوة للكتاب لانهم لما اجتمعوا فى الاحكام
والتكاليف التى فى الكتاب صاروا مستويين فيه كاستواء الاخوة فى
الانتساب الى اصل واحد فليس المراد ان الاخوة بينهم وبين الكتاب
كما يوهمه تعبير الناظم بل المراد انهم اخوة بعضهم مع بعض من حيث
انتسابهم الى الكتاب فالكتاب سبب فى اخوة بعضهم لبعض وقوله
اناسا حال وقوله ليس يرعى نعت لاناسا وهو المقصود بالحالية

لين

مالكم اخوة الكتاب اناسا
ليس يرعى للحق منكم اناس

فاناسا حال موطئة واسم ليس قوله اخاء ونائب فاعل يرعى ضمير مستتر فيه
يعود على الاسم المذكور وان تأخر لفظا وقوله اخاء اى مؤاخاة اى ليس
يصدر منكم مراعاة للدين الحق بالقيام بما يجب من الحقوق التى منها تصديق
محمد صلى الله عليه وسلم عملا بما فى كتبكم من النصوص الكثيرة لنبوته وعموم رسالته
يحسد الاول الاخير اى ومن عدم رعايتكم لذلك انه يحسد بعض
النبيين الاول الاخير كما وقع لليهود انهم حسدوا عيسى حتى زعموا انهم قتلوه
وصلبوه وما درى الملاعين انه شبه لهم مثله فقتلوه ونجاه الله منهم ثم رفعه
الى السماء لينزل آخر الزمان حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا وراء
المهدى اول نزوله ليعلم انه نزل تابعا لهذه الامة عاملا بشريعة نبيها ومنها
اى من تلك الشريعة انه لا يقبل الجزية بل يقتل كل يهودى ونصرانى فى الارض
واما فى اثناء مدته فيكون اماما للمهدى وغيره وقوله وما زال كذا
اى على هذا الحال المذكور من حسد الاول للاخر المحدثون والقدماء من لدن
آدم الى اليوم   قد علمتم اى يا اهل الكتاب وقد للتحقيق بظلم قابيل
من اضافة المصدر الى فاعله وهو اول اولاد آدم وهم اربعون رزقهم
من حواء فى عشرين بطنا فى كل بطن ذكر وانثى وبارك الله فى نسله فى حياته
حتى بلغوا اربعين الفا وعاش آدم الف سنة وقوله هابيل بشدخ راسه
بين حجرين وهو ثانى اولاد آدم حسدا له وسبب الحسد ان آدم امر قابيل
ان يزوج اخته لهابيل فامتنع وقال لا اختى احسن فلا امكنه منها ولا ارضى
اخته وذلك لان آدم كان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى وبالعكس
فكان اختلاف البطون فى شرعه بمنزلة اختلاف الانساب فلما امتنع
قابيل امرهما آدم ان يقربا لله قربانا وكانت علامة قبوله نزول نار من
السماء تاكله فقرب كل قربانه وكان هابيل صاحب غنم وكان لين الجانب
وكان قابيل صاحب صيد وقنص وكان فظا غليظا فاصطاد صيدا
وقربه وعمد هابيل الى كبش هو احسن غنمه فقربه فتقبل قربان هابيل فحسده
قابيل فقتله وكان عمر قابيل اذ ذاك خمسا وعشرين سنة وعمر هابيل عشرين
وعن ابن عباس انه لما قتله حمله على عاتقه مائة سنة وكان اذا مشى
تخط رجلاه الارض واذا قعد وضعه على جنبه الى ان رأى غرابين فتقاتلا
فقتل احدهما الاخر فبحث فى الارض فواراه فقال قابيل يا ويلتى اعجزت
ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوأة اخى فاصبح من النادمين

لته

يحسد الاول الاخير وما زا
ل كذا المحدثون والقدماء

تم

قد علمتم بظلم قابيل هابيـ
ـل ومن يظلم الاتقياء

اى على حمله لا على قتله وحزن آدم على قابيل فمكث مائة سنة لا يضحك
وقوله ومظلوم الاخوة الاضافة على معنى من ويصح جعلها على معنى فى
وقوله الاتقياء خبر المبتدا وصح الاخبار عنه بالجمع لان ال فيه جنسية فيصدق
بالجمع وغيره وانما كان المظلوم تقيا لانه الذى صبر على تحمل الاذى ولم
ينتقم لنفسه فليس المراد بالاخوة هنا خصوص قابيل وهابيل
وسمعتم معطوف على علمتم اى وقد سمعتم والسماع هنا لليقين فالتعبير به
هنا وبالعلم فى سابقه للتفنن وقوله يعقوب اسمه اسرائيل كما فى القرآن
اى عبد الله وهو ابن اسحق الذبيح عند الاكثرين لكن الاشهر انه اسمعيل وقوله
اخاهم هو يوسف عليه السلام وقوله وكلهم صلحاء اى فلا يتوهم من
كيدهم له ولا من ذكرهم اثر قابيل الكافر اللعين ان ذلك يننافى صلاحهم
لاتفاق العلماء على انهم صلحاء وعدل الى التعبير به دون ان يقول
وكلهم انبياء لان صلاحهم متفق عليه بخلاف نبوتهم ففيها الخلاف المذكور
وانما وقع منهم مع يوسف من الامور التى جرت بينهم وبينه لا يؤثر فى
صلاحهم ولا فى نبوتهم على القول بها لانه مبنى على تأويل كانت تجوزه شريعتهم
على ان فى عصمة الانبياء قبل النبوة خلافا محل بسطه كتب الاصول حين
القوه ظرف لكيد والقوه بفتح القاف وسكون الواو وكذا رموه الآتى
بفتح الميم وسكون الواو وقوله فى غيابة جب هو البئر الذى لم تطو اى لم تبن
وغيابته قعره وكادوه بذلك خوفا من تقدمه عليهم مع كونه اصغرهم وقوله
ورموه بالافك حيث قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يريدون يوسف
وقوله وهو براء جملة حالية اى برئ منه اى من الافك وفى تسمية الناظم
هذا القول منهم افكا نظر ظاهر بل لا يصح وقد جاء فى قوله تعالى ان يسرق فقد
سرق اخ له من قبل قال صلى الله عليه وسلم سرق يوسف صنما لجده ابى امه
من ذهب وفضة فكسره والقاه فعيره اخوته بذلك مع انه اراد بذلك الخير
وجاء فى رواية ان امه امرته بذلك لانها كانت مسلمة فالحاصل ان الذى
وقع منه صورة سرقة فذكروها بقولهم فقد سرق اخ له من قبل تعييرا له
فلم يكذبوا وانما عيروه بما لا عار فيه بل فيه غاية الرفعة والمدحة فتاسوا
اى واذا قد علمتم ما وقع لمن قبلكم من المحن وصبرهم عليها ففازوا برضى
الله ومحبته فتاسوا اى تعزوا والتاسى التعزى من تاسيت بفلان
تعزيت به اى حملت وقست حالى على حاله ففى التأسى تسكين النفس على الامر

وسمعتم بكيد بنى يعقوب ... اخاهم وكلهم صلحاء

حين القوه فى غيابة جب ... ورموه بالافك وهو براء

فتاسوا بمن مضى اذ ظلمتم ... فالتأسى للنفس فيه عزاء

المشق وتصبيرها عليه والتعزى الحمل على الصبر بوعد الاجر فمعنى التاسى
والتعزى واحد او متقارب وساغ ذكرهما على الاول لاختلاف لفظهما
وقوله بمن مضى قبلكم من الكمل وقوله اذ ظلمتم اى وقت او لاجل اذ
ظلمتم من الكفار بما رموكم به من الحسد والبغضاء والعداوة والقتال
وقوله فالتأسى اى فى المصايب لا سيما بالكمل وقوله للنفس فيه عزاء
اى تسل وتصبر بحملها على ان لا يصدر منها الا كمال الاخلاق والاعراض
عن النظر الى ما يصدر من اهل النفاق والشقاق اتراكم خطاب
للمسلمين المقصرين السابق ذكرهم فى قوله فتاسوا وترى فعل مضارع
فيه ضمير مستكن راجع لاهل الكتاب والكاف مفعول به واقعة على
المسلمين اى اتظنكم اهل الكتاب وفيتم بما عاهدتم الله عليه فاظهرتم الحق
ودمتم على العمل به وقوله حين خانوا ظرف لوفيتم الواقع موقع المفعول
الثانى للفعل المذكور وقوله خانوا اى اهل الكتاب اى خانوا ما عاهدوا
الله عليه فكتموا الحق وابوا قبوله من غيرهم وقوله ام تراكم مثل ما قبله
وقوله احسنتم فى محل المفعول الثانى اى فى اتباعكم نبيكم فى جميع
ما جاء به فلم تغيروا منه شيئا فى حياته ولا بعد وفاته وقوله اذ اساؤا
ظرف لاحسنتم اى اساؤا الطوية فلم يستمروا على العمل بما جاءتهم به رسلهم
بل بدلوه وغيروه بل تمادت اى بل لم ير اهل الكتاب منكم ايها المسلمين
شيئا من الوفاء ولا من الاحسان وانما الذى حملهم على عدم اتباع الانبياء
انه تمادت اى استمرت وتتابعت على التجاهل الموجب لرفض الحق واتباع
الباطل اى اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وانهم على خلافه وقوله
تقفته اى اتبعت آثارها الباطلة الابناء انا وجدنا آباءنا على امة الآية
هكذا حل الشارح هذا السياق وصنيعه يقتضى انهم لو راوا وفينا
واحسنا كان هذا هو الحامل لهم على عدم اتباعهم لانبيائهم يدل على
هذا قوله بل لم ير اهل الكتاب الى قوله وانما حملهم الخ وهذا لا يظهر كما لا يخفى
بينته اى الحق الذى من جملته نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعموم رسالته وقوله توراتهم
اى المنزلة على موسى ماخوذة من ورى الزند اذا قدحته ليخرج ناره والنار
تستلزم النور فهى ذات نور وقوله والاناجيل اى المنزلة على عيسى ماخوذ
من نجل الشئ اخرجه وجمع الانجيل باعتبار اجزائه او للتعظيم وقوله
وهم اى اليهود والنصارى وقوله فى جحوده اى جحود ذلك الحق الذى بينه

ام تراكم وفيتم حين خانوا ... ام تراكم احسنتم اذ اساؤا

بل تمادت على التجاهل آباء ... تقفت آثارها الابناء

بينته توراتهم والاناجيل ... وهم فى جحوده شركاء

ان تقولوا ما بيّنته فما زا / لت بها عن عيونهم عشواء
او تقولوا قد بيّنته فما للا / ذن عما تقوله صمّاء
عرفوه وانكروه وظلماً / كتمته الشهادة الشهداء
او نور الاله تطفئه الافـ / ـواه وهو الذى به يستضاء

كتاباهما وقوله شركاء اى يشتركون فلعنة الله عليهما   ان تقولوا ان
شرطية اى يا اهل الكتاب اليهود والنصارى وقوله ما بينته ما نافية
وفى الفعل ضمير مستكن راجع للتورية والاناجيل والضمير البارز للحق
المذكور وقوله فما زالت اى فلم تزل بها اى بالتورية والانجيل وقوله
عشواء فاعل زالت اى فلم تزل العشواء عن عيونهم بها اى بل هى باقية عليها
والعشواء بالمعجمة والمهملة المراد بها داء يعلوا العين الباصرة فيزيل ابصارها
وفى الكلام استعارة تصريحية حيث شبه بصائرهم اى قلوبهم بالعيون
التى فى الراس واستعار اسم المشبه به للمشبه والعشواء ترشيح لانه يناسب
المشبه به والمعنى ان انكروا بيان كتبهم للحق فقلوبهم لم تنجل ولم يزل عنها
الران بل هى على عماها وفى الكلام التفات عن الخطاب فى قوله ان تقولوا
الى الغيبة فى قوله عن عيونهم وكان الظاهر ان يقول عن عيونكم   او تقولوا
اى يا اهل الكتابين قد بينته اى الحق المذكور كما هو الحق والواقع وقوله
فما للاذن اى فاى شئ حصل للاذن اى لآلة سمعكم وقوله عما تقوله اى
التورية والانجيل واسناد القول اليهما مجاز والجار والمجرور متعلق بصمّاء
اى غير سامعة له سماع قبول اى فلا موجب للاعراض عن ذلك الا محض
العناد والحسد ولم يظهر لرفع صمّاء وجه اذ قوله فما للاذن مبتدا وخبر فلعل
لفظ صمّاء منصوب على الحال وضمه انما هو لاجل القافية   عرفوه
اى الحق السابق معرفة يقينية بسواطعهم وقوله وانكروه اى بظواهرهم
كما قال تعالى عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وهذا نتيجة الالزام السابق
وقوله وظلما مفعول لاجله مقدم على عامله وهو كتمته وقوله كتمته
اى الحق المذكور فالضمير مفعول به والفاعل قوله الشهداء واما قوله
الشهادة فهو بدل اشتمال من الضمير فى كتمته الذى هو المفعول به اى كتم
الشهداء الشهادة به والمراد بالشهداء اهل الكتابين سموا بهذا الاسم لانهم
عرفوا صفة النبى صلى الله عليه وسلم وصفة دينه معرفة قطعية ثم انكروا ذلك
وانما جحدا وعنادا وتلبيسا على ضعفائهم ليبقى لهم ما ينالونه منهم والمقام
للاضمار فمقتضى الظاهر ان يقول وكتموه او يقول وكتموا الشهادة به فعدل عن
هذا وعبر بالظاهر وهو الشهداء لاجل التسجيل عليهم ووصفهم بانهم شهداء
وقد كتموا ما يجب عليهم اداؤه وانما كانوا شهداء لانهم بلغوا من العلم به وتحققه
دينه مبلغ رؤية الشمس ومع ذلك كتموه   او نور الاله الهمزة داخلة على مقدر

او لا ينكرون من طحنتهم / برحاها عن امره الهيجاء
وكساهم ثوب الصغار وقد طلـ / ـت دماء منهم وصينت دماء
كيف يهدى الاله منهم قلوباً / حشوها من حبيبه البغضاء
خبرونا اهل الكتابين من ايـ / ـن اتاكم تثليثكم والبداء

اى اتكتمون ذلك وتظهرون الضلال ونور الاله الذى هو النبوة والرسالة
وقوله تطفوه من اطفيت النار اذهبت حرها وقوله الافواه اى الالسنة
المتقولة بالباطل وجواب الاستفهام مقدر اى لا يكون ذلك كما قال تعالى
يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره وكيف
يطفى ذلك النور الالهى وهو الذى به يستضاء ظاهرا وباطنا اى يتبصر
الحق من الباطل والصادق من الكاذب   او لا ينكرون الهمزة داخلة
على مقدر اى ايستمرون على ضلالهم وينكرون نبوته ولا ينكرون من طحنتهم
اى اهلكتهم وقوله برحاها اى اسلحتها وقوله عن امره متعلق بطحنت اى
طحنا ناشئا عن امره وقوله الهيجاء فاعل طحنت اى حربه وجواب الاستفهام
ف محذوف اى لا ينبغى لهم ذلك بل الذى ينبغى لهم الرجوع عن الضلال والاعترا
بانهم ان استمروا عليه طحنتهم برحا حربه كما طحن اباءهم وابناءهم واهاليهم
بجلاء بنى النضير الى ارض الشام والزمهم ان لا يحمل كل واحد منهم الا حمل
بعير من غير السلاح وقتل بنى قريظة   وكساهم اى ولشدة باسه
عليهم كساهم ثوب الصغار من اضافة المشبه به للمشبه والصغار الذل
وكسى ترشيح للتشبيه اى وانالهم واوقع بهم الصغار اى الذل الذى هو كالثوب
فى اشتماله على البدن واحاطته به وذلك الذل الذى وقع بهم كضرب الرق
على غير المقاتلين من بنى قريظة وقتل المقاتلين منهم وكاجلاء بنى النضير
من الحجاز وقوله وقد اى والحال انه قد طلت اى اهدرت واريقت
وسفكت وقوله دماء بالمد جمع دم وان كان فى المتن يقرء بالقصر
لضرورة النظم وقوله وصينت دماء اى منهم كبنى النضير فانهم اخرجوا
وطردوا من الحجاز من غير قتل واما الذين طلت دماؤهم فكبنى قريظة حيث
قتل منهم ستمائة او سبعمائة او ثمانمائة على الخلاف فى وقت واحد وفى
المصباح وطل دمه بالبناء للمفعول فهو مطلول واطل دمه وطله الله واطله
اهدره ولا يقال طل دمه بالفتح وابو عبيدة والكسائى يقولانه وقيل فيه
ثلاث لغات طل دمه وطل واطل   كيف يهدى الاله اى واذا تقرر
اتصاف اهل الكتابين بتلك القبائح الشنيعة حق ان يقال فى حقهم
كيف يهدى اى يوصل وقوله حشوها اى ملؤها وقوله من حبيبه
متعلق بقوله البغضاء ومن بمعنى اللام التى للتعدية اى حشوها بشدة
البغض لحبيبه   خبرونا اى اعلمونا يا اهل الكتابين التورية والانجيل

من اين استفهام انكاري وقوله تثليثكم راجع للنصارى اى ادعاؤكم انتها
النصارى ان الله ثالث ثلاثة والاثنان عيسى ومريم وقوله والبداء راجع لليهود
اى ومن اين ادعاؤكم القول بالبداء وهو بالموحدة والمهملة من بدأ الشئ
ظهر وهو ظهور مصلحة بعد خفائها اى لم يأت واحد من هذين عن دليل
صحيح وانما هو عن محض سفهكم وعنادكم والحاصل ان النصارى على
ستة فرق اربعة تقول بالتثليث واثنتان لا تقولان به فالاربعة احداها
تقول كل من ذات الله وذات عيسى وذات مريم اله مستقل واخرى تقول
الاله مجموع صفات ثلاثة الوجود والعلم والحياة ويسمون الوجود بالاب
والعلم بالابن والحياة بروح القدس ومع ذلك يقولون عيسى بن الله واخرى
تقول الاله مجموع ذات وصفتين ذات الله ويسمونها الاب والصفتان
الكلام والحياة ويسمون الاولى الابن والثانية روح القدس ويقولون
ان الكل اله واحد واخرى تقول الاله مجموع ذاتين وصفة فالذاتان ذات
الله وذات عيسى والصفة الحياة الحالة فى جسد عيسى والفرقتان
القائلتان بغير التثليث فرقة تقول الاله هو نفس عيسى والاخرى
تقول عيسى عبد الله ورسوله لكنها كفرت بشئ آخر وكلام الناظم مع
الفرق الاربع القائلة بالتثليث واما اليهود فعقيدتهم الفاسدة
هى البداء ورتبوا عليها ان شريعتهم لم تنسخ زاعمين ان النسخ يلزم عليه
البداء اى ظهور مصلحة لله فى الحكم الناسخ بعد خفائها عليه فى الحكم المنسوخ
ما اتى اى ما جاء بالعقيدتين المذكورتين كتاب من كتب الله
وقوله واعتقاد مبتدا خبره ادعاء وقوله لا نص فيه اى فى اثباته
وقوله ادعاء اى باطل لانه اختراع فى الدين بمجرد التشهى وكالنص حكم
العقل القطعى فالاعتقاد المستند اليه صحيح وان لم يرد فيه نص بل لو ورد
النص بخلافه وجب تأويل النص كآيات الصفات واحاديثها فظاهرها
محال عقلا فوجب صرفها عنه بتأويلها الى ما يوافق العقل والدعاوى
اى التى تقولون بها معشر اليهود والنصارى وهى بفتح الواو وكسرها كالفتاوى
بالوجهين وقوله ما لم ما مصدرية ظرفية وقوله بينات اى ادلة قطعية
لان الكلام فى الاعتقاديات وهى لا يفيد فيها الظن وقوله ابناؤها اى
نتائجها وقوله ادعياء اى باطلة جمع دعى وهو فى الاصل من ينسب الى
شخص بالكذب ومن يتبناه الانسان وليس بابن له وفى الكلام استعارة بالكناية

ما اتى بالعقيدتين كتاب واعتقاد لا نص فيه ادعاء

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات ابناؤها ادعياء

من حيث تشبيه دعاويهم بوطئ الزنا بجامع فساد كل وقبحه وعدم الاعتداد
بما ينشأ منه وذكر الابناء تخييل لانه من ملايمات المشبه به الذى هو وطئ
الزنا من حيث انه نتيجته والادعياء ترشيح وفى النظم اشارة الى قياس اقترا
نى من الشكل الاول صغراه الاعتقاد الذى لا نص فيه دعوى وهذه اشار
لها بالشطر الاول والكبرى والدعوى بلا بينة باطلة وهذه اشار لها
بالشطر الثانى ينتج الاعتقاد الذى لا نص فيه باطل ليت شعرى ليت
حرف تمن وشعرى معناه علمى اى ليتنى علمت لما تقولونه انضباطا حتى
اتكلم معكم فى رده بابلغ وجه وقوله ذكر الثلاثة اى الصادر منكم تارة
حيث قلتم ان الله ثالث ثلاثة وقوله والواحد اى وذكر الواحد الصادر
منكم تارة اخرى حيث ادعيتم توحيده وقوله نقص فى عدكم ام نماء اى
زيادة فحيث ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصا وحيث ذكرتم الواحد
كان ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لا يصدر عن عاقل لانكم
تارة تثبتون تعدد الاله وتارة تثبتون عدم تعدده ولذا قال متعجبا منهم
كيف وحدتم الخ واعلم ان فرق النصارى اربعة نسطورية ويعقوبية
وملكية ومرقوسية فالنسطورية بضم النون وفتحها اصحاب نسطور الحكيم
الذى ظهر فى زمن المأمون وتصرف فى الانجيل برأيه وقال ان الله واحد
ذو اقانيم ثلاثة وان عيسى ابنه والاقانيم جمع اقنوم ومعناه الاصل
وهذه الكلمة ليست فى لغة العرب وانما هى تركية والمراد بالاقانيم
الثلاثة الوجود والعلم والحياة ويعبرون عن الوجود بالاب وعن العلم
بالابن وعن الحياة بروح القدس واليعقوبية اصحاب يعقوب
راهب القسطنطونية قال ان المسيح هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى
السماء والملكية ويقال لهم ملكانية اصحاب ملكان الذى ظهر
ببلاد الروم قالوا المسيح عبد الله ونبيه وكفروا بشئ آخر كانكار البعث
والمرقوسية نصارى نجران قالوا الله ثالث ثلاثة والاخران عيسى وامه
لعنهم الله جميعا كيف وحدتم ايها القائلون بالتثليث وقوله الاباء
والابناء اى اللذان اتبعتموهما فى دعواكم التثليث اله استفهام
انكارى اى ايمكن ان يوجد اله مركب من ثلاثة اجزاء او اقل او اكثر لا
لانا ما سمعنا باله لذاته اجزاء بل ولا تعقلناه لانه مما يحيله العقل
الكل منهم الخ اى وبيان احالة العقل لما ذكر انه لو فرض اله مركب من اجزاء

ليت شعرى ذكر الثلاثة والواحد نقص فى عدكم ام نماء

كيف وحدتم الها نفى التوحيد عنه الاباء والابناء

االه مركب ما سمعنا باله لذاته اجزاء

الكل منهم نصيب من الملك فهلا تميز الانصباء

او متعدد قيل لهم الكل منهم نصيب اى جزء من الملك فان قالوا نعم قيل لهم
فهل لا وفى نسخة فلم لا تميز بالبناء للفاعل على انه ماض وهو ظاهر او مضارع ع
بحذف احدى التائين منه فهو مرفوع وقوله الانصباء اى نصيب كل
من الالهة حتى يكون ذلك التميز دليلا على ما زعمتموه اى والحال انه لا تميز
فلا تعدد كما هو بديهى اتراهم اى فان قالوا الكل نصيب او انصباء
لكنهم خلطوا انصباءهم قيل لهم اتراهم بضم التاء اى اتظنهم لحاجة اى احتياج ج
وقوله واضطرار هو شدة الحاجة الى الشئ وقوله خلطوها اى خلطا يمنع
تميزها فان قالوا نعم قلنا الاله لا يحتاج لان احتياجه دليل على عدم الوهيته
وان قالوا خلطوها لا لحاجة ولا اضطرار قلنا لهم لا يتصور وجود شركة بين
شريكين او اكثر من غير بغى احد الشركاء على بعض فلذا قال وما بغى اى والحال ل
انه ما بغى وما نافية اى ظلم الخلطاء اى الشركاء بعضهم على بعض لا يتصور
ذلك بل متى وجدت الشركة وجد التمانع والتنازع المستلزم لكل منهما خراب
هذا العالم المشاهد لانهما ان استويا فى القوة تمانعا ولم يقع فعل من احدهما
وان تفاوتا وقع مراد الغالب فقط وتخلف مراد المغلوب فيلزم ان لا انتظام
نظام هذا العالم واحتمال توافقهما دائما الذى يجوزه العقل لا نظر اليه
لانه مما تحيله العادة التى هى مناط الادلة القرآنية والاساليب العربية
واللازم المذكور باطل لانا نشاهد هذا العالم باقيا على اكمل وجوه الاتقان
ويلزم من ذلك انتفاء الشريك مطلقا وان الاله واحد اهو الراكب
الخ شروع فى بيان بطلان التعدد من وجه آخر وهو انه ثبت بالتواتر ان عيسى
كان يركب الحمار وح يقال لهم اتقولون فى حال ركوب عيسى للحمار هو الاله
الراكب للحمار فان قلتم انه هو فيقال لكم ركوبه يستدعى حدوثه وتعبه وهو
يستدعى عجزه والاله لا يكون عاجزا ولا حادثا وما زعمتموه يلزمه عجزه وحد دلثر
وقوله فيا عجز اله تعجب من دعواهم المستلزمة لذلك وقوله الاعياء
اى التعب وعبارة السنباطى ثم من النصارى من زعم ان الله هو عيسى
فيقال لهم من المعلوم ان عيسى كان يركب الحمار وح اتقولون هو اى الله هو
الراكب للحمار فما هذا الاعياء فيا عجز اله الخ ام جميع ام متصلة لمعادلتها
الهمزة تقولون الثلاثة الذين زعمتموهم آلهة جميع على الحمار فيقال لكم لقد جل ح
حمار بجمعهم اى الآلهة اى بجموعهم وقوله مشاء صيغة مبالغة من مشى
وح فيقال لهم بئس اله يحتاج الى ان يمشى به حمار ام سواهم ام ام تقولون

اتراهم لحاجة واضطرار خلطوها وما بغى الخلطاء
اهو الراكب الحمار فيا عجز اله يمسه الاعياء
ام جميع على الحمار لقد جل حمار بجمعهم مشاء
ام سواهم هو الاله فما نسبة عيسى اليه والانتماء

سواهم اى الثلاثة الذين على الحمار وقوله فما نسبة الفاء للسببية وما
استفهامية ونسبة مبتدا واليه خبر وقوله والانتماء هو الانتساب فهو
عطف مرادف على نسبة اى اخبرونى عن انتماء عيسى وانتسابه الى الاله ح
هل يوجب التثليث الذى زعمتموه وكل عاقل يجزم بانه لا يوجبه بل ولا يقتضيه
ام اردتم بها اى بالثلاثة التى زعمتم انها آلهة وقوله الصفات اى
القائمة بذات الاله والصفة ما دل على معنى زائد على الذات وقوله فلم
ما استفهامية حذفت الفها لدخول حرف الجر عليها وسكنت للوزن وقوله
ثلاث بالصرف للوزن وقوله بوصفه اى الاله وقوله وثناء اى واحاد
وحذف من باب الاكتفا وثلاث وثناء بضم اولهما معدولان عن ثلاث
ثلاث واثنين اثنين وليس المراد هنا هذا التكرير بل المراد الثلاث فقط
عند من ينظر الى مجموع الثلاثة والاثنان فقط عند من ينظر الى الاله
بالحقيقة والاله بالتجوز فان الاول واحد فقط والثانى اثنان فقط
وعلى كل فالصفات لا تنحصر فى ثلاث ولا فى ثنتين فالدعاء التثليث
تحكم صرف هكذا قال الشارح وقوله الاله بالحقيقة اى وهو عيسى
على كلامهم والاله بالتجوز هو الصفات الثلاثة التى قامت بعيسى
فيقولون الاله بالحقيقة هو عيسى والصفات الثلاثة آلهة بالتجوز
لقيامها بالاله بالحقيقة وهو عيسى ام هو اى عيسى اى ام تقولون
هو ابن لله فيقال لكم لما اختص عيسى بذلك اى بوصف البنوة لله حتى
انهم ما شاركته ما نافية اى لم تشاركه الانبياء فى معانى البنوة فما وجه
التخصيص فهذا تحكم باطل ايض فان قالوا انما خص بذلك لكونه لا اب له
فيقال لهم يرد عليكم آدم فانه لا اب له ولا ام قتلته اى عيسى
اليهود وقوله فيما زعمتم حال اى حال كون قتلهم له انما هو فى القول الذى زعمتم
معشر النصارى اى فلا يكون الها ولا ابنا له وايضا لم يتمكنوا من قتله
وقوله ولامواتكم اى والحال انه لامواتكم به اى بسبب عيسى احياء وهو
رد الروح الى الجسد بعد مفارقتها له اى انه كان فيكم يحيى الموتى فكيف
من يحيى الموتى يتمكن منه من يقتله لانه اذا كان يرد الحياة بعد ذهابها
باذن الله فكيف لا يحفظها على نفسه عن الذهاب باذن الله فتصديقكم
لليهود فى ذلك شاهد صدق على سخافة عقولكم وانكم تقعون فى التناقض
الصريح ولا تنتبهون له ان قولا اى مما حكى عنكم كقولكم بالتثليث

ام اردتم بها الصفات فلم خصت ثلاث بوصفه وثناء
ام هو ابن الاله ما شاركته فى معانى البنوة الانبياء
قتلته اليهود فيما زعمتم ولامواتكم به احياء
ان قولا اطلقتموه على الله تعالى ذكرا لقول هراء

اطلقتموه على الله تعالى عما تقولونه وقوله ذكرا معمول لتعالى على انه تمييز اى
تعالى من جهة الذكر اى الثناء عليه اى تعالى ذكره وثناؤه وقوله لقول هراء
بضم الهاء والراء المهملة من هراء الكلام اذا كثر فى الخطأ وفى نسخة بالزاى من
قولهم رجل هزءة بالتسكين اى يهزؤ به ويصح هزءة بالتحريك اى يهزأ بالناس
والمناسب هنا الاول وفى نسخة هذاء بضم الهاء والذال المعجمة من الهذيان
مثل ما قالت مثل يجوز نصبه حالا اى لقول هراء حال كونه مثل ويجوز
رفعه خبر مبتدأ محذوف اى هو مثل ما قالت اليهود وما مصدرية اى
مثل قول اليهود يعنى بالبداء فالتشبيه من حيث مطلق الكفر والفساد وان
تباين تفصيل كل من المقالتين وقوله وكل اى من الفريقين وقوله لزمته
اى لزمت دعواه وقوله شنعاء اى قبيحة جدا اذهم اى اليهود
استقروا البداء اى تتبعوه حتى قالوا اما عدا العيسوية منهم لا يجوز عقلا
ولا سمعا على الله نسخ ملة بملة لانه يوهم البداء وهو ظهور مصلحة بعد خفائها
حتى نسخ ما مضى لاجلها ووافقهم بعض غلاة الروافض ومنهم من جوزه
عقلا ومنعه شرعا واعلم ان شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ناسخة
لجميع الشرائع اجماعا واختلفوا فى شريعة عيسى هل هى ناسخة لشريعة
موسى او مخصصة والاظهر انها مخصصة لا ناسخة لقوله ولاحل لكم بعض
الذى حرم عليكم ومعنى التخصيص هنا نسخ بعض الاحكام فالقول الثانى
معناه نسخ جميعها قال الامام روى ان الرسل بعد موسى كلهم على شريعته
الا عيسى تنبيه ذكر الامام ايضا فى المطالب العالية فى الحكمة فى
نسخ الشرائع كلاما حسنا فقال الشرائع منها ما يعرف نفعه بالعقل معاشا
ومعادا فهذا يمتنع طرو النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته ابدا ومجامع
هذه الشرائع العقلية امران التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ومنها
سمعية لا يعرف الانتفاع بها الا من السمع وهذا يمكن طرو نسخه وتبديله
وحكمة نسخه ان الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف
صارت كالعادة وظن انها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها الى ما هو المقصود
من الاعمال من معرفة الله وتمجيده بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطريق
وعلم ان المقصود من الاعمال انما هو رعاية احوال القلب والروح فى المعرفة
والمحبة فان الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر الى
تطهير السرائر وفى السعى غيره حكمة ان الخلق طبعوا على الملالة من الشئ

مثل ما قالت اليهود وكل لزمته مقالة شنعاء

اذهم استقروا البداء واستوضحوا ... وبالا لانهم

مع

فذ

فوضع فى عصر كل رسول شريعة جديدة لينشطوا فى ادائها واعظم الحكم
اظهار شرف نبينا فانه نسخ بشريعته شرائعهم وشريعته لا ناسخ لها ومن
حكم النسخ ايضا ما فيه من حفظ مصالح العباد كطبيب يأمر بدواء فى يوم
وبآخر فى يوم آخر وهكذا بحسب المصلحة وان كان الثانى اثقل تنبيه
آخر ما زعمه اليهود من ان النسخ يستلزم البداء باطل لما تقرر ان المصالح
الداعية للنسخ ترجع اما لاحوال المكلفين او الازمنة وذلك لا يستلزم
البداء ولا يقتضى ان الله ظهر له شئ بعد ان لم يكن وزعم اليهود انه يستلزم
فمنعوا النسخ فعلم الجواب عن قولهم الفعل اما حسن فيستحيل النهى عنه
او قبيح فيستحيل الامر به فالنسخ محال على التقديرين وبيانه ان التحسين
والتقبيح العقليين باطلان وبتسليمهما فالعقل العادى قاطع بان
الفعل قد يكون مصلحة فى وقت مفسدة فى وقت آخر وكذا بالنظر
للمكلف يكون مصلحة فى حق واحد مفسدة فى حق آخر ولا مانع ان علمه تعالى
يتعلق بان حرمة كذا تنتهى بوقت او فعل كذا قالوا والسمع يمنع النسخ ايضا
لان اللفظ الدال على شرع موسى اما ان يدل على الدوام فان ضم اليه ما يقتضى
نسخه فهو تناقض وان لم ينضم له ذلك كفى فى العمل به مرة فلا يتصور فيه
نسخ قالوا ومما يمنعه ايضا ما علم بالتواتر من قول التوراة تمسكوا بالسبت
ابدا وجوابه انهم فى زمن بخت نصر قتلوا حتى لم يبق منهم الا دون عدد
التواتر بل قيل لم يبق منهم الا ستة اطفال على ان الابد كثيرا ما يراد به
الزمن الطويل كما فى التوراة فى صور كثيرة وقوله وكم اى مرات كثيرة وقوله
وبالا اى عذابا وقوله استقراء اى تتبع واراهم اى اعلمهم اى علم
انهم لقولهم بذلك اعنى امتناع النسخ لئلا يلزم البداء لم يجعلوا اى يعتقدوا
الواحد فى ذاته وصفاته وافعاله وقوله فى الخلق متعلق بالقهار ففى
بمعنى اللام ومتعلق بقوله بعده فاعلا لما يشاء فهى على حالها ووجه
عدم الجعل ان امتناع النسخ عليه يستلزم قهره وعجزه جوزوا النسخ
جواب لو الآتية وقوله مثل ما جوزوا المسخ ما مصدرية اى جوزوه
تجويزا مثل تجويزهم المسخ وقوله فقهاء اى فهماء ولا فهم لهم اذ لا انبلد
منهم فى الفرق اى لو كانوا من اهل الفهم لجوزوا النسخ كما جوزوا المسخ فمنعهم
للنسخ وتجويزهم للمسخ الذى وقع بهم لا دليل عليه بل هو محض تحكم نشأ من
عدم فهمهم والنسخ لغة الازالة والتغيير والنقل كنسخت الشمس الظل ونسخت

مه

وأراهم لم يجعلوا الواحد القهار فى الخلق فاعلا لما يشاء

جوزوا النسخ مثل ما جوزوا المسخ عليهم لو انهم فقهاء

الكتاب وشرعا بيان انتهاء حكم شرعي بخطاب آخر شرعي والمعنى لو ثبت انهم فقهاء
لجوزوا النسخ لانه كما علم من حده لايلزم عليه محذورا لبتة وزعمهم البداء باطل لايعو
عليه ومما يدل على جوازه ووقوعه ما علمه اليهود من وقوع المسخ وهو تحويل
الصورة الى اقبح منها في كثير منهم في زمن موسى لما خالفوه في السبت فمسخهم
الله قردة وخنازير كما في كتابه العزيز هو الا ان يرفع الحكم اى وكيف
يمنعون النسخ وهو ليس فيه الا ان يرفع الحكم الشرعي اى استمراره او تعلقه
والا فالحكم نفسه لايصح رفعه ولايجوز عقلا اذ هو خطاب الله تعالى
المتعلق بفعل المكلف وهو قديم يستحيل رفعه وقوله بالحكم اى الشرعي
وهذا فيما اذا كان النسخ الى بدل وقوله وخلق اى ايجاد وقوله فيه
اى المسخ اى ايجاد للصورة الثانية بعد ذهاب الاولى وقوله وامره اى
تصرف برفع الحكم الاول وايجاد الثاني وقوله سواء اى لما تقرر ان المسخ
رفع الصورة الاولى وتخلفها الثانية والنسخ رفع الحكم الاول ويخلفه الثاني
فاذا جوزتم الاول لزمكم ان تجوزوا الثاني والا فانتم معاندون لاينفعكم
الحكم والحكم من الزمان انتهاء اى وكيف تستبعدون النسخ وانما غايته
ان كان لبدل ان فيه حكمين المنسوخ والناسخ فالاول هو المراد بقوله والحكم من
الزمان انتهاء والثاني هو المراد بقوله والحكم من الزمان ابتداء ولاينافي هذا
تفسيره النسخ فيما سبق بالرفع لما علمت ان المراد رفع تعلقه بالمكلف ودوام
وهو الانتهاء المذكور هنا وعلى كل فجواز النسخ اولى من جواز المسخ لان الاول
في الاحكام والثاني في الذوات فسلوهم اى فاذا اردتم ايها المسلمون
المبالغة في ادحاض حجتهم فسلوهم قائلين لهم اكان في مسخهم فيه التفات
عن خطابهم مبالغة في تحقيرهم اى اكان في جعلهم قردة في الصورة كما هو
راى الجمهور او في قلوبهم وجعلها كقلوب القردة لاتقبل هداية مع بقاء
ذواتهم على ما قاله مجاهد وقوله نسخ لآيات الله وهي الصورة الاولى مع احكامها
اولا دراكم الاول على قول مجاهد وقوله ام انشاء اى ايجاد لصورة مستقلة
وحكم مستقل يتعلق بها فان قالوا بالاول فقد ناقضوا انفسهم ولزمتهم
الحجة او بالثاني فهو مكابرة للحس والحق ان المسخ متردد بين انشاء الخلق وبين
النسخ لانه بالنسبة للصورة الاولى نسخ وبالنسبة للصورة الثانية انشاء
وبداء بالمد وسبق معناه وهو مبتدا خبره قوله في قولهم الثابت عنهم فقد قالوا ندم الله
على خلق آدم وقوله ام خطاء بالمد كما اجازه بعضهم وجرى عليه الناظم

والمشهور

والمشهور فيه القصر وهو عطف على بداء الواقع مبتدا اى سلوهم عن قولهم
هذا اصدر منهم عن قصد او عن خطأ فان قالوا عن قصد كان عين
البداء الذي انكروه لانه يستلزم جهل الله تعالى بعواقب الامور وحينئذ
فكيف يمنعون النسخ فرارا من لازمه عندهم وهو البداء هذا تناقض
قبيح وان قالوا انه خطأ منهم فيكفيهم الاعتراف به على انفسهم وانهم في
غاية السفاهة ام محى معطوف على قوله اكان في مسخهم اى وسلوهم
ايضا عما لايمكنهم انكاره لانه امر محسوس فقولوا لهم اعلامة الليل والنهار
كل منهما باقية فلا تزول بالاخرى ام محى الله اى اذهب آية الليل الاضافة
بيانية والليل اسم جنس جمعي واحده ليلة واتى بالنهار بدله وهكذا الى القيامة
وقوله ذكرا بضم الذال تمييز اى من جهة الذكر اى العلم والعمل وقوله
ليوجد الامساء اى الدخول في المساء والمراد به هنا ما بعد الغروب وهذا
لايترتب على ما قبله وانما الذي يترتب على محو الليل الدخول في الاضاءة
بوجود النهار وانما يترتب الامساء على محو النهار فيحتاج الكلام الى تقدير
هكذا ام محى الله آية الليل لتوجد الاضاءة ومحى آية النهار ليوجد الامساء
وهذا التقدير يشير اليه قولنا سابقا ومحى وهكذا الى يوم القيمة اى وسلوهم
عن هذا المحو اهو واقع ام لا وبفرض وقوعه فهل هو عمد بعد سهو او عن سهو
ابتداء فان قالوا بالاول لزمهم القول بالنسخ لانه بمنزلته او بالثاني من
الترديد الاول فقد كابروا الحس او من الترديد الثاني لزمهم القول
بالبداء لان من يجوز السهو يجوز البداء لانه بمنزلته فلم منعوا النسخ
حذرا منه وقد بين الله تعالى حكمة اختلاف الليل والنهار في غير ما آية
كقوله وجعلنا الليل والنهار آيتين الآية وفي البيضاوي آيتين تدلان
على القادر الحكيم بتواليهما على نسق واحد فمحونا آية الليل اى التي هي الليل
بالاشراق وجعلنا آية النهار مبصرة اى مضيئة او مبصرة للناس من
ابصره فبصر او مبصرا اهله وقيل الآيتان الشمس والقمر وتقدير الكلام
وجعلنا نورا الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوا آيتين ومحو
آية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور ونقص نورها
شيئا فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذا شعاع
تبصر الاشياء بضوئها ام بدا للاله اى ظهر له في ذبح اسحاق والحال
انه قد كان الامر اى بذبحه من الله تعالى للخليل في النوم وقوله مضاء

اى ماض نافذ وفى نسخة قضاء بالقاف اى حتم لان رؤيا الانبياء وحى
اى سلوهم فيما وقع للخليل وهو امره بذبح ولده ثم عند ارادته حين اضجعه
على جنبه لتنحيه الله فامره بتركه وفداه بذبح عظيم وما يقال ان الرقبة كسيت
نحاسا وانه امر السكين عليها فلم تؤثر ونحو ذلك مما يذكره الخطباء فهو
باطل لم يثبت فيه شئ فان قالوا ان الامر بالفداء وترك الذبح نسخ للامر
بالذبح لزمهم القول بالنسخ مطلقا او غير نسخ لزمهم الجهل المفرط واعلم
ان ما جرى عليه الناظم من ان الذبيح اسحاق هو ما عليه الاكثرون قيل
واجمع عليه اهل الكتابين لكن سياق الآية والمشاهدة بان اسمعيل هو
الذى كان بمكة ومنى ولم ينقل قط ان اسحاق حج ولا اتى تلك الاماكن
فانهما يقضيان بانه اسمعيل وهو التحقيق اوما حرم الاله اى وسلوهم
ايضا فقولوا لهم اتنكرون النسخ وتقولون ما حرم الله نكاح الاخت بعد التحليل
فى زمن آدم او تقولون حرمه بعد ما حلله وقوله فهو اى نكاحها الزنا
مترتب على الشق الثانى من الترديد اى والزنا موجب للرجم وحد الزنا
لغة فان قالوا حرمها بعد ان احلها فهذا صريح فى النسخ الذى انكروه وان
قالوا لم يحرمها او لم يحللها فهو عناد محض وقائله لا يخاطب ولا يكالم
لا تكذب اى واذ قد بان لك قبح جهلهم وتناقضهم وعنادهم فامسك
عن حجاجهم ولا تكذب ان اليهود وقوله وقد زاغوا جملة حالية اى
مالوا عن الحق من جهات عديدة سفها وحسدا وقوله لؤماء جمع لئيم
وهو الدنى الاصل الشحيح النفس جحدوا بدل من زاغوا اى انكروا
نبوته ورسالته وقوله وآمن جملة حالية وقوله بالطاغوت اى
الشيطان وكل ما عبد من دون الله وقوله عندهم اى عند اليهود
شرفاء اى معظمون مبجلون وهذا بيان لعظيم لؤمهم وزيغهم عن الحق
حيث جحدوه واقروا من آمن بالباطل ومدحوهم على ذلك بل عدوهم
من اشرافهم ثم ظاهر النظم ان المؤمن بالطاغوت فرقة من اليهود لا كلهم
وليس كذلك بل كلهم آمنوا به كما يصرح به قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب قال المفسرون هم اليهود يؤمنون بالجبت وهو
اسم يقع على الصنم والكاهن والساحر والمراد هنا الاول والطاغوت
كل ما عبد من دون الله فهو من عطف العام على الخاص ويصح ان
يراد بقول المتن وآمن بالطاغوت قوم اى من اشراف قريش هم عندهم

او ما حرم الاله نكاح الـ / اخت بعد التحليل فهو الزناء

لا تكذب ان اليهود وقد زا / غوا عن الحق معشر لؤماء

جحدوا المصطفى وآمن بالطا / غوت قوم هم عندهم شرفاء

اى عند اليهود شرفاء قتلوا الانبياء بدل بعد بدل او معطوف
بحذف حرف العطف وذلك كزكرياء ويحيى وغيرهما فقد جاء انهم
قتلوا فى يوم واحد سبعين نبيا وقاموا لسوقهم ومعاشهم وذكر
ابن عطية فى تفسيره انه لم يقتل من الانبياء الا من لم يؤمر بالقتال
واما من امر فقد تكفل الله بنصره وقوله واتخذوا العجل اى الها
ومعبودا مع ان السامرى هو الذى صاغه بحضرتهم من الحلى الذى
استعاروه من القبط قبل غرقهم وقوله الا انهم الا حرف تنبيه
وقوله هم السفهاء جمع سفيه وهو من زاد نقص عقله حتى حصلت
له خفة وطيش وسخافة راى واطمانان بصيرة وفى المتن الاقتباس
من الآية الشريفة وسقيه خبر مقدم ومبتدا وما بعده هو الخبر
وسوغ الابتداء به وقوعه بيانا لما قبله وقوله من ساءه اى احزنه
المن وهو نوع من الحلوا يسمى الترنجبين كان ينزل عليهم وهم فى التيه
فى غاية الاضطرار وقوله والسلوى هو الطير السمانى وهو من
اشهى الطيور لحما وانفعها واطيبها غذاء كان ياتيهم وهم فى التيه الى محالهم
فيمدون ايديهم اليه وياخذون منه ما شاؤا وقوله وارضاه الفوم
بضم الفاء بل سال فيه كما فى الآية وهو الثوم كما قرئ به فى الآية وقيل الحنطة
وهو بعيد من السياق لان الحنطة ليست من الادنى ملئت
بالخبيث وهو ما سالوه من الفوم وما معه وقوله منه حال من بطون
النائب عن الفاعل او المراد بالخبيث عيوبهم القلبية كالحسد والغل
والاول هو الذى يدل عليه السياق ويناسب قوله ملئت والثانى لا يناسب
هذين لكنه يناسب قوله فهى نار اى مشتملة على ما يؤدى الى النار
واما الاول فلا يناسبه كما لا يخفى وقوله طباقها اى النار التى هى
بطونهم الامعاء اى المصارين جمع معى بالقصر كرضى اى المصران اى
ان كل معى فى بطونهم فوقه نار فصارت الامعاء طباقا للنار
لو اريدوا لو شرطية اى لو اراد الله بهم خيرا وقوله فى حال سبت مصدر
سبتت اليهود اذا عظموا سبتهم بالسكون فيه من غير العبادة اى
بترك الاشغال الدنيوية والتفرغ للعبادة والسبت معناه لغة القطع
وقوله بخير الباء زائدة للتاكيد وكل من الظرفين هذا والذى قبله
متعلق باريدوا اى لو اراد الله لليهود فى حال سبتهم الذى فرض عليهم

قتلوا الانبياء واتخذوا العـ / ـجل الا انهم هم السفهاء

وسقوه من ساءه المن والسلـ / ـوى وارضاه الفوم والقثاء

ملئت بالخبيث منهم بطون / فهى نار طباقها الامعاء

لو اريدوا فى حال سبت بخير / كان سبتا لديهم الاربعاء

تعظيمه خيرًا وقوله لديهم اى عندهم وقوله الاربعاء بتثليث الباء
والمعنى لو اراد الله بهم تمام الخير لجعل زمن عبادتهم يومًا موذنا ومشعرًا
بوصلهم واهتدائهم وهو يوم الاربعا لان النور خلق فيه والنور
يحصل به الاهتداء فلما جعل ميقاتهم يوم السبت الموذن بقطيعتهم
اذ السبت لغةً القطع كان فى ذلك اشارة الى انه لم يرد بهم تمام الخير
فكأن الناظم يقول لو اراد الله بهم تمام الخير فى حال سبتهم اى فى حال
عبادتهم وانقطاعهم اليها كان سبتًا لديهم الاربعاء اى لكان الاربعا
سبتًا لديهم اى كان محلا لسبتهم اى انقطاعهم وتفرغهم للعبادة ومما
يوضح هذا ان الله ادخر لهذه الامة يوم الجمعة الموذن بغاية الوصل
اذ مقام الجمعة هو مقام الوصل الذى هو اكمل المقامات وافضلها
وجعل لليهود يوم السبت الموذن بقطيعتهم وحرمانهم وللنصارى الاحد
الموذن بوحدتهم وتفردهم عن مواطن الخيرات والسعادات فكان فيما
خصت به كل امة من الايام دليلا على احوالها وما يوول اليه امرها فنبه
الناظم رحمه الله تعالى على هذه الحقيقة العرفانية والحكمة الربانية زيادة
فى مدح هذه الامة وذم غيرها ومن هذا المعنى قال العارف الفارضى

وكل الليالى ليلة القدر ان دنت   كما ان ايام اللقا يوم جمعة

واعلم انه اختلف فى اول الاسبوع فقيل السبت وهو الاصح
وعليه الاكثرون كما فى الروضة واصلها ونقله فى ش المهذب عن الاصحاب
بل قال السهيلى فى روضه لم يقل بان اوله الاحد الا ابن جرير وجرى
النووى فى موضع آخر على ان اوله الاحد حيث قال فى يوم الاثنين سمى به
لانه ثانى ايام الاسبوع ويجاب من طرف الاول بان النووى جرى
فى توجيه التسمية الذى يكفى فيه ادنى مناسبة على القول الضعيف
ولا حجة فى اشتقاق نحو الاحد من الواحد والاثنين من الثانى وهكذا
لان تلك التسمية لم تثبت بامر من الله ولا من رسوله فلعل اليهود وضعوها
على مذهبهم فاخذتها العرب عنهم وجاء فى الخبر ان الله خلق التراب اى الارض
فى يوم السبت والجبال فى يوم الاحد والشجر فى يوم الاثنين والمكروه
اى الاشياء التى تكرهها النفس فى يوم الثلاثا والنور وكذا النون اى
الحوت اى السمك فى يوم الاربعا وخلق الدواب فى يوم الخميس وخلق آدم
فى يوم الجمعة ويضبط ذلك حروف قولك تجشم نداءً فالتاء للتراب اى الارض

فى

فى يوم السبت الذى هو اول ايام الاسبوع والجيم للجبال فى يوم الاحد وهكذا
على الترتيب السابق وقد انتصر ابن عساكر لكون اوله السبت بما حاصله
ان تاييد ابن جرير لكون اوله الاحد بان هذا العالم خلق فى ستة ايام
وآدم خلق يوم الجمعة انما يصح بتقدير ان يوم الجمعة داخل فى الستة التى
خلق فيها العالم ولم يصح ذلك لانه صلى الله عليه وسلم فسر خلق الاشياء
وجعل خلق آدم فى اليوم السابع وهو يوم الجمعة ولم يثبت انه خلق آخر
الايام وانما اخبر تعالى انه خلق العالم فى ستة ايام فآخرها يوم الخميس
وخلق آدم بعد الفراغ من خلقها اشارة لكونها خلقت لمصالحه وذريته
هو اى يوم السبت يوم مبارك لان الله ابتدأ فيه خلق هذا العالم
كما مر خلافا لما زعمه اليهود انه ابتدأه يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح
يوم السبت قالوا فنحن نستريح فيه كما استراح الرب فيه وهذا من جملة غباوتهم
وسفاهتهم ومن ثم رد الله عليهم بقوله وما مسنا من لغوب اى تعب
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا اذ لا يتصور التعب الا من حادث مفتقر
للغير وقوله قيل انما بناه للمجهول لضيق النظم والا فهذا القول ليس ضعيفا
بل هو امر مشهور مجمع عليه ورد به الكتاب والسنة وقوله للتصريف
اى للتصرف ببيع او نحوه وقوله اعتداء اى تعد وظلم كان سببًا لمسخ
كثير منهم قردة وخنازير فمسخت شبابهم قردة وشيوخهم خنازير لها اذناب
تتعاوى وذلك انهم لما امروا ان يجردوه للعبادة اعتدى فيه ناس منهم
فى زمن داود اثنا عشر الفا فاصطادوا فيه وكانوا بايلة قرية على جانب
البحر فى طريق الحاج المصرى فابتلاهم الله بان الهم السمك يوم السبت ان
يرفع خرطومه اليهم بحيث لو مدوا ايديهم اليه لاخذوه من غير كلفة
وكانت تجتمع جميع حيتان البحر بجنب البر شرعًا اى ظاهرة لهم فاذا مضى
السبت تفرق فلم يروا منه شيئا فاجتمع رأى جماعة منهم على حيلة يحصلونها بها
ويتخلصون من الاصطياد يوم السبت فحفروا يوم الجمعة حفرا بجانب
البحر وجعلوا فيها جداول من البحر فصارت تمتلى سمكا يوم السبت ويأخذ
يوم الاحد فشووا منه واكلوا فشم جيرانهم الرائحة فسألوهم فاخبروهم
بالحيلة فقالوا ان الله معذبكم ثم لما لم يعاجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة منهم
حتى صاروا قدر الثلث من العدد السابق وهو اثنا عشر الفا وسكت
قدر الثلث عن النهى فاعتزلهم الثلث الباقى الذى نهاهم فبنوا بينهم حائطا

[illegible]

فاصبحوا وقد مسخنا الثلث وهو الذى فعل الحيلة قردة وخنازير على ما مر
وكذا الثلث الذى سكت على خلاف فيه ومن ثم قال ابن عباس لا ادرى
ما فعل بالساكتة نجاها ام مسخها واما الثلث الذى نهى وبين الحانط
فلم يمسخ باتفاق فبظلم متعلق بعدتهم وهو وضع الشئ فى غير محله
كحيانهم فى السبت واكلهم الربا واخذهم اموال الناس بالباطل وقوله
وكفر من عطف الخاص على العام لزيادة الاهتمام به وقوله عدتهم اى
فاتنهم وقوله طيبات اى من الرزق بان حرمها الله عليهم وقوله فى
تركهن اى تلك الطيبات الذى تحتم الامر به وقوله ابتلاء اى اختبار
ومحنة للعبد يكون سببا لفلاحه او هلاكه وهذه الطيبات التى حرمت
عليهم هى التى فى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الاية اى
وعلى اليهود حرمنا كل ذى ظفر الخ الشحم الذى على الظهر والالية او الامعا
فالحوايا هى الامعا وما اختلط بعظم هو شحم الالية خدعوا اى يهود
المدينة وما قرب منها بدلا من زاغوا لكن ذاك عام وهذا خاص وقوله
بالمنافقين اى بسببهم اى المنافقين من الاوس والخزرج الذين قهرهم
الاسلام فاظهروه واتخذوه جنة من القتل مع بقائهم على كفرهم باطنا
فكانوا يدسون الى اليهود المكروه والخديعة ومعنى خديعتهم بهم ان
الله ارادهم المكروه بسبب المنافقين من العرب الذين كانوا يصدونهم
عن النبى فيخدعون لهم لغباوتهم وقوله وهل ينفق كيضرب مبنيا للفا
ويعلم كذلك ويكرم مبنى للفاعل او المفعول اى وما ينفق الشقاء الهاجم على
الشنها، وهم اليهود شبه الشقاء الحاصل لهم بدراهم تصرف فى الشر
على سبيل الاستعارة بالكناية واثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو
الانفاق تخييلا وهذا اذا كان ينفق من انفق الدراهم اى صرفها
واخرجها ويصح ان يكون من النفاق اى الرواج وعليه فشبه الشقاء
بالسلعة المعروضة للبيع على سبيل المكنية ايضا واثبت له النفاق تخييلا
واطماعا فى زعمهم اى امنوا مما كانوا يترقبونه من النبى وقوله
بقول الاحزاب اى بسبب قولهم انا لكم اولياء والمراد بالاحزاب طوائف
العرب اهل مكة ومن كان معهم من قبائل العرب الذين تجمعوا بعد وقعة
احد لحرب النبى صلى الله عليه وسلم وقوله اخوانهم اى فى الكفر وقوله
انا لكم اولياء مقول القول اى متوالون ومتفقون على حرب محمد وسبب ذلك

ان جماعة من اليهود منهم اللعين حيى بن اخطب ازدادت عداوتهم له
صلى الله عليه وسلم حتى ذهبوا الى قريش بمكة فدعوهم لحربه صلى الله عليه وسلم
وقالوا انكون معكم عليه حتى نستاصله فوافقوهم ثم ذهبوا الى غطفان
وذكروا لهم مثل ذلك فوافقوهم فخرجت قريش وغطفان واهل نجد فى عشرة
آلاف فلما سمع بهم صلى الله عليه وسلم اشار عليه سلمان بحفر الخندق لان
العرب لم تكن تعرفه فاجتهد فيه هو واصحابه فلما وصل العدو اليه خرج
اليهم فى ثلاثة آلاف فمكثوا نحو عشرين يوما او خمسة عشر لا قتال بينهم الا
الرمى بالنبل والحصى ثم اشتد الحرب فجاء نعيم بن مسعود الى النبى وكان
من رؤساء الاحزاب فقال له انى اسلمت ولم يعلم قومى باسلامى فمرنى
فيهم بما شئت فقال له خذل عنا ما استطعت الى آخر ما فى القصة
خالفوهم اى حالف الاحزاب اليهود فالضمير الفاعل للاحزاب والمفعول
لليهود وكذا يقال فيما بعده اى عاهدوهم مع الايمان المغلظة على حرب
رسول الله وقوله وخالفوهم فى ذلك فرحلوا عنهم واسلموهم للنبى صلى الله
عليه وسلم حتى قتلهم عن آخرهم وقوله ولم ادر الخ هذا من تجاهل العارف
لاغراء السامع على البحث عن سبب ذلك وان كان ظاهرا والا فالناظم
عالم به وهو ان الله اراد خذلانهم بتفريق كلمتهم واستئصال جمعهم وتجاهل
العارف هو سوق المعلوم مساق غيره وهو سؤال المتكلم عما يعلمه على سبيل
التعجب او الانكار او التوبيخ كما هنا او التقرير نحو وما تلك بيمينك يا موسى
اسلموهم الضمير الفاعل راجع للمنافقين فى قوله خدعوا بالمنافقين
فلو ذكره عقبه لكان اولى والمفعول لليهود والمراد باليهود هنا بنو النضير
وهم وقريظة قبيلتان من يهود خيبر وهم ينتسبون الى هارون اخى موسى
عليهما السلام وقوله لاول الحشر اى للحشر الاول وهو اجلاؤهم من بلاد
الحجاز الى الشام وهذا فى عهده صلى الله عليه وسلم ولهم حشر ثان وهو اجلاء
عمر لمن بقى منهم بخيبر الى بلاد الشام ونحوها وهذا مقتبس من قوله تعالى
هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب الايات وقوله لا ميعادهم
صادق اى لا ميعاد المنافقين لليهود انهم ينصرونهم على حرب النبى ثم
تخلفوا عنهم وقوله ولا الايلاء اى الحلف منهم لهم صادق ايضا
سكن اى هيبة النبى وخشية انتقامه منهم وقوله والخراب اى لديارهم
وقوله قلوبا اى لليهود بنى النضير وغيرهم وهذا راجع للرعب وقوله بيوتا

وقوله سفاهًا بفتح السين من سفه بالضم سفاهًا وسفاهة واما سفه
بالكسر فمصدره سفها وهو ضد الحلم وسببه خفة العقل وقوله والملة
اى وزيد من سفاهة ايضا وبعدًا عن الخير الملة اى الشريعة سميت بذلك
لانها تملى وتكتب وقوله العوجاء اى الباطلة شبهها بطريق عوجاء
لا يهتدى سالكها الى مطلوبه على سبيل الاستعارة المكنية ثم اثبت لها
العوج تخييلا وهؤلاء الاراذل اجتمع فيهم الوصفان الخلق السوء
والتمسك بالملة الباطلة فتضاعفت سفاهتهم فانظروا اى
فبسبب ازديادهم فى السفاهة والجهل انظروا ايها العقلاء وقوله
كيف هى وما بعدها سدت مسد مفعولى انظروا لانه بمعنى اعلموا وقوله
كان اى حصل ووجد فهى تامة وقوله عاقبة القوم اى مآلهم ومصيرهم
اى القوم المعروفين بما ذكر وعا فيتهم هى خزيهم فى الدنيا وعذابهم فى الآخرة
وقوله وما ساق اى وانظروا ما ساق وما يصح ان تكون موصولة فما
بعدها صلتها وان تكون استفهامية فهى وما بعدها سدت مسد مفعولى
انظروا المقدر وقوله للبذى اى بذى اللسان كهؤلاء وقوله البذاء
اى بذاؤهم اى فحشهم وتخلفهم عن عز الدنيا وسعادة الآخرة وفى الكلام
تشبيه البذى بدابة مسوقة والبذاء سائقها فهما استعارتان مكنيتان
واثبات السوق للبذاء على جهة كونه فاعله وللبذى على جهة كونه واقعا عليه
تخييل وجد السب اى وجد ذلك البذى السب اى الشتم فيه اى
النبى صلى الله عليه وسلم وقوله سما اى داء مهلكا وقوله ولم يدر اى
ذلك البذى ان سبه عين السم القاتل لوقته اذ الميم فى مواضع باء
اى تقلب باء فى مواضع اى فى الفاظ وعبارات وكلمات كما هنا وهى
لغة مازن يقولون بالاسبك اذا ارادوا ما اسمك فهذه الباء بدل من
الميم والمعنى ان سبهم له مهلك لهم كما يهلك السم بل هو ابلغ لان هلاك
السم فى الدنيا وله ادوية تزيله واهلاك السب فى الدنيا والاخرة ولا
دواء له كان من فيه اى من اجل ما صدر من فيه اى من فم ذلك
البذى وقوله قتله اسم كان وبيديه خبرها ومن فيه حال من الخبر اى
كان قتله لنفسه بيديه حال كونه صادرا من فيه وقتل الانسان نفسه
اشد من قتل غيره له وقوله فهو اى فبسبب ذلك هو اى القاتل بنفسه
وهو مبتدا وخبره الزباء والمعنى على التشبيه اى فهو فى الاتصاف بما وقع

من

فانظروا كيف كان عاقبة القوم وما ساق للبذى البذاء

وجد السب فيه سما ولم يدر اذ الميم فى مواضع باء

كان من فيه قتله بيديه فهو فى سوء فعله الزباء

من سوء فعله بنفسه كالمرأة المشهورة بالملكة القاهرة فى العرب التى
هى الزباء بفتح الزاى وتشديد الموحدة والمد وهى ملكة الجزيرة ولم تتزوج
اصلا بل استمرت بكرا وانما اشبهها لانها تناولت خاتما مسموما فمصته
حتى قتلت نفسها وقالت بيدى لا بيد عمرو فكان قتلها لنفسها بسبب
ما تناولته بفمها من يدها لما ظفر بها عمرو بن اخت جذيمة الابرش خوفا من
تعذيبه لها وحاصل قصتها ان جذيمة بن عامر التنوخى وقيل الازدى
وهو اول من ساس العرب واول من اتخذت له الشموع واوقدت بين
يديه واول من اجتمع له الملك بارض العراق بقر ابا الزباء فقتله قبل
بعثة عيسى وطردها فلحقت بالروم وجمعت الجيوش واستخلصت من
جذيمة ملك ابيها فحدثت جذيمة نفسه بتزوجها وكانت اجمل اهل عصرها
فطمع فيها وفى ملكها فارسل لها فاظهرت له غاية الفرح فشرع فى السير
اليها فلما دخل عليها قتلته وكان له ابن اخت يسمى عمرا فسار اليها ودخل
عليها بحيلة فلما تمكن منها وعرفت انه قاتلها مصت خاتما فى يدها كان
مسموما وقالت بيدى لا بيد عمرو فماتت اوهو النحل اى هو ذلك
البذى فى سوء فعله يشبه النحل وبين وجه الشبه بقوله قرصها لغيرها
يجلب الحتف اى الموت اليها عقب لسعها والحال ان لسعها ماله النكاية
اى ليس له قتل ولا جرح ولا دم ولا تاثير قوى فى الملسوع فكل منهما قتل نفسه
بما خرج من فيه مع انه لا مصلحة تعود عليهما مما كان سببا لهلاكهما
صرعت قومه لما فرغ من بيان عاقبة اهل الكتابين شرع فى بيان عاقبة
غيرهم من اعدائه فقال صرعت قومه صلى الله عليه وسلم اى الغتهم قتلى
بين يديه حبائل جمع حبالة وهى التى يصاد بها كالشبكة واضافها الى
البغى من اضافة المسبب الى السبب وقوله مدها اى تلك الحبائل
اليه المكر منهم وهو ابطان السوء مع اظهار خلافه وقوله والدهاء
بالكسر والمد هو جودة الراى وفى الكلام استعارات ثلاثة مكنيات
الاولى من حيث تشبيه القوم الذين حاربوه وصرعوا بين يديه بصيود
مصروعة بين يدى الصياد والثانية من حيث تشبيه البغى بشبكة الصائد
والثالثة من حيث تشبيه المكر والدهاء بالصائد كما يقتضيه نسبة المد
اليهما وحبال الشبكة التى يمدها الصياد حتى يقع فيها الصيد وتخييله
باثبات المد الملازم للمشبه به وترشيحه بذكر الصرع اللائق بالمشبه

فارتها وما له غير سبب او هو النحل قرصها يجلب الحتف

صرعت قومه حبائل بغى مدها المكر منهم والدهاء

فانهم اى فبسبب مكرهم انهم من قبله وقوله تختال اى تتبختر
بها راكبوها تيها وعجبا وقوله وللخيل اى النفائس وعليها الشجعان
وقوله فى الوغى اى الحرب وهو متعلق بقوله خيلاء اى كبر وهو ممدوح
فى الحرب لاغاظة العدو والوغى يكتب بالياء لا بالالف قصدت
فيهم اى فى ابدانهم القنا اى الرماح جمع قناة اى ارادت الطعن فيهم
وهذا على حد قوله تعالى جدارا يريد ان ينقض وقوله فقوافى اى
فبسبب قصدها له كانت قوافى الطعن اى الطعنات المشتبهة بقوافى
الشعر فى تتابعها وقوله منها حال من الطعن اى حال كون ذلك
الطعن منها اى من تلك الرماح وقوله ما شانها اى ما عابها وفى
نسخة شانه اى الطعن لانه لم يوجد فيها اذ السالبة تصدق بنفى الموضوع
وقوله الايطاء هو تكرير القافية المتحدة لفظا ومعنى فشبه الطعنات
الواردة على محل واحد من غير ان تؤثر التالية شيئا لم تؤثره المتلوة
بايطاء الشعر وهذا معيب لانه يدل على قصر ساعد الشجاع وعدم تمكنه
وتحريره كما ان الايطاء المذكور معيب فى المشبه به الذى هو تكرير القافية
كما تقدم واثارت اى رفعت تلك الخيل لما ركضت بارض مكة
فى غزوة الفتح حين ازدحمت قرب دخولها وقوله نقعا اى غبارا اظلم
الجو ولذا قال حتى ظن بالبناء للمفعول ان الغدو اى وقته وهو ما بين
طلوع الفجر وطلوع الشمس وقوله منها اى من اجل تلك الخيول التى
اثارت ذلك النقع او من اجل تلك المغبرة المفهومة من الغبار التى
اثارته تلك الخيول وقوله عشاء بكسر العين اى وقتها وهو ما اذا غاب
الشفق الاحمر وهذا اشارة الى غزوة الفتح وخلاصة شئ من قصتها
انه وقع الصلح بالحديبية بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش على ترك الحرب
عشر سنين وعلى انهم لا يتعرضون لمن دخل فى عقدته ولا يتعرض هو
لمن دخل فى عقدهم وكان ممن دخل فى عقده خزاعة وفى عقدهم بنو بكر
وكانوا متعادين فخرج بعض بنى بكر وبعض خزاعة فاقتتلوا فانتصرت
قريش لبنى بكر حلفائها ثم خرج اربعون من خزاعة حلفائه صلى الله عليه وسلم
فاتوا اليه المدينة يخبرونه ويستنصرون به فقال لا نصرت ان لم انصركم
بما انصر به نفسى فخرج فى عشرة آلاف ثم لحقه فى الطريق الفان وكان
خروجه لليلتين خلتا من رمضان سنة ثمان فلما كان بقديد عقد الالوية

والرايات

فانهم حيث لم [illegible] تختال
وللخيل في الوغى خيلاء

قصدت فيهم القنا فقوافى الطعن
منها ما شانها الايطاء

واثارت بارض مكة نقعا
ظن ان الغدو منها عشاء

والرايات ودفعها الى القبائل ثم لما نزل مر الظهران مكان قريب من
مكة امرهم ان يوقدوا عشرة آلاف نار فصعد اهل مكة على الجبال فراوا
تلك النيران وخافوا خوفا شديدا لانهم عرفوا ان عندها جيوشا كثيرة
لا طاقة لهم بها فارسلوا ابا سفيان جاسوسا ينظر الخبر فجاء فى نفر ثلاثة
فادركه حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوه ومن معه فاتوا به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم بعد تمنع وتهديد وكان العباس
قد خرج الى المدينة فوافاه النبى صلى الله عليه وسلم فى الطريق فاظهر اسلامه
ورجع معه فلما اسلم ابو سفيان قال العباس يا رسول الله ان ابا سفيان
رجل شريف معظم فى قومه فاجعل له شانا وفخرا على قومه ليزداد عزه
بك فقال النبى للعباس اجلسه عند حطم الجبل اى عند طرفه حتى ينظر
الى المسلمين وتمر به جنود الله فيقوى اسلامه فجلس به العباس فمرت به
القبائل كتيبة كتيبة وهو يسأل عن كل واحدة فيبينها له العباس فيقول
ما لى ولها اى لم يقع بينى وبينها حرب وقال هذا فى كتايب غير الانصار
فلما مرت به كتيبة الانصار وصاحب رايتها سعد بن عبادة قال له سعد
يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فلما مرت كتيبة
المهاجرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيها على ناقته القصوى قال
له ابو سفيان ما قاله سعد فقال صلى الله عليه وسلم كذب سعد اليوم
يوم المرحمة وان الله يعز قريشا هذا اليوم فدخل صلى الله عليه وسلم من
اعلا مكة هو ومعظم الجيش وامر خالد بن الوليد فى طائفة قليلة بالدخول
من اسفلها وامره ومن معه ان يكفوا ايديهم الا ان قوتلوا فلما دخل
خالد قاتلهم اوباش قريش اى صغارهم وخدمهم فقاتلهم حتى ادخلهم
المسجد من باب الحزوره فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال من دخل
المسجد فهو آمن ومن دخل دار ابى سفيان فهو آمن وهذا هو الفخر
الذى ساله له العباس قبل الدخول ثم لما جاء خالد الى النبى قال له لم
قاتلت وقد نهيتك قال كففت يدى ما استطعت فقال قضاء الله خير
واذا علمت ان الذى دخل مكة من اعلاها المعظم والاكثر وان القتال
الذى وقع مع خالد فى اسفلها لم يبدأهم به وانما بدأ به اوباش قريش
علمت ان مكة فتحت صلحا وهو معتمد الشافعى رضى الله عنه فمساكنها وارضها
ملك لاهلها يجوز لهم فيها التصرف بالبيع وغيره خلافا لابى حنيفة

احجمت

[illegible]
عند اعطائه القليل كداء

اى كفت وامسكت عنده اى عند ذلك النقع الذى حصل بمكة لما
اجتمعت فيها جنود الاسلام على ما هم فيه من كثرة الخيل والسلاح
الداخلون من اعلاها واسفلها وقوله الحجون بفتح الحاء وهو الجبل
المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلاة اى ان الفرقة التى كانت بالحجون
وان اثارت فيه من النقع شيئا كثيرا لكنه بالنسبة لما فى مكة قليل
فامسك الحجون عن محاكاة ما بمكة من الغبار وقوله واكدى اى كف
ومنع والمراد بمنعه قلة التراب فيه وقوله عند اعطائه القليل حال من
الفاعل الذى هو كداء مقدم عليه والضمير فى اعطائه لكداء لتقدمه
رتبة وان تأخر لفظا والمصدر مضاف للمفعول وفاعل الاعطاء هو
النبى صلى الله عليه وسلم وقوله القليل اى من الناس مفعول لاعطا
الثانى وقوله كداء بضم الكاف والمد لغة قليلة فيه والا فالكثير
كدا بالضم والقصر اى وقل غبار كدا الذى هو اسفل مكة لان الفرقة
الداخلة منه التى اعطاها صلى الله عليه وسلم كانت قليلة فان قلت
هذا البيت وان كان فصيحا لفظا لكنه ركيك معنى اذ لا حاصل له لان
من المعلوم ان ما بمكة من مجموع الفرقتين الداخلتين من اعلا واسفل
اكثر من كل منهما ومثل هذا ليس له كبير جدوى قلت بل فيه معنى
له جدوى وهو ان دخوله صلى الله عليه وسلم واكثر اصحابه كان من الحجون
والبقية من كدا ووجه اخذه من النظم انه خص اعطاءه القليل بكدا
فدل على ان الكثير دخل من الحجون وعبارة ابن عبد الحق فى بيان معنى
البيت اى كفت عند ذلك النقع اهل الحجون عن القتال وامتنع اهل كدا
عن القتال بعد قتالهم قليلا اه   ودهت اى اهلكت تلك الخيول
وقوله اوجها اى من الناس اى اشرافا على انه جمع وجيه ويصح انه
جمع وجه ويكون من التعبير بالجزء عن الكل وقوله بها اى بمكة وهو
الوجوه الذين هلكوا بها هم الذين قاتلوا خالدا فقتلهم وكذا جماعة لم يقاتلوا
لكن كانوا بالغوا فى ايذائه وهجوه فامر بقتلهم وان تعلقوا باستار الكعبة
وعدتهم ستة رجال واربع نسوة وقوله وبيوتا اى واهلكت بيوتا
كان اهل مكة يأوون اليها ويرجعون لاهلها فى الرأى وقوله مل
بالبناء للمفعول اى سئم منها الاكفاء وهو فى الشعر المخالفة بين اواخر
كان يكون بعضه ميما والآخر باء والمراد به هنا انكفاء تلك الوجوه على النا

لعلها

ودهت اوجها بها وبيوتا
مل منها الاكفاء والاقواء

لعلها تحميها او تجيرها وقوله والاقواء اصله من قولهم منزل قواء والقوا
بفتح القاف والواو والمد القفر اى لا انيس به ثم استعمل فى الشعر مرادا به
ان يختلف حركات الروى وفى كلامه لف ونشر مرتب فالاكفاء راجع للوجوه
والاقواء الذى هو الخلو من الناس راجع للبيوت   فدعوا اى فبسبب
ما حصل لاهل مكة من الخوف الذى ظنوا بسببه ان النبى مهلكهم عن
آخرهم دعوا محمدا احلم البرية اى الخلق اى طلبوا منه يوم الفتح ان يعفو عنهم
وان لا يعاقبهم بما مضى منهم من الايذاء فاجابهم الى العفو قائلا لا تثريب
عليكم اليوم وقوله والعفو اى عما سالوه وقوله جواب الحليم من حلم
بالضم اذا ترك الانتقام بحق وقوله والاغضاء اى ارخاء الجفون من الحيا
والمراد به هنا الاعراض عن عقوبتهم وعن تفصيل الامور التى وقعت منهم
ناشدوه بدل من دعوا القربى اى حلفوه ان يصل قرابتهم ويعفو
عنهم او القربى على حذف الجار اى حلفوه بالقرابة التى بينهم وبينه ان يعفو
عنهم وقوله التى من قريش اى التى وصلت اليهم من سائر بطونهم وهم
ولد النضر بن كنانة احد اجداده وقوله قطعتها حال من القربى وقوله
الترات بفوقيتين وكسر الاولى جمع ترة بكسر التاء وهى مصدر وتر كوعد
اى قتل له قتيل ولم يترك دمه فيقال وتر يتر ترة كوعد يعد عدة والجمع
ترات كعدة جمعها عدات وقوله والشحناء اى التباغض والتحاسد
فعفا اى فبسبب تلك المناشدة عفا صلى الله عليه وسلم عنهم عفو
قادر لانه كان متمكنا من استئصالهم وقوله لم ينغصه اى لم يكدر
ذلك العفو وقوله بما مضى الباء سببية وفى نسخة فيما مضى وهى اظهر والجار
والمجرور حال من اغراء الواقع فاعلا من اغريت الكلب بالصيد حملته على
اصطياده اى لم يكدر عفوه عنهم اغراء سفهائهم وجهالهم فيما مضى حال كونه
منهم حتى بالغوا فى ايذائه بما لا يتحمله مخلوق وسر هذا العفو منه صلى الله
عليه وسلم بعد القطع منهم انه ناظر الى الله دون غيره ولذا قال واذا كان الخ
واذا كان القطع والوصل لله كما هو حاله صلى الله عليه وسلم وقوله تساوى
اى عند فاعل ذلك التقريب اى للاقارب والاباعد وقوله والاقصاء اى
للاقارب والاباعد فلم يميز بين قريب ولا اجنبى بل من اجاب الدعوة قربه
ولو كان اجنبيا ومن ابى ابعده ولو كان قريبا   وسواء مبتدأ خبره الملام
والاطراء او بالعكس وقوله فيما اتاه وقوله من سواه حالان من الملام والاطراء

فدعوا احلم البرية والعفـ
ـو جواب الحليم والاغضاء
ناشدوه القربى التى من قريش
قطعتها الترات والشحناء
فعفا عفو قادر لم ينغصـ
ـه عليهم بما مضى اغراء
واذا كان القطع والوصل لله
تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما اتاه
من سواه الملام والاطراء

وسواء بفتح السين والمد بمعنى مستو وقوله عليه اى على الشخص الذى
تقربه واقصاؤه لله لا غير واجل من اتصف بهذه المرتبة نبينا صلى الله
عليه وسلم وقوله الملام اى بالسب والتنقيص وقوله والاطراء اى
المبالغة فى المدح اى سواء عليه اللوم والاطراء حال كونهما مندرجين
فيما اتاه من خبره من خير وشر اى استوى عنده مدح الغير وذمه
ولو ان انتقامه اى غضبه واستيفاء مقتضاه وقوله
لهوى النفس اى الامارة بالسوء والمطبوعة على التكبر على الغير وحب
التميز عليه بما يقهره ويذله وقوله قطيعة اى للرحم وقوله وجفاء
اى ابعاد للاقارب ولكنه لم يكن كذلك وانما كان لله فقطعهم حيث
قطعوا ما امر الله ان يوصل ووصلهم غير ناظر لما سبق منهم من قتل
اصحابه والتمثيل بهم وغير ذلك حيث وصلوه بامتثال اوامره واجتنا
نواهيه قام لله اى لا لهوى ولا لحظ ولا لرعاية رحم او صديق
وفى نسخة بالله اى مستعينا به وقوله فارضى الله الفاء سببية وقوله
منهم متعلق بارضى او حال من فاعله وهو تباين اى لاعداء الله وقوله
ووفاء اى لاولياء الله من غير تعويل على حظ سوى رضى الله
فعله كله جميل اى لصدوره على قوانين الاعتدال وموازين الكمال وقوله
وهل ينضح استفهام انكارى اى وما يسيل على ظاهره مما فيه وقوله
الا بما حواه هذا الضمير عائد على الاناء الواقع فاعلا اى وما ينضح الانا
الا بما حواه اى الا بما فيه فمن امتلا قلبه ضرا كانت افعاله المشبهة بما
ينضحه الاناء كلها خيرا ومن امتلأ اناء قلبه شرا كانت افعاله كلها شرا
وليس احد متحليا بمعالى هذه الصفات الباهرة كنبينا وهذا تلميح الى المثل
السائر وهو وكل اناء بالذى فيه ينضح اطرب السامعين اى
اسرهم وافرحهم ونشطهم الى محبة ذكر علاه لانهم يجدون لذلك راحة
تفوق راحة الخمر وقوله يا لراح يا حرف استغاثة ولذا فتحت اللام فى المستغاث
وهو قوله لراح والمراد به الخمر سميت بذلك لان شاربها يستريح ويرتاح
من هموم الدنيا والآخرة ما دام سكرانا بها وقوله مالت اى سكرت
وتواجدت به اى بذلك الراح المستعار لذكر علاه فهو مذكر لفظا ومعنى
وقوله الندماء اى شراب الخمر سموا بذلك لانهم يتنادمون اى يتخاطبو
عليها بالاشعار التى فيها مدحها وغير ذلك وفى هذا استعارة تصريحية

ولو ان انتقامه لهوى النفـ ـس لكانت قطيعة وجفاء
قام لله فى الامور فارضى الله منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينـ ـضح الا بما حواه الاناء
اطرب السامعين ذكر علاه يا لراح مالت به الندماء

لانه شبه ذكر علاه فى اطرابه لسامعه بالراح فى اطرابها لشاربها ثم قرن
بذلك ما يلايم المستعار منه وهو الميل والندماء فيكون ترشيحا
النبى الامى اى هذا الموصوف بهذه المعالى الذى اطرب السامعين ذكر علاه
النبى الامى نسبة الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرأ المكتوب كانه على اصل
ولادة امه او مثلها اذ الغالب فى النساء عدم الكتابة وقوله اعلم من اسند
عنه الرواة اى اعلم الانبياء والمرسلين الذين اسند اى روى عنهم الرواة
والحكماء اى العلماء الذين يضعون كل شئ فى محله فهو من عطف الاخص
على الاعم وعدتنى لما قدم كثيرا من اوصافه صلى الله عليه وسلم
واحواله وسيره ومغازيه انتقل بطريق لطيف الى ذكر دار مولده وبعثته
ودار هجرته لانهما تشرفا به على سائر الامكنة والى ذكر زيارته وتاكدها
فقال كانيا عن منة الله عليه باشارته الى انه تعالى هيا له اسباب تلك
الزيارة من الزاد والراحلة الموصوفة بالصفات الحسنة الآتية حتى
كانها تخاطبه وتقول اركب على ظهرى فانى احملك ذهابا وايابا مع السلا
والراحة فقال وعدتنى ازديار اى النبى صلى الله عليه وسلم اى زيارته
اى بزيارته فهو منصوب على نزع الخافض والازديار افتعال من الزيار
وابدال الدال من التاء فى نحو ذلك مطرد وقوله العام اى فى هذا العام
وقوله وجناء اى ناقة قوية من الوجن وهى الارض الصلبة وقوله
ومنت اى انعمت بوعدها اى موعودها وقوله الوجناء اى المذكورة
وهذا كما علم مما وطئت به اولا كناية منه عن نيته الزيارة فى تلك السنة
واعداده ذلك المركوب لها فهو اخبار عن لسان حال ذلك المركوب وبما
تقرر علم ان ال فى الوجناء للعهد الذكرى افلا انطوى الهمزة
داخلة على مقدر هو المعطوف عليه بالفاء اى ايليق بى ان اترك تلك
الزيارة او اتباطى عنها فلا انطوى اى احسن ضم نفسى على تلك الراحلة
التى منت على بما ذكر وقوله لها اى لاجلها اى ليسهل سيرها فان
حسن سير المركوب من حسن ركوب راكبه وقوله فى اقتضائيه
فى سببية اى بسبب اقتضائى اى طلبى منها ذلك الموعود به فالمصدر
مضاف لفاعله وهو ياء المتكلم والهاء مفعوله وقوله لتطوى
بالبناء للفاعل او للمفعول والاول اولى اذ لا يلزم عليه زيادة ما بخلاف
الثانى وقوله ما بيننا اى المسافة البعيدة التى بيننا اى بينى وبين ذلك

النبى الامى اعلم من اسـ ـند عنه الرواة والحكماء
وعدتنى ازديارة العام وجـ ـناء ومنت بوعدها الوجناء
افلا انطوى لها فى اقتضا ئيه لتطوى ما بيننا الافلاء

القبر المكرم فنا مفعول والافلاء فاعل والافلاء جمع فلاء وفلاء جمع
فلاة فالافلاء الذى فى النظم جمع الجمع والفلاة المكان القفر والمفازة
التى لا ماء فيها ولا يلزم على بناء الفعل المذكور للفاعل وان الافلاء جمع
اتحاد الفاعل وهو الافلاء والمفعول الذى هو المسافة البعيدة وذلك
لانهما مختلفان بالاعتبار بل وبالحقيقة اذ النظر فى تلك المسافة المطوية
من حيث كونها مفعولا الى كونها سيرا بعيدا ومن حيث كونها فاعلا الى
انها امكنة مقفرة ولا شك ان السير غير محله هكذا قرر الشارح فصحح
المغايرة بين الفاعل والمفعول لكن المعنى عليه لا يستقيم اذ حاصله ان
تلك المسافة من حيث كونها امكنة مقفرة تطوى نفسها من حيث السير
الحال فيها اى تطوى السير الحال فيها ولا يخفى ان المناسب العكس بأن
تجعل تلك المسافة من حيث السير الذى فيها طاوية لها من حيث انها امكنة
مقفرة فان السير هو الذى يطوى المسافة وليست هى تطويه فتأمل
فالاولى بل المتعين بناؤه للمفعول وزيادة ما والمعنى عليه لتطوى الافلاء
حال كونها بينا والفاعل المحذوف السير او الراحة المذكورة فتأمل
بالوف اى براحلة الوف صيغة مبالغة من الف كعلم وهذا الجار متعلق
بتطوى وكان القياس الاضمار بان يقول بها لكنه عدل الى الظاهر لاجل
التوصل الى وصفها بهذا الوصف المادح لها وقوله البطحاء اى المعهودة
ذهنا وهى مكة وتوابعها والابطح والبطحاء مسيل الماء بين الجبال اذا كان
فيه دقاق الحصى وهذا الوصف وما بعده من صفات الراحلة انما هو
لراكبها ابرزه على لسان حالها مبالغة فى ان ما به من تلك الاوصاف ما لو
كان براحلته ادراك لكانت مثله فيها لما تشاهده من حاله وقوله
يجفلها بضم اوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه اى يزعجها ويقلقها النيل
اى ارض مصر اى تجفل عن الاقامة بها مع انها وطنها ومربها الشدة
شوقها الى التملى بتلك الانوار والتعفر بتراب تلك الآثار وقوله
وقد شف اى والحال انه قد شف اى شرب رطوبة جوفها او انحل جو فها
الاظماء بكسر الهمزة اى شدة العطش فى طريقها فهى راضية بهذه المشقة
المؤدية الى التلف فى جنب ما املته فى تلك الحضرة من مزايا الانعام
انكرت مصر اى فلاجل الفها بالسير والبطحاء انكرت مصر
اى نفرت منها لانها لا تؤمل فيها من تلك المواهب العلية مع اشار

جمع بالوف البطحاء يجفلها النيـ
ـل وقد شف جوفها الاظماء

انكرت مصر فهى تنفر مالا
ح بها ظهرها او خلاء

ما املته فى تلك الحضرة النبوية وقوله فهى تنفر اى فبسبب هذا الانكار
المسبب عن ذلك الامل تنفر بكسر الفاء وضمها اى تجد فى الهرب من
مصر الى تلك الحضرة العلية وقوله ما لاح ما مصدرية ظرفية اى
ظهر من ارض مصر بناء لعينها وقوله او خلاء اى فضاء ولا ينافى هذا
قوله بالوف البطحاء لان المعنى انها تالفها لتقطعها حتى تصل الى مطلوبها
فكلما قطعت فضاء ومفازة نفرت منها وكرهتها خوفا ان تقيم فيها
فتتعطل فيها عن وصول مطلوبها والحاصل انها تالفها قبل قطعها
لتقطعها وتكرهها بعد قطعها خوف الاقامة فيها فافضت بتشديد
الضاد المفتوحة من الفضيض وهو الماء العذب او السائل اى فاضت
وكثرت وسالت على مباركها اى المواضع التى تبرك فيها تلك الناقة وقوله
بركتها بضم الباء الموحدة هى اول منزلة من منازل الحاج يجتمع فيه الحجاج
ليتهيئوا للسفر سميت بذلك لان ماء النيل ياتى اليها فيمكث فيها زمانا طويلا وكا
قبل ذلك فضاء صرفا فعمر فيها القطب الربانى المتبولى رضى الله عنه فى نحو سبعين سنة
سامعا ثم جعل فيه مجاورين يقرؤن القرآن فعادت بركته عليهم وهذا شروع فى ذكر دور الحجاج
ومنازلهم وذكر هنا ثمانية وعشرين وقوله فالبويب كلام مستقل غير معطوف على
ما قبله وهو مبتدا خبره محذوف اى فبعد البركة البويب والحامل على هذا ان العطف
يقتضى ان العامل الذى هو افضت مسلط على المعطوف فيقتضى ان فى البويب مائيفيض
على مباركها مع انه ليس كذلك لانه مكان اقفر لا ماء به وكانه اراد بالبويب
المكان المعروف الآن بالدار الحمراء لا المعروف الآن بالبويبات لان
هذا قريب من البركة وليس من منازل الحج كما هو ظاهر وقوله فالخضراء
هى المحل المسمى الآن بعجرود وفيه بئر ماء مر مسهل بجانبه بركة اى فسقية
تملأ من ذلك البئر ومؤنتها على بيت المال فالقباب اى الوادى
المسمى بواد القباب وهو المعروف الآن بواد التيه وفيه كيمان رمل كثيرة
فشبهت لارتفاعها وبياضها بالقباب البيض الحسنة وقوله فبئر
النخل هو المعروف الآن بنخل وفيه بركة ماء ايضا وماؤها احسن من التى
قبلها بكثير ولذا قال والركب قائلون عند ذلك الماء اى مستريحون
ونازلون وقت القيلولة وقوله رواء اى من الماء بكسر اوله جمع ريان
وغدت ايلة اى عقبتها وترك منزلة بل منزلتين وهما العلايا
وسطح العقبة وقوله وحقل بكسر الحاء وسكون القاف محل قريب من العقبة

فافضت على مباركها بر
كتها فالبويب فالخضراء

فالقباب التى تليها فبئر النـ
ـخل والركب قائلون رواء

وغدت ايلة وحقل وقر
خلفها فالمغارة فالعيصاء

فعيون الاقصاب يتبعها النبك ويتلو كفافة العوجاء

حاورتها الحوراء شوقا فينبوع فرق الينبوع والحوراء

لاح بالدهنوين بدر لها بعد حنين وحنت الصفراء

تسميه العامة دوارحقن وليس هذا من المنازل لانه بجنب العقبة وقوله
وقر بضم القاف والراء المشددة وهذا الاسم غير معروف الآن ولعله
اراد به المكان المسمى بظهر الحمار وقوله خلفها اى الناقة اى لكونها جاوزتها
وقوله فالمفازة الفيحاء اى الواسعة كأنه اراد بها المحل المعروف الآن
بمغاير شعيب نسبة لشعيب النبى عليه الصلاة والسلام وعلى هذا يكون
ترك منزلة وهى الشرفة وام العظام   فعيون الاقصاب سمى
المكان بذلك لكثرة ما فيه من القصب الفارسى اى البوص والغاب
وقوله يتبعها النبك بفتح النون وسكون الباء وهذا ايض ليس مشهورا
الآن ولعله اراد به المكان المسمى بنبط وفى القاموس النبك بالنون
فالموحدة بلد بين حمص ودمشق وقوله ويتلو كفافة فاعل والمفعول
محذوف اى ويتلو النبك كفافة وهذه المنزلة معروفة الآن بسلمى
وكفافة وبها قبر ولى يسمى مرزوقا مشهور البركة وله ذرية كثيرة مشهورون
بالصلاح وللحجاج فيه اعتقاد وتعظيم خارج عن الحد وقوله العوجاء
اى المنحرفة عن جادة الطريق   حاورتها بالحاء المهملة من المحاورة
وهى المكالمة والمحادثة اى تحدثت معها اى مع تلك الناقة الحوراء
بفتح الحاء اى المكان المعروف عند الناس بالحوراء بضم الحاء اى
تحدثت مع الناقة فى شأن ما هى بصدده وهو الزيارة لان من احب
شيئا اكثر من ذكره وقوله شوقا اى منها اى من الحوراء لما اشتاقت
اليه الناقة وهو التملى لتلك الحضرة وقوله فينبوع اى حاورها ايض
شوقا وهو المحل المشهور الآن بينبع وقوله فرق اى فبسبب تلك
المحاورة والمحادثة مع الناقة رق الينبوع والحوراء المذكوران اى مالا
وحنا للزيارة ومشاهدة مقصد الناقة   لاح اى ظهر بالدهنوين
اى فيهما تثنية دهنا والموجود الآن محل واحد يسمى بالدهناء فلعل
التثنية لاحظ فيها ان بجنب الدهناء مكانا آخر فغلب اسمها عليه وثناهما
وقوله بدر هو المكان المشهور الذى فيه الوقعة المشهورة وفى ذكره
تورية مرشحة بلاح المناسب للمعنى الغير مراد وهو القمر وقوله لها
اى لتلك الناقة وقوله بعد حنين وفى نسخة قبل حنين وحنين هذا
جبل صغير قريب بدر لا حنين المذكور فى القرآن اذ ذاك مكان بين مكة
والطائف ليس بطريق الحاج وقوله وحنت اى لتلك الناقة

وما

ونضت بزوة فرابغ فالجحفة [illegible]

وما هى فيه من السير والتوجه لديار الاحباب الصفراء هى قرية معروفة
منحرفة عن طريق اهل مصر فى الذهاب الى مكة لا يمرون عليها الا بعد
رجوعهم من مكة وتوجههم للمدينة المشرفة وفى بدر آية باقية من آياته
صلى الله عليه وسلم وهى سماع صوت هائل كصوت طبل الحرب فى الجو
اشتهر على الالسنة ان هذا لاجل نصرته صلى الله عليه وسلم والفرح بها
وقد انكره قوم فقالوا لا حقيقة له وانما هى اصوات الريح تسمع فى ذلك
الوادى عند قوة هبوبها حقيقة لان فى اوله جبلين عظيمين من الرمل
فاذا مشى الانسان بينهما وقوى عصف الريح يسمع ذلك الصوت وقال
آخرون بل له حقيقة لانا ذهبنا الى ذلك المحل واقمنا فيه حتى سمعناه
والجو ساكن لا ريح فيه البتة وتكرر سماعنا له المرة بعد المرة اهـ واقول
وقع لى ايض سماعه مرات متعددة فى سفرات متعددة حيث لا ريح
ولا حركة ركاب ولا مشاة ولقد كنت فى بعضها مرافقا لجمع من
وجوه مكة ورؤسائها وعلمائها من المالكية والشافعية والحنفية
فجرى الكلام بينهم فى ذلك فمنهم من انكره ومنهم من اثبته ثم وقع
الاتفاق على الذهاب لذلك المحل والرقى الى اعلى احد الجبلين ليحاط
بسبب ذلك الصوت فذهبنا واقمنا عليه نحو ربع النهار ونحن لا نسمع
شيئا وقد هدأ الريح ولا احد ثم غيرنا وليس لاحد منا حركة ففى آخر الامر
سمعنا ذلك الصوت الهائل مرة واحدة فقط فانصرفنا فمن المنكرين
من رجع عن انكاره ومنهم من اصر عليه وجاءنا رجل فقيه ساكن
ببدر يؤذن ويؤم بمسجدها فسألناه عن ذلك فحلف انهم ليلة الاثنين
والجمعة يسمعون ذلك من اول الليل الى آخره وفى غيرهما لا يسمعونه
الا احيانا والله اعلم بحقيقة ذلك   ونضت بفتح النون والضاد
المخففة اى خلعت وازالت بزوة بفتح الباء وسكون الزاى وفتح الواو
وهى المتسع من الارض ولعل هذا هو المشهور الآن عند الحجاج بالقاع
وقوله والجحفة محل بعد رابغ قريب منها كان بلدة مشهورة تسكنها
اليهود فدعى صلى الله عليه وسلم ربه ان ينقل حمى المدينة اليها فانتقلت
اليها وخرجت من المدينة فى صورة امرأة عجوز سوداء ثائرة الشعر وهى
تصيح وتقول يا ويلاه فقدم بعض الصحابة من سفر فقال له صلى الله عليه
وسلم ما رايت فى طريقك قال رايت امرأة سوداء ثائرة الشعر تنادى بالويل

والثبور فقال صلى الله عليه وسلم تلك الحمى نقلها الله الى الجحفة فنزلت فى اليهود
فقطعتهم وقوله عنها اى عن تلك الناقة لما انها استبشرت بقرب المقصد
وقوله ما حاكه مفعول نضت اى ثوب التعب الذى حاكه اى نسجه
الانضاء اى الهزال اى ان تلك الاماكن الثلاثة ازالت عن تلك الناقة
اثر التعب والنصب لفرحها بقرب المقصد فجبر فرحها اثر تعبها السابق
وفى الكلام استعارة مصرحة حيث شبه اثر الهزال وهو استرخاء المفا صل
والتعب بثوب وعبر عن ذلك الثوب بما فالاستعارة فى لفظ ما الواقعة
على الثوب فهذا على حد فاذاقها الله لباس الجوع والخوف فالمشبه امر معنوى
والمشبه به امر حسى   وارتها اى ابصرت تلك الناقة الخلاص من
التعب اى صيرتها وجعلتها تبصر الخلاص من التعب فالهاء مفعول
اول والخلاص مفعول ثان وبئر على وما عطف عليه فاعل اى ان هذه
الاماكن الثلاثة جعلت تلك الناقة مبصرة لخلاصها من التعب لانها
قريبة من المقصد جدا ولعل المراد ببئر على البئر المشهور الآن فى عسفان
ببئر النقلة وقوله فعقاب السويق هذا المكان غير معروف الآن
بهذا الاسم وقوله فالخلصاء بفتح الخاء وسكون اللام المحل المشهور
الآن بخليص وفيه عين ماء واسعة وبركة كبيرة   فهى اى تلك الناقة
وقوله وعسفان بضم العين المكان المشهور وقوله او من بطن مر
اى او من علف بطن مر او من حشيش بطن مر وهذا التقدير انسب
من تقدير الشارح الماء لانه لا يناسب قوله خمصاء وهو بفتح الميم وكسر الراء
المشددة المنونة ويسمى مر الظهران مكان قريب من مكة وقوله ظمآنة
اى عطشانة وقوله خمصاء اى جوعانة لشدة فرحها وشوقها
فاشتغلت بهما عن الاكل والشرب حتى حصل لها الظمأ والجوع وهى
لا تدرى عن نفسها لاشتغالها بلذة الوصول   قرب الزاهر مكان
مشهور قبيل ذى طوى فى داخل الحرم وقوله المساجد اى المحل
المعروف بمساجد عائشة بالتنعيم على طرف الحرم وقوله منها اى
من الناقة اى ان وصولها للمساجد جعل الزاهر قريبا منها لان المسافة
بينهما نحو ميلين وقوله بخطاها اى بسبب شدة جريها لما احست
بالوصول وقوله فالبطؤ منها اى الحاصل منها وقوله وحاء بمهملة
قبلها واو مفتوحة اى سرعة وكان مراده انها لما احست بالوصول انقلب

بطؤها

بطؤها سرعة بمعنى ان بطؤها زال وخلفته سرعة شديدة   هذه
اى المنازل المذكورات وهى ثمانية وعشرون فى كلامه وقوله عدة المنازل
اى بين مصر ومكة اى المنازل المعول عليها والنافعة لنا الان بها نعلم طريق
الوصول الى تلك المعاهد ويتضح سلوك الوافد وينشط ببيانها القاصد
وقوله لا ما عد فيه اى لا المنازل التى عد فيها السماك والعواء اى لا منازل
القمر الثمانية والعشرون وقوله عد فيه الضمير راجع لما التى هى عبارة عن
منازل القمر الثمانية والعشرين فتذكيره باعتبار لفظ ما وقوله السماك
بكسر السين المشددة والمراد به الاعزل اذ هو الذى من منازل القمر ولهم سماك
آخر يسمى سماك الرامح لكنه ليس من المنازل وقوله والعواء بفتح العين
والواو المشددة وهى منزلة من منازل القمر وتلك المنزلة خمسة انجم والمعنى
انه لا يعتد ولا يعتبر ولا يعول على هذه المنازل التى للقمر وانما المعتبر والمعول
عليه هو منازل الحاج الى مكة   فكانى بها اى حال كونى بها اى على تلك
الناقة فالباء بمعنى على وقوله ارحل بالبناء للمفعول اى انقل واتحول
من مكة الى عرفة الى مزدلفة الى منى وقوله شمسا حال من الهاء اى حال
كون تلك الناقة شمسا اى كالشمس فى رفعتها اى رفعة مقصدها وفى قوة
سيرها لما عندها من عظيم الشوق فشبه الناقة بالشمس على سبيل
الاستعارة التصريحية وقوله سماؤها اى سماء تلك الشمس التى
اريد بها الناقة البيداء اى المفازة الواسعة فشبه البيداء التى هى محل سير
الناقة بالسماء التى هى محل سير الشمس بجامع السعة فقوله سماؤها البيداء
من التشبيه البليغ اى البيداء بالنسبة اليها كالسماء   موضع
البيت لما ذكر مكة استطرد ذكر ما شرفها الله به على سائر البلاد فقال
موضع البيت اى الكعبة بالجر بدل من مكة او بالرفع خبر مبتدإ محذوف
وقوله مهبط الوحى فيه الوجهان المذكوران اى محل نزوله على رسوله
ثلاث عشرة سنة والوحى لغة الاشارة وكل كلام خفى وشرعا ما جاء به
النبى عن ربه على لسان الملك او بالالهام او فى النوم او الالقاء فى الروع
بضم الراء اى القلب وقوله مأوى الرسل اى منزلهم من أوى فلان
بالقصر الى منزله واما آوى بالمد فهو بمعنى دخل وليس مرادا هنا وقوله
الرسل بل وسائر الانبياء وقوله حيث الانوار حيث ظرف مكان والانوار
مبتدا خبره محذوف اى حيث الانوار الالهية منزلة ثم وقوله حيث البهاء

اى الحسن المعنوى حاصل والمراد به حصول ملائم النفس من الحكم
والمعارف على اهل هذه الحضرة الالهيه والمعاهد الربانيه حيث
فرض الطواف اى حاصل وانما يكون فرضا اذا كان فى ضمن حج او عمرة
اما بدونهما فهو مندوب وهو افضل اركان الحج عند الرملى وعند
ابن حجر افضلها الوقوف وقوله السعى بالرفع عطف على فرض
وكذا يقال فيما بعده ويقدر لكل ما يناسبه اى وحيث السعى اى حيث
فرضه وقوله والحلق كذلك وقوله ورمى الجمار اى وحيث رمى
الجمار اى ايجابه لا على جهة الركنية وقوله وحيث الاهداء اى سوق
الهدى الى مكه اى حيث هو مندوب فهو سنة مؤكدة ولو لغير الحاج
والمعتمر وقد كانت هذه السنة مشهورة فى زمن السلف ثم تناساها
الناس واعرضوا عنها بالكلية حبذا حبذا تاكيد لفظى وقوله
معاهد جمع معهد وهو فى الاصل المنزل الذى يعود اليه مفارقوه دائما
وهذه المواضع كذلك لان من فارقها يعود اليها بالفعل تارة وبالعزم
اخرى وقوله منها اى من مكه اى حبذا معاهد امتازت على بقية
مكه كالمسجد ودار خديجة والصفا والمروة وغير ذلك وقوله آياتهن
اى علاماتهن الدالة على شرفهن من تعظيم الامة لهن وازدحامهن
على التبرك بزياراتهن والقيام بحقوقهن وقوله البلاء بفتح الباء
الموحدة وهو فى الاصل انمحاق الشىء وذهابه اللازم له طول المدة وهو
المراد هنا اى طول المدة الذى من شانه ان يغير الاشياء عما هى عليه
وذلك لان الله صانها عن التغير لحرمتها لديه وفضلها عنده وليستمر
لهذه الامة التمتع بها الى آخر الدهر حرم اى محترم بحرمة الله تعالى
من يوم خلق الله السموات والارض كما فى الحديث الصحيح وهو خبر مبتدا
محذوف او بدل من موضع البيت بدل كل من بعض وهذا القسم اختار
السيوطى فى الاتقان وفى الهمع ثبوته مخالفا لجمهور النحاة وحدود الحرم
معروفة فى كتب المناسك وقوله آمن اى يامن من فيه من شن الغارات
واستباحة الحرمات بل كان الانسان يرى قاتل ابيه فيه فلا يتعرض له
ولم تعد فيه دابة على دابة وهذا فى الجاهلية واما فى الاسلام فالمراد
امن صيوده وشجره ونباته ولقطته وترابه من ان يتعرض احد اليها بقتل
او قلع او قطع او تملك او نقل الا ما استثنى وقوله وبيت حرام

حيث فرض الطواف والسعى والحلـ
ـق ورمى الجمار والاهداء

حبذا حبذا معاهد منها
لم يغير آياتهن البلاء

حرم آمن وبيت حرام
ومقام فيه المقام تلاء

اى ذو حرمة باهرة وعزة قاهرة وقوله ومقام بفتح الميم وهو الحجر الذى
نزل لابرهيم الخليل من الجنة ليقوم عليه اى ليقف عليه عند بنائه
الكعبة اذا طال البناء فكان يعلو به الى ان يضع الحجر فى محله ثم يقصر به
الى ان يتناول الحجر من اسماعيل وفيه اثر قدميه الكريمتين وهو الذى نادى
عليه لما فرغ من بناء الكعبة ايها الناس ان الله بنى لكم بيتا فحجوا اليه
فسمعته النطف فى الاصلاب والاجنة فى الارحام فاجابوه لبيك
وفى رواية انه نادى على الحجون ولا تنافى لاحتمال انه نادى مرتين
واختلفوا فى موضعه الموجود فيه اليوم هل هو الذى كان به فى زمن
النبى صلى الله عليه وسلم اولا وانما كان عند باب الكعبة فرده عمر الى موضعه
اليوم باجتهاد منه قولان اصحهما الاول واما القول بانه هو الحجر الذى
وضع عليه رجليه لما اغتسل عند زوجة اسماعيل بعد موت هاجر فهو
قول غريب لم يثبت وقوله فيه اى البيت او الحرم ولا يصح عوده للمقام
لانه ليس محل اقامة وقوله المقام بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اى
الاقامة وقوله تلاء بفتح الفوقية اى جوار لمحل تنزل الرحمات
واقالة العثرات وكانه اخذ هذا من ان اهل مكة يسمون جيران الله
اى جيران بيته وحرمه فقضينا اى ادينا اذ القضاء يطلق
على الاداء لغة وقوله بها اى بمكة وما ينسب اليها كعرفة ومزدلفة
ومنى وقوله مناسك جمع منسك بفتح السين من النسك وهو
العبادة اى اركان الحج والعمرة وواجباتهما وسننهما وقوله لا يحمد
اى لا يحمد الاداء حمدا مخصوصا فى فعل عبادة الا فى فعلهن كيف وقد
تميزن ببر الحج المتكفل بالجنة من غير عمل آخر وبخروج فاعله من الذنوب
كيوم ولدته امه وبكونه اشعث اغبر وبمنعه من مالوفاته الحسية
والمعنوية وفراقه لاهله ووطنه وتكفير تبعاته على ما فيه من الخلاف
وبكونه لا يضع قدما او يرفعها الا كتب الله له من الثواب ما لا يحيط به
الا المتفضل به وبقوله مخصوصا يندفع ما يرد على الناظم من ان غير
الحج سواء كان افضل منه او مساويا له او مفضولا عنه يحمد فاعله ايضا
وعبارة ابن عبد الحق اى لا يحمد الاداء الا فى فعلهن لا فى تركهن فالحصر
اضافى ورمينا بها اى الناقة وقوله الفجاج جمع فج بفتح الفاء وضمها
وهو الطريق اى ارسلناها فى الطرق تسير بنا الى طيبة المدينة المشرفة

فقضينا بها مناسك لا يحمـ
ـد الا فى فعلهن القضاء

ورمينا بها الفجاج الى طيـ
ـبة والسير بالمطايا رماء

ولها اسماء كثيرة وقوله بالمطايا جمع مطية وهى الدابة سميت بذلك
لانها تمطو اى تجد فى سيرها وقوله رماء بكسر الراء مصدر راميته
والمراد اصل الفعل اى يشبه سيرها سير السهم اذا رمى به فى السرعة
فاصبنا اى فبسبب ان سيرها يشبه سير السهم اشبهت
القوس وحينئذ فاصبنا عن قوسها غرض القرب اى المدينة المشرفة
المشبهة بالغرض فى كونه المقصود بالرمى كما انها المقصودة بالسير
والاضافة فى قوسها من اضافة المشبه به للمشبه وقوله ونعم الخبيئة
بالخاء المعجمة والهمز اى الذخيرة والمراد بها الناقة وقوله الكوماء
اى العظيمة السنام وهذا هو المخصوص بالمدح واعرابه مشهور
فرأينا اى ابصرنا ارض الحبيب المدينة وما حولها التى تشرفت بالحبيب
اى حبيب رب العالمين وحبيب المؤمنين وقوله يغض بضم الغين
اى يخفض وقوله الطرف مفعول به وقوله منها اى من تلك الارض
ومن تعليلية اى من اجل الجلالة التى حفتها وقوله الضياء فاعل
اى النور الحسى والمعنوى وقوله واللألاء اى البرق اللامع على
صفحاتها المشار به الى مواهب الحق الفائضة على الزائرين فكأن
البيداء اى من تلك الارض وهى اسم لمحل قريب من ذى الحليفة المشهور
بابيار على وقوله من حيث ما من زائدة وكذلك ما وقوله قابلت
العين اى الناظر اليها وقوله غناء بفتح الغين والنون المشدد اى
كثيرة العشب والنبات والازهار والثمار وكأن البقاع اى الاماكن
اللاتى حول المدينة المنورة وقوله زرت عليها اى على تلك البقاع
وقوله طرفيها مفعول وهذا الضمير عائد على الفاعل وهو قوله ملاءة
بضم اوله والمد وهى كما فى القاموس كل ثوب لم يضم بعضه الى بعض بخيط
بل كله نسج واحد وفى النهاية هى الازار وفى الصحاح هى الملحفة ولا تنافى
لصدقها على التعريف الاول بكل من هذين وبهذا يعلم ان الثوبين
الملفوفين اى المضموم احدهما الى الآخر بخياطة ملاءتان لا ملاءة واحدة
وقوله حمراء شبه تلك الانوار والاضواء التى غشيت تلك البقاع
وعمتها من سائر جوانبها بخيمة حمراء شدت على ما فيها ازرارها فى عراها
من سائر الجوانب فالمراد بالملاءة هنا الخيمة اذ هى التى تشد وتنصب عادة
وكأن الارجاء اى نواحى المدينة وقوله تنشر اى تذيع وقوله

فاصبنا عن قوسها غرض القر / ب ونعم الخبيئة الكوماء
فرأينا ارض الحبيب يغض الطر / ف منها الضياء واللألاء
فكأن البيداء من حيث ما قا / بلت العين روضة غناء
وكأن البقاع زرت عليها / طرفيها ملاءة حمراء
وكأن الارجاء تنشر نشر ال / مسك فيها الجنوب والجربياء

نشر

نشر المسك اى ريحه وقوله فيها اى فى تلك الارجاء وقوله الجنوب وهى
الريح التى تقابل الشمال وقوله والجربياء بكسر الجيم ككيمياء وهى كما فى القاموس
الشمال او بردها او الريح بين الجنوب والصبا وهى التى تثير السحاب وهذه
هى المرادة هنا   فاذا شمت بكسر الشين المعجمة اى ابصرت ونظرت
الى سحائب البرق التى تمطر فى تلك البقاع وقوله او شممت من الشم
اى ادركت بحاسة وهى الانف وفى القاموس شممته بالكسر اشمه بالفتح
وشممته اشمه بالضم وقوله رباها جمع ربوة بتثليث الراء وهى ما ارتفع
من الارض وقوله لاح اى ظهر منها اى من تلك البقاع برق وهذا راجع
لشمت فهو لف ونشر مرتب وكباء بوزن كساء فهو بكسر الكاف وفتح الباء
وهو عود البخور او ريحه من كبّ بالتشديد ثوبه اى بخره   اى نور
مفعول مقدم لشهدنا وهو بضم النون وقوله واى نور بفتح النون اى
زهر وقوله شهدنا اى رأينا بابصارنا وبصائرنا وقوله يوم ظرف
لشهدنا وقوله القباب بكسر القاف جمع قبة اى التى هناك وقوله
قباء بضم القاف وهو المحل المشهور وفيه المسجد الذى اسس على التقوى
بينه وبين المدينة ثلاثة اميال   قر منها دمعى اى كثر وانهمل حسرة
على ما مضى لى من عدم الاجتماع بتلك الحضرة وفرحا بوصولى اليه والضمير
فى منها راجع للربا او لارض الحبيب وهذا من اجل ما شهدته من تلك الربا
او من تلك الارض وقوله وفر اى ذهب اصطبارى لا سيما بعد ان
وصلت هذه الربا وانخت رحلى بقبا وقوله جفاء بضم الجيم اى زبد
فكما ان السيل يذهب بذلك الزبد فى اسرع وقت فكذلك دموعى تذهب
بصبرى فلا يبقى عندى منه شئ ففى الكلام لف ونشر مرتب فقوله فدموعى
سيل راجع لقر بالقاف وقوله وصبرى جفاء راجع لفر بالفاء
فترى الركب اى فبسبب ما ذكر ان ما شوهد يوجب كثرة الدمع وفناء
الصبر ترى ايها المخاطب الركب طائرين اى جادين فى السير حاثين
لدوابهم يستخرجوا منها اقصى ما يمكنها من الاسراع وقوله من الشوق
اى من اجله وقوله الى طيبة بالصرف للوزن فكيف بشوقهم الى المقصود
عليه افضل الصلاة والسلام وقوله لهم ضوضاء بفتح الضادين بينهما
واو ساكنة اى اصوات عالية بالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وعبارة
القاموس الضوضاء مقصورة الجلبة واصوات الناس لغة فى المهموزة   فكأن

٣ وقوله وفاح كباء راجع لشممت

س
فاذا شمت او شممت رباها / لاح منها برق وفاح كباء
اى نور واى نور شهدنا / يوم ابدت لنا القباب قباء
قر منها دمعى وفر اصطبارى / فدموعى سيل وصبرى جفاء
فترى الركب طائرين من الشو / ق الى طيبة لهم ضوضاء
فكأن [illegible]

عطف على فترى وقوله البأساء اى شدة السفر ومشقته وقوله
خلقا بفتح الخاء اى جسما وقوله ولا الضراء تاكيد لما قبله وكيف يسمهم
نحى من ذلك وكل نفس نحـ   كل نفيس اى من الزائرين وقوله منها
ابتهال اى تفرع الى الله فى ان يقبل عثراتها وقوله وسؤل اى توسل له
باحب خلقه اليه وقوله ودعاء بمعنى سؤل فهو اطناب وقوله ورغبة
اى فيما عند الله من جزيل الثواب وقوله وابتغاء اى طلب لما عنده تعالى
وهذا اطناب ايضا   وزفير معطوف على ابتهال وهو تواتر النفس
بفتحتين اى تتابع حركته وصعوده الى اعلا الصدر لشدة ما يعترى
القلب من خشية المؤاخذة بما فرط منه وقوله تظن اى ايها المخاطب
وقوله منه من تعليلية اى من اجل كثرة ذلك الزفير وشدته بحيث يسمع
له صوت فى الصدر مع وقوله صدورهم مفعول اول وقوله صادحات
مفعول ثان وهو نعت لمحذوف اى طيورا صادحات اى مصوتات وقوله
زقاء بضم الزاى وبالقاف اى صوت عال والحاصل ان ذلك الزفير
من شدته ظهر له فى صدورهم صوت اشبه صوت الطيور الصادحات
اللاتى يعتادهن التصويت بشدة   وبكاء يغريه بالغين المعجمة
وقوله بالعين هى الباصرة اى يحمله على ملازمته لها وقوله مدا اى سيل
من الدموع نشا من حرقة القلب لفراق المحبوب وخشية قطيعته وقوله
ونحيب بفتح النون وكسر الحاء المهملة وهو رفع الصوت بالبكاء وقوله
يحثه اى يحضه ويزيد فيه ويحمل على دوامه وقوله استعلاء اى علو
الصوت وتتابعه بالبكاء   وجسوم كانما رحضتها اى غسلتها ولذا
سمى المغتسل مرحاضا وقوله من عظيم المهابة اى الجلالة التى استولت
على قلوبهم وقوله الرحضاء بضم ففتح اى العرق الكثير من اثر الحمى
اى جسوم قام بها من عظيم المهابة ما ازعجها ازعاجا يتولد عنه كثرة عرقها
حتى كانه غسلها   ووجوه اى تلونت بالوان مختلفة لشدة ما عندهم
من القلق والخوف والحياء منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم عليه وقوله
من حياء اى من اجل الحياء وهو بالمد تغير وانكسار يعترى الانسان
من خوف ما يعاب به وقوله الحرباء هى دويبة مشهورة ذات الوان
متعددة تستقبل الشمس برأسها   ودموع اى من شدة البكاء
والحزن وقوله وطفاء اى مسترخية الجوانب لكثرة مائها شبه ما عندهم

من

من الخوف الباعث لهم على غزارة الدمع وكثرة تتابعه بسحابة مملوءة ماء
فحططنا اى فبعد ان وصلنا الى ذلك القبر المكرم حططنا الرحال جمع رحل
يطلق على مسكن الشخص وعلى ما يستصحبه المسافر من المتاع والزاد والاوعية
والمراد هنا الثانى والمراد انقضاء السفر وانتهاؤه اى نزلنا بفناء كريم يستمطر
سحائب القبول والانعام ونستقبل عثرات التقصير والآثام وقوله حيث
اى فى مكان يحط الوزر اى الاثم والثقل عنا بشفاعته وقوله وترفع
اى عنا بلحظه واسعافه وامداده وقوله الحوجاء لغة فى الحاجة بفناء
النفوس وطلوع البدور وشروق الشموس حتى نصل الى العيان ونستغنى
عن الاستدلال بالبرهان   وقرأنا السلام اكرم خلق الله اى عليه
وقد اقتدى الناظم فى هذا بالسلف فانه جاء السلام عليه عند قبره من
ابن عمر وغيره بل قال البغوى السلام عليه عند قبره افضل من الصلاة عليه
عنده ونوجه الافضلية بانه شعار اللقاء والتحية فتختص افضليته بحال اللقاء
عند كل زيارة اما اذا سلم سلام اللقاء فالصلاة بعده اولى من استمرار السلام
وان كان باقيا فى مقام الزيارة ولذلك ذكروا فى آداب الزيارة ان الزائر يبدأ
بالسلام وانه يختم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقوله من حيث اى من
مكان وقوفنا بتلك الحضرة الذى يسمع منه الاقراء اى للسلام وما اقتضاه
كلام الناظم من ان زائره اذا صلى عليه عند قبره يسمعه سماعا حقيقيا
ويرد عليه من غير واسطة وان من صلى عليه من بعيد لا يسمعه الا بواسطة
يدل عليه احاديث كثيرة وفى فتاوى الرملى ان الانبياء والشهداء والعلماء
لا يبلون وان الانبياء والشهداء ياكلون فى قبورهم ويشربون ويصلون
ويصومون ويحجون ووقع الخلاف هل ينكحون نساءهم ام لا فقيل نعم
وقيل لا ويثابون على صلاتهم وصومهم وحجهم اهـ وجزم ابو المواهب الشاذلى
بان الشهداء ينكحون لكن لم يقل نساءهم ومعنى حج الانبياء مع انهم لا يفارقون
قبورهم ان روحانيتهم تتشكل بصورهم التى كانوا عليها وتحضر تلك المعاهد
واما الذوات فلا تفارق القبور وهذا الجواب من جملة الاجوبة التى
اجيب بها عما اورد فى صلاة الانبياء خلفه ليلة الاسراء واجيب هناك
بجواب آخر وهو ان ذواتهم بارواحها حضرت فى ذلك المكان وهذا الوقت
كرامة وخصوصية له صلى الله عليه وسلم   وذهلنا اى غفلنا وغبنا
عن احساسنا عند اللقاء لما استولى علينا من سبحات ذلك الجلال

وجمنا من المهابة حتى ... لا كلام منا ولا ايماء

ورجعنا والقلوب التفاتا ... نحوه والجسوم انثناء

وسمحنا بما نحب وقد يسـ ... مح عند الضرورة البخلاء

يا ابا القاسم الذى ضمن اقسا ... مى عليه مدح له وثناء

ونسمات ذلك الجمال وقوله وكم اذهل صبا اى ولا بدع ولا غرابة فى هذا الذهول اذ كم اذهل صبا هو شديد الصبابة التى هى رقة الشوق وغلبة استيلائه وقوله من الحبيب اى المحبوب وهو متعلق بقوله لقاء لان من شأن هذا اللقاء انه يدهش الصب ويخرس المحب ويغيبهما عما عدا المحبوب

وجمنا بفتح الجيم اى سكتنا عن الكلام عند اللقاء وبعده ما دمنا فى تلك الحضرة فلم يبق فينا متسع له وقوله من المهابة اى من اجل المهابة اى الاجلال والمخافة وقوله حتى لا كلام الخ اى حتى اجتمع علينا امران لا يوجد اجتماعهما الا فى نحو هذا المقام وهما لا كلام منا بما نريده ولا ايماء منا الى ما نطلبه وذلك حال من قهره الجلال واستولت عليه خوارق الاحوال

ورجعنا اى الى بلادنا وقوله التفاتات اى كثيرة جدا وقوله اليه اى الى نبينا بمعنى انها مستحضرة للوقوف بين يديه والاستمداد منه وقوله والجسوم جمع جسم اى ابداننا وقوله انثناء اى انعطاف الى البقاء فى تلك الحضرة على الدوام ان تيسر والا فالى تكرر الزيارة

وسمحنا بفتح الميم اى جدنا وقوله بما نحب اى بالنفيس الذى لا يجود احد بمثله وهو التمتع بتلك الحضرة العلية الذى نحب دوامه وعدم مفارقته ولكن ضرورتنا الى العود لديارنا لاجل القيام بمن فيها تخفف الملام علينا اذ الضرورات تبيح المحظورات وايضا فاننا وان كنا بخلاء بهذا الفراق فلنا اسوة بالبخلاء فى ذلك ولذا قال وقد يسمح اى وقد تيقنا انه يسمح عند الضرورة التى لا يستطاع معها الترك البخلاء للاموال وغيرها

يا ابا القاسم لما تمم مقصد زيارته المتكفلة بكل خير شرع يناديه صلى الله عليه وسلم بكنيته المختصة به ويقسم عليه باقسام كثيرة كلها تتضمن ما هو بصدده من مدحه والثناء عليه استعطافا له لينظر اليه بما يفوز به فى الدنيا والآخرة ويأمن به من كل محنة باطنة وظاهرة ومن ثم خص جواب اقسامه بقوله الآتى بعد خمسة وخمسين بيتا الامان الامان الخ فقال يا ابا القاسم هذه كنيته صلى الله عليه وسلم التى اختص بها فلا يجوز لاحد التكنى بها مطلقا على الاصح عندنا اى سواء فى زمنه وبعده لمن اسمه محمد وغيره هكذا قال الش ومعتمد الرملى ان النهى خاص بحياته صلى الله عليه وسلم واما بعد وفاته فيجوز التكنى بها لمن اسمه محمد وغيره

ومناسبة

بالعلوم التى عليك من الله ... بلا كاتب لها املاء

ومسير الصبا بنصرك شهرا ... فكأن الصبا لديك رخاء

ومناسبة هذه الكنية له صلى الله عليه وسلم الاعلام بانه هو الخليفة الاعظم عن الله فى جميع شؤونه لا سيما مقام قسمة الارزاق والعلوم والمعارف والطاعات ولاجل هذا عدوا من خصائصه انه اعطى مفاتيح الخزائن اى خزائن اجناس العالم فكل ما ظهر فى هذا العالم فانما يعطيه محمد صلى الله عليه وسلم الذى بيده المفاتيح ويكنى ايضا بابى ابراهيم وابى الارامل وابى المؤمنين وقوله الذى ضمن مبتدا خبره مدح له والجملة صلة الموصول والمعنى ان المدح والثناء كائنان فى ضمن هذا الاقسام من تضمن كذا اشتمل عليه فهذا الاقسام لم يخرج عن مقصوده من المدح وقوله اقسامى بكسر الهمزة مصدر اقسم اى حلف وقوله وثناء هو بمعنى المدح فهو مرادف له او اخص منه على القول بان المدح اعم من الحمد من حيث انه يكون على الاختيارى وغيره والحمد ومثله الثناء لا يكونان الا على الاختيارى

بالعلوم اى اقسم عليك بها التشفع لى بما يؤمننى من كل مكروه بان يعطينى الله الامان منه وكذا يقال فى الاقسام الآتية فالمراد بها هنا الشفاعة والاستعطاف ليجاب سؤاله ومن ثم قال الفقهاء اذا قال لغيره اقسم او اقسمت عليك لتفعلن كذا انه لا يكون يمينا الا ان نواه وجعل العلم اول ما اقسم به لان مرتبة العلم لا اعلى منها بل ولا مساوى لها وقوله التى عليك اى تنزل عليك فعليك متعلق بمحذوف وكذا قوله من الله وقوله بلا كاتب حال من العلوم وقوله لها املاء مبتدا وخبر والجملة حال اخرى من العلوم اى حال كون الموصل لها اليك املاء اى اقراء من جبريل

ومسير الصبا اى واقسم عليك بما اوتيته ايضا من مسير الصبا وهو الريح التى مهبها مطلع الشمس عند استواء الليل والنهار وقوله بنصرك على حذف مضاف اى بسببه وهو الرعب الذى قطع قلوب اعدائه يعنى ان الصبا يحمل الرعب ويوصله الى كل جهة من جهات المدينة مسيرة شهر والتحديد بالشهر اشارة الى ان ما يستولى عليه فى حياته لا تزيد مسافته على شهر فلا ينافى ان ملك امته زيد على ذلك بكثير واحترازا عن غيره من الانبياء فان رعبهم ان وجد لا يصل لهذه المسافة وهل هذه الخصوصية حاصلة لامته من بعده فيه احتمالان اظهرهما كما تقضى به المشاهدة انهم رزقوا من ذلك حظا وافرا وقوله رخاء

هى الريح اللينة المسخرة لسليمان غدوها شهر ورواحها شهر لكن معجزة
نبينا اظهر واعظم لان تلك سخرت لذات سليمان وهذه سخرت لصفة من
صفات نبينا وهى هيبته وايضا تلك انما كانت تسير بعد امر سليمان لها
وهذه تسير بامر ربها من غير توسط امر من نبينا فهذا من تشبيه الاعلى
بالعكس نظير كما صليت على ابرهيم على احد الاجوبة فيه واعلم ان اصول
الرياح اربعة الصبا وهى تهب من جهة باب الكعبة وهى حارة يابسة
والدبور تقابلها وهى باردة رطبة والشمال من جهة شمال الكعبة وهى
باردة يابسة والجنوب تقابلها وهى حارة رطبة واخرج ابن جرير وجماعة
ان الجنوب من الجنة وفيها منافع للناس فخروجها اولا من الجنة ثم تمر
على النار فتكتسب منها الحرارة والشمال من النار تخرج منها فتمر بالجنة
فتصيبها نفحة منها فبردها من ذلك فخروجها اولا من النار ثم تتكيف
بريح الجنة وبردها وحكمة ذلك جمعها للقوة النارية والقوة البردية لان
من شأن الاولى كثرة الحركة وشدة الانضاج ومن شأن الثانية ملايمة
النفس وازالة اكدارها وجاء فى اثر ان الاربعة مساكنها تحت اجنحة
الكروبيين حملة العرش وجاء فى حديث صحيح ان مساكنها تحت الارض
الثانية ولا ينافيه ما تقدم لجواز ان تكون اجنحة الكروبيين تحت الارض
الثانية لما ورد ان اقدامهم تحت الارض السابعة هذا وجاء ان
الارض الثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة
فيها حيات جهنم والسادسة فيها عقارب جهنم والسابعة فيها سقر
وفيها ابليس مصفد بالحديد فاذا اراد الله ان يطلقه لمن شاء من
عباده اطلقه وفى الفردوس للمروى روى عن ابن عمر ان الرياح
ثمانية اربع عذاب وهى العاصف والقاصف وهما بالبحر والصرصر
والعقيم وهما بالبر واربع رحمة وهى الذاريات والمرسلات والمبشرات
والناشرات وعلى اى واقسم عليك ايضا بعلى اى بالمعجزة العظمى
التى وقعت له فى غزوة خيبر فالاقسام هنا بالمعجزة لا بنفس على وان صح
الاقسام به ايضا لان الاقسام به سيأتى فى الاقسام بالصحابة حيث
قال وعلى صنو النبى الخ وقوله لما تفلت بعينيه اى حين فتحت بعض
حصون خيبر وبقى اعظمها فتعسر فتحه بابى بكر وعمر وغيرهما فقلت لاعطين
الراية غدا لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما اصبحت سألت

عن

عن على فاخبروك ان به رمدا وكان قد اصابه فى المدينة وتخلف عن الخروج
بسببه ثم ندم على التخلف فخرج فلحق القوم فى اثناء الطريق وقيل بعد وصولهم
الى خيبر فجئ لك به وهم يقودونه فوضعت راسه فى حجرك وبصقت فى كفك
ودعكت بها عينيه ثم قلت له خذ هذه الراية وامض حتى يفتح الله عليك
فبرأنا لما خالطهما ريقك الذى هو الشفاء الاكبر فغدا ناظرا اى فغدا
ناظرا اى فصار ناظرا الخ اى فذهب بتلك الراية يضرب بعينيه المثل فى
حدة الابصار كما يضرب ببصر العقاب الذى هو سيد الطيور ومن امثال
العرب ابصر من عقاب وعند قتاله ضربه يهودى فطرح ترسه من يده
فاخذ بابا فترس به واستمر يقاتل حتى فتح الله عليه ومن كبر ذلك الباب
ان ثمانية ارادوا ان يقلبوه فلم يستطيعوا وحمل ايضا باب الحصن على
ظهره حتى صعد المسلمون عليه وبعد ذلك لم يحمله الا اربعون رجلا
وقوله فى غزاة بفتح الغين لغة فى غزوة وهى اسم للجيش الذى يخرج معه
صلى الله عليه وسلم بنفسه وهى غزوة خيبر مدينة كبيرة ذات حصون
اى قلاع ثلاثة عشر وذات مزارع كثيرة على ثمانية برد من المدينة الى جهة
الشام وكانت سنة سبع فى غزتها وقوله لها العقاب لواء المراد باللواء
الراية وتلك الراية كانت تسمى العقاب لانها سوداء ولون العقاب السواد
وكانت من برد او مرط لعائشة والعقاب بضم العين طائر جمعه اعقب
وعقبان وكنيته ابو الحجاج وهو يذكر ويؤنث وهو سيد الطيور والنسر
عريفها وهو حاد البصر ومنه ما يأوى فى الجبال وما يأوى فى الصحارى
وحول المدن وانثاه تبيض ثلاث بيضات فى الغالب وتحضنها ثلاثين يوما
وما عداه من الجوارح يبيض بيضتين وتحضن عشرين يوما
وريحانتين اى واقسم عليك ايضا بريحانتين تثنية ريحانة وهى فى اللغة
تطلق على الولد لان القلب يتروح به كما تطلق على الريحان المشموم فالمراد
بهما هنا السيد الحسن والسيد الحسين وفى هذه التسمية اقتباس
من قوله صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذين ريحاناى من الدنيا وقوله
طيبهما اى الحسى والمعنوى حاصل منك لانهما بضعتان منك مع ما
اختصصتهما به من المزايا والخصوصيات وقوله الذى نعت للريحانتين
بتاويلهما بالمذكور او على لغة من يجيز اشتراك الذى بين المفرد والجمع والمثنى
على حد وخضتم كالذى خاضوا وقوله اودعتهما بالبناء للمفعول

والفاعل هو النبى صلى الله عليه وسلم والزهراء نائب الفاعل والجملة صلة
الموصول واشار بقوله اودعتهما الى ما هو من خصائصه وهو ان اولاد
بناته ينسبون اليه فى الكفاءة وغيرها ووجه تلك الاشارة انه جعل
فاطمة مستودعة فهو الذى اودعها تلك الذخيرة لتخرج منها منسوبة
اليه وسميت بالزهراء لانها لم تحض وسميت فاطمة لان الله فطمها ومحبيها
عن النار واخرج الطبرانى ان الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه وجعل
ذريتى فى صلب على بن ابى طالب توفى كرم الله وجهه عن ثلاث وستين
سنة ضربه ابن ملجم بفتح الجيم وكسرها فى جبهته ليلة الجمعة سابع عشر
رمضان سنة اربعين وهو خارج الى صلاة الصبح ومات ليلة الاحد
واختلف فى موضع قبره لانه اخفى خوفا من ان تنبشه الخوارج وفى
رواية انهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فند الجمل الذى
حمله فلم يدر اين ذهب فلذا قال اهل العراق انه فى السحاب وعن سيدى
على وفا ان عليا بن ابى طالب رفع الى السماء كما رفع عيسى وسينزل كما ينزل
عيسى قال الشعراوى قلت وبذلك قال سيدى على الخواص سمعته يقول
ان نوحا عليه السلام ابقى من السفينة لوحا على اسم على بن ابى طالب رضى
الله عنه رفع عليه الى السماء فلم يزل محفوظا من الغرق حتى رفع عليه
كنت تاويهما اى تضمهما اليك لمزيد محبتك لهما وشفقتك عليهما
وجاء من طرق ابناى الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابوهما
خير منهما وفى هذا حجة لما عليه اهل السنة ان الائمة الاربعة افضل
من اهل البيت نعم ما فيهم من البضعة الكريمة لا يعادله عمل وبهذا
يوجه قول بعض المتاخرين بتفضيل الحسنين على غيرهما اى من حيث
تلك البضعة وان كان غيرهما ممن ذكر افضل منهما علما وعملا ومعرفة
وقوله صلى الله عليه وسلم سيدا شباب اهل الجنة مشكل لانهما ماتا غير
شابين بل بعد مجاوزة الاربعين ولان الجنة ليس فيها شبان لان الوارد
ان جميع الناس من اهل الجنة يكونون على خلقة ابناء ثلاث وثلاثين
وهو سن الكهولة واعدل الاسنان وح فليس فى الجنة شبان ولا شيوخ
ويجاب بان المراد بالشباب الذين ماتوا شبابا فهما سيدا هؤلاء
من غير استثناء بخلاف من مات كهلا او شيخا فانه قد يسودهما كالخلفاء
الاربعة فالحاصل انهما سادا شباب الناس على الاطلاق وغير الشباب

وتبين ... [illegible]

فيه تفصيل فلذا ذكر الشباب فقط وما تقدم من ان الناس فى الجنة
يكونون فى سن ثلاث وثلاثين سنة مشكل اذ مقتضاه ان من مات
صغيرا يدخل ابن ثلاث وثلاثين وان الشيخ الذى عمره مائة سنة
يدخلها وهو ابن ثلاث وثلاثين ويجاب بان المراد ان اهل الجنة كلهم
مستوون فى الطول والصفة ومستوون فى القوة التى هى قوة ابناء
ثلاث وثلاثين فالشيخ والصغير والشاب كلهم مستوون فى هذه الصفة
وهى القوة وبهذا يجاب عن كثير مما يستشكل به فى هذا المقام وقوله
كما آوت بالمد ويتعين للوزن وان كان القصر جائزا وقوله من الخط
حال من الفاعل وهو الياء اى كنت تاويهما ايواء كايواء الياء لنقطتيها
حال كونها من جملة حروف الخط وكانه اخذ هذا التشبيه من حديث البخارى
عن الحسن كان صلى الله عليه وسلم ياخذ بيدى فيقعدنى على فخذه ويقعد
الحسين على فخذه الاخر ويضمنا ثم يقول اللهم ارحمهما فانى ارحمهما
ووجه التخصيص بالياء انها خاتمة الحروف كما انه خاتم الانبياء ولا نظر
الى ان الالف افضل الحروف لانها مادة كل حرف فهى الاخر فى الحقيقة
كما انها الاول كذلك وهذا شان نبينا فانه اولهم خلقا واخرهم وجودا وختما
فعنصره الكريم مندرج ومنبث فى جميع الانبياء بالفعل تارة بالنسبة
لمن هو فى عمود نسبه وبالقوة اخرى بالنسبة لمن ليس فى عموده من
شهيدين بيان للريحانتين اما شهادة الحسن وكانت ولادته بالمدينة فى
نصف شعبان سنة ثلاث من الهجرة وسببه ان يزيد بن معاوية ارسل
الى زوجته جعدة الكندية ان تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة الف درهم
ففعلت فمرض اربعين يوما ومات فبعثت ليزيد بما وعدها فابى وفى
سنة موته اقوال والاكثر على انها سنة خمسين وقد وصى اخاه الحسين
وقال له انى كنت طلبت من عائشة ان ادفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاجابت فاذا مت فاطلب منها وما اظن القوم الا سيمنعونك فان فعلوا
فلا تراجعهم فلما مات سال الحسين عائشة فقالت نعم وكرامة فمنعهم
مروان لانه كان واليا بالمدينة فدفن بالبقيع الى جنب امه رضى الله عنهما
واما شهادة الحسين وكانت ولادته لخمس خلون من شعبان سنة اربع
وجاء من طرق ان جبريل جاء الى رسول الله فاخبره ان الحسين مقتول
واراه من تربة الارض التى يقتل فيها فاعطاه لام سلمة واخبرها انه يوم قتله

فمنهما ... [illegible]

يتحول دمًا فكان كذلك وشم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التراب فقال
ريح كربلا فسببها ان يزيد لما استخلف سنة ستين ارسل لعامله بالمدينة
ان يأخذ له البيعة على الحسين ففر الى مكة خوفا على نفسه فارسل اليه
اهل الكوفة ان يأتيهم ليبايعوه ويزيل ما هم فيه من الجور فنهاه ابن عباس
وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه وامره ان لا يذهب باهله
ان ذهب فابى وقدم امامه مسلم بن عقيل بن ابى طالب فبايعه من اهل
الكوفة اثنا عشر الفا فارسل اليه يزيد ابن زياد فقتله وسار الحسين غير
عالم بذلك فلقيه اوائل خيل ابن زياد فعدل الى كربلا فجمع اليه ابن زياد
عشرين الف مقاتل فلما وصلوا اليه قاتلوه فحارب ذلك العدد الكثير
ومعه من اهله نيف وثمانون وقتل من اهله خمسون فثبت فى ذلك
الموقف ثباتا باهرا حتى فنيت اصحابه وبقى بمفرده فحمل عليهم وقتل منهم
كثيرا من شجعانهم فكثروا عليه حتى اثخنوه بالجراح لانه طعن احدى
وثلاثين طعنة وضرب اربعا وثلاثين ضربة وغلب عليه العطش
فحالوا بينه وبين الماء فسقط الى الارض فحز وا راسه يوم الجمعة عاشر
المحرم عام احدى وستين وقيل ان يزيد ارسل الراس ومن بقى من اهل
الحسين الى المدينة فكفن الراس ودفن عند قبر امه فى قبة الحسن وقيل
اعيد الى الجثة بكربلاء بعد اربعين يوما من قتله ثم سلط الله على
ابن زياد وقومه من قتلهم شر قتلة ثم انتقل الراس فى دولة الفاطمية الى مصر
وجعل له مدفن عظيم بقرب الجامع الازهر وقوله ليس ينسينى الطف
وهو ارض بالعراق تسمى كربلا وقيل انه غيرها قريب منها وقبره هناك
معروف يزار ويتبرك به وقوله مصابيهما اى مجموعهما اى مصاب
الحسين لانه هو الذى قتل بالطف واما الحسن فمات انه بالمدينة وقوله
ولا كربلاء اى بل كل منهما يذكر فى المصاب حتى انى اتصوره فى كل ارض
انها هى وظاهر النظم مغايرة الطف لكربلا ما رعى اى لا حفظ فيهما
ذمامك بالمعجمة اى حرمتك ايها النبى الكريم مع انه يجب على كل احد رعايتها
والوفاء بها ولا يحصل ذلك الا بالقيام بجميع ما لها من العهود والحقوق
والحرمة كنفقة اقاربك وقوله مرؤس اى تابع كجعدة الكندية فى الحسن
وابن زياد ومن كان معه فى الحسين وقوله وقد خان الواو للحال
وقوله الرؤساء اى المتبوعون الظلمة المتمردون كيزيد فيهما التشبه

ما رعى فيهما ذمامك مرؤس وقد خان عهدك الرؤساء

فى قتلهما لكنهما فازا بالشهادة العظمى وهو بلغ الغاية القصوى فى الخسران
والوبال حتى ذهب ابن حنبل وطائفة الى انه مات كافرا وانه يجوز لعنه
وان كان الجمهور على خلافه وهو انه مات مسلما بلغ من الفسق والتهور
والتجرى على المحارم ما لم يبلغه غيره اصلا ابدلوا اى هؤلاء المذكورون
من المرؤسين والرؤساء وقوله الود بتثليث الواو اى المودة التى
اوجبها الله عليهم وعلى كل مسلم فى قوله قل لا اسئلكم عليه اجرا الآية فابدلوها
ببغضهم وقتالهم والحاق الايذاء لهم بكل طريق امكن حتى ان ابا طاهر القرمطى
بكسر القاف الحبشى قدم مكة يوم التروية بجيوش كثيرة سنة عشر وثلثمائة فنهب
دورها واموال الحجاج وقتلهم فى المسجد وفى البيت وسباهم حتى بيعت الشريفة
فى عسكره باربعة دراهم والشريف بدرهمين لكثرة من سباهم من اهل البيت
وقتل امير مكة وقلع باب الكعبة وفرق كسوتها على اصحابه وطرح طائفة
من القتلى فى بئر زمزم ودفن البقية فى المسجد بلا غسل ولا صلاة واقتلع
الحجر الاسود واخذه فكان عنده ووضعه فى مسجد الكوفة ثم من الله برده
فاشتراه بعض الملوك بثلاثين الف دينار ووضعه فى مكانه وقوله
والحفيظة اى وابدلوا الحفيظة اى الحفظ والحمية وقوله فى القربى
اى فى مضر القربى ومحبتهم اى قرابة النبى وهم آل البيت النبوى يعنى
تركوا هذين واخذوا اضدادهما فقطعوا مودتهم وتخلفوا عن نصرتهم وقد
اختلف المفسرون فى القربى فى الآية والذى جاء عن الحسن انهم اهل
البيت وقوله وابدت اى اظهرت ضبابها جمع ضب والمراد بها هنا
اليرابيع لان النافقاء لا تكون الا لها والضمير عائد على الفاعل وهو النافقاء
وهى احدى جحرتى اليربوع يخفيها ويظهر غيرها حتى لا يصاد وهى موضع
يجعل الحاجز بينه وبين الفضاء قريبا جدا حتى اذا دخل عليه من الجحرة
الاخرى المسماة بالقاصعاء ضرب النافقاء براسه فانشق وخرج هاربا
منه وفى النظم تشبيه الماكرين بالحسنين حتى فعلوا معهما ما فعلوا
باليربوع فى مكره المذكور فهو استعارة تصريحية وقست اى
غلظت اى من هؤلاء الفجرة المذكورين وهو حال من قوله قلوب فوصل
اليهما ثم الى ذريتهما منهم غاية الايذاء والاستهانة بحقهم الواجب رعايته
عليهم ولم تلن تلك القلوب قط لان الله تعالى اراد بها الشقاء والعذاب
الاليم وقوله على من اى على اولئك الائمة الذين هم بدور الدنيا والاخرة

ابدلوا الود والحفيظة فى القربى وابدت ضبابها النافقاء

ها

وقست منهم قلوب على من بكت الارض فقدهم والسماء

وَقوله بكت الارض الخ هذا ماخوذ من مفهوم قوله تعالى فما بكت عليهم
السماء والارض اى لكفرهم لانه روى ان المؤمن اذا مات بكت عليه السماء
والارض اربعين صباحًا وورد ايضًا ان ما من عبد الا وله فى السماء بابان
باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه
وعن على ان المؤمن اذا مات بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد
عمله من السماء واذا كان هذا فى مطلق المؤمن فما بالك بآل البيت النبوى

فابكهم ايها المخاطب ما استطعت اى مدة دوام استطاعتك
تاسيًا بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم بجبريل فقد ثبت ان كلا منهما بكى على
فقد الحسين قبل موته لما اطلع الله نبيه على انه يقتل بكربلا وثبت ايضا انه
صلى الله عليه وسلم بكى على الحسين بعد موته فقد روى الترمذى عن
ام سلمة انها رأت فى المنام النبى باكيا وبراسه ولحيته التراب فسالته
فقال قتل الحسين آنفا وكذلك رآه ابن عباس فى النوم وهو اشعث
اغبر وبيده قارورة فيها دم يلتقطه فساله فقال دم الحسين واصحابه
ولم ازل اتتبعه فان قلت امر الناظم بالبكاء ينافى ما جاء فى الحديث
فاذا وجبت فلا تبكين باكية قلت ليس المراد بالبكاء المامور به فى
النظم حقيقة بل لازمه من التاسف والحزن على ما حصل للدين واهله
من استباحة حرم الله واهل بيت رسول الله فحق لكل احد ان يحزن على ذلك
ويتاسف عليه ويامر به غيره وقوله ان قليلا اى ان جزاء قليلا اى ان
الخير القليل وقوله فى عظيم اى فى مقابلة عظيم من المصاب اى فى مقابلة
المصاب العظيم لاسيما مصاب الامة بالحسنين واهل بيتهما وقوله
البكاء اى وان كثر وهو رفع الصوت مع الدمع واما البكا بالقصر
فهو الدمع فقط والمعنى ان البكاء وان كثر جزاء قليل على هذه المصيبة
وانما الجزاء الكثير قتل قاتليهم وادامة نصرتهم باشادة ذكرهم وادامة
الثناء عليهم والرد على اعدائهم وغير ذلك

كل يوم وكل ارض مبتدا
خبره كربلا وعاشوراء على سبيل اللف والنشر المشوش وقوله لكربى
اى لاجل ما حصل لى من الكرب وهو الغم الذى ياخذ النفس بحيث
يخشى تلفها وقوله منهم اى من اجلهم اى بسبب ما حصل لهذين
الامامين واهل بيتهما من القتل والاسر وغير ذلك والمعنى ازداد
بى الكرب حتى ان كل ارض حللت بها تصورت انها الارض التى قتل

ديا

فابكهم ما استطعت ان قليلا
فى عظيم من المصاب البكاء

كل يوم وكل ارض لكربى
منهم كربلا وعاشوراء

فيها الحسين وكل يوم اصبح على تصورت انه يوم عاشوراء الذى قتل فيه
فكربى قد عم جميع ما اتانى فيه من الازمنة والامكنة فلا يفارقنى بالانتقال
من ارض الى اخرى ولا من زمن الى آخر

آل بيت النبى آل اصله اهل
اى يا اهل بيت النبى والمراد بهم اهل بيت مسكنه وهن امهات المومنين
واهل بيت نسبه وهم مؤمنو بنى هاشم وبنى المطلب وهذا هو المراد
فى الآية ايضا وقوله ان فؤادى اى قلبى ليس يسليه عنكم التاساء
بفوقية اوله اى ما يحصل له من الشدائد والمحن اى بل محبتكم مقيمة
فيه على الدوام لا تزال لها محنة ولا ينقصها شدة وقد اشار الى ان ما عنده
من الوفاء بحقهما والتحسر والتحزن لمصابهما مع كونه ملازما له لا يفارقه
بسلو ولا تسل انما هو مع تفويضه الامور الى باريها كما قال غير انى الخ

غير انى اى الا انى وهذا استثناء منقطع وقوله فوضت
امرى اى فى ذلك كله الى الله الفاعل لما يشاء والمقدر لما يريد لا يسال
عما يفعل وقوله وتفويضى الامور اى الى من هو مقدرها ومدبرها
ومريدها وقوله براء اى تبرؤ من الاعتماد على شئ من الحول والقوة
وذلك متعين على كل مسلم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم براءة من الشرك وكنز من كنوز الجنة
رب يوم رب للتقليل وقوله مسيئ اى باعتبار ما وقع فيه من قتل
الحسين ومن معه وقوله بعض وزره المراد بوزره ما حصل فيه
من الكرب لاهل البيت الذى عظم على النفوس الايمانية حتى كاد يهلكها
وقوله الزوراء هى ناحية ببغداد والمراد ما وقع فيها من خلفائها
بنى العباس الذين هم من جملة آل البيت حيث اخذوا ببعض ثار بنى عمهم
الحسين وغيره فخرجوا على بنى امية فنزعوا الخلافة منهم وقتلوهم شر قتلة
وخصوصا السفاح منهم الذى اخرج بنى امية من القبور وحرقهم وذراهم
فى الهواء وهو اول خلفاء بنى العباس وهو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله
ابن عباس فلما ولى الخلافة بعد قطيعة بنى امية امر بهشام بن عبد الملك
فنبشوا قبره فوجد بحاله لانه كان طلى بالعنبر لئلا يتغير فاخرجوه من قبره
وجلدوه حتى تناثر لحمه وحرقوه بالنار وفعلوا به كما فعل بزيد جزاء وفاقا وهو
ولد ولد الحسين وهو زيد صاحب المذهب المشهور فان بنى امية حرقوه
وقتلوه وهو زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب

آل بيت النبى ان فؤادى
ليس يسليه عنكم التاساء

غير انى فوضت امرى الى الله
وتفويضى الامور براء

رب يوم بكربلاء مسيئ
خففت بعضه وزره الزوراء

والاعادى كان كل طريح
منهم الزيد عنه والزوراء

والاعادى اى الذين هم اولئك الفسقه الفجرة وقوله طريح اى مطروح منهم
الى الارض ببوارق السيوف ولوامع الاسنة وقوله الزق اى المنفتح
الملقى بالارض وقوله الوكاء وهو ما يشد به راس الزق وما زالوا يتبعونهم
حتى قطعوا دابرهم عن آخرهم فشبه هؤلاء القتلى حيث قطعت رؤسهم
وسال دمهم بالاوعية التى كانت موكوءة فحلت اوكيتها فخرج ما فيها من
المائعات   آل بيت النبى اى يا آل وقوله طبتم اى اصولا ونفوسا
وافعالا واقوالا وصفات وظاهر النظم ان المراد بالطيب فى قوله سابقا
وريحانتين طيبهما منك غير المراد به هنا وهو محتمل ويحتمل انه فى الموضعين
واحد وهو الطيب ظاهرا وباطنا وانه تم لهما وهنا لمن جاء بعدهما من نسلهما
وهذا اولى غاية الامر ان ذاك فى خصوصهما وهذا فى عموم اهل البيت
وقوله وطاب الرثاء اى فيكم وهو تعداد محاسن موتاكم   انا

آل بيت النبى طبتم فطاب الـ
مدح لى فيكم وطاب الرثاء

حسان مدحكم اى انا المشبه فى الاعتناء بمدحكم على اقصى ما يمكن
بحسان بن ثابت شاعر رسول الله الذى كان ينصب له منبرا فى مسجده
ينافح اى يخاصم ويفاحم عليه كفار قريش ويرد عن رسول الله وهو يدعو
له بقوله اللهم ايده بروح القدس اى بجبريل يلهمه ويلقى فى قلبه المعانى
الجميلة وقوله فاذا نحت اى رفعت صوتى بالبكاء فاننى الخنساء
بنت عمرو بن قيس غيلان قدمت على رسول الله مع قومها بنى سليم الموالين

انا حسان مدحكم فاذا نحـ
ت عليكم فاننى الخنساء

له ولم تكن اسلمت اذ ذاك وانما اسلمت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم
فهى غير صحابية ولما قدمت على رسول الله نظرت عائشة عليها ثوب الحزن
فسالتها عنه فذكرت لها سببه وهو ان زوجها افتقر فسالت اخاها صخرا
فقاسمها فى ماله فاحتاجت فسالته فقاسمها مرة اخرى وهكذا اربع مرات
فعاتبته زوجته فاجابها بانها كفته عارها وبانه لو هلك مزقت عليه
خمارها قالت فلما هلك اتخذت هذا الثوب والمعنى فاننى مشبهها فى
نوحها على اخيها ورثاها له بالمعانى البديعة والمبانى البليغة ومحاسن
الثناء وجوامع الرثاء وقد حضرت حرب القادسية مع بنيها وكانوا اربعة
رجال فحرضتهم على الثبات بابلغ تحريض فقاتلوا حتى قتلوا كلهم فقالت الحمد لله
الذى شرفنى بقتلهم وارجو ان يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة وكان عمر رضى الله عنه
يعطيها ارزاقهم لكل واحد مائتان حتى قبض رضى الله عنه   سدتم الناس
اى ايها الحسنان وذريتكما والمراد بالناس بالنسبة اليهم الكمل لكن بالنسبة

سدتم الناس بالتقى وسواكم
سودته البيضاء والصفراء

لما فيهم من البضعة الكريمة التى لا يعادلها شئ وقوله بالتقى اى زيادة
على السيادة بالنسب لكن فضيلة النسب مختصة بهم واما فضيلة
التقى فليست مختصة فليس فى ذكرها كبير مدح الا ان يقال انه جاء
عن كثير منهم من الزهد والتقوى والعبادة والعلم ما لم يجئ عن غيرهم
فقد تميزوا عن اكثر الناس بكثرة التقى فيهم اكثر من غيرهم والمعنى
كما سدتم الناس فى النسب سدتموهم بزيادة التقى الذى لا يوجد فى غيركم
ولذا قال بعض العارفين القطب لا يكون الا منهم وقوله وسواكم
اى وغيركم الذين لم يعملوا بعملكم لا سيادة لهم فى الدين اصلا بل ولا فى الدنيا
عند الكمل من الناس وانما سودته اى السوى الجهلاء مثله وافراد الضمير
نظرا للفظ السوا وقوله البيضاء اى الفضة وقوله الصفراء
اى الذهب وتخصيص هذين لشدة التطلع اليهما اكثر من غيرهما

وباصحابك الذين هم بعـ
دك فينا الهداة والاوصياء

وباصحابك اى واقسم عليك باصحابك وقوله الهداة اى الدالون
للامة على الله ببيان ما يجب لهم ويجوز ويستحيل عليه وعلى رسله كذلك
وعلى شريعته وعلى تهذيب النفوس وكمال الاخلاق والجهاد لله وغير ذلك
وقوله والاوصياء اى الذين وصيتهم بامور الدين والمجاهدة عليها
ففتحوا الامصار والبلاد وساسوا الامة ونشروا فيها علوم الكتاب
والسنه   احسنوا بعدك اى بعد وفاتك الخلافة عنك فى الدين

احسنوا بعدك الخلافة فى الديـ
ن وكل لما تولى ازاء

بالقيام بجميع ما يجب او يحسن مراعاته فى الامور الظاهرة والباطنة فقد
اجمعوا على استخلاف ابى بكر ثم على استخلاف عمر ثم على استخلاف عثمان
ثم على استخلاف على ثم على استخلاف ابنه الحسن ثم نزول الحسن لمعاوية
الى ان تحملها عنهم التابعون ثم من بعدهم الى يوم القيمة وقوله وكل
اى كل منهم وقوله لما تولاه اى فى حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته
من الخلافة والامارة والقضاء وتجهيز الجيوش وحفظ الثغور والحصون
وغير ذلك وقوله ازاء بكسر الهمزة وبالزاى ككتاب اى قائم بما تولاه اهل
له فى اى بقعة او زمن كان   اغنياء معطوف بعاطف مقدر على

اغنياء نزاهة فقراء
علماء ائمة امراء

قوله الهداة وكذا يقال فيما بعده وقوله نزاهة منصوب على التمييز
اى من جهة النزاهة والتعفف عن جميع المال وان كان من جهة يقطع
بحلها لان محط نظرهم انما هو التجرد المطلق عن سائر القواطع عن الله
وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى بكثرة العرض اى المال

وانما الغناء غنا النفس اى بالله عما سواه سواء كان بيده مال اولا ومن كان منهم بيده مال كابن عوف وعثمان والزبير فانما كان خازنا لله تعالى يصرفه فى مصارفه الشرعية وكون المخلف عن ابن عوف ربع ثمنه ثمانون الف دينار لاينافى ما تقرر انه انما كان خازنا لله تعالى لان الخازن لله ليس معناه ان يخرج جميع ما فى يده دفعة بل يبقيه ويخرج منه ما هو المطلوب فى كل حال اوزمن وقوله فقراء اى غالبهم بل كلهم لان ذوى الغنا منهم كانوا خزانا لله كما مر فلا يعدون اغنياء الا باعتبار الصورة وبما تقرر فى معنى غناهم وفقرهم يعلم ان الغنى الشاكر افضل من الفقير الصابر لان الغنا هو الذى هو ختم به امره صلى الله عليه وسلم وهو كان دائم الترقى فى الكمالات فلولا الغنا مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر ما ختم له به وقوله علماء اى لانهم ورثوا من علومه ما تميزوا به عن جميع من جاء بعدهم وقوله ائمة اى قدوة من حيث ان كلا منهم فيه قوة الاجتهاد المطلق فهو قدوة يقتدى به فى الخير وقوله امراء اى كثير منهم تولوا الامارة فى زمن رسول الله وفى زمن الخلفاء الراشدين فقاموا بحقوقها وعدلوا فيها ومما يدل على انهم اغنياء نزاهة لا اغترار انهم زهدوا فى الدنيا الخ

زهدوا فى الدنيا فما عرف الميل
اليها منهم ولا الرغباء

زهدوا فى الدنيا بضم الدال وحكى كسرها من الدنو اى القرب لقربها من الزوال جدا وهى الاموال وتوابعها من نحو الجاه والفخر والكبر والخيلاء ولفظها مقصور بلا تنوين والزهد الاقتصار على قدر الحاجة من الحلال وكان الصحابة فيها على قسمين فاكثرهم كاهل الصفة تركوا السعى فى تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم والمعارف وبالعبادات وكثير منهم حصلها لكن كانوا فيها خزانا لله تعالى كما مر وقوله فما عرف الميل اى الالتفات لحقارتها فى اعينهم وقوله ولا الرغباء اى الزيادة فى تحصيلها وهذا عرف من نفى الميل بالاولى فذكره اطناب ولاينافى هذا ثناؤه صلى الله عليه وسلم على المال بقوله نعم المال الصالح فى يد الرجل الصالح لان المال له جهتان جهة خير بصرفه فى الطاعات وجهة شر بصرفه فى ضدها وبالنظر الى هذه الجهة يذم ويقبح ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اللهم من احبنى فاقلل له ماله وامت ولده الحديث

ارخصوا فى الوغى نفوس ملوك
حاربوها اسلابها اغلاء

ارخصوا اى اذلوا واهانوا من الرخص ضد الغلاء وقوله فى الوغى اى بسببه ففى سببية وتقدم ان الوغى معناه فى الاصل الجلبة والاصوات فى الحرب والمراد به هنا نفس الحرب وقوله

نفوس

نفوس ملوك اى فكيف بغير الملوك وقوله حاربوها اى بقوة عزم وشدة حزم وصدق نية وقوله اسلابها اى تلك الملوك بفتح الهمزة جمع سلب بفتح اللام وهو ثياب القتيل وفرسه وسلاحه وقوله اغلاء بكسر الهمزة اسم مصدر لغلى السعر لكن بمعنى اسم الفاعل اى غالية الاثمان وفى بعض النسخ ضبطه بفتح الهمزة وكانه جمع غال كداء وادواء

كلهم فى احكامه ذو اجتهاد
وصواب وكلهم اكفاء

كلهم اى كل منهم فى احكامه الضمير لكل جمع حكم والمراد بها هنا النسب التامة بين المحمول والموضوع وقوله ذو اجتهاد الافراد فى ذو باعتبار لفظ كل وانما كانوا ذوا اجتهاد لتوفر شروط الاجتهاد كلها فى جميعهم ولذلك لم يعرف ان احدا منهم قلد غيره فى مسألة وقوله وصواب اى وذو صواب يعنى وذو ثواب ولو عبر به لكان اولى لان ابقاءه على حقيقته انما يأتى على القول الضعيف ان كل مجتهد مصيب اما على الاصح ان المصيب واحد فلا يتأتى كل ذو صواب بل ذو ثواب المخطئ منهم والمصيب وقوله وكلهم اكفاء اى متكافئون فى اصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وانما يتفاوتون فى الزيادة فى ذلك واجمعوا على ان افضل الناس بعد الانبياء ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ثم بقية العشرة ثم اهل بدر ثم اهل بيعة الرضوان وقيل اهل احد

رضى الله عنهم ورضوا عنه
فانى يخطو اليهم خطاء

رضى الله عنهم ورضوا عنه رضى الله عن العبد تأمينه من سخطه واحلاله دار كرامته ورضى العبد عن الله ان لا يختلج فى قلبه حزازة من وقوع قضاء من اقضية الحق به من المحن بل يجد لذلك برد اليقين ويشهد فيه المصلحة العظمى قال السنوسى فى شرح الوسطى رضى الله تعالى اما صفة فعل بمعنى الانعام او صفة ذات بمعنى ارادة الانعام ويتعين الاول فى مقام الدعاء لان الدعاء انما يكون بمستقبل غير حاصل فى الحال وارادة الله ازلية يستحيل تجددها حتى يتعلق بها الدعاء وفى الغنيمى عليه ولك ان تقول ولو على بعد تجوز ارادة الثانى نظرا للتعلق للارادة الحادثة وذلك لا يستحيل تجدده وقوله فانى يخطو اى فبسبب ما ذكر من اوصافهم انى استفهام انكارى تعجبى وقوله يخطو اليهم اى يصل اليه اذ الخطوة ما بين القدمين وقوله خطاء بفتح الخاء ومد كما هنا لغة وهو نقيض الصواب يعنى لا يخطأ واحد منهم خطأ يأثم به لانهم كلهم مجتهدون وان المجتهد اذا اخطأ له اجر

جاء قوم من بعد قوم بحق
وعلى المنهج الحنيفى جاؤوا

جاء قوم اى جاء الى النبى قوم من الصحابة من بعد قوم وهكذا الى وفاته وكان الناظم اشار بهذا

فخطب ابو بكر ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينونى
وان اسأت فقوموني اى عدلوني اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فاذا
عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ثم نظر فلم ير الزبير فدعا به فجاء
فتكلم عليه فقال لا تثريب عليك يا خليفة رسول الله فبايعه ثم لم ير عليا
فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه واستدل
كل منهما على حقيته بالخلافة بانه صاحب الغار وبتقديمه للامامة
فصار هو الخليفة حقا باجماعهم وصار عمر بالنسبة اليه كالوزير يراجعه
فى المهمات　　　انقذ الدين بالقاف ثم الذال المعجمة اى نجاه بازالة كل
شبهة عنه ونجا اهله بازالة اسباب الفساد بينهم وقوله بعد ما كان
ما مصدرية وكان تامة اى وجد وقوله للدين متعلق بفاعلها وهو اشفاء
وعلى كل كربة متعلق به ايض والكربة الغم الذى يأخذ النفس والاشفاء
الاشراف اى بعد ما كان اشراف للدين وقرب يخشى منه انه لا يجتمع له شملا
بعده شمل ابدا ومن ثم قال ابو هريرة لولا ابو بكر ما عبد الله بعد محمد ابدا
وذلك لانهم عند موته صلى الله عليه وسلم طاشت عقولهم من الغم والحزن
حتى انكر بعضهم موته فقال ابو بكر من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات الخ
فلما اختلفوا فى دفنه فقال بعضهم فى البقيع وبعضهم فى مكة وبعضهم
فى بيت المقدس روى لهم ابو بكر حديث ان كل نبى يدفن فى المحل الذى توفى
فيه وايض اختلفوا فى ارثه فروى لهم حديث نحن معاشر الانبياء لا نورث
ما تركناه صدقة فرجعوا اليه فى هذا كله وبهذا علم انه كان احفظهم
للسنة وانما سبب قلة الرواية عنه قصر مدة خلافته واشتغاله
بقتال المرتدين ومانعى الزكاة ومسيلمة الكذاب　　　انفق المال
اى الكثير الذى كان يملكه اى صرفه فى مصارف الخير جميعه وقوله
فى رضاك اى من اجل رضاك كما جاء به القرآن قال تعالى وسيجنبها
الاتقى الى آخر السورة اجمع المفسرون على انها نزلت فى ابى بكر وفى الحديث
انه ليس من الناس احد امن علىّ فى نفسه وماله من ابى بكر واخرج
الترمذى ما لاحد عندنا يد الا وقد كافئناه بها ما خلا ابا بكر فان له عندنا
يدا يكافئه الله بها يوم القيمة وما نفعنى مال احد قط ما نفعنى مال ابى بكر
فبكى ابو بكر وقال هل انا ومالى الا لك يا رسول الله وكان صلى الله عليه وسلم
يقضى فى مال ابى بكر كما يقضى فى مال نفسه واخرج ابن عساكر انه اسلم

وله اربعون الف دينار وفى رواية اربعون الف درهم فانفقها على رسول
الله وصح عن عمر امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق فقلت
اليوم اسبق ابا بكر مع انى ما سبقته يوما فجئت بنصف مالى فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك يا عمر قلت ابقيت مثله فاتى
ابو بكر بكل ما عنده فقال رسول الله ما ابقيت لاهلك يا ابا بكر فقال ابقيت
لهم الله ورسوله فقلت لا اسبقه الى شئ ابدا وقوله ولا من اى والحال
انه لا من منه عليك بما انفقه وان كثر وانما المنة لك عليه وعلى غيره والمن
ذكر النعمة على جهة الافتخار ومن ثم حرم تحريما غليظا على نحو متصدق
ان يمن على المتصدق عليه بان يعدد عليه ما اعطاه له او يذكره لمن لا يحب
اطلاعه عليه وقوله واعطى جما اى عطاء كثيرا فى وجوه الخير والمصارف
منها اعطاؤه ثمن محل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان صلى الله
عليه وسلم اشتراه بعشرة دنانير ووزنها من مال ابى بكر وكان قد خرج
من مكة بماله كله فكان له فى ذلك المسجد الاعظم ثواب لا يقدر قدره
واشترى ايض جماعة اسلموا فعذبهم اهل مكة واعتقهم منهم بلال وغيره
وقوله ولا اكداء اى قطع للعطاء اى لم يقطع اعطاءه بل استمر عليه
حتى توفاه الله تعالى　　　وابى حفص اى واقسم عليك بابى حفص
وقوله الذى اظهر الله به الدين اى كما جاء فى سبب تسميته بالفاروق
فقد جاء فى الحديث انه سئل عن ذلك فذكر ان حمزة اسلم قبله بثلاثة
ايام والنبى صلى الله عليه وسلم مختف بدار الارقم واسلم عمر بعده بثلاثة
ايام وذلك انه لما اراد الله له الخير قال دلونى على محمد فتوشح سيفه وذهب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الارقم فضرب الباب فسمع المسلمون
صوته فاستجمعوا خوفا منه فقال لهم حمزة ما لكم قالوا عمر فقال حمزة افتحوا
له الباب فان اقبل قبلناه وان ادبر قتلناه فسمع ذلك رسول الله فخرج
له فاخذ بمجامع ثوبه وجذبه فتشهد فكبر اهل الدار تكبيرة سمعها اهل
المسجد قال عمر فقلت يا رسول الله السنا على الحق قال بلى قلت ففيم
الاختفاء فخرجنا صفين انا فى احدهما وحمزة فى الآخر حتى دخلنا المسجد
فنظرت قريش الىّ والى حمزة فاصابتهم كآبة شديدة فسمانى رسول الله
يومئذ الفاروق وفرق الله بى بين الحق والباطل وصح انه لما اسلم نزل
جبريل فقال يا محمد قد استبشر اهل السماء باسلام عمر وعن ابى سعيد

رضى الله عنه قال ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا
وامامته رحمة ولقد رايتنا وما نستطيع ان نصل الى البيت حتى اسلم
عمر فقاتلهم حتى تركونا وخلوا سبيلنا وعن حذيفة قال لما اسلم عمر كان
الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل
المدبر لا يزداد الا ضعفا وقوله فارعوى اى فبسبب قوته وشدة
شكيمته ارعوى اى رجع واقلع وانكف الرقباء اى الاعداء عما كانوا
عليه من الافساد فى الدين واذايتهم للنبى واصحابه والذى
اى وهو ايضا الامام العادل القوى فى الله الذى تقرب الاباعد عنه فى
النسب وقوله فى الله اى لاجل رضى الله وقوله اليه وفى نسخة لديه
متعلق بتقرب فيكونون بذلك اولى عنده من اقاربه الذين ليسوا
كذلك وقوله وتبعد اى عنه القرباء اى قرباؤه اذا لم يوافقوه
على الدين فلم يحابى قريبا ولا صديقا ولا اوداء عنده ولا سمعة ولا حمية
ولا عصبية عمر بالجر بدل من ابى حفص او بالرفع خبر مبتدا محذوف
وقوله قوله الفصل مبتدا وخبر صلة من اى الفاصل بين الحق والباطل
وقوله السوى اى الذى لا اعوجاج فيه وقوله السواء تاكيد اى
المعتدم فر اى هرب منه الشيطان اى ابليس وكل متمرد انسى
او جنى وقوله اذ كان فاروقا اى لاجل ان كان فاروقا وقوله
فللنار اى فبسبب ما منحه من النور الذى يفرق به بين الحق والباطل
ويفر الشيطان منه بسببه وقوله للنار اى التى هى اصل الشيطان
وقوله من سناه بالقصر اى ضوئه وقوله انبراء اى انحاء والاصل فى
ذلك احاديث منها يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان
فجا قط الا سلك فجا غير فجك ومنها حديث لو كان بعدى نبى لكان عمر
ابن الخطاب ومنها حديث انى لانظر الى شياطين الانس والجن قد فروا
من عمر ومنها حديث انه صلى الله عليه وسلم قال له يا اخى اشركنا فى صالح
دعاك ولا تنسنا وابن عفان اى واقسم عليك ايضا بذى النورين
ابى عمرو عثمان بن عفان ذى الايادى اى صاحب الايادى اى النعم
جمع ايدى جمع يد والراجح كما حقق فى حواشى المطول ان الايادى يطلق حقيقة
على النعم والجوارح المعروفة وقوله طال اى عظم وامتد وقوله بها
متعلق بقوله الاسداء اى الاعطاء حفر البئر اى بئر رومة وذلك

بن

انها

والذى تقرب الاباعد فى الله
اليه وتبعد القرباء
عمر بن الخطاب من قوله الفصل
ومن حكمه السوى السواء
فر منه الشيطان اذ كان فاروقا
فللنار من سناه انبراء
وابن عفان ذى الايادى التى طا
ل الى المصطفى بها الاسداء
حفر البئر جهز الجيش اهدى الهدى
لما ان صده الاعداء

انها كانت ليهودى فقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ماء عذب غيرها
فقال من حفر بئر رومة او من اشتراها فله الجنة فاشتراها عثمان بعشرين
الف درهم وحفرها اى زاد فى حفرها وهى موجودة الى الآن فثوابها مستمر له
الى يوم القيمة وفى رواية ان عثمان اشترى من اليهودى نصفها بمائة بكرة
واقتسماها يوما لهذا ويوما لهذا واوقف نصيبه على المسلمين فجعل الناس
يستقون منها فى يوم عثمان ليومين فلما راى اليهودى انه قد امتنع عنه ما كان
يصيبه من ثمن الماء الذى يبيعه منها باع النصف الثانى بشىء يسير لعثمان
فتصدق بها كلها وتعبير الناظم بالحفر تبع فيه بعض الرواة ولم يبال بقول
من قال التعبير بالحفر وهم من بعض الرواة وانما المعروف انه اشتراها
ويجاب بانه لا مانع انه اشتراها ثم زاد فى تعميقها مبالغة فى تكثير
مائها لشدة احتياج الناس اليها وقد كان قبل شرائه لها تباع القربة منها بمد
والمد هناك بقدر الربع المصرى او ازيد بيسير وقوله جهز الجيش اى
جيش العسرة فى غزوة تبوك مكان بينه وبين المدينة ثمانية عشر يوما
وكانت فى السنة التاسعة وسمى جيشها جيش العسرة وتسمى ايضا غزوة
العسرة لتعسر السير فيها من قلة المركوب بالنسبة الى الجيش فقد كانت
العشرة منهم يتعاقبون على البعير الواحد ومن قلة الزاد والماء وشدة
الحر حتى كادت اعناقهم تنقطع عطشا ومنهم من نحر بعيره وامتص
فرثه وجعله على بطنه وقد حمل فيها عثمان على الف بعير وسبعين
فرسا واتى بعشرة آلاف دينار فوضعها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجعل يقلبها ويقول ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم ويقول غفر الله لك
يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما هو كائن الى يوم القيمة وعن
ابى هريرة اشترى عثمان الجنة من النبى صلى الله عليه وسلم مرتين حيث حفر
بئر رومة وحيث جهز العسرة وفى حديث قال صلى الله عليه وسلم من
يشترى هذا المربد ويزيد فى مسجدنا فله الجنة فاشتراه عثمان بعشرين
الفا وزاده فى المسجد والمربد محل تجفيف الثمار وقوله اهدى الهدى
اى الى مكة وارسله اليها عام الحديبية حين توجه صلى الله عليه وسلم
ومعه الف واربعمائة من اصحابه فى ذى القعدة سنة ست يريد العمرة
فمنعته قريش عن دخول الحرم فلهذا قال لما اى حين صده عن الدخول الاعداء
اى المشركون وتخصيص عثمان بالهدى مع ان غيره كان معه الهدى ايضا

لكن هو ارسل هديه الى مكة فنحر بها وغيره نحر هديه بالحديبية فقد كان
صلى الله عليه وسلم ارسله لقريش بمكة لعزته بقومه فيها فلما رجع وجد
الصحابة قد نحروا بالحديبية فارسل هو هديه الى مكة فظهرت خصوصيته
على غيره بهذا الاعتبار وابى اى امتنع لما ارسله النبى الى اهل مكة
حين صدوه عن دخول مكة فقال لعمر اذهب فاستاذن لنا ليخلوا بيننا
وبين الكعبة فقال يا رسول الله ليس لى هناك احد من بنى عمى يمنعنى ولكن
ارسل عثمان فان بنى عمه هناك يمنعونه من قريش فارسله صلى الله عليه وسلم
ليكلم اشراف قريش فى ان يرجعوا عن منعه وان يمكنوه من دخولها ليؤدى
عمرته وينحر هديه ولما ارسله صلى الله عليه وسلم امسك عنده سهيل بن عمرو
منهم حتى ياتى عثمان فلما وصل اليهم عثمان كلمهم فلم يمتثلوا واحتبسوه
عندهم وقالوا له ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فابى ح ان يطوف
بالبيت وقوله اذ لم يدن اذ تعليلية اى لم يقرب منه اى البيت
وقوله الى النبى متعلق بيدن وقوله فناء هو ما امتد من جوانب
البيت ولما احتبسوه بلغ النبى ان عثمان قد قتل فدعا الناس الى بيعة
الرضوان فبايعهم تحت الشجرة على القتال وان لا يفروا ولما بايع الناس
وعثمان غائب قال اللهم ان عثمان فى حاجة الله وحاجة رسوله فضرب
بيده اليمنى على اليسرى اى وضعها عليها وقال هذه بيعة عثمان فكانت
يد رسول الله لعثمان خيرا من ايديهم لانفسهم ولما سمع المشركون هذه
البيعة خافوا فارسلوا عثمان فجزته اى فبسبب ما وقع من عثمان
من امتثاله امر النبى وذهابه الى العدو ولم يبال لاحتمال ان يقتلوه
ومن تادبه مع رسول الله الادب البالغ بتركه الطواف مع اذنه لهم فيه
جزته عنها اى عن تلك الفعلة التى فعلها وهى الذهاب اليهم والامتناع
من الطواف وقوله ببيعة رضوان اى فيها فالباء بمعنى فى وسميت
ببيعة الرضوان لقوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين الآية وقوله
يد من نبيه اى عن عثمان وقوله بيضاء اى بالغة فى الكرم الذى عم
الانام الى مبلغ ضوء الشمس وعمومه للعالم ولم لا تجازيه تلك اليد البيضاء
والذى وقع منه من الامتناع من الطواف لاجل غيبة النبى وعدم تمكينهم
من الدخول ادب اى ادب عظيم عنده ومن عجيب هذا الادب انه
حصل فيه امر عظيم وفضل مستغرب جسيم وذلك انه مع كونه تركا للفعل العبادة

تضاعفت

وابى ان يطوف بالبيت اذ لم يدن منه الى النبى فناء

فجزته عنها ببيعة رضوان يد من نبيه بيضاء

ادب عنده تضاعفت الاعمال بالترك حبذا الادباء

تضاعفت الاعمال التى فى ذلك الفعل وهو الطواف اى ثوابها وقوله بالترك
اى بسبب الترك لذلك العمل لاجله صلى الله عليه وسلم فكان الترك هنا
افضل من الفعل لو وقع منه لانه ليس فيه هذا الادب الذى بلغ به عثمان
ما لم يبلغه غيره وهذا خصوصية لعثمان فلذا احق ان يقال فيه وفى غيره
على سبيل المدح حبذا الادباء وعثمان من اجلهم لانه كان عنده من الحياء
الذى هو منشا الادب ما لم يكن عند غيره وقد جاء ان النبى استحيى
منه وقال عثمان حيى تستحيى منه ملائكة الرحمة قال العلماء ولا نعرف
احد تزوج بنتى نبى غيره ولهذا سمى ذا النورين وقال وهو محصور يراد
قتله انه اختبا عند ربه اى اعطاه ربه عشرا انه رابع اربعة فى الاسلام
وانكحه صلى الله عليه وسلم ابنته وما تغنى وما تمنى ولا وضع يمينه على
فرجه منذ بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت به جمعة منذ اسلم الا
واعتق فيها رقبة اى فجملة ما اعتقه الفان واربعمائة رقبة تقريبا ولا زنى
ولا سرق جاهلية ولا اسلاما وجمع القرآن فى المصحف على هذا الترتيب
المعروف اليوم وقد جمعه الصديق قبل ذلك فى خلافته لكن لا على هذا
الترتيب وعلى اى واقسم عليك ايضا بعلى وسبق الاقسام به
لكن من حيث المعجزة التى وقعت له فى خيبر كما تقدم واما الاقسام به هنا
فهو من حيث ذاته ولاجل ان يبين ما هو مذهب اهل السنة واكثر
الفرق من ان الخلافة والافضلية على هذا الترتيب السابق ذكره
فافضلهم ابو بكر ثم عمر وهذا اجماع من الصحابة ومن بعدهم لا نزاع فيه
فهو قطعى ثم عثمان ثم على وهذا ما عليه الاكثرون فهو ظنى لا قطعى
وخالف فيه سفيان الثورى ومالك وغيرهما فقالوا بافضلية
على على عثمان وان كان عثمان احق منه بالخلافة وهل تجب محبتهم
برعاية افضليتهم فيه تفصيل وهو انه ان كانت من حيث الدين والعلم
ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب هذا الترتيب وان كانت لنحو
قرابة او لاحسان لم يجب رعايتها على هذا الترتيب وقوله صنو النبى
اى مثله من حيث اجتماعهما فى اصل واحد وهو عبد المطلب فهما كنخلتين
اصلهما واحد وفى حديث الترمذى فانما عم الرجل صنو ابيه وهذا من هذا
القبيل وقوله ومن دين اى والذى دين اى اعتقاد فؤادى اى قلبى
وداده اى حبه وقوله والولاء بفتح الواو اى موالاته اى مناصرته

وعلى صنو النبى ومن دين فؤادى وداده والولاء

والذب عنه وارة على من نازع في خلافته ولتأكد الذب عنه لكثرة اعدائه
من بنى امية والخوارج الذين بالغوا في سبه وتنقيصه حتى على المنابر
حضرة الناظم بذلك ولهذا اشتغل اكابر الحفاظ بنشر فضائله نصحًا
للامة ونصرة للحق ومن ثم قال احمد ما جاء لاحد من الفضائل ما جاء لعلي
ووزير ابن عمه اى ناصره وحامل كل ثقل نابه وقوله في المعالي
اى الدينية والدنيوية جمع العلى وهو الرفعة والشرف واصل هذا ما جاء
في الحديث انه صلى الله عليه وسلم لما خلف عليا على المدينة في غزوة تبوك قال
يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال اما ترضى ان تكون مني
بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدى وليست الوزارة خاصة بعلى
فقد اخرج الترمذى حديث ما من نبى الا وله وزيران من اهل السماء
ووزيران من اهل الارض فاما وزيراى من اهل السماء فجبريل وميكائيل
واما وزيراى من اهل الارض فابو بكر وعمر بل قد يستشكل ذكر
الناظم الوزارة في على دونهما مع انها لم ترد فيه لفظا وصحت فيهما وقد
يجاب بانها وردت فيه بمعناها على وجه ابلغ من لفظها وهو قوله
انت مني بمنزلة هرون من موسى فان هذه الوزارة المستفادة من هذا
اخص من مطلق الوزارة الواردة فيهما ومما يؤيد هذه الوزارة
الخاصة كونه صلى الله عليه وسلم آخاه دون غيره وارسله مؤذنا على الناس
بسورة براءة في موسم الحاج مع ان الخليفة على الحج ابو بكر وذلك
لان العرب لا يقبلون من يبلغ عن الكبير الا ان كان من اهله وجلدته
وانه استخلفه بمكة عند الهجرة حتى ادى ودائعه وقضى ما عليه واتاه
باهله فهذه كلها مؤذنة بوزارة الخاصة لم توجد في غيره فلهذا ذكرها فيه
فقط وقوله ومن الاهل اى من تلك السعادة ما امده به من المؤاخاة
فقد اخرج الترمذى آخى صلى الله عليه وسلم بين اصحابه فجاء على تدمع
عيناه فقال يا رسول الله اخيت بين اصحابك ولم تؤاخ بيني وبين احد
فقال انت اخي في الدنيا والآخرة ومنها العلوم التي اشار اليها بقوله
انا مدينة العلم وعلى بابها فمن اراد العلم فليأت الباب لم يزده كشف
الغطاء يقينا اى لو رفع الحجاب بينه وبين ربه وراى الذات العلية عيانا
لم يزدد يقينا يعني ان توحيده ويقينه في الله بلغ الغاية في الصحة والثبا
وقد اخبر بذلك عن نفسه حيث قال لو كشف لى الغطاء ما ازددت يقينا

Margin:
ووزير ابن عمه في المعالي ومن الاهل تسعد الوزراء
لم يزده كشف الغطاء يقينا بل هو الشمس ما عليه غطاء

اى لانه حصل عنده من البراهين القطعية على حقيقة التوحيد ومتعلقات
والايمان وصدق الرسل فيما جاءوا به ما لا يزيد اليقين فيه عند رؤية
ذلك عيانا واحترز بنفى زيادة اليقين نفسه عن زيادة ثمراته فان
عاقلا لا يشك ان عين اليقين اقوى من علم اليقين وان حق اليقين
اقوى من عين اليقين ودليله قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
فاثبت لنفسه حقيقة الايمان ويقينه وطلب زيادة الطمأنينة برؤية
العيان فلا منافاة بينه وبين ما قاله على خلافا لمن وهم فيه وقوله
بل هو بل للاضراب الانتقالى اى بل على في فضله وعلمه وزهده وتقدمه
وحقيقة خلافته الشمس اى مثلها في الظهور والاضاءة وقوله ما عليه
غطاء اى ساتر بل هو ظاهر لكل احد وعلم مما تقرر انه الحقيق بالخلافة
بعد الائمة الثلاثة بالاجماع ولا اكتراث ولا التفات الى من زعم انه
لا اجماع على خلافته وقد حفظ رضي الله عنه القرآن وعرضه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم واختلى بعد موته صلى الله عليه وسلم وكتب كتابا فيه
العلوم حتى قال ابن سيرين لو ظفرت بذلك الكتاب لظفرت بالعلم كله
وتقدم حديث اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه
لا نبي بعدى وهذا يبطل تمسك الشيعة به على انه الخليفة المقدم على
الكل ووجه البطلان ان هارون مات في حياة موسى قبل موته
باربعين سنة وكان قد خلفه حين ذهب لميقات ربه ليأتي بالتوراة
فح يؤخذ من الحديث ان عليا انما ثبتت له الوزارة والخلافة في حياة
النبي لا بعده لانه شبهه بهارون وهارون لم يخلف موسى بعد موته
في حياته كما علمت توفى كرم الله وجهه شهيدا عن ثلاث وستين
سنة ضربه اللعين عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم في جبهته واوصله
الى دماغه وذلك ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين وهو
خارج الى صلاة الصبح لكنه لم يمت الا ليلة الاحد في اثناء الليل وله
اسوة بالخليفتين قبله عمر وعثمان فان كلا منهما قتل شهيدا مظلوما
اما عمر فقتله ابو لؤلؤة مجوسى عبد للمغيرة بن شعبة لكونه شكى اليه
ثقل خراجه فلم يعذره لعلمه بقدرته عليه وزيادة لكثرة صنائعه فكمن
له الى ان ضربه بخنجر وهو في ثاني ركعة من صلاة الصبح يصلي بالمسلمين
ومن تمام سعادته دفنه مع النبي صلى الله عليه وسلم فانه ارسل ولده

بعد ان طعن يستأذن عائشة فى ذلك فقالت كنت اعددت هذا
المكان لنفسى ولا وثرنه بر فاشتد فرحه بذلك واما عثمان فاجتمع
على قتله اوباش اربعة آلاف متجمعون من مصر وغيرها فحاصروه الى
ان قتلوه فى اوسط ايام التشريق والمصحف بين يديه سنة خمسة
وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل اكثر وقيل اقل توهما منهم
انه اراد قتل محمد بن ابى بكر رضى الله عنهما وهو برئ من ذلك وانما
افتعله بعض اهله وكان الصحابة يمكنهم الدفع عنه لكنه منعهم
من ان يقاتلوا محاصريه لما قال له زيد بن ثابت ان الانصار بالباب
يقولون ان شئت كنا انصارا لله بين يديك مرتين فقال لا حاجة
لى فى ذلك كفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى عهدا وانا
صابر عليه ومن ثم كان عنده فى الدار مما يكفيه الكثيرون فارادوا
ان يمنعوا عنه فقال من اغمد سيفه فهو حر لانه علم باخبار النبى صلى
الله عليه وسلم انه مقتول مظلوم وانه على الهدى وانه لا مخلص له من
القتل وامر ان لا يعزل نفسه كما صح فى الحديث وهو يا عثمان انك
ستؤتى الخلافة من بعدى وسيرادك المنافقون على خلعها فلا تخلعها
وصم فى ذلك اليوم تفطر عندى وبباقى اصحابك اى بباقى العشرة
المبشرين بالجنة فى الاحاديث منها حديث ابو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة
وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف
فى الجنة وسعد بن ابى وقاص فى الجنة وتاسع المؤمنين فى الجنة وهو
سعيد بن زيد والعاشر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله المظهر
اى المبين الترتيب اى بينهم من النبى صلى الله عليه وسلم وهذا مفعول
وقوله فينا اى لنا وقوله تفضيلهم فاعل اى تفضيلهم على حسب
مراتبهم التى بينها مشرفهم صلى الله عليه وسلم وقوله والولاء معطوف
على الفاعل اى الموالاة والمناصرة الواجبة علينا بحسب مراتبهم فهو
بفتح الواو وهذا ما يقتضيه صنيع الشارح وفى ابن عبد الحق الاولى
هنا كسر الواو ويكون بمعنى التتابع وذلك لانه ذكر الولاء فيما سبق
بمعنى المناصرة فيكون بفتح الواو وقبل هذا ببيتين فلو فتحت الواو هنا
ايضا دخله الايطا وهو اتحاد اللفظ والمعنى وفيه ايضا ما يقتضى اسنا
الولاء اليهم اى موالاتهم للنبى صلى الله عليه وسلم طلحة اى ابن عبد الله
القرشى

وبباقى اصحابك المظهر التر تيب فينا تفضيلهم والولاء

طلحة الخير المرتضيه رفيقا واحدا يوم فرت الرفقاء

القرشى التيمى وسماه النبى طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الجود فكان
غاية فيه بحيث باع ارضا له بسبعمائة الف فباتت عنده فلم ينم مخافة من
حسابها واصبح فرقها على فقراء المدينة وكان مغله بالعراق فى كل سنة
اربعمائة الف وكان يكفى ضعفاء قومه ويقضى ديونهم ويرسل الى عائشة
فى كل سنة عشرة آلاف درهم وتصدق فى يوم بمائة الف ثم لم يجد ثوبا
يذهب به الى المسجد يصلى فيه وقوله المرتضيه اى الذى ارتضاه النبى صلى
الله عليه وسلم رفيقا وقوله واحدا هو ما فى اكثر النسخ وفى نسخة احد
وهو على هذه النسخة فاعل اى الذى ارتضاه احد رفيقا ففيه اسنا
مجازى وفى اخرى احدا وهو منصوب على نزع الخافض اى فى احد
وقوله يوم ظرف لاسم الفاعل وقوله فرت الرفقاء اى عن النبى
صلى الله عليه وسلم وهو يوم احد وفى ذكره واحدا الذى هو فى اكثر النسخ
نظر اذ المنقول ان الذين ثبتوا معه اربعة عشر من المهاجرين وسبعة
من الانصار لكن ظاهر كلام بعض اهل السير ان طلحة وقع له بعد
ذلك انفراد مع النبى ثم تتابعت الناس فانه قال وكانت لطلحة اليد
البيضاء يوم احد وقى النبى صلى الله عليه وسلم بيده فشلت واستمرت
شلاء وقد جاء فى حديث ما يصرح بما فى النظم على نسخة واحدا وهو
لقد رايتنى يوم احد وما فى الارض بقربى مخلوق غير جبريل عن يمينى
وطلحة عن يسارى وقد قال صلى الله عليه وسلم يوم احد اوجب طلحة
اى وجبت له الجنة وذلك ان النبى كان قد ظاهر بين درعين واراد
ان ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هناك فلم يستطع فبرك له طلحة
فصعد على ظهره واستوى عليها فقال اوجب طلحة وقد اصيب
يومئذ بسبعين او اقل او اكثر ما بين طعنة وضربة ورمية وكان
قد خرج هو والزبير على على فاجتمع بهما يوم الجمل فروى للزبير الحديث
الآتى فى مناقبه ووعظ طلحة فتاخر عن القتال ووقف فى بعض الصفوف
فجاءه سهم فى ركبته فقتله فى جمادى الاخرة سنة ست وثلاثين عن
اربع وستين سنة ودفن بالبصرة وحواريك اى واقسم عليك
بحواريك الزبير بن العوام القرشى ابن عمة رسول الله صفية حضر فتح مصر
مع عمرو بن العاص ولما اشتد الخوف يوم الاحزاب ندب النبى اى طلب
من ياتيه بخبر بنى قريظة فقال الزبير انا فقال صلى الله عليه وسلم

وحواريك الزبير ابى القر م الذى انجبت به اسماء

ان لكل نبي حواريًّا وحواريّ الزبير وقوله حواريا قال القسطلاني بفتح
الحاء المهملة وبواو وبعدها الف وبعد الالف راء مكسورة فتحتية مشددة
اي خاصة من اصحابه اهـ ونقل الزركشي عن الزجاج ان حواريا منصرف
لانه منسوب الى حواري وليس كبخاتي وكراسي لان ذلك جمع واحد بختي
وكرسي وقوله وحواري الزبير قال القسطلاني اضافه الى ياء المتكلم
فحذف الياء وضبطه جماعة بفتح الياء وآخرون بكسرها وهو القياس
لكنهم استثقلوا ثلاث ياآت حذفوا ياء المتكلم وابدلوا من الكسرة فتحة
كذا بخط الشيخ العجمي وكان مع الخارجين على علي يوم الجمل فلما دنت الصفوف
خرج علي وهو على بغلة رسول الله فنادى يا ايها الناس ادعوا الى الزبير
فدعي له فاقبل حتى اختلفت اعناق دوابهما فقال له علي انشدتك بالله
اتذكر يوم مر بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مكان كذا
وكذا فقال يا زبير اتحب عليا فقلت الا احب ابن خالي وابن عمتي
وعلى ديني فقال يا زبير اما والله لتقاتلنه وانت ظالم له فقال بلى والله
لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله ثم ذكرته الآن والله لا اقاتلك ثم
ادبر راجعا فلما وصل وادي السباع محل قريب من البصرة نام فجاءه
رجل فقتله في جمادى الاول سنة ست وثلاثين وعمره سبع وستون
سنة وحمل الى البصرة فدفن بها وقبره مشهور هناك وقوله ابي القرم
بفتح القاف وسكون الراء اي السيد الجليل المراد به ابنه عبد الله وقوله
الذي انجبت اي اتت به في غاية النجابة والشجاعة والرأي الحازم وهذا نعت
للقرم الذي هو عبد الله وقوله اسماء بنت ابي بكر الصديق ذات
النطاقين وكانت ولادتها له بعد عشرين شهرا من الهجرة بالمدينة وكان
اول مولود بعد الهجرة واشتد فرح المهاجرين به لان اليهود كانوا زعموا
انهم صنعوا لهم ما ابطل نسلهم وشرب دم النبي صلى الله عليه وسلم وقد خرج
عليه الحجاج ارسله له يزيد وهو بالشام فجاء له بمكة اول الحجة سنة
اثنين وسبعين فحاصره واستمر الحصار الى ان قتله سابع جمادى الاول
سنة ثلاث وسبعين وكان صواما يواصل الخمسة عشر يوما او اكثر
وكان اطلس اي لا لحية له وهو احد العبادلة الاربعة والثلاثة عبد الله
ابن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص
والصفيين تثنية صفي وهو المصفى من حظوظ الشهوات وقوله

توءم الفضل من اتأمت المراة ولدت اثنين اي ان الفضل انجبهما لكثرة
ما قام بهما منه ولو قال توءمي الفضل لكان اوضح اي انهما لما اشتركا في
الفضائل الجليلة صارا كانهما مولودان في حمل واحد وقوله سعد اي
ابن ابي وقاص بن مالك القرشي الزهري شهد المشاهد كلها مع رسول
الله وهو اول من رمى بسهم في سبيل الله ورمى يوم احد الف سهم ومن
كراماته الظاهرة انه قطع بجيوشه البحر على ظهور الخيل لم يبلغ الماء منها
الى حزمها والناس في غاية الطمانينة كانهم سائرون بالبر وكان الذي
يسايره سلمان الفارسي واقبل على النبي ذات يوم وهو جالس مع اصحابه
فقال هذا سعد خالي فليرني امرؤ خاله وقال له اجلس يا خالي فان الخال
والد توفي بقصره بالعقيق وهو واد بظاهر المدينة على عشرة اميال منها
فحمل اليها وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ وال بالمدينة وصلى عليه
امهات المؤمنين في حجرهن ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين عن
تسع وسبعين سنة وكان اوصى ان يكفن في جبة صوف لقي المشركين
فيها يوم بدر وقال انما كنت خباتها لذلك وهو آخر المهاجرين موتا
وقوله وسعيد اي ابن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي وهو ابن عم عمر و
زوج اخته والسبب في اسلامه توفي سنة خمسين عن بضع وسبعين
سنة ودفن بالمدينة وابوه زيد توفي في الجاهلية لكن جاءت احاديث
تدل على انه من اهل الجنة وقوله ان عدت الاصفياء اي فهذان من
اكابرهم وكيف وفي اسميهما ما يشعر ببلوغهما مرتبة عظمى من مراتب
السعادة وابن عوف اي وعبد الرحمن بن عوف بن الحارث
القرشي الزهري صح انه صلى الله عليه وسلم اقتدى به في غزوة تبوك وصلى
وراءه ركعة من صلاة الصبح وهذه منقبة عظيمة وسببها انه
صلى الله عليه وسلم ذهب يقضي حاجته وادركهم الوقت فاقاموا الصلاة
فتقدمهم عبد الرحمن فجاءه صلى الله عليه وسلم فاقتدى به مع القوم
ولما اتم ما فاته خلفه قال ما قبض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من
من امته واتم ايضا بابي بكر وبجبريل وكان عبد الرحمن كثير الانفاق
في سبيل الله اعتق في يوم واحد ثلاثين عبدا حتى جاء ان جملة ما اعتقه
ثلاثون الفا قال الزهري تصدق على عهد النبي بشطر ماله اربعة
الاف دينار واربعين الف دينار ثم بمثلها ثم بخمسمائة فرس ثم بخمسمائة راحلة

واوصى لامهات المؤمنين بحديقة فبيعت بمائة الف دينار واوصى بخمسين
الف دينار في سبيل الله ولكل واحد ممن بقى ممن شهد بدرًا باربعمائة دينار
وكانوا مائة من جملتهم عثمان فاخذ مائة وهو امير المؤمنين وبالف فرس
في سبيل الله وكان اهل المدينة عيالا عليه ثلث يقرضهم وثلث يقضى
ديونهم وثلث يصلهم روى انه صلى الله عليه وسلم قال له لن تدخل
الجنة الا زحفا فاقرض الله يطلق لك قدميك قال ما الذى اقرضه قال
تبرء من كل مالك فهم بذلك فاتاه جبريل فقال مره فليضف الضيف
وليطعم المسكين وليعط ابن السبيل فاذا فعل ذلك كان كفارة لما
هو فيه وقوله من هونت بدل مما قبله وقوله هونت نفسه الدنيا
اى صيرتها رخيصة عنده وقوله ببذل اى بسبب بذله لها فى وجوه
الخير بذلا دائما مستمرا وقوله يمده بضم الياء وكسر الميم اثرا اى كثرة
المال الذى فتح الله عليه به وكثرته من التجارة لانه كان ذا الحظ وافر فيها
بحيث لو امسك التراب صار ذهبا والمكنى ابا عبيدة وهو عامر

والمكنى ابا عبيدة اذ اعطى
زيدا على الامانة الامناء

ابن الجراح القرشى الفهرى امين هذه الامة قال صلى الله عليه وسلم
ان لكل امة امينا وامين هذه الامة ابو عبيدة ولما قدم عمر الشام تلقاه
الناس فقال اين اخى ابو عبيدة فقالوا ياتيك الساعة فاتاه على ناقة
مخطومة بخطام ليف فنزل عمر عن راحلته واعتنقه وقال للناس انصرفوا
عنا ثم دخل معه الى بيته فلم يجد فيه سوى سيفه وترسه وقوسه
وراحلته فبكى وقوله اذ يعزى اذ ظرف لاقسم المقدر او تعليل
له قال الجوهرى عزوته وعزيته لابيه اذا نسبته اليه فالمعنى هنا
ينسب اليه اى الى ابى عبيدة الامانة الامناء واجلهم نبينا فانه قال
لكل امة امين الى آخر ما تقدم توفى سنة ثمانى عشرة بالطاعون
فى طاعون عمواس وهى قرية بين الرملة وبيت المقدس اول ما وقع بها
ذلك الطاعون فينسب اليها ثم انتشر بالشام واعلم ان ما ورد
فى ابى عبيدة وفى غيره كقوله فى ابى ذر انه اصدق من اظلت الخضراء
واقلت الغبراء لا يقتضى تفضيلا عن الخلفاء الراشدين لان اولئك
كملت فيهم الصفات كلها واعتدلت فلم يترجح بعضها على بعض واما
هذان فكملت فيهما صفة الامانة والصدق فتميزا بهما على من لم يكملا
فيهم ولو سلم زيادتهما فيهما على اولئك لم يقتض ذلك لان المفضول

قد

١٧ وبعميك نيرى فلك المجد
وكل له منك اتاء

قد يتميز بمزية او مزايا لا توجد فى الفاضل لانه خلف تلك المزايا مزايا اخرى
اجل منها واعظم وبعميك اى واقسم عليك بعميك اخوى ابيك
وهما حمزة والعباس وكل منهما اسن من النبى بنحو السنتين اى ولد قبل
ولادته بنحو السنتين ولم يسلم من اعمامه التسع غيرهما والبقية ماتوا
فى الفترة لم يدركوا بعثته صلى الله عليه وسلم الا ابو طالب وابو لهب فادركا
البعثة ولم يسلما وماتا شقيين وقوله نيرى تثنية نير وهو الكوكب
المضئ وهذا من التشبيه البليغ فشبههما بالنيرين اى الشمس والقمر بجامع
مطلق الاشراق فى كل وان كان فى العمين معنويا وفى الشمس والقمر حسيا
وقوله فلك المجد الفلك ما يسير فيه الكوكب واضافة النيرين اليه
ترشيح للتشبيه واضافته الى المجد تجريد للتشبيه اذ المجد الكرم والحسب
وقوله وكل منهما اتاه اى حصل له منك اتاء بوزن كتاب وهو
ثمر الشجر كما فى القاموس وهذا بالنظر لاصل معناه والا فالمراد به هنا
النعم والخيرات الواصلة منه اليهما اما حمزة ويكنى ابا عمارة ويلقب
باسد الله واسد رسوله فكان شجاعا اخا للنبى من الرضاع اسلم قديما
قبل عمر بثلاثة ايام استشهد باحد نصف شوال فى السنة الثالثة
بعد ان قتل ثلاثين كافرا قتله وحشى وهو عبد لعقبة السلمى قال
لقد رايت حمزة يهد الابطال هدا فاختفيت له فلما تمكنت منه رميته
بحربتى فاصابته ووليت هاربا فتبعنى ثم سقط وبعد ذلك اسلم
وحشى وخرج يوم اليمامة فى جيش ابى بكر فشارك رجلا فى قتل مسيلمة
الكذاب فكان يقول هذه بتلك ولما راى النبى حمزة قتيلا بكى ولما
راى ما مثل به شهق وقال لن اصاب بمثلك ابدا ما وقفت موقفا
اغيظ لى من هذا وبكى عليه صلى الله عليه وسلم وقال يا حمزة يا عم رسول
الله يا اسد الله واسد رسوله يا فاعلا للخيرات يا كاشفا للكربات
وصح الحاكم حديث والذى نفسى بيده انه لمكتوب عند الله فى السماء السابعة
حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله وورد من طرق ان الملائكة
غسلته واما العباس وكنيته ابو الفضل فكان جليلا جوادا ذا راى
وعقل كامل معظما بين الصحابة رئيسا فى قريش قبل الاسلام وكان
مع النبى يوم العقبة فعقد له البيعة مع الانصار وكان صلى الله
عليه وسلم يثق به فى اموره كلها اسر ببدر وقد قال لهم صلى الله عليه وسلم

وبام السبطين زوج علي وبنيـ
ـها ومن حوته العباء

من لقيه فلا يقتله فانزخرج مستكرها وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم
يئن لكونهم شدوا وثاقه فلم ينم فقيل له ما يسهرك يا رسول الله قال انين
العباس فقام رجل فارخى من وثاقه ووثاق البقية وفادى نفسه
وعقيلا ابن اخيه واسلما في بدر سرا وكتم اسلامه الى قبيل الفتح فخرج
مهاجرا فلقي النبي بالابواء فاظهر اسلامه وبه ختمت الهجرة وكان ردءا
للنبي بمكة يكاتبه باخبار اهلها وكان يحب القدوم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيكتب اليه ان بقاءك بمكة خير لك وثبت معه يوم حنين
توفي بالمدينة ثاني عشر رجب او رمضان سنة اثنين وثلاثين وله
من العمر ثمانية وثمانين سنة وقبره مشهور بالبقيع وقال له صلى الله
عليه وسلم الا ابشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء والخلفاء والمهدي
وكون المهدي من ولد العباس يحمل على ان فيه شعبة منه لما صح انه من
ولد فاطمة وصح انه من ولد الحسن وجاء انه من ولد الحسين ولا تعارض
لان فيه شعبة من ولد الحسن ايضا فهو حسني وفيه شعبة من الحسين
وشعبة من العباس واخرج الخطيب حديث يا عباس انت عمي وصنو
ابي وخير من اخلف بعدي من اهلي اذا كان سنة خمس وثلاثين ومائة
فهي لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي
وبام السبطين اي واقسم عليك بام السبطين الحسن والحسين فاطمة
وهي اصغر بناته صلى الله عليه وسلم وقوله زوج علي زوجها له النبي
صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية من الهجرة بوحي من الله وبنى بها بعد
تزوجها بسبعة اشهر ونصف في ذي الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا
وكان سنها خمسة عشر سنة وخمسة اشهر ونصف شهر وقيل كان سنها
نحو عشرين سنة وكان سن علي اذ ذاك احدى وعشرين سنة واشهرا
توفيت بعده صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة احدى عشر فبينهما نحو
ستة اشهر وسنها تسع وعشرون سنة دفنها علي ليلا بوصية منها
واختلف في محل دفنها فقيل انها في المسجد الشريف بقرب قبر والدها
والاشهر انها في قبة ولدها الحسن قرب محرابه وكان القطب ابو العباس
المرسي يجزم بهذا ولعله كوشف به وروى احمد في المناقب والدولابي
انها اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت وقالت اني مقبوضة
الآن فلا يغسلني احد ولا يكشفني فماتت فامتثل علي وصيتها لكن

يعارضه

يعارضه ما جاء انها امرت فاطمة بنت عميس ان تغسلها وهذه الرواية
مقدمة لان الاصل عدم الخصوصية وقوله وبنيها يعني اولادها
الحسن والحسين ومحسنا وهو بفتح الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد
السين المكسورة كما في سيرة الشامي وهذا مات صغيرا وام كلثوم
وزينب ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب الا منها فانتشر نسله من
جهة السبطين فقط وتزوج عمر بن الخطاب ام كلثوم فولدت له
ذكرا وانثى وماتا صغيرين ثم بعد عمر تزوجت بعون بن جعفر ثم
بعد موته تزوجت باخيه محمد ثم باخيه عبد الله ولم تعقب منهم شيئا
ثم تزوج الاخير وهو عبد الله بن جعفر باختها زينب فولدت له عدة
منهم علي وام كلثوم وانتشر نسلهما ولهم شرف اعلى من شرف اولاد
عبد الله من غير زينب وادنى من شرف اولاد الحسنين لمزيتهما
بما ورد فيهما وبجعفر الصادق ولد اسمه اسحاق تزوج بالسيدة
نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي كرم الله وجهه ولد
منها ولدين لم يعقبا قاله السيوطي في الخصائص الصغرى
ويطلق على آله صلى الله عليه وسلم الاشراف والواحد شريف وهم اولاد
علي وعقيل وجعفر والعباس هذا ما اصطلح عليه السلف وانما
حدث تخصيص الشريف بولد الحسن والحسين في مصر خاصة من
عهد الخلفاء الفاطميين وقوله ومن حوته العباء وهم النبي وفاطمة
وعلي وابناؤهما وفي لبعض هؤلاء فضائل وصح انه صلى الله عليه
وسلم جعل على علي وفاطمة وابنيهما كساء وقال اللهم هؤلاء اهل
بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فامنت
اسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين ثلاثا والاسكفة
بضم الهمزة وسكون السين وضم الكاف وفتح الفاء المشددة عتبة
البيت وبازواجك اي واقسم عليك بازواجك اللواتي تشرفن
بان صانهن عن النار والنقائص وقوله منك حال من قوله بناء
اي دخول وظاهر كلامه ان من تزوجها ولم يدخل بها لا يحصل لها ذلك
الشرف وينبغي تخريجه على حرمتها على غيره ان قلنا تحرم وهو الاصح حصل
لها الشرف او تحل لم يحصل لها وهن احدى عشرة متفق عليهن ستة قرشيات
واربع عربيات واسرائيلية فالاولى خديجة تزوجها بعد زوجين

وبازواجك اللواتي تشرفـ
ـن بان صانهن منك بناء

ولها يومئذ اربعون سنة وله خمس وعشرون واولاده كلهم منها الا ابرهيم
فمن مارية القبطية توفت قبل الهجرة بثلاث سنين ودفنت بالحجون عن
خمس وستين سنة ثم تزوج سودة بنت زمعة بعد عقده على عائشة
ودخل بها قبل عائشة توفت بالمدينة فى شوال سنة اربع وخمسين ثم
تزوج عائشة بمكة فى شوال سنة عشر من النبوة ودخل بها فى شوال فى المدينة
على راس ثمانية عشر شهرا وهى بنت تسع سنين ولم يتزوج بكرا غيرها
ماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين ثم تزوج حفصة بنت عمر سنة
ثلاث من الهجرة توفت سنة خمس واربعين ثم ام سلمة سنة اربع وماتت
سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع ثم ام حبيبة رملة بنت ابى سفيان
ابن حرب بعد ان مات زوجها عبد الله بن جحش بالحبشة مرتدا وتزوجه
بها سنة ست زوجها النجاشى لعمرو بن امية الضمرى وكيله صلى الله
عليه وسلم واصدقها عنه اربعمائة دينار وبعث بها اليه سنة سبع
ماتت بالمدينة سنة اربع واربعين وتزوج زينب بنت جحش بعد زيد
مولاه زوجه الله بها فدخل عليها بغير عقد كما دلت عليه الآية وكانت
تفتخر بذلك على امهات المؤمنين سنة خمس وقيل ثلاث وهى اول من
مات منهن بعده ماتت بالمدينة سنة عشرين وتزوج زينب بنت
خزيمة الهلالية سنة ثلاث ثم ماتت بعد ثلاثة اشهر وتزوج ميمونة
بنت الحارث الهلالية سنة سبع بعد خيبر بسرف وبنا بها فيه وكان
حلالا بعد ان ادى عمرة القضى ورواية انه كان محرما معناها انه فى
الحرم على ان من خصائصه ان له ان ينكح وهو محرم وماتت بسرف
سنة احدى وخمسين وقبرها به مشهور يزار ويتبرك به وتزوج جويرية
بنت الحارث الخزاعية وعمرها اذ ذاك عشرون سنة توفت سنة خمسين
وتزوج صفية بنت حيى بن اخطب من نسل هرون وهى من سبى خيبر
اعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها وبنى بها وهو راجع الى المدينة ماتت
فى رمضان سنة خمسين ودفنت بالبقيع فهؤلاء نساؤه المجمع
عليهن واختلفوا فى ثنتى عشرة امرأة بعضهن الاصح فيه انه طلق قبل
الدخول وبعضهن الاصح فيه انه لم يتزوجه ومحل بسط هذا فى كتب
السير واختلف فى عدة اولاده عليه الصلاة والسلام وجملة
ما اتفق عليه منهم ستة القاسم ولد قبل النبوة وبه كان يكنى ومات

بعد

مكة مكرمه ... اوج ساعت قدر يولدر

بعد نحو سنتين واربع بنات اولاهن زينب وهى اكبرهن ماتت سنة ثمان
من الهجرة عند زوجها ابى العاص ابن الربيع ولدت منه عليا ومات قبل
البلوغ وامامة التى حملها صلى الله عليه وسلم فى الصلاة تزوج بها على
بعد فاطمة ثم رقية توفت وهو صلى الله عليه وسلم ببدر ولما عزى بها قال
الحمد لله دفن البنات من المكرمات ثم ام كلثوم لا يعرف لها اسم وانما
تعرف بكنيتها توفت سنة تسع تزوجها عثمان بعد ابنى ابى لهب وهما
عتيبة بالتصغير وعتبة بالتكبير ثم فاطمة قال ابن عبد البر
ولدت سنة احدى واربعين من مولده والذى رواه ابن اسحاق انها
ولدت قبل النبوة واختلفوا هل ولد له غير اولئك الستة فقيل نعم
ولد له الطيب والطاهر وعبد الله وعبد مناف والمطهر وقيل الطيب
والطاهر لقبان لعبد الله وهذا كله فى اولاده من خديجة ولم يولد له
من غيرها الا ابرهيم من مارية القبطية ولد فى ذى الحجة سنة ثمان
ثم توفى وله سبعون يوما وقيل وله سنة وعشرة اشهر وقيل غير ذلك

الامان الامان ان فؤادى
من ذنوب اتيتهن هواء

الامان مفعول به او مطلق وعامله مقدر فتقديره على الاول
انلنا وعلى الثانى آمنا والثانى تاكيد اى آمنا يا رسول الله من عقاب
اقترفته من الذنوب وقطيعة ما جمعته من العيوب وقوله ان
فؤادى بالفتح تعليلا والكسر استئنافا وفيه ايماء الى العلة ايضا
وقوله هواء اى خال من فهم ما ينفعنى وفى نسخة هباء اى لا وجود له

قد تمسكت من ودادك بالحبل
الذى استمسكت به الشفعاء

قد تمسكت اى ومما يعطفك على حتى يزيد اعتناؤك بى وامدادك
لى انى قد تمسكت اى توثقت واعتصمت من ودادك بالحبل اى
بالسبب الاقوى وهو العهد الوارد عنك فى الاحاديث الصحيحة ان
المرء مع من احب وان لم يعمل بعملهم فالحبل هو المحبة وقوله الذى
استمسكت به الشفعاء اى من الانبياء والعلماء والصالحين فلم
يحصل لهم مرتبة الشفاعة الا بواسطة محبتهم لك واذا ورثتهم محبتك
مرتبة قبول شفاعتهم فى الاغيار اورثنى وقوع شفاعتك فى بمجرد
انى احبك كما يحبونك وان اختلف مقدار المحبة فى الطرفين وكون
المحبة تستلزم الاتباع انما هو اغلبى كما يدل عليه حديث يا رسول الله
المرء يحب القوم ولا يعمل بعملهم فقال المرء مع من احب وان لم يعمل
بعملهم

وابى الله ان يمسنى السوء
بحال ولى اليك التجاء

وابى الله اى لم يرد ذلك كما جرت به عادة كرمه وفضله وجوده

قد رجوناك للامور التى ابر دها فى قلوبنا رمضاء

وأتيناك انضاء فقر حملنا الى الغنى انضاء

وانطوت فى الصدور حاجات نفس ما لها عن ندى يديك انطواء

فاغثنا يا من هو الغوث والغيث اذا اجهد الورى اللاواء

والجواد الذى به تفرج الغمة عنا وتكشف الحوباء

وذلّ عليه ما تفضل به عليك بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقوله
بحال اى فى اى حال من الاحوال الدنيوية والاخروية وقوله ولى اليك
اى والحال ان لى اليك التجاء اى استناد لمزيد محبتى لك ومن هو كذلك
حقيق بان لا يناله من ربه عذاب ولا سخط ولا حرمان ولا قطيعة
قد رجوناك اى معشر محبيك وخدامك ايها النبى الكريم
اى أملنا فيك وقوله للامور اى العظيمة من الذنوب والمخالفات
والغفلات والشهوات وقوله التى ابردها اى ايسرها وقوله
رمضاء اى نار تتقد اى من شدة خوف المؤاخذة بما كسبته قلوبنا
والسنتنا وجوارحنا وأتيناك اى بقلوبنا اى وجهناها
الى الاستعاذة بك من كل مكروه او اتيناك الى قبرك المكرم وقوله
انضاء حال اى حال كوننا انضاء جمع نضو بكسر النون اى مهازيل
وقوله فقر اى من الاعمال الصالحة فلكثرة ما حملنا من الذنوب
ضعفنا عن حمله وهزلنا بسبب ثقله وقوله الى الغنى اى الى محله
وهو حضرتك المشرفة التى فيها الغناء الاكبر وقوله انضاء اى
ركاب مهازيل اجهدها طول السير وشدة الاسراع بها الى الوصول
الى حضرتك العلية اغتناما للوقوف بساحة كرمها والتملى بشهود
احسانها ونعمها وانطوت اى استترت فى الصدور اى القلوب
حاجات نفس املت حصولها من جنابك الكريم ترفعها اليك
اذا وصلت الى حضرتك وحظيت بحلول نظرك من تلك الحاجات
الامداد من مزاياك والتوسل والتشفع بك الى مولاك وقوله
عن ندا يديك اى عطاء يديك الكريمتين وقوله انطواء اى
استتار واستغناء بل لا يقضيها غير جاهك الواسع
فاغثنا اى بشفاعتك يا من هو الغوث اى للمكروبين والملجأ
للمنقطعين وقوله والغيث اى المطر المربع للمضطرين المشبع
للجائعين فازل شكوانا وارفع لأوانا وقوله اذا اجهد اى اذا
ضيق على الخلق الجدب حتى اشرفوا على التلف فاللواء شدة الحاجة
والجواد اى الاعظم الذى به اى بسببه تفرج الغمة عنا معشر
امتك وقوله وتكشف الحوباء بفتح اوله وضمه اى الاثم اى
عقابه والشدة والحاجة والحالة القبيحة وفى نسخة به تفرج الكرب عنا
وتكشف

يا رحيما بالمؤمنين اذا ما ذهلت عن ابنائها الرحماء

يا شفيعا فى المذنبين اذا اشفق من خوف ذنبه البراء

جد لعاص وما سواى هو العا صى ولكن تنكيرى استحياء

وتكشف الغماء وهى بمعنى الاولى لتساوى الغمة والكربة اذ هما الغم
الذى يشتد على النفس الى ان يكاد يقتلها يا رحيما هذا نداء
يتضمن غاية الاستعطاف والترحم وهو معطوف على النداء قبله بحذف
حرف العطف وقوله رحيما من الرحمة وهى رقة فى القلب تقتضى
التفضيل الذى هو غايتها والانعام وارادتهما وقوله اذا ما
ظرف لرحيما وما زائدة وقوله ذهلت اى غفلت وهذا مقتبس
من قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة الآية وتقييد رحمته بالمؤمنين
بهذا ليس لانتفائها فى غيره بل لانها فى هذا اليوم اظهر واعم لان الله
تعالى يظهر له صلى الله عليه وسلم من العظمة والسؤدد والتقدم
على جميع الانبياء والمرسلين ويخصه بالشفاعة العظمى فى فصل
القضاء ما يعلم اهل جميع ذلك الموقف انه لا اقرب منه الى ربه وان
كل نسب ينقطع فى ذلك اليوم الا حسبه ونسبه يا شفيعا
من الشفاعة وهى السعى فى حال المشفوع فيه عند المشفوع له وقوله
فى المذنبين اى فى غفران ذنوبهم وكشف كربهم وقوله اذا اشفق
ظرف لشفيعا اى ذل اذ الشفق يطلق على المشقة وشأن من حصلت
له المشقة الذلة والدهشة وقوله من خوف اى من اجل خوف
عقاب ذنبه وهذا الضمير عائد على البراء المتقدم رتبة لكونه فاعلا
وافراده لكون البراء مرادا به الجنس وقوله البراء اى من الكبائر
اى الذين لا كبيرة لهم جمع برئ بوزن قتيل وذكرهم لان خوفهم من
الصغائر فقط يدل على شدة ذلك اليوم ومناقشة الحساب فيه
وان كان الخوف من الذنوب يعم اكثر الناس لانهم لا يخلون من
صغيرة بل صغائر ولا يخرج من ذلك الا المعصومون والمحفوظون
ومع ذلك يعمهم الخوف ايضا جد اى يا من تحلى بكمال الرحمة
ونهاية الشفاعة وقوله لعاص اى اسرته الخطايا واحاطت به
البلايا ومقتضى الظاهر ان يقول جد لى اولنا لكنه ارتكب التجريد
او الالتفات وآثر التنكير لما يأتى ولم يعين ما يجود به عليه قصدا
لعموم المسئول بان يجود عليه فى ذلك اليوم بايصال شفاعته له الى
كل مرغوب وصرفه عن كل مرهوب وقوله وما سواى ما نافية
اى وما غيرى هو العاصى ولكن تنكيرى اى تنكير نفسى واسمى الواقع

فى قولى لعاصٍ وقوله استحياءً اى منك ان اذكر لك نفسى بلفظ
يدل عليها بخصوصها مواجهاً لك بالتصريح بارتكابها ما نهيتها عنه
وحمل الاستحياء على التنكير مبالغة كرجل عدل هذا تقرير عبارته وفيها
مؤاخذة من وجهين احدهما الذى عليه الجمهور ان ضمير الفصل انما
يفيد قصر المسند على المسند عليه نحو ان الله هو الرزاق اى لا رازق
سواه لكن فى الفائق ان تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند اليه
وقد يكون لقصر المسند بحسب المقام فعلى الاول ان هو العاصى
دال على حصر العصيان فى سواى كزيد هو القائم والمستفاد
من النفى اذا دخل على الجملة نفى ذلك الحصر بناء على المشهور ان النفى
يتوجه للقيد وح فمفهومه يشمل شيئين انه عاص وحده وانه عاص
هو وغيره واذا فهم النظم ذلك لم يصح قوله ولكن الخ لانه اثبت على
احتمال العصيان لغيره معه وهو خلاف قصده من انه العاصى
وحده الوجه الثانى ان التنكير هنا لا نسلم انه يفيد الاستحياء
ولئن افاده فشان السائل عدم الحياء لان المطلوب من المحتاج
ان يرفع حاجته مبيناً لنفسه حتى يعرف حاله فيستعطف عليه
فابهامه لنفسه غير لائق ولك ان تجيب عن الوجه الاول بان
من الواضح ان سوى كغير فلا تتعرف بالاضافة وان ال فى العاصى
للعهد الذهنى فهى للجنس فيراعى فيها التعريف تارة والتنكير
اخرى وح زال الحصر الموهم مفهومه ما مر وصار المعنى وما سواى عاصياً
بل انا العاصى وحدى وعن الوجه الثانى لان السائلين اقسام منهم
من يغلب عليه الحياء والخجل فيبهم نفسه وتداركه اى ادركه
بالعناية منك له بان تمده بسوابغ كرمك وقوله ما دام له بالذ
بمعجمة مكسورة وهذا قسم متعلق بتداركه والا لزم خلوه عن معنى
يليق بالسياق اى تداركه بحق حرمتك التى انعم الله بها عليك
فالذمام هو الحرمة وقوله ذماء بفتح الذال المعجمة اى تعلق
واصله بقية الروح فى المذبوح اى ما دام فيه ادنى تعلق واستمساك
بك لانك اكرم الكرماء وعادة الكريم ان كل من تعلق به نجا من كل
ما يخاف اخرته اى ذلك العاصى وقوله الاعمال اى السيئة
التى ارتكبها وقوله والمال اى الفانى الذى امسكه عن صرفه

وتداركه بالعناية ما دا
م له بالذمام منك ذماء

اخرته الاعمال والمال عما
قدم الصالحون والاغنياء

فى وجوه الخير اى من الاعمال الصالحة بالنسبة للصالحين والانفاق
فى وجوه الخير بالنسبة للاغنياء او الذى جمعه من وجوه الشر
حتى اشتغل به قلبه وقوله عما قدم الصالحون جمع صالح وهو
المتمم لحقوق الله وحقوق العباد وقوله والاغنياء هذا لف
ونشر مرتب لان الاول يرجع للاعمال والثانى للمال كل يوم
اعترف رحمه الله بذنوبه لان الاعتراف مظنة العفو قال تعالى
وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية نادماً عليها للحديث الصحيح الندم
توبة فقال كل يوم اى وليلة ذنوبه صاعدات اى مع ملائكة الليل
والنهار الذين يرفعون اعمال العباد فيهما الى الله تعالى اظهاراً لعظم
فضل الطائع وقبيح فعل العاصى وقوله وعليها اى من اجلها
وقوله صعداء اى متواترة ممدودة من شدة من كرب الندم
وفرط الاسف عليها وسبب الوقوع فى ورطتها انه الف البطنة
الخ الف البطنة بالكسر اى ملأ بطنه من الطعام والشراب
وقوله المبطئة السير اى الى الله اى المعوقة عن الجهاد فى رضاه
باستفراغ الوسع فى الاعمال الصالحة وقوله بدار اى فيها
وهى الدنيا وقوله بها اى فيها البطان جمع بطين ككرام جمع كريم
وقوله بطاء جمع بطى على وزن الجمع قبله فهم متأخرون عن
الفائزين متخلفون عن السابقين فبكى ذنبه اى فبسبب
عصيانه بكى ذنبه وقوله بقسوة قلب اى مع قسوته وغلظه
المؤديين الى ان البكاء صورى لا حقيقى ومن ثم قال نهت
تلك القسوة الدمع عن ان يبرز منه شئ فى عين ذلك الباكى وقوله
فالبكاء اى فبسبب هذا النهى انقلب البكاء عن حقيقته وهو
حزن يعترى القلب فيحصل له من الهيبة والقلق المزعج والخوف
المقلق ما يجرى الدمع وينتج الرجوع وصار ذلك البكاء كانه مكاء
بالتخفيف اى كالصفير اى التصفير بالفم بجامع ان كلا صوت
يجرى على اللسان ولم يؤثر به القلب وهذا تلميح لقوله تعالى وما كان
صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية الآية وعدا اى صار
ذلك العاصى بعدما وقع منه من المعاصى والبكاء الذى لا يفيد
لمزيد قسوة قلبه وقوله يعتب القضاء اى يتعلل به ويستند اليه

كل يوم ذنوبه صاعدات
وعليها انفاسه صعداء

الف البطنة المبطئة السير
بدار بها البطان بطاء

فبكى ذنبه بقسوة قلب
نهت الدمع فالبكاء مكاء

وعدا يعتب القضاء ولا عذ
ر لعاص فيما يسوق القضاء

ويعتذر كان يقول قدّر الله على هذا الامر ولا حول منّى ولا قوة وقوله
ولا عذر اى والحال انه لا عذر لعاصٍ يحتج به على الله حتى يسقط عنه
الاثم والمؤاخذة وقوله فيما يسوق القضاء اى من المعاصى
وذلك لان الله اجرى عادته الالهية بترتيب المسببات على اسبابها
ونسبة تلك المسببات الى المكلف نظراً للصورة واختياره فيها
وكونه متمكناً بحسب الظاهر من تركها او فعلها فيثاب ويعاقب
بهذا الاعتبار وان كان فى نفس الامر مكرهاً لان الكل من الله سبحانه
وتعالى ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن فيجب على المكلف رعاية المقا
بان تسند الافعال الى فاعلها بحسب الصورة فيستحق المدح
او الذم والى الله تعالى حقيقة من حيث عجز العبد عن التنصل
والتخلص منها هذا هو مذهب اهل السنة ونبطل مذهب
القدرية والجبرية كما هو مقرر فى محله فان قلت قوله ولا عذر
لعاصٍ الخ ينافيه احتجاج آدم بالقضاء والقدر فى قصته مع موسى
لما اجتمع به فى عالم الارواح او الاشباح فقال موسى انت ابونا
آدم الذى اخرجتنا من الجنة بخطيئتك فقال له الم تجد فى التوراة
ان الله قدّر ذلك علىّ اى كتبه فى اللوح المحفوظ قبل ان اخلق
باربعين سنة ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم بعد ان
اخبر بهذه القصة فحجّ آدم موسى اى غلبه بالحجة قلت
لا ينافيه وذلك لان الاحتجاج بالقدر وان كان قبل الوقوع فى
الذنب ليكون وسيلة للوقوع فيه لم يجز وان كان بعد الوقوع فيه
وقبل ان يستوفى منه مقتضاه كحدّ او تعزير ليمنع ذلك بالاحتجاج
لم يجز ايضاً وان كان لا يمنع ذلك بل ليمنع تعييره به ساغ له ذلك
كما صرح به قوله صلى الله عليه وسلم فحجّ آدم موسى
اوثقته
اى حبسته فى الدنيا عن الخلوص من التبعات وفى الآخرة عن مقا
الكريم وقوله من الذنوب حال مقدمة على صاحبها وهو ديون
اى ديون تراكمت عليه حال كونها ناشئة من كثرة ذنوبه وتفريطه
فى حقوق الله وحقوق عباده وقوله فى اقتضائها اى طلبها منه
وانما شددت لان حقوق الآدميين مبنية على المشاححة والمضايقة
ما له حيلة اى طريق فى التخلص من تلك الذنوب وقوله

اوثقته من الذنوب ديون
شددت فى اقتضائها الغرماء

ما له حيلة سوى حيلة المو
ثق اما توسل او دعاء

الموثق اى الاسير الذى صار لا يقدر على هرب ولا تخلص وحيلة من
هو كذلك تنحصر فى شيئين لا ثالث لهما فلذلك قال اما توسل الى الله
فى خلاصه بما سبق له من عمل صالح او دعاء اى اليه تعالى اى فى ان
يرضى عنه غرماءه   راجياً حال من عاصٍ فى قوله جد لعاصٍ اى مؤملاً
املاً قريباً وقوله ان تعود اعماله السوء اى ان تعود عليه متلبسة
بغفران الله له مغفرة عامة لا تبقى عليه وصمة ذنب وقوله وهى هباء
اى والحال ان تلك الاعمال فى جنب الغفران من الله هباء اى مثله
فى انها لا وجود لها اذ هو غبار يرى فى شعاع الشمس اذا دخل عند
طلوعها او غروبها فى كوة اى طاقة   او ترى سيئاته حسنات اى
منه عليه باندراجه فى سلك الا من تاب وآمن وعمل صالحاً الآية وقوله
فيقال اى فبسبب استحالة السيئات حسنات يقال عند رؤية ذلك
استحالت الصهباء اى الخمر من الخمرية والنجاسة الى الخلية والطهارة
فشبهت السيئات بالصهباء التى هى الخمر على سبيل الاستعارة
التصريحية والاستحالة ترشيح   كل امر تعنى به على صورة المفعول
فهو بضم التاء او بفتحها مبنياً للفاعل اى تعتنى وتهتم وتلتفت اليه
انت يا رسول الله وقوله تقلب الاعيان جمع عين اى ذوات
الاشياء واجرامها بان تتحول عن صفتها التى لا تريدها الى الصفة التى
تريدها وقوله وتعجب البصراء جمع بصير حساً ومعنى اى تتعجب
من ذلك القلب الخارق للعادة المشاهدة بالابصار الذى لا يعارض
بجحود ولا انكار وشاهده ما وقع لك فى ذلك بالفعل فى قوله رب عين
الخ   رب عين هى هنا للتكثير كما قاله الجوجرى وقال بعضهم هى للتقليل
لان ذلك لم يثبت الا مرة واحدة فى بئر بدار النبى وقوله تفلت
اى بصقت فى مائها الملح الذى لا يساغ وقوله فاضحى اى ذلك الماء الملح
اى صار وتحول وقوله وهو الفرات جملة حالية ان كانت اضحى تامة
وخبرها ان كانت ناقصة على ما جوزه بعضهم من اقتران الخبر بالواو
وقوله الفرات بضم الفاء اى العذب السائغ للشاربين او كالفراة
اى النهر المسمى بهذا الاسم الذى هو احد الانهار الاربعة النازلة من الجنة
وقوله الرواء اى الذى يحصل الرى الكامل بقليله لشاربه
آه اسم فعل مضارع كاوّاه واوّه اى اتوجع توجع تحسر وتندم اى توجعى

راجياً ان تعود اعماله السو
ء بغفران الله وهى هباء

او ترى سيئاته حسنات
فيقال استحالت الصهباء

كل امر تعنى به تقلب الاعيـ
ـان فيه وتعجب البصراء

رب عين تفلت فى ماء بئر
فاضحى وهو الفرات الرواء

آه مما جنيت ان كان يغنى
الف من عظيم ذنب وهاء

عظيم وتندمي زائد دائم وقوله مما جنيت اى من اجل ما جنيت
واقترفت من الذنوب وقبائح العيوب وقوله ان كان يعني ان
بمعنى اذ التعليلية على حد وخافوني ان كنتم مؤمنين وذلك لان التوجع
يفيد الندم الوارد في الحديث انه توبة اى معظمها المتكفل بباقيها
وقوله من عظيم ذنب من اضافة الصفة للموصوف والمراد بالالف
والهاء مسماهما وهو آه اى مدلول مسماهما وهو التوجع المفيد للندم
المفيد للتوبة كما مر ويصح ان تكون ان على حالها من الشك لانا وان
سلمنا ان كلمة آه تفيد التوجع والتوبة لكن قبوله ظني لا قطعي
فصح الشك بهذا الاعتبار ارتجي اى لما عرض بوقوع التوبة صرح
برجائها ليبين ان الاهتمام بها منع من الاكتفاء عنها بالتعريض
فقال ارتجي اى اؤمل من ربي لحسن ظني به عملا بما في الحديث القدسي
انا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا وقوله التوبة وهي الندم
على الذنب من حيث هو ذنب بخلاف الندم عليه لغرض آخر كاطلاع
الناس عليه فان ذلك الندم لا ينفع شيئا والاقلاع عن المعصية بترك
ملابسة فعلها من حيث الندم عليها لا لغرض آخر ايضا وعزم ان
لا يعود اليها ما عاش من اجل الندم عليها لا لنحو قطع ذكره مثلا والخروج
عن كل مظلمة عصى بها بقضاء ما عصى بترك ادائه فورا وباداء المعصى
باخذه ظلما الى مالكه او وكيله او وارثه هذا ان قدر والا عزم عزما جازما
انه متى قدر على الخروج منه خرج منه والتوبة ولو من الصغائر واجبة
اجماعا وتصح من ذنب دون ذنب وتصح ايضا وان سبقها توبة من ذلك
الذنب ثم عود اليه وان تكرر ذلك وقوله النصوح اى التي لا يعود
من حصلت له الى الذنب ابدا لوقوعها خالصة عن كل شائبة من شوب
الحظوظ بان تكون لله وحده لا لغرض آخر وقوله وفي القلب اى
والحال اني متلبس بما قد ينافيها لان في القلب اى في قلبي نفاق من حيث
العمل بان يظهر خلاف ما يبطن لا من حيث الاعتقاد لان ذلك كفر
وقوله وفي اللسان اى وبقية الاركان رياء اى نظر الى الخلق باعتبار
ان ما يصدر من تلك الاركان او اللسان قد يكون فيه شوب نظر الى
طلب رفعة او ثناء من مخلوق ومع ذلك لا يترك التوبة ولا رجاء قبولها
ومتى يستقيم استفهام تعجبي واستقامة القلب بان لا يبقى فيه

نظر

أرتجي التوبة النصوح وفي القلـ
ـب نفاق وفي اللسان رياء

ومتى يستقيم قلبي وللجسـ
ـم اعوجاج من كبرتي وانحناء

نظر الى ما يحجبه عن الله من اهل او مال او جاه او غير ذلك بل نظره
انما هو لله وحده وقوله وللجسم اعوجاج اى والحال اني وصلت الى حالة
تدل على غلظ القلب وشدته وعدم قبوله للخروج عما جبل عليه من الغفلة واللهو
وتلك الحالة هي انه حصل للجسم اعوجاج من اجل كبرتي بكسر الكاف وسكون
الباء اى كبر سني ووهن عظمي من كبر بكسر الباء اى اسن وقوله وانحناء
اى لقامتي وهو من عطف الرديف او الاخص لان الاعوجاج يعم الاعضاء
كلها والانحناء مختص بالقامة اذ هو تقوس الظهر وبعد استقامته
بخلاف ايام الشباب فان العود رطب والقلب لين فادنى وعظ
يؤثر فيه كنت اى انما اخرت التوبة الى هذا الزمن لاني كنت في
نومة الشباب الذي تكثر فيه الغفلات وتتولى على اهله الهفوات
فاستحكمت غفلتي حتى صرت كالنائم المستغرق الذي لا يفيق من
نومته الا بمحرك قوي وقوله فما استيقظت اى من تلك الغفلة
في حال من الاحوال الا ولمتي اى والحال ان لمتي والمراد بها هنا اللحية
والا فاصل معناها شعر الرأس اذا لم يجاوز شحمة الاذن وقوله شمطاء
اى اختلط سوادها ببياضها وتماديت اى وحينئذ بلغت هذا
السن الذي تعسر فيه التوبة كما تقرر تماديت اى طلبت ان اقتفي اى
اتبع اثر القوم الصالحين السابقين الى المراتب العلية وقوله فطالت
مسافة اى بيني وبينهم لبعد الدرجات التي فازوا بها وقوله واقتفاء
اى لاعمالهم واخلاقهم لانهم استغرقوا فيها اوقاتهم فوراء السائرين
اى فبسبب طول المسافة التي بيني وبينهم وراء خبر مقدم وقوله
السائرين اى السائرين ليلا من السرى وهو السير في الليل وعدل
اليه عن ورائهم الذي هو مقتضى الظاهر لينبه على انهم استغرقوا
ليلهم بالعبادة وقوله وهو اى ذلك الوراء امامي جملة معترضة
بين الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر بالتصريح بما علم من قوله اقتفي وهو
انه مع طول المسافة بينه وبينهم وتعذر اتباعه لهم صار بينه وبينهم
موانع ايضا وقوله سبل مبتدأ مؤخر اى طرق وقوله وعرة بفتح الواو
وسكون العين اى يعسر سلوكها لان اولئك القوم كلفوا انفسهم من الاعمال
ما اوجب لغيرهم عدم اللحوق بهم لعدم قدرته على القيام بما قاموا به وقوله
عراء بفتح اوله اى فضاء واسعة حمد بكسر الميم اولئك القوم المدلجون

كنت في نومة الشباب فما استيـ
ـقظت الا ولمتي شمطاء

وتماديت اقتفي اثر القو
م فطالت مسافة واقتفاء

فوراء السائرين وهو امامي
سبل وعرة وارض عراء

حمد المدلجون غب سراهم
وكفى من تخلف الابطاء

اى السائرون من اول الليل الى آخره او اكثره والقياس حمدوا الّا انه
فعدل الى الظاهر ليبيّن انهم على فرقتين منهم من يحيى بعض الليل
ومنهم من يحيى كله او اكثره وهذا القسم الثانى افضل واكمل
لانهم راوا ما يتجدد به حمدهم مما لم يره من قبلهم وقوله غبّ اى
عاقبة سراهم من الفوز برضى الله وقربه وهذا مقتبس من قولهم عند
الصباح يحمد السرى وقوله من تخلف اى عنهم فى سيرهم وقوله
الابطاء اى التأنى فى السير المفوّت لادراك منازلهم وفى ذكره
ايماء الى غاية التحسّر والتألم رحلة اى سيرهم الذى قطعوه رحلة
عظيمة عن مواطن الشهوات وقواطع البطالات وهذه الرحلة
عزّ علىّ وتعسّر ان اقتفيهم فيها لانى لم يزل يفندنى اى يكذبنى
الصيف وقوله اذا ما نويتها ما زائدة وقوله والشتاء اى
يكذبنى ايضا اى اذا جاء الشتاء انوى الى الصيف لان الشتاء
يكثر فيه البرد والامطار فيعسر فيه السير واذا جاء الصيف
اقول اصبر بها الى الشتاء لان الاعمال تتيسّر فيه اكثر ومن ثم
قال صلى الله عليه وسلم الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه
وقصر نهاره فصامه وقال ايضا مرحبا بالشتاء فيه تنزل الرحمة
اما ليله فطويل للقائم واما نهاره فقصير للصائم وقال ايضا
لم ينزل عذاب من السماء على قوم الا عند انسلاخ الشتاء
يتقى حرّ وجهى بضم الحاء وتشديد الراء المضمومة وهو ما يبدو
من الوجه وقوله الحرّ والبرد اى باتقائه عنهما خوفا من مشقتهما
وهما كنايتان عن مشقة العبادة فى الشتاء والصيف
كما ان ما فى البيت السابق كذلك وقوله وقد عزّ اى
والحال انه قد عزّ اى صعب على من لظى اى جهنم متعلق بقوله
الاتقاء لانى متلبس بما يؤول بى اليها الا ان يتغمدنى الله برحمته
ضقت ذرعا بالمعجمة وقوله مما جنيت اى من اجل
الذى جنيته او من اجل جنايتى فما موصولة او مصدرية
ومعنى ضقت ضعفت قوتى وطاقتى عن ان اتحمل وزره
اى وزر الذى جنيته ولم اجد من يخلصنى من ثقله وقوله
فيومى قمطرير اى شديد وقوله وليلتى دزعاء

بالمهملة

بالمهملة اى مظلمة وهذا كناية عن شدة ما يلقى فيهما واصل الدزعاء
التى يطلع قمرها عند الفجر ومراده ان ذلك الضيق ملازم له ليلا ونهارا
لا ينفك عنه فى واحد منهما وتذكرت اى ولكن خفف عنى انى
تذكرت رحمة الله اى سعتها التى دل عليها قوله تعالى ورحمتى وسعت
كل شئ وانها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث ان الله كتب كتابا فهو
عنده فوق العرش ان رحمتى سبقت غضبى اى ان مظاهر رحمتى
غلبت مظاهر الغضب يعنى ان العباد المرحومين اكثر من المغضوب
عليهم وليس المراد ان الرحمة نفسها سابقة على الغضب لان ارادة
الله لا اسبقية فيها وقوله فالبشرى فبسبب ذلك البشرى الفرح
والسرور وهذا مبتدا خبره قوله تلقاء وقوله لوجهى متعلق بما فى
الخبر وقوله انى انتحى اى فى اى مكان انتحى اى اقصد واتوجه اى
فالبشر مقابل لوجهى فى اى مكان توجهت اليه لانى مستشعر بسعة الرحمة
ومعوّل عليها فالحج اى فبسبب تذكرى لما جنيت المقتضى لمزيد
الخوف وتذكرى لسعة الرحمة المقتضية لسعة الرجاء الح اى اقام
الرجاء والخوف بالقلب فهما على حد سواء كما هو الراجح عند ائمتنا ان
الانسان ما دام صحيحا فليكن رجاؤه وخوفه مستويين وقيل يغلب
الرجاء لئلا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله وقيل يغلب الخوف
لئلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله ويردهما انهما اذا استويا امنت
غلبة احدهما فلا محذور ويخشى ح بخلاف غلبة احدهما فانه يخشى منها
المحذور الذى فى مقابله اما المريض فيغلب الرجاء لحديث لا يموتن
احدكم الا وهو يحسن الظن بالله اى يظن انه يغفر له ويرحمه وقوله
وللخوف والرجاء اى اذا تواردا على القلب احفاء اى استقصاء
ومنازعة ومصادمة لتضاد مقتضاهما اذ مقتضى الخوف اعتراء
شدة وحصر للنفس لا يطاقان لان من لوازمه الكف عن كل محرم
ومقتضى الرجاء بسط النفس وانشراحها لان من لازمه استحضار
سعة الرحمة وان الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله ويتجاوز
عنها بكرمه واذا تضاد مقتضاهما لزم ان كلا يستقصى فى
مقتضاه ضد ما يستقصيه الآخر لكن قد علمت ان الاولى للصحيح
ان يستوى عنده المقتضيان ومن ثم قال ناهيا عن غلبة الخوف

فاذا ما نويتها والشتاء ... رحلة ... يفندنى فى الصيف
يتقى حرّ وجهى الحرّ والبرد وقد عز من لظى الاتقاء
ضقت ذرعا بما جنيت فيومى قمطرير وليلتى دزعاء
تذكرت رحمة الله فالبشر لوجهى ... انى انتحى
فالحج الرجاء والخوف بالقلب وللخوف والرجاء احفاء

صاح لا تأس ان ضعفت عن الطا ... عة واستأثرت بها الاقوياء

ان لله رحمة واحق الناس منه بالرحمة الضعفاء

فابق في العرج عند منقلب الذو د ففي العود تسبق العرجاء

المقتضى لليأس صاح الخ صاح اى يا صاحبى وفيه تجريد اذ الاصل
يا نفس فجرد منها شخصا وخاطبه وقوله لا تأس اى لا تيأس من رحمة
الله تعالى ايس من الشئ وييئس منه اذا لم يبق له طمع وقوله عن الطاعة
اى عن الاكثار منها وليس المراد عنها بالكلية لان تركها رأسا والاتكال
على عفو الله عز وجل رأى ان ضعفت عن الدأب فى الطاعة والمواظبة عليها
لضعف همتك وغلبة بطالتها وايثارك الراحة وقوله واستأثرت
اى انفردت بها اى بكثرتها الاقوياء اى اهل الهمة والنشاط وقهر
النفس وتجريعها المكروهات حتى تدربت عليها وصارت عندها
من الذ مألوفاتها واعظم مشتهياتها ان لله الخ وان كانت مكسورة
لكن فيها شائبة تعليل للنهى السابق وقوله رحمة اى عظيمة ادخرها
لبعض عباده تعم القوى والضعيف والشريف والوضيع وقوله
منه متعلق بقوله بالرحمة وقوله الضعفاء اى الذين لا يعولون
على اعمالهم ولا يغترون باحوالهم مع قيامهم بما لا بد منه واخلاصهم لله
فى عبادتهم فهم اقوى نية فى العبادة وابعد عن الرياء فربما حصلت
لهم بسبب ذلك نفحة سبقوا بها الاقوياء فابق فى العرج اى فبسبب
الاحقية المذكورة ابق ايها العاقل الضعيف عملا فى العرج اى فى
الضعفاء المشبهين بالعرج جمع اعرج وهو من برجله داء يمنعه
من استقامة المشى وقوله عند منقلب الذود اى توجهه بامر
صاحبه وارساله الى جهة من الجهات والذود جماعة الابل من الثلاث
الى العشرة وقوله ففى العود تسبق العرجاء اى الى صاحبها لتفوز
منه بمأمولها فتأخرها اوجب لها السبق فكذلك تاخرك عن كثير
من الطاعات اوجب لك سبق المكثر منها لانه قد يصحبك من
الذل والافتقار والاخلاص ما يخلف تاخرك بخلاف المكثر فقد
يصحبه من العجب والافتخار ما يوجب تاخره ومن ثم قال العارف
ابن عطاء الله رب معصية اورثتك ذلا وانكسارا خير من طاعة
اورثتك عزا واستكبارا واعلم انه لم يجعل ذات المعصية خيرا
من ذات الطاعة بل لا يتوهم ذلك من كلامه وانما الذى افاده
ان المعصية قد يصحبها وصف خير من الوصف الذى صحب الطاعة
فيكون ذلك مقتضيا لعدم المؤاخذة بوصمة تلك وهذا مقتضيا

لسقوط

لا تقل حاسدا لغيرك هذا اثمرت نخله ونخلى عفاء

وأت بالمستطاع من عمل البر فقد يسقط الثمار الاتاء

وبحب النبى فابغ رضى الله ففى حبه الرضا والحباء

يا نبى الهدى استغاثة ملهوف اضرت بحاله الحوباء

لسقوط هذه وعدم الاعتداد بها فكذلك كلام الناظم هنا يتنزل على
هذا لا تقل اى اذا تأخرت عن الطاعة لضعفك عنها فلازم الذلة
والانكسار ولا تقل حاسدا اى حال كونك حاسدا لغيرك الذى اكثر من
الطاعة والمراد بالحسد هنا تمنى حقيقته الشرعية وهى تمنى زوال نعمة
الغير اى لا تقل ما سيأتى حال كونك متمنيا زوال نعمة التوفيق عنه
وقوله هذا اى القوى فى الطاعة وقوله اثمرت نخله اى كثرت
اعماله فتشبيهها بالنخل استعارة مصرحة وذكر الاثمار ترشيح وقوله
ونخلى اى اعمالى عفاء بفتح العين اى كالتراب لا ثمرة لها بسبب ضعفى
ولا يعتد بها ووجه النهى فى النظم انك لو قلت ما ذكره مع الحسد
تعترض على الحكيم فى فعله وتخصيصه لكل ما اراد وخرج بقوله
حاسدا المنصرف الى الحسد المذموم الحسد الممدوح المسمى بالغبطة وهو ان
تتمنى ان يكون لك مثل ما لغيرك مع بقاء نعمه بحالها وهذا مطلوب
كما فى الحديث لا حسد الا فى اثنتين وأت اى واحذر ان تتكل
على رجائك فقط من غير عمل فانه لا ينفع رجاء الا مع العمل ومن ثم
قالوا كل رجاء لم يصحبه عمل فهو غرور بل مع رجائك اجتهد وأت
بالمستطاع من عمل البر امتثالا لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم
وقوله فقد يسقط اى فقد ينتج القليل ما لا ينتجه الكثير بواسطة
مزيد اخلاص او انكسار كما انه قد يسقط الثمار الكثيرة النفيسة
الاتاء بفتح الهمزة والفوقية والمد وهو صغار النخل كما قاله الجوهرى
وهو قد يثمر ثمرا كثيرا جيدا اذا اخلصت ارضه وزاد ريه وخصبه
ولا يسقط ذلك الكبار فكذلك انت قد تفوز بسبب ضعفك بالمعنى
السابق بما لم يفز به القوى الناظر الى قوته ونفسه فتلخص ان الاتاء
بالكسر اسم لثمر النخل والشجر وقد تقدم بهذا المعنى آنفا وان الاتاء
بالفتح اسم لصغار النخل وهذا هو المراد هنا فسقط ما اطال به الشارح
وبحب النبى متعلق بقوله فابغ رضى الله اى اطلب رضى الله امتثالا
لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية وقوله ففى حبه اى من الله
المنعم بما لا يحصى وقوله والحباء بفتح الحاء والمد اى العطاء منه تعالى
لجميع الخيرات الدنيوية والاخروية كالتوفيق للاعمال الصالحة والفوز
بالمقامات العلية يا نبى الهدى الخ فى هذا رجوع لما سبق

من الضراعة واظهار المسكنة وقوله الهدى اى الدلالة الموصلة بالنسبة
لخصوص المؤمنين ومنه انك لاتهدى من احببت ومطلق الدلالة
بالنسبة لمطلق المكلفين ومنه وانك لتهدى الى صراط مستقيم
وقوله استغاثة بالنصب مفعول مطلق اى استغثت بك استغا
ثة اى ناديتك نداء فالاستغاثة نداء من يخلص من شدة او يخففها
وقوله ملهوف اى مضطر محتاج الى من ينقذه مما يهلكه وقوله
الحوباء بفتح الحاء وسكون الواو والمد اى مسكنة ذنوبه وضعف همته
يدعى الحب هذا فى المعنى تعليل لقوله اضرت بحاله الحوباء
اى يدعى الحب لله ولرسوله وقوله وهو يامر بالسوء اى والحال انه
يصدر عنه ما يكذب دعواه من مخالفتهما لانه لايزال يامر نفسه وغيره
بالسوء اى الاثم فعلا وتركا والمخالفة تنبئ عن عدم المحبة كما هو واضح
لمن تامل ولهذا اشار الى تمنيه ان يصدق فى دعواه محبتهما فقال
ومن لى من استفهامية اى من الذى يتكفل لى وكان الظاهر ان
يقول له ففيه التفات من الغيبة الى التكلم وقوله ان تصدق الرغباء
اى رغبتى وعزيمتى فى الرجوع الى الله بالتوبة والعمل الصالح اى حتى
يصح منه فيه التفات من التكلم الى الغيبة وقوله وطرفى حال فيه التفات
عكس ما قبله وقوله للكرى اى النوم وقوله واصل اى متصل
لاينفك عنه النوم وليس هذا شأن المحب وقوله وطيفك اى
خيالك راء اى محتجب عنى كما احتجبت الراء عن واصل بن عطاء الرجل
المشهور لانه هجرها فلم يتكلم بكلمة فيها راء قط لعجزه عنها بل بمرادفها
او مقاربها خشية ان يعير بلثغته بالراء فصار هجر الشئ المستمر تمثيلا
عندهم بهجر واصل للراء ففى النظم التورية لان واصلا بالنظر للكرى
اسم فاعل اى مواصل للكرى اى النوم اى مديم له وبالنظر للراء اسم
علم له وتلميح لانه اشار الى قصة واصل وفيه الاستفهام الانكارى
اى كيف تصدق محبتى وانا مواصل للكسل والنوم سلمنا ان مواصلة
النوم لاتنافى المحبة لانها امر وجدانى فكيف توجد مع عدم خطور
خيال المحبوب بالضمير لافى اليقظة ولافى النوم وهذا ينافى المحبة
كما هو محسوس لاستلزامها ان طيف المحبوب لايغيب عن خيال المحب
نوما ولا يقظة نعم قد يتخلف هذا الاستلزام لمانع ولذا تردد مع ما قد

فى ان فقد خطور الطيف هل هو لذلك او لغيره فقال ليت شعرى الخ
ليت شعرى اى علمى اى ليتنى علمت اذاك اى عدم خطور طيفه بقلبى
وقوله من عظم ذنب اى من اجل عظم ذنب وقع منى وهو ظاهر
والعظم اكثر الشئ اى من اجل كثرة ذنب وقوله المتيمين اى المحبين
وقوله حظاء بضم الحاء وكسرها جمع حظوة كذلك وهى المكانة
والرتبة اى انصباؤهم الى المحبوب متفاوتة فبعضهم يحظى بالقرب من
غير كثرة عمل وبعضهم لايحظى به الا بعد كثرة العمل ان يكن عظم
زلتى اى التى ارتكبتها وفى نسخة ذنبى وقوله حجب رؤياك خبر
يكن فيقدر مع اسمها مضاف ليصح الاخبار اى ان يكن جزاء عظم
ذنبى حجب رؤياك اى رؤيا طيفك عنى فى النوم وقوله فقد عز داء
قلبى اى لداء قلبى فداء منصوب على نزع الخافض وقوله الدواء
فاعل عز اى قل بل عدم الدواء الذى يكون لمرض قلبى فلا يوجد له شفاء
لانه لايوجد الا من جنابك وهذا التردد فى وجود المحبة انما هو لمزيد
الخوف وان الانسان لا يامن المؤاخذة بذنبه وان كان محبا لا لزوال
محبته بل هى باقية ورجاؤه فى محبوبه واسع وان كانت ذنوبه كثيرة
وح كيف يصدى الخ كيف يصدى اى يسود بالذنب اى
بسبب الذنب الذى ارتكبه ذلك المحب وقوله وله اى والحال ان
له الخ وذكرك مبتدا والجمل نعت له وجلاء خبره وله متعلق بجلاء مقدم
عليه وقوله ذكرك مضاف للمفعول اى ذكره لك بالصلاة والتسليم
عليك وسؤال الوسيلة وغيرها مما يعود عليه ويصح ان يكون مضافا
للفاعل اى وذكرك له وقوله جلاء اى للصدا والمراد انه يمنعه بالكلية
لان ذاكره صلى الله عليه وسلم لايصدى قلبه هذه علتى لما غلب
على ظنه ما اشار الى التردد فيه بقوله ان يكن الخ من ان سبب حجب
الرؤية عنه عظم ذنبه صرح كما يصرح من وجد اخذ ماله او قاتل ابيه
بعد ياسه منه فقال هذه علتى التى انحلت جسمى واد هشت قلبى لا غيرها
وقوله وانت اى والحال انك انت طبيبى العالم بها الماهر فى ازالتها
وقوله ليس يخفى عليك الخ اى وانت لا احد من الخلق اكرم ولا احلم منك
فعجل لى بدواء ذلك المحصل للشفاء من وصمة جميع ما هنالك فان
شفاعتك لا ترد والمتوسل بك لايخيب ومن العفو لمحو

اى وانما رفعت اليك قصتى وشكوت اليك قلة حيلتى مما جنيت على
نفسى لان من الفوز اى النجاة والظفر لمثلى بجميع المطلوب ان ابث من
بث وابث نشر واظهر وقوله شكوى هى الاخبار عن النفس او الغير
بسوء فعله وقوله هى شكوى اليك اى لكن هذه انما هى شكوى
منى لنفسى اليك لا الى غيرك اى انشر واظهر بين يديك فى ضمن مدحى
لك ما كاد ان يهلكنى من عظيم ذنوبى وقبيح عيوبى رجاء ان تمنحنى
بنظرة تزيل عنى كل وصمه وتوجب لى منك كل رحمه لان رجائى فيك
واسع وقوله وهى اى تلك الشكوى الواقعة فى ضمن ذلك المدح
اقتضاء اى اطلب من كرمك الواسع وفيضك الهامع ان اتخلص
من تلك الورطات وانجو من هذه العثرات وان يحصل لى الشفاء
من جميع الادواء فان جاهك متكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسؤل
ومرغوب ضمنتها بالبناء للمفعول والهاء عائدة على الشكوى
وقوله مدائح نائب الفاعل اى ضمنت تلك المدائح الشكوى اليك
اى جعلت الشكوى فى ضمن المدائح فقوله مدائح جمع مدحه اى
لجنابك اى كلام متضمن للثناء الجميل الذى هو المدح وقوله مستطابة
بالرفع صفة مدائح وقوله فيك منها اى من تلك الشكوى وهذان
الظرفان متعلقان بما قبلهما او بعدهما ومن تبعيضية وقوله
المديح اى لك وقوله والاصغاء اى من سامعيها اى سامعى تلك
المدائح لان اوصافك زينتها ومن استطابة ذلك المديح ان الله
يسره لى فى هذه القصيدة البديعة ببركة التجائى اليك فلما
حاولت اى تلك الشكوى هكذا قرره الشارح وفيه شئ لانه يقتضى
ان الشكوى هى المقصودة بالذات مع انه فيما سبق جعلها مضمنة
للمدح اى فى ضمنه فالاولى ارجاع الضمير على القصيدة المعلومة من
السياق ولواحق كلامه تدل على هذا ويكون الاسناد على هذا مجازيا
وكذا يقال فى قوله الخ ساعدتها وقوله ميم ودال وحاء اى مسمى
هذه الاسماء وهو مدح اى ما توقف على معنى فوجهت همتى الى احسن
منه الخ وجدت الالفاظ الدالة على مدحك تبادرنى وتساعدنى عليه
فتاتى قريحتى منه لما هو ابدع وابلغ وما فى قل مصدرية فالمعنى
قلت محاولتها مديحك فى غير حال كونها مساعدة بهذه الحروف الثلاثة

ضمنتها مدائح مستطابة فيك منها المديح والاصغاء
فلما حاولت مدحك الخ ساعدتها ميم ودال وحاء

اما فى تلك الحالة فانها لا تقل بل تكثر وعلى هذا يلزم وقوع الاستثناء
المفرغ فى غير نفى او شبهه وهو النهى او الاستفهام وهو ممنوع عند اكثر
النحاة وح فيتعين تأويل النظم بان يقال فاعل قل محذوف دل عليه المذكور
وما نافية والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير قل ان يستصعب
على ما اردته من مدحك لانى ما حاولته فى حال من الاحوال الا ساعدنى
مدحك على اكمل ما ينبغى ولاجل هذه المساعدة المسهلة على ما اردته من
اعلا انواع البلاغة حق لى فيك الخ حق بفتح الحاء وضمها اى ثبت
واستقر وقوله فيك اى فى مدحك وقوله قوما وهم الشعراء الذين
مدحوك ومعنى اساجلهم افاخرهم واغالبهم فاقول ما صنعته خير
مما صنعتموه وابين لهم ذلك حتى يذعنوا لى فيه وحينئذ افوز منك
بابلغ ما فازوا به والمساجلة تنازع المستقين على بئر بدلاء مختلفة
ليريد كل منهم ان يظفر بملاء دلوه قبل غيره شبه بهم المادحون
فى تنازعهم وادعاء كل ان مدحه خير من مدح غيره فهى استعارة
بالكناية واثبات المساجلة تخييل والدلو ترشيح ان لى غيرة الخ
هذا اشارة الى علة اخرى لتميزه عليهم وتسليمهم له والغيرة بالفتح
اى حمية توجب لى ان لا احب غيرى يسبقنى فى مديحك وقوله
وقد اى والحال انى قد زاحمتنى اى ضيقت على فى معانى الفاظ
مديحك الشعراء واردوا ان يسبقونى فيه ولقلبى فيك الخ
حال من الياء فى زاحمتنى وقوله فيك اى فى مدحك وقوله
الغلو اى مجاوزة الحد وقوله وانى للسانى اى وانى يكون للسانى
فى مدحك الغلواء اى الاسراع والتقدم عليهم لولا اسعافك
وامدادك لى بما يميزنى عليهم وانى استفهامية بمعنى كيف او بمعنى
من اين ويصح كسر ان اى وانى فالياء اسمها لكن الاول ابلغ واظهر
فاثب اى فبسبب صدق محبتى وشدة رغبتى اثب خاطرا الخ
اى قلبا بان تمدحه بما يتفوق به على مزاحميه ومسابقيه فانك اكرم
من جازى محبيه واجود من جاد على مادحيه وانا اصدقهم محبة
وابلغهم مدحه وقوله يلذ بفتح اللام اى يلذ له مدحك لذة تحمله
على ان يبذل وسعه مع صدق التوجه اليك وقوله علما مفعول
لاجله اى لاجل علمه بانه اى مدحك اللألاء اى المضئ والمشرق

حق لى فيك ان اساجل قوما سلمت منهم لدلوى الدلاء
ان لى غيرة وقد زاحمتنى فى معانى مديحك الشعراء
ولقلبى فيك الغلو وانى للسانى فى مدحك الغلواء
فاثب خاطرا يلذ له مد حك علما بانه اللألاء

في قلوب المادحين حتى تاتي في مدحك بالمعاني البديعة والاساليب العجيبة
كما وقع لي في هذا النظم لتميزه على غيره بامور منها انه حاك من صنعة
القريض   حاك اي من تلك الامور التي تميز بها هذا النظم على
غيره انه حاك اي نسج ذلك الخاطر وقوله القريض اي الشعر
وقوله برودا جمع برد وهو نوع من انواع الثياب اليمانية فيه
زينة وقوله لك متعلق بحاك وقوله لم يحك اي لم يشبه
وقوله وشيها اي نقشها بالالوان المختلفة وقوله صنعاء
مدينة باليمن مشهورة بجودة النسج والوشي   اعجز الدر
اي ومن تلك الامور انه اعجز الدر اي اللؤلؤ الابيض وقوله
نظمه اي ان نظم هذه القصيدة المشتملة من البلاغة على غاية لم يشتمل
عليها غيرها فاق الدر النفيس المنظوم الذي يدهش الفكر
ويخطف البصر لضوئه وصفائه وقوله فيه اي في العجز عنه
وقوله اليدان اي القريحتان وقوله الصناع بفتح الصاد المهملة
وبالنون والعين المهملة اي الحاذقة الماهرة وقوله والخرقاء
اي الغبية   فارضه اي فبسبب ما تميز به هذا النظم عن
غيره ارضه اي اقبله يا خير من امله المادحون ورجاه العارفون
وتجاوز عما فيه وقوله افصح منادى اي يا افصح امرئ نطق
الضاد منصوب على نزع الخافض اي بالضاد اي يا افصح العرب
وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم انا افصح من نطق
بالضاد وخصها لان غير العرب لا يحسن اخراجها من مخرجها
والعرب وان احسنوه لكنهم يتفاوتون فيه وكلهم لم يصل احد
منهم الى الحد الذي كان صلى الله عليه وسلم يصل اليه في تأديتها
وقوله فقامت اي فبسبب اختصاص الضاد بتعذر او تعسر
النطق بها على غير العرب وتعذر نهايته على غير النبي صلى الله
عليه وسلم وقرب الظاء من مخرجها ولم تظفر بما ظفرت به الضاد
قامت فاعله الظاء وقوله تغار منها جملة حالية وسبب
الغيرة ان الضاد تميزت عليها بتلك المزية العلية فارادت الظاء
ان تحصل لها مزية مثلها فلم تحصل فقامت تغار   ابذكر
الآيات هذا اي ان طلبي من كرمك يا اكرم الخلق الرضا بهذه القصيدة

حاك من صنعة القريض برودا / لك لم يحك وشيها صنعاء

اعجز الدر نظمه فاستزادت / فيه اليدان الصناع والخرقاء

فارضه افصح امرئ نطق الضا / د فقامت تغار منها الظاء

ابذكر الآيات اوفيك مدحا / اين مني واين منها الوفاء

ليس لكونها وفت بحقوقك الواجب استقصاؤها في مدحك بل للطمع
في سعة حلمك وجودك وقوله ابذكر الآيات اي في هذا النظم اي
الخصائص والمعجزات الدالة على وصولك الى ما لم يصل اليه مخلوق
والاستفهام انكاري اي لا يمكن ذلك الا من احاط بمقامك وقوله
اين مني اي اين مني الوفاء بذلك والاستفهام ايضا انكاري وقوله
واين منها الوفاء اي بذلك فهو راجع لكل منهما   ام اماري
اي اجادل بهن اي بذكري لهن اي لتلك الآيات قوم نبي هو محمد
صلى الله عليه وسلم والمراد بقومه المادحون لجنابه اي لم اذكر تلك
الآيات بقصد ان اوفي بها حقه ولا بقصد ان اجادل بها مادحيه
ومن ظن بي واحدا منهما فهو غبي لا يفهم ولا يعقل شيئا وقوله
الاغبياء اي لانهم لقلة فطنتهم يتجاسرون على الناس بما هم بريئون
منه   ولك الامة استئناف او معطوف على محذوف اي لك
الآيات التي لا تحصى ولك الامة التي هي خير الامم وقوله غبطتها
من الغبطة وهي تمني مثل نعمة الغير من غير ذهابها عنه وقوله
لما اتيتها اي حين ارسلت اليها وقوله الانبياء اي فانهم وان
كانوا من امتك لكنهم ودوا ان يكونوا من اتباعك الذين بعثت فيهم
ليفوزوا بغاية الفخر كما فاز بذلك امتك الذين بعثت فيهم فاطاعوك
وكان الظاهر ان يقول غبطتك بها الانبياء لانهم تمنوا ان
يكون لهم امة مثل امته لكنه ارتكب احد انواع البديع الذي
هو القلب ففي النظم القلب وتقديره غبطتك بها كما تقدم
لم نخف بعدك الضلال اي عما تركتنا عليه من الشريعة
الواضحة البيضاء التي لا يزيغ عنها الا هالك وهذا على نسخة نخف
بالنون وفي نسخة لم تخف اي الامة ويؤيد الاولى قوله وفينا
اي والحال ان فينا اعلام الهدى وهم وارثوا نور هديك اي
ما كنت عليه انت واصحابك وقوله العلماء خبر مبتدا محذوف
اي علماء العقائد كابي الحسن الاشعري وابي منصور الماتريدي
وعلماء الفروع كالائمة الاربعة وعلماء التصوف كالغزالي
واضرابه   فانقضت اي فبسبب ان في امتك وارثو هديك
انقضت آي الانبياء بالمد جمع آية اي معجزاتهم لانتساخ شرائعهم

ام اماري بهن قوم نبي / ساء ما ظنه بي الاغبياء

ولك الامة التي غبطتها / بك لما اتيتها الانبياء

لم نخف بعدك الضلال وفينا / وارثوا نور هديك العلماء

فانقضت آي الانبياء وآيا / تك في الناس ما لهن انقضاء

والكرامات منهم معجزات
حازها من نوالك الاولياء

بموتهم وآياتك اى معجزاتك فى الناس ما لهن انقضاء اذ فى كل حين يقع لخواص امتك من خوارق العادات ما يدل على تعظيم قدرك الكريم مما لا يحصى والكرامات منهم اى الواقعة منهم اى من الناس وقوله معجزات اى لان كلا منهما امر خارق للعادة وانما يفترقان فى التحدى وعدمه لكنها فى الحقيقة معجزات لك وقوله من تراثك اى ميراثك اى ورثوها منك وفى نسخة من نوالك اى عطائك وكرمك وقوله الاولياء جمع ولى فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله ورسوله فلم يخرج عن امرهما ولا عن نهيهما او بمعنى مفعول لان الله والاه بخوارق نعمه ورسوله والاه بمزايا هداه وكرمه وضابط الولى انه المداوم على فعل الطاعات واجتناب المعاصى المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات

ان من معجزاتك العجز عن وصـ
فك اذ لا يحده الاحصاء

ان من معجزاتك هذا تاكيد لقوله ما لهن انقضاء وقوله العجز اى من سائر الناس وقوله عن وصفك مفرد مضاف فهو للعموم اى عن الاحاطة بكل فرد من اوصافك التى اختصك الله بها وقوله اذ لا يحده اى الوصف المذكور واذ تعليلية وقوله الاحصاء اى العد

كيف يستوعب الكلام سجايا
ك وهل تنزح البحار الركاء

كيف يستوعب الكلام اى الصادر من واصفيك وقوله سجاياك اى ما فيك من الاخلاق الكريمة والفضائل والاوصاف البالغة اقصى الكمال التى لا حد لها باعتبار انك لا تزال تترقى فى مراتب القرب فى الحياة وبعد الممات وفى الموقف وفى الجنة الى ما لا نهاية له وقوله وهل تنزح البحار اى المشبهة اوصافك بها فى ان بتلك قيام الوجود الحسى وبهذه قيام الوجود المعنوى لانه صلى الله عليه وسلم روح الكون والخليفة الاكبر عن الله فى امداده وقوله الركاء اى المشبهة بها الالفاظ فى ان كلا يتوصل به الى حيازة بعض المطلوب دون انتهائه وهذا تذييل مبين لما اشتمل عليه من الاستعارتين المصرحتين المرشح لهما بذكر النزح ان اوصافه صلى الله عليه وسلم لو عبر عنها من اول الزمان الى آخره لا تعد ولا تحصى

ليس من غاية لوصفك ابغيـ
ـها وللقول غاية وانتهاء

ليس من غاية من زائدة وقوله لوصفك اى لاوصافك وخبر ليس محذوف تقديره توجد او موجودة وقوله ابغيها اى اطلبها لما تقرر ان ذلك الترقى لا نهاية له فلا مطمع فى الاطلاع عليه وقوله وللقول اى منى

بل

انما فضلك الزمان وآيا
تك فيما نعده الآناء

بل ومن كل مادح غاية وانتهاء من عطف المساوى فهو تاكيد انما فضلك اى انما فضائلك الزمان اى كالزمان فالكلام على حذف ادات التشبيه وهذا التشبيه من حيث الاجمال فى كل من المشبه والمشبه به واشار الى تشبيه آخر من حيث التفصيل فيهما بقوله وآياتك الآناء من حيث ان جزئيات كل منهما كجزئيات الآخر فى عدم احصاء كل فقوله وآياتك اى معجزاتك وخصائصك وقوله فيما نعده اى فيما نحسبه ونضبطه وقوله الآناء اى كالآناء اى كالازمان والساعات واللحظات فكما ان هذه لا تحد فكذلك تلك والآناء بالمد جمع انا كمعًا وامعاء ومعناه الساعة والوقت كما عرفت ويقال فيه ايضا آن بمد الهمزة

لم اطل فى تعداد مدحك نطقى
ومرادى بذاك الاستقصاء

لم اطل الخ اى لا تظن انى باطالتى فى هذه القصيدة تعداد اوصافه صلى الله عليه وسلم اخالف ما قد قدمته انها لا تعد لانى لم اطل الخ وقوله ومرادى اى والحال ان مرادى بذلك استقصاء اى حصر الاوصاف واستيعاب لها وانما مرادى بتلك الاطالة برد الغليل وشفاء العليل كما افاده قوله المشتمل على اداة الاستثناء الذى هو منقطع قوله غير انى الخ

غير انى ظمآن وجد وما لى
بقليل من الورود ارتواء

غير انى الخ اى غير انى لم ارد الحصر والاستيعاب لكنى ظمآن وجد اى بى من شدة شوقى لسماع تلك الاوصاف غاية الظمأ والعطش للارتواء من سماعها وقوله وما لى بقليل اى وليس يحصل لى بقليل من الورود الورود اتيان الماء للاستقاء والمراد هنا نفس الماء الذى يورد اى وليس لى ارتواء بقليل من اجل ما بى من شدة العطش فاطالتى لطلب مزيد الارتواء لا لطلب حصر لتعذره وفى كلامه استعارة مصرحة من حيث تشبيه شغفه وتولعه بتعداد الايات وذكر الصفات بظمأ وعطش شديد لا يزيله الا الماء الكثير ورشح لذلك بذكر الورود والارتواء

فسلام عليك تترى من الله
وتبقى به لك البأواء

فسلام اى فبسبب حصول الارتواء من تلك الاطالة اختمها بما هو المتعين على من الدعاء لك بالصلاة والسلام امتثالا لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما فاقول سلام اى عظيم شريف اى زيادة تكريم وطيب تحية واعظام وقوله تترى اى يتكرر ويتبع بعضه بعضا دائما وفى القاموس ترى يترى كرمى يرمى تراخى واترى عمل اعمالا متواترة بين كل عملين فترة اه وقد يشكل على استعمال الناظم

تترى هنا مراده بما ذكره ان يجاب بانه اراد به اصل المعنى وهو مطلق
التتابع من غير اعتبار تراخ ولا كثرة بقرينة المقام وقد يخرج البليغ
من المعنى اللغوى الى ما هو اخص او اعم منه للضرورة مع الاستغناء
بفهم ذلك الخصوص او العموم منه من قرينة المقام والسياق فتامله
وقوله وتبقى به اى بسببه على مر الازمنة وقوله البأواء بفتح الباء
الموحدة ثم الهمزة الساكنة اى الفخر لان تسليم امتك عليك مع التكرار
والدوام زيادة فى شرفك وفخرك   وسلام عليك منك انما قدم
السلام من الله مبادرة الى اشرفيته وسلامه على نفسه ثانيا لانه
فى الحقيقة لا يكافئه سلام مخلوق غير سلامه على نفسه وقوله
فما غيرك اى فليس غيرك من المخلوقين وقوله منه متعلق بالسلام
الواقع مبتدا وقوله لك متعلق بكفاء الواقع خبرا والجملة فى محل
نصب خبر ما ان كانت حجازية وخبر عن غيرك ان كانت تميمية وقوله
كفاء اى مكافئا فى حضرتك من المكافئة وهى المساواة اذ كيف
يساويك سلام من هو دونك ولو يحط بفضائلك ومع ذلك
لا يطلب من غيرك عدم السلام عليك بل يطلب من كل احد السلام
عليك وان لم يكافئك سلامه فمن ثم قال وسلام عليك الخ
وسلام من كل ما خلق الله من ناطق وغيره وفى نسخة من
خلق الله وفى الاولى تغليب غير العاقل لكثرته وفى الثانية تغليب
العاقل لشرفه وقوله لتحيى بذكرك تعليل للعموم فى كلامه اى
وانما جئت بهذا العموم لتحيى بذكرك الاملاء جمع ملاء وهو الجماعة
وبالغ الناظم حيث طلب السلام عليه صلى الله عليه وسلم من ربه ثم
من نفسه ثم من سائر المخلوقات ليجتمع له صلى الله عليه وسلم سائر
وجوه السلامة والشرف والتعظيم وقد ذكروا فى آداب الزيارة
ان الزائر يطلب منه فى اول قدومه السلام عليه صلى الله عليه وسلم
وتكريره وانه فى تلك الحالة اكد من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
فلذا اثره الناظم اولا لانه فى مقام الزيارة بجسمه وقلبه او بقلبه فقط
وصلاة وهى من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم وصلاة من
الله ومنك ومن كل مخلوق نظير ما مر فى السلام وقوله كالمسك
اى فى الطيب والنفع للعالم وقوله تحمله اى ذلك المسك وقوله

شمال

وسلام عليك منك فان غيـ
ـرك لا منه لك السلام كفاء

وسلام من كل ما خلق الله
لتحيى بذكرك الاملاء

وصلاة كالمسك تحمله منـ
ـى شمال اليك او نكباء

شمال بفتح الشين وهى التى تهب من جهة القطب الى المغرب اى تحمله
اليك ليتعطر الوجود بعبيره وقوله او نكباء وهى الصبا وتهب
من سهيل الى القطب والجنوب وتسمى الاذيب وهى التى تهب من سهيل
الى المغرب والدبور وهى التى تهب من المغرب سميت بذلك لانها تهب
من ظهر الكعبة   وسلام على ضريحك اى قبرك المكرم ولكون
المراد من الضريح هنا البقعة التى ضمت اعضاءه الشريفة لم يكن
فى افراد السلام هنا كراهة لانه غير السلام عليه الذى ضم اليه
الصلاة فيما مر اى فالسلام المتقدم كان على الحضرة المشرفة
فلذا ضم اليه الصلاة واما السلام هنا فهو على البقعة المشرفة
وهى لا يصلى عليها وانما يسلم عليها فلذلك افرد السلام عليها
عن الصلاة وقوله تخضل بمعجمتين اى تبتل وقوله منه اى
القبر وقوله وعساء اى لينة ذات رمل شبه السلام بالماء
الكثير الطيب البارد على سبيل الكناية وخيل لها بذكر تخضل
وثناء الخ ليس المراد منه الطلب كالصلاة والسلام السابقين
بل المراد الاخبار بان ثناءه عليه الذى قدمه فى هذه القصيدة قام
مقام التصدق الذى ينبغى تقديمه على مناجات الرسول فقوله
بين يدى نجواى اى سؤالى منك بلوغ المأمول الواقع فى هذه القصيدة
بقولى جد لعاص الخ وفى غيرها وقوله اذ لم يكن اذ تعليلية اى
لاجل انه لم يكن لدى اى عندى ثراء بفتح المثلثة اى مال اتصدق
به امتثالا لقوله تعالى اذا ناجيتم الرسول الآية وكان هذا الامر
للوجوب ثم نسخ بقوله ءاشفقتم الآية ولا يلزم من نسخ الوجوب
نسخ الندب ولذا يسن لمن يريد زيارته صلى الله عليه وسلم ان يقدم
بين يدى زيارته صدقة والناظم اعتذر بانه لا مال له يقدمه
على سؤاله فجعل حسن توسله وثنائه بدل المال الذى يتصدق
به   ما اقام ما مصدرية ظرفية وقوله الصلاة اى
اللغوية او الشرعية وابد بهذا مع انقطاعه استغناء عنه بما بعده
على انا لا نسلم انقطاعه لان اهل الجنة يدعون ربهم ويتعبدون
تلذذا لا تكليفا كما جاء فى الحديث وقوله وقامت اى وما قامت
اى بقيت وثبتت على ابلغ نظام واتقن احكام وقوله بربها

وسلام على ضريحك تخضل
به منه تربة وعساء

وثناء قدمت بين يدى نجـ
ـواى اذ لم يكن لدى ثراء

ما اقام الصلاة من عبد الله
وقامت بربها الاشياء

اى بايجاده وامداده وقوله الاشياء اى الموجودات فى الدنيا والآخرة وابتدها بالاول مع انقطاعه بفناء هذه الدار للمامر وللتبرك بذكر المتعبدين آخر كلامه وبالثانى الذى لاينقطع بدوام نعيم الجنة وعذاب النار ليجمع بين شرف الاول ودوام الثانى مع الاشارة بالختم بذكر الرب الى استفتاح ابواب تربيته واستمناح موانح لطفه وهذا جعلنا الله ممن حقق له حقائق قربه وامداده واسعافه وامنا من كل فتنة ومحنه انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على افضل خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه عدد معلوماتك ومداد كلماتك كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون ورضى الله عن التابعين وعن تابعيهم باحسان الى يوم الدين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ووافق الفراغ من جمع هذه الحواشى قبيل العصر يوم الخميس السابع والعشرين من شهر رمضان سنة الف ومائة وثمانية وثمانين تجاه القطب البدوى امدنا الله تعالى من مدده واعاد علينا من نفحاته وعلى المسلمين اجمعين آمين

وقد تم طبعها وكمل وضعها بمحروسة مصر القاهره بمطبعة الحجر النيرة الفاخره
لا زالت بكتب العلوم ممدوده وعاقبة من فيها بحول الله محموده على يد
ملتزميها الكرام مولانا الشيخ محمود الجزائرى مفتى روضة البحرين الهمام
والشيخ محمد شاهين الدمشقى والسيد درويش عزه الدمشقى
منحهم الله بامداده واعاد عليهم من اسعاده آمين
وذلك فى غرة شهر محرم الحرام الذى هو افتتاح شهور سنة ١٢٧٤
من هجرة سيد الانام وخاتم الرسل الكرام عليه وعليهم
افضل الصلاة والسلام على ممر الليالى والايام
وكان الكاتب لها الراجى من مولاه
غفران المساوى احمد بن الحاج اسمعيل
الشامى المشتهر بالنحراوى
غفر الله له ولوالديه
واحسن اليهما
واليه آمين
م

واقتضاه النبي دين الاراشي ... وقد ساء بيعه والشراء

الله وابو جهل عن الرمى بها وقت رؤية الفحل فاذ ظرف لفاءت مع فاعلها
وما عطف عليه   واقتضاه معطوف على هم فو راى طلب منه النبي اى
من ابى جهل دين الاراشى اى طلب منه ان يؤدى ويدفع دين الاراشى بكسر
الهمزة واسمه كهلة بن عصام بن اراش وقوله وقد ساء بيعه جملة حالية اى
قبح وذكره مع ان الكلام فى الشراء لانه نظير له فهو من مراعات النظير وقوله
والشراء اى وشراؤه من هذا الرجل وغيره فاراد الناظم ذم بيعه وشرائه مطلقا
لا فى خصوص الواقعة وحاصلها ان كهلة المذكور قدم مكة بابل فبيعها
فاشتراها ابو جهل ثم ماطله باثمانها فجاء الاراشى فوقف على نادى قريش
فقال هل من رجل يخلصنى من ابى الحكم فانى غريب وابن سبيل وقد غلبنى
على حقى فقالوا لا نخلصك منه الا ذلك الرجل واشاروا الى محمد صلى الله عليه
وسلم وقالوا ذلك استهزاء فجاء الاراشى وقال يا عبد الله ان ابا الحكم قد غلبنى
على حقى وقد سالت اولئك القوم فاشاروا اليك فخلصنى منه يرحمك الله
فقام معه ليخلصه منه فامروا واحدا منهم ان يتبعه لينظر ماذا يصنع
فضرب صلى الله عليه وسلم بابه فقال من ذا قال محمد فاخرج الى فخرج اليه وقد
انتقع لونه فقال اعط هذا الرجل حقه قال نعم لا تبرح حتى ياخذه فدخل فاخرج
اليه فجاء الى اولئك واخبرهم بما وقع فجاء ابو جهل فقالوا له ويحك والله ما
راينا مثل هذا الذى صنعت قط قال ويحكم والله ما هو الا انه ضرب على بابى
فسمعت صوته فملئت منه رعبا ثم خرجت اليه وان فوق راسه لفحلا من الابل
ما رايت مثل هامته ولا صورته ولا انيابه والله لو ابيت لاكلنى   ورأى
المصطفى اى ومن ثم رأى المصطفى ابو جهل اتاه بما اى بفحل ابل لم ينج منه
بفتح ثم ضم وبضم ثم كسر مع تخفيف الجيم من نجا ينجو وانجى ينجى فهو ناج ومنج
وقوله دون الوفا اى عند عدم الوفا لذلك الدين الذى للاراشى وقوله
النجاء بوزن الضراب مبالغة فى ناج فالوفا مقصور ويجوز تخفيف الجيم بوزن
سحاب فالوفاء ممدود اى ذلك الفحل الذى اتى له به لا ينجى او لا ينجو منه النجاء
بالمبالغة اى من تكررت نجاته من الامور الصعبة الا ان وفى ذلك الدين
او لا ينجو منه النجاء بالتخفيف اى النجاة الا بعد ذلك الوفاء   هو اى ذلك
الفحل المرعب فى هذه الواقعة ما قد رآه اى الفحل الذى قد رآه من قبل اى فى
الواقعة السابقة فى قوله وفاءت الصفواء وقوله لكن اى لا استغراب فى
ذلك لان هذا اللعين ما على مثله فى العتو والتهور التالين لادراكه

ورأى المصطفى اتاه بما لم ... ينج منه دون الوفا النجاء

هو ما قد رآه من قبل لكن ... ما على مثله يعد الخطاء

واعدت حمالة الحطب الفهر ... وجاءت كانها الورقاء

والموجبين لهلاكه وقوله يعد الخطاء اى لان خطاه لا ينحصر فلا يعد
ومد الخطا لغة شهيرة   واعدت عطف على هم فو راى هيأت حمالة
الحطب لقبت به لانها كانت تحمل حطب الشوك وتطرحه فى طريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارضاء لزوجها لعنهما الله واسمها ام جميل بنت حرب بن امية
وقوله الفهر اى الحجر الذى يملأ الكف وذلك لما انزل الله فيها وفى زوجها تبت
يدا ابى لهب السورة وقوله وجاءت جملة حالية اى وقد جاءت اليه وهو فى المسجد
وابو بكر عنده بذلك الحجر لترميه به وقوله كانها الورقاء اى جاءت فى غاية السرعة
والعجلة كانها الحمامة الورقاء اى الشديدة الاسراع اى حال كونها شبيهة بها
فى ذلك فهى حال متداخلة   يوم جاءت يوم ظرف لاعدت وقوله غضبى
حال وفى نسخة غيظا فهو تمييز وذلك من شدة ما سمعت من ذمها فى تلك
السورة وقوله افى مثلى اى وانا بنت سيد بنى مخزوم والجار والمجرور متعلق
بيقال بعده وقوله من احمد بالتنوين للضرورة حال من الهجاء بعده وهو
اى الهجاء السب والذم ونسبت القول اليه لانهم يعتقدون ان القرآن من عنده
وتولت عطف على اعدت وقوله وما راته جملة حالية اى وكيف تراه
وهو فى ظهوره للقلوب السليمة والعقول المستقيمة كالشمس وتلك المراة فى غاية
من عمى البصيرة وفساد السريرة ومن اين ترى الشمس مقلة اى عين عمياء
ولما راها ابو بكر قال يا رسول الله انها امراة بذية اى والبذى لا يخاطب فلو قمت
من هذا المجلس لكان حسنا فقال انها لن ترانى فجاءت فلم تره فقالت يا ابا بكر
اين صاحبك انظر كيف يهجونى فوالله لو وجدته لضربته بهذا الفهر فاه ثم
انصرفت فقال ابو بكر يا رسول الله لم لم تره قال لم يزل ملك يسترنى منها
بجناحه وفى رواية قد اخذ الله ببصرها عنى   ثم سمت له اى ثم بعد
ما وقع له من هذه الكرامات وقع له كرامة اخرى فى غزوة خيبر فى المحرم
سنة سبع وقوله اليهودية وهى زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم
وقوله الشاة اى جعلت فيها سما قاتلا لوقته لانها تشاورت معهم فى سموم
كثيرة فاجمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت به الشاة كلها لكنها اكثرت منه
فى الذراع والكتف لما قيل لها انه يحب الذراع وقوله وكم اى مرات كثيرة
سام من السوم الذى هو مقدمة الشراء او الذى هو رعى الدواب وقوله
الشقوة بكسر الشين وفتحها لغة اى واظب عليها واتصف بها وقوله
الاشقياء اى الذين صاروا كالانعام بل هم اضل سبيلا ومنهم تلك المراة

يوم جاءت غضبى تقول افى مثلى ... من احمد يقال الهجاء

وتولت وما رأته ومن اين ... ترى الشمس مقلة عمياء

ثم سمت له اليهودية الشا ... ة وكم سام الشقوة الاشقياء

عجبا للكفار زادوا ضلالا
بالذي فيه للعقول اهتداء

الى آخر الدهر وخص حراء لانه صلى الله عليه وسلم خصته بتعبده فيه دون
غيره   عجبا لما ذكر جملة كثيرة من معجزاته التي من شاهدها آمن به فورا
بين ان الكفار الذين شاهدوها ولم تزدهم الا ضلالا لاحقيقون بان يقال ل
في شانهم عجبا مصدر منصوب على انه مفعول مطلق وهو بدل من التلفظ
بفعله اي اعجب عجبا وهو بمعنى التعجب الذي هو استعظام امر خفي سببه
وقوله للكفار اي منهم وقوله زادوا ضلالا حال وقوله فيه اي في كل فرد
من افراده وذلك ما شاهدوه من المعجزات القران وغيره وقوله
للعقول اي السليمة الخالية عن العناد والخذلان والحسد والغل وقوله
اهتداء اي الى الدين الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويصح ان يراد
العقول لا بالقيدين المذكورين حملا للاهتداء على ما يشمل ما بالقوة وما
بالفعل اذ المعجز فيها اهتداء بالقوة وان قارنها عناد وخذلان ووجه
التعجب منهم واضح فانهم كانوا مع ما شاهدوه من الايات والمعجزات التي
ترشد العقول الى الحق لا يزدادون الا اباء ونفورا وتمردا لما عندهم من
الحسد والتلبيس على الضعفاء منهم كما قال تعالى وان يروا آية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر   والذي يسألون منه الذي مبتدا ويسألون

والذي يسألون منه كتاب
منزل قد اتاهم وارتقاء

صلته والعائد محذوف اي يسألونه وضمير منه للنبي وكتاب خبر المبتدا
ومنزل صفة لكتاب وجملة قد اتاهم صفة اخرى او حال وقوله وارتقاء
معطوف على كتاب وقوله يسألون منه اي على جهة التعنت والعناد
وقوله منزل اي من السماء معه عليهم وقوله قد اتاهم اي به وهم
يشاهدونه وقوله وارتقاء اي منه الى السماء وقد اشار الناظم بما
ذكره الى قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
الايات وقوله فيها او تكون لك جنة من نخيل وعنب اي بستان فيه
ما ذكر وقوله كسفا اي قطعا وقوله قبيلا اي كفيلا بما تدعيه اي شاهدا
على صحته ضامنا لدركه او قبيلا بمعنى المقابل كالعشير بمعنى المعاشر وهو
حال من الله وقوله من زخرف اي ذهب وقوله ولن نؤمن لرقيك
اي وحدك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ويكون فيه تصديقك ومن جملة
تعنتهم كما في الحديث انهم قالوا له قد علمت انه ليس احد من الناس اضيق
بلدا ولا معيشة ولا اقل مالا منا فسل ربك فليزل عنا هذه الجبال التي
ضيقت علينا ويبسط لنا في بلادنا ويجري فيها انهارا كالشام ويحيي لنا

من

اولم يكفهم من الله ذكر
فيه للناس رحمة وشفاء

من مضى من آبائنا وليكن فيهم قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فان
صدقوك صدقناك   اولم يكفهم في الكلام حذف اي ايقولون ذلك
كله ويتعنتون فيه ولم يكفهم عن ذلك كله وقوله من الله حال من ذكر
الذي هو فاعل يكفهم اي ذكر واصل اليهم على لسانه والمراد به القرآن وتسميته
ذكرا جاءت في اية مرادا به الشرف كما في وانه لذكر لك ولقومك وفي اخرى
مرادا به انه مذكر لكل ما ينفع ويحذر من كل ما يضر وقوله للناس اي والجن
بل والملائكة وقوله رحمة اي باهتداء المؤمنين به وتاخير عذاب الاستيصال
عن الكافرين ببركة كونه بين اظهرهم وقوله وشفاء اي من كل داء ظاهر
وباطن حسي او معنوي كما قال تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء
قال العلماء لم ينزل الله من السماء شفاء قط اعم ولا انفع ولا اعظم
ولا انجع في ازالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء ولصداء القلوب جلاء
كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الفخر
الرازي وغيره ومن ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا
الجنس الذي هو القرآن ما هو شفاء من الامراض الروحانية كالاعتقادات
الفاسدة في الالوهية والنبوة والمعاد وفي القرآن من النصوص القاطعة
بفساد تلك ما يكفي ويشفي وكالاخلاق المذمومة وفيه اوضح بيان لانواعها
وحض على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراءته عليها لكن
مع الخلوص وفراغ القلب واقباله على الله بكليته وعدم اكل الحرام وعدم رين
الذنوب وعدم استيلاء الغفلة على القلب ومن ثم قال بعض الائمة
متى تخلف الشفاء عن القرآن فهو اما لعدم استقامة القاري او لعدم
قبول المقروء عليه لعدم تلقيه بالقبول كما يكون ذلك في الادوية والامراض
الحسية   اعجز الانس شروع في ذكر بعض صفات القرآن المذكور بقوله

اعجز الانس آية منه والجن
فهلا تأتي بها البلغاء

اولم يكفهم من الله ذكر وقوله اية منه عبر بها تبعا للقاضي ولم يبال بالذي
عليه الجمهور ان ما وقع به التحدي اقصر سورة منه وهي ثلاث آيات او مثلها
وذلك لان المشاهدة قاضية بانهم عجزوا حتى عن بعض الاية المفيد لان
في ارتباطها بما قبلها وما بعدها انواعا من بديع الحكم لا يحيط بها غيره
تعالى فالحق انهم عاجزون عن محاكاة آية من اياته لكن مع النظر لمناسبتها
بما قبلها وما بعدها فلا يستطيع احد في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده
ان ياتي بمثل اقصر سورة او آية منه على نظمه البديع وتاليفه المنيع وعذوبة

راجع للخراب وقوله نعاها اى اخبر تلك البيوت بموت اهلها المعنوى
من نعاه نعوًا ونعيًا اخبر بموته وقوله الجلاء اى خروجهم من ديارهم شبهه
فى كونه معلما بقهرهم وزوال شوكتهم بانسان يخبر بموت احد استعارة
بالكناية وذكر النعى الملايم للمشبه به تخييل وما تقدم فى وجه الشبه وهو
كونه معلماً بقهرهم لا يحتاج لمعونة وهو ان ذلك القهر قد نزل منزلة الموت الحسى
وظاهر النظم ان واقعة بنى النضير بعد الخندق المشار اليها بقوله واطما نوا
لخ وهو مردود بان بنى قريظة هم الذين ظاهروا الاحزاب واما بنو النضير
فقد كانت وقعتهم قبل الاحزاب وكانت من اعظم الاسباب فى جمع الاحزاب
لان حيى بن اخطب كان رئيس بنى النضير وهو الذى حسن لبنى قريظة
الغدر وموافقة الاحزاب وقد هرب فى وقعة بنى النضير ولحق بخيبر
فكان فيها حتى ذهب الى قريش وحزبهم على حرب النبى صلى الله عليه وسلم
وحاصل وقعة بنى النضير ان النبى خرج لهم يستعينهم فى دية قتيلين
قتلهما بعض حلفائهم فاظهروا له الاجابة ثم تواعدوا وهو جالس الى
جنب جدار لبعض بيوتهم على ان يصعد واحد منهم ويلقى عليه صخرة
ليستريحوا منه فاخبره جبريل فرجع الى المدينة فامر بالتهيئ لحربهم والمسير
اليهم فسار وحاصرهم خمسة عشر يوما فالقى الله الرعب فى قلوبهم فصاروا
يخربون بيوتهم من داخل والمسلمون من خارج ثم نزلوا على حكمه صلى الله
عليه وسلم فحكم عليهم بان يخرجوا ولا ياخذ كل واحد من ماله الا حمل بعير
ولا ياخذون السلاح فلحقوا بخيبر ثم الى الشام على ستمائة بعير
وبيوم الاحزاب اى وخدعوا ايضا بنو قريظة بيوم الاحزاب الخ ولو قدم
هذا البيت على البيتين قبله وقدمهما على البيتين قبلهما لكان اظهر كما لا يخفى
وكأن هذا الوضع من غلط النساخ وحاصل ما اشار اليه ان الاحزاب
لما اقبلوا ونزلوا حول المدينة وخرج لهم صلى الله عليه وسلم والمسلمون فجعلوا
ظهورهم الى سلع والخندق بينه وبين القوم خرج عدو الله حيى بن اخطب
وتقدم انه كان من رؤساء بنى النضير وفى قلبه ما فيه مما اصابه واصاب
قومه قبل ذلك فاتى كعبًا القرظى رئيس بنى قريظة وكان قد عاهد صلى
الله عليه وسلم وامنه فطلب حيى منه نقض عهد محمد فامتنع فلم يزل به حتى
نقض العهد فبلغ ذلك رسول الله فاشتد عليه الامر وخاف على المدينة من
بنى قريظة فلما تخلص من الاحزاب ورجع المدينة فوضع سلاحه واغتسل

فجاءه

وبيوم الاحزاب اذ زاغت الابصار فيه وضلت الآراء

فجاءه جبريل على بغلة فقال يا محمد قد وضعت سلاحك فوالله ما وضعنا
معشر الملائكة سلاحنا فاخرج اليهم واشار الى بنى قريظه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبى فسار اليهم فى ثلاثة آلاف
فحاصرهم خمسة وعشرين ليلة فلما اشتد عليهم الحصار نزلوا على حكم
سعد بن معاذ سيد الاوس وكانوا حلفاءه فى الجاهلية فحكمه صلى الله عليه
وسلم فيهم فحكم بقتل رجالهم وقسم اموالهم وسبى ذراريهم فأخذت رجالهم
فى حبال وكانوا ستمائة وقيل سبعمائة فادخلوا المدينة وحفرت لهم حفيرة
وامر صلى الله عليه وسلم عليا بضرب اعناقهم والقوا فى الحفيرة
وتعدوا اى النصارى واليهود والمنافقون بل مطلق الكفار اى
تجاوزوا وقوله الى النبى حال من قوله حدودا اى حال كونها بان
حدها لهم ومنعهم من مجاوزتها فلم يقفوا عندها فقوله كان فيها
على حذف مضاف اى فى مجاوزتها والعدواء اسم كان واحد الظرفين خبرها
والآخر حال والعدواء بفتح العين اى بعدهم عن النجاة ووقوعهم فى الهلاك
وهذا تلميح لقوله تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون
ونهتهم اى اولئك المعتدين وفاعله ضمير يعود على قوم لانه من باب التنازع
اى ونهى المعتدين قوم منهم عن استمرارهم على ما هم عليه من مخالفته وايذائه
وقوله فابيد الفاء سببية اى اهلك الامار منهم بايذائه والنهاء عن
اتباعه ولم يتقدم للامار ذكر فى كلامه الا انه ماخوذ من المقام فقوله
وما انتهت عنه قوم اى وامر قوم بايذائه فيقدر هذا الاجل قوله فابيد
الامار والنهاء والامار بفتح الهمزة والنهاء بفتح النون مبالغة فى آمر وناه
وتعاطوا فى احمد اى خاضوا يقال فلان يتعاطى كذا اى يخوض
فيه وعبارة الهروى يقال تعاطيت الشئ اذا تناولته وقوله فى احمد بالصرف
للوزن وخص هذا الاسم لانه لم يسم به احد قبله كما رواه مسلم واما محمد فتسمى به
قبله خمسة عشر كما بينه الحافظ العسقلانى وقوله منكر القول اى القول
المنكر الذى ينكره من يسمعه بل والمتكلم به لعلمه بقبحه وفساده وان الحامل عليه
انما هو محض عناد وحسد فقالوا مرة ساحر ومرة كاهن ومرة مجنون وقوله
ونطق اى منطوق الاراذل اى الاخساء الاسافل الذين لا مروءة لهم وقوله
العوراء بفتح العين اى الكلمة القبيحة الساقطة اى شانهم النطق بالفحش
كل رجس اى قذر قام بهم وقوله السوء بفتح السين وضمها اى القبح

كان فيها عليهم العدواء وتعدوا الى النبى حدودا
٢ وقوله وما انتهت عنه اى عن النبى عن مخالفته وايذائه
ونهتهم وما انتهت عنه قوم فابيد الامار والنهاء
وتعاطوا فى احمد منكر القول ونطق الاراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السوء سفاها والملة العوجاء

لما فى البخارى فى قصة هرقل انه سال ابا سفيان عن اصحاب محمد ايزيدون
او ينقصون فقال بل يزيدون فبين له هرقل ان من شان الرسل
ان اصحابهم كذلك فعلم ان مجئ الصحابة قوما بعد قوم من علامات نبوته
واندفع ما قد يقال اى فائدة فى هذه الجملة وقوله بحق فلا مطعن
فيهم لطاعن وما تقوله الرافضة وغيرهم فى حق بعضهم فخطأ صراح
ظهوره اغنى عن التعرض لرده وقوله وعلى المنهج اى الطريق الواضح
وقوله الحنيفى اى المستقيم الذى لا انحراف فيه ولا اعوجاج وقوله
نجاؤا اى كلهم وتابعوهم باحسان وهكذا لا تزال طائفة من امتى ظاهر
على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى امر الله وهم على ذلك ما لموسى
كليم الله ولا لعيسى روح الله وقوله حواريون جمع حوارى وهو الناصر
وصار ذلك علما بالغلبة على اصحاب عيسى لانهم كانوا يحورون الثياب
اى يقصرونها ومن الحوارى بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء وهو
الدقيق الابيض لبياض الوانهم وقوله فى فضلهم اى بشهادة نص الآية
كنتم خير امة وقوله ولا انقباء اى فى فضلهم ايض وهو لف ونشر مشوش
اذ الحواريون لعيسى والنقباء لموسى وفى البيضاوى الحوارى
من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحور العين لخلوص الوانهن سمى بذلك
اصحاب عيسى لخلوص نيتهم وصفاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون
البياض فاستنصرهم عيسى من اليهود وقيل كانوا قصارين يحورون
الثياب اى يبيضونها بابى بكر لما اقسم بالصحابة كلهم اجمالا
خصص العشرة المقطوع لهم بالجنة مرتبا للاربعة الاول منهم على ترتيبهم
فى الافضلية والاحقية بالخلافة فقال واقسم عليك بابى بكر فهو عطف
على بالعلوم بحذف حرفه فيصح انه وما بعده ابدال مفصلة من باصحاب
وقوله الذى صح اه اى الذى تميز عن سائر الصحابة بما كان كالصريح
فى انه الخليفة الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما صح من طرق
كثيرة بحيث اشتهر بل تواتر وصار معلوما من الدين بالضرورة وقوله
للناس به فى حياتك كل من الظروف الثلاثة متعلق بالاقتداء الذى
هو فاعل صح فمن تلك الطرق ما اخرجه الشيخان اشتد مرض رسول الله
فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة يا رسول الله انه
رقيق القلب اذا قام مقامك لم يستطع ان يصلى بالناس فقال مروا

ابا بكر

نحن فى فضلهم ولا انقباء ما لموسى ولا لعيسى حواريون

بابى بكر الذى صح فى حياتك للناس به الاقتداء

ابا بكر فليصل بالناس فعادت فقال مرى ابا بكر فليصل بالناس فانكن
صواحب يوسف فاتاه الرسول فصلى بالناس فى حياة رسول الله وفى
رواية انه امرهم بالصلاة وكان ابو بكر غائبا فتقدم عمر فكبر وكان صيتا فقال
رسول الله بعد ان اخرج راسه من حجرته لا لا يابى الله والمسلمون الا ابا بكر ثلاثا
وفى البيت التلويح لهذه القصة قال العلماء وفيها اوضح دليل على انه افضل
الصحابة مطلقا واحقهم بالخلافة واولاهم بالامامة ومن ثم اجمعوا
على ذلك لان تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار مع قوله يؤم القوم اقرؤهم
لكتاب الله اى اعلمهم بالقرآن صريح فى انه اعلمهم مطلقا وقد استدل الصحابة
انفسهم بهذا على انه احق بالخلافة حتى قال على قد امر رسول الله ان يصلى
بالناس وانا شاهد وما بى مرض فرضينا لدنيانا ما رضيه النبى لديننا
وما احسن قول من قال صلى ابو بكر بالناس ثمانية ايام والوحى ينزل
فسكت الله وسكت رسوله وسكت المسلمون ومعنى سكوت الله انه لم
ينزل وحيا بنهيه عن الامامة والمهدى اى المسكن للفتنة والاضطراب
فى امر الخلافة يوم السقيفة التى لبنى ساعدة من الانصار حين اجتمعوا
بعد دفنه صلى الله عليه وسلم فيها الى سعد بن عبادة سيد الخزرج ليولوه
وقوله لما ارجف الناس اى حين ارجفوا بالبناء للمفعول اى اضطربوا
فى امر الخلافة وقوله انه تعليل للمهدى ولا ينافيه كسر ان لانها مع كونها
للاستئناف قد تفيد التعليل ايض كما صرحوا به فى ان الحمد والنعمة لك فى
التلبية وقوله الدأداء اى المسكن للاضطراب المشهور بذلك قديما
وحديثا وفى الصحيحين عن عمر انهم لما دفنوا رسول الله تخلف على
والزبير ومن معهما فى بيت فاطمة وتخلفت الانصار باجمعها فى سقيفة
بنى ساعدة واجتمع المهاجرون عند ابى بكر فقال له عمر انطلق بنا الى
الانصار فذهبوا اليهم فوقع اضطراب كثير ثم خطب ابو بكر واثنى على
الانصار ثم بين لهم ان الخلافة لا تكون الا فى قريش واحتج بالحديث
الصحيح الائمة من قريش ثم قال رضيت لكم اما عمر واما ابا عبيدة واخذ
بيدهما وقال بايعوا من شئتم منهما فكثر اللغط وخيفت الفتنة فبادر
عمر وقال لابى بكر ابسط يدك فبسطها فبايعه فتبعه المهاجرون ثم
الانصار ولما بايعوه جاؤا الى المسجد فصعد على المنبر فقام عمر فتكلم قبله
فحمد الله ثم اثنى على ابى بكر ثم قال قوموا فبايعوه بيعة عامة فبايعه الناس

هم

والمهدى يوم سقيفتهم ... ارجف الناس انه الدأداء

والكرامات منهم معجزات
كانها من نوالك الاولياء

انما من معجزاتك العجز عن وصفك
اذ لا يحده الاحصاء

كيف يستوعب الكلام سجاياك
وهل تنزح البحار الركاء

ليس من غاية لوصفك ابغيها
وللقول غاية وانتهاء

بموتهم وآياتك اى معجزاتك فى الناس ما لهن انقضاء اذ فى كل حين
يقع لخواص امتك من خوارق العادات ما يدل على تعظيم قدرك الكريم
مما لا يحصى والكرامات منهم اى الواقعة منهم اى من الناس
وقوله معجزات اى لان كلا منهما امر خارق للعادة وانما يفترقان
فى التحدى وعدمه لكنها فى الحقيقة معجزات لك وقوله من تراثك
اى ميراثك اى ورثوها منك وفى نسخة من نوالك اى عطائك
وكرمك وقوله الاولياء جمع ولى فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله
ورسوله فلم يخرج عن امرهما ولا عن نهيهما او بمعنى مفعول لان
الله والاه بخوارق نعمه ورسوله والاه بمزايا هداه وكرمه وضابط
الولى انه المداوم على فعل الطاعات واجتناب المعاصى المعرض
عن الانهماك فى اللذات والشهوات انما من معجزاتك هذا
تاكيد لقوله ما لهن انقضاء وقوله العجز اى من سائر الناس
وقوله عن وصفك مفرد مضاف فهو للعموم اى عن الاحاطة بكل
فرد من اوصافك التى اختصك الله بها وقوله اذ لا يحده اى الوصف
المذكور واذ تعليلية وقوله الاحصاء اى العد كيف
يستوعب الكلام اى الصادر من واصفيك وقوله سجاياك
اى ما فيك من الاخلاق الكريمة والفضائل والاوصاف البالغة
اقصى الكمال التى لا حد لها باعتبار انك لا تزال تترقى فى مراتب القرب
فى الحياة وبعد الممات وفى الموقف وفى الجنة الى ما لا نهاية له وقوله
وهل تنزح البحار اى المشبهة اوصافك بها فى ان بتلك قيام الوجود
الحسى وبهذه قيام الوجود المعنوى لانه صلى الله عليه وسلم روح الكون
والخليفة الاكبر عن الله فى امداده وقوله الركاء اى المشبهة بها
الالفاظ فى ان كلا يتوصل به الى حيازة بعض المطلوب دون انتهائه
وهذا تذييل مبين لما اشتمل عليه من الاستعارتين المصرحتين
المرشح لهما بذكر النزح ان اوصافه صلى الله عليه وسلم لو عبر عنها من اول
الزمان الى آخره لا تعد ولا تحصى ليس من غاية من زائدة
وقوله لوصفك اى لاوصافك وخبر ليس محذوف تقديره توجد
او موجودة وقوله ابغيها اى اطلبها لما تقرر ان ذلك الترقى
لا نهاية له فلا مطمع فى الاطلاع عليه وقوله وللقول اى منى

بل

انما فضلك الزمان وآياتك
فيما نعده الآناء

لم اطل فى تعداد مدحك نطقى
ومرادى بذلك استقصاء

غير انى ظمآن وجد وما لى
بقليل من الورود ارتواء

فسلام عليك تترى من الله
وتبقى به لك البأواء

بل ومن كل مادح غاية وانتهاء من عطف المساوى فهو تاكيد
انما فضلك اى انما فضائلك الزمان اى كالزمان فالكلام على حذف
ادات التشبيه وهذا التشبيه من حيث الاجمال فى كل من المشبه
والمشبه به واشار الى تشبيه آخر من حيث التفصيل فيهما بقوله وآياتك
الآناء من حيث ان جزئيات كل منهما كجزئيات الآخر فى عدم احصاء
كل فقوله وآياتك اى معجزاتك وخصائصك وقوله فيما نعده
اى فيما نحسبه ونضبطه وقوله الآناء اى كالآناء اى كالازمان
والساعات واللحظات فكما ان هذه لا تحد فكذلك تلك والآناء بالمد
جمع انا كمعا وامعاء ومعناه الساعة والوقت كما عرفت ويقال فيه
ايضا آن بمد الهمزة لم اطل الخ اى لا تظن انى باطالتى فى هذه
القصيدة تعداد اوصافه صلى الله عليه وسلم اخالف ما قد قدمته انها
لا تعد لانى لم اطل الخ وقوله ومرادى اى والحال ان مرادى بذلك
استقصاء اى حصر لاوصافه واستيعاب لها وانما مرادى بتلك
الاطالة برد الغليل وشفاء العليل كما افاده قوله المشتمل على اداة
الاستثناء الذى هو منقطع قوله غير انى الخ غير انى الخ اى غير
انى لم ارد الحصر والاستيعاب لكنى ظمآن وجد اى بى من شدة شوقى
لسماع تلك الاوصاف غاية الظمأ والعطش للارتواء من سماعها وقوله
وما لى بقليل اى وليس يحصل لى بقليل من الورود الورود اتيان الماء
للاستقاء والمراد هنا نفس الماء الذى يورد اى وليس لى ارتواء بقليل
من اجل ما بى من شدة العطش فاطالتى لطلب مزيد الارتواء
لا لطلب حصر لتعذره وفى كلامه استعارة مصرحة من حيث
تشبيه شغفه وتولعه بتعداد الايات وذكر الصفات بظمأ وعطش
شديد لا يزيله الا الماء الكثير ورشح لذلك بذكر الورود والارتواء
فسلام اى فبسبب حصول الارتواء من تلك الاطالة اختمها
بما هو المتعين على من الدعاء لك بالصلاة والسلام امتثالا لقوله
تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما فاقول سلام اى عظيم شريف اى زيادة
تكريم وطيب تحية واعظام وقوله تترى اى يتكرر ويتبع بعضه
بعضا دائما وفى القاموس ترى يترى كرمى يرمى تراخى واترى عمل
اعمالا متواترة بين كل عملين فترة اه وقد يشكل على استعمال الناظم